



مذكرات وذكريات

سنوات المجازر المرعبة

من عام ١٩٧٧ - حتى عام ١٩٨٣

عدنان سعد الدين

مكتبة مدبولى

الإخوان المسلمون فى سورية

مذكرات وذكريات

سنوات المجازر المرعبة

من عام ١٩٧٧ وحتى عام ١٩٨٣

اسم الكتاب: الإخوان المسلمون فى سورية
مذكرات وذكريات
سنوات المجازر المرعبة
من عام ١٩٧٧ وحتى عام ١٩٨٣
المؤلف: عدنان سعد الدين
الطبعة: الاولى ٢٠١٠
رقم الايداع: ٢٠٤٤٦/٢٠٠٩
الترقيم الدولى: ٤ - ٨١٣ - ٢٠٨ - ٩٧٧
الناشر: مكتبة مدبولى
٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
ت: ٢٥٧٥٦٤٢١   ف: ٢٥٧٥٢٨٥٤
Web site : www.madboulybooks.com
E_ mail : info@madboulybooks.com

عدنان سعد الدين

الكتاب الرابع

الإخوان المسلمون فى سورية

مذكرات وذكريات

سنوات المجازر المرعبة
من عام ١٩٧٧ وحتى عام ١٩٨٣

مكتبة مدبولى
٢٠١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بقلم الأديب الأستاذ: عبد الله الطنطاوي

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على مصطفاه..

الكاتب:

في كل جزء من أجزاء هذا الكتاب البديع، أحاول تقديم الكتاب، دون كاتبه، فيضعف القلم، ويستجيب لضمير صاحبه، ويأبى إلا الحديث عن المؤلف في اقتضاب تستدعيه المناسبة، ويوجبه الإنصاف، لرفع الغطاء عما استتر من جوانب شخصيته الفذة..

سألني أخ كريم، وهو كاتب له عشرات الكتب المطبوعة والمخطوطة:

- لماذا نطالع الكثير عن شخصيات مهمة عبرت تاريخنا العظيم، ولا نكاد نجد مثل تلك الشخصيات في حياتنا المعاصرة؟

فأجبت: لأن سلفنا الصالح منصف، ويحب أن يشيع حديث عظماء الرجال بين الناس، ليتخذوا منهم قدوات يتأسون بها، فكانوا يتتبعون حسنات الرجال، وينشرونها في كتب يتداولها القراء، أما

نحن.. في أيامنا.. فالتنافس غير البريء، يغشى ألسنة الناس، ويكسر أقلامهم، لتسود قالة السوء، بدلاً من التحدث بنعمة الله الذي أنعم على هذه الأمة برجال هم ملء العين، والعقل، والقلب.. ﴿وإن تمسسكم حسنة تسؤهم، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها..﴾ وإلا.. فإن الرجال الذين تعنيهم موجودون، وإن كانوا قلة، وهؤلاء لا يتحدثون عن أنفسهم، لأنهم لا يحبون أن يُحمدوا بما فعلوا، فيما غيرهم يحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا. فشالت كفة هؤلاء..

وكان تساؤل ذلك الأخ الكاتب الأديب، حافزاً لي في العناية بسير الرجال في القديم والحديث..

كان لا بد من هذا التمهيد، من أجل الحديث في إيجاز عن مؤلف هذا الكتاب، بالرغم من كراهته لهذا الحديث..

الأستاذ عدنان -صاحب هذا الكتاب- متعدد المواهب والاهتمامات، فهو مثقف ثقافة سياسية متميزة، أكسبته حساً سياسياً متميزاً وثقافة شرعية، وثقافة أدبية، فهو خريج كلية اللغة العربية في جامعة القاهرة، وهو إعلامي، كتب في الصحافة السورية والعربية والإسلامية منذ شبابه، وقدم العديد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية، وكتب النشرات السياسية والدعوية لجماعة الإخوان المسلمين، لأنه تلميذ نجيب للأستاذ الدكتور عبد العزيز كامل، رحمه الله تعالى، وغفر لنا وله، وحاضر في المؤتمرات في بلاد الله الواسعة، وشارك في الندوات، وعقد العديد من المؤتمرات الصحفية في الشرق والغرب.

وهو رجل منهجي، شارك في كتابة المناهج المدرسية، وانتقد المناهج القائمة، لأن له تصوراً خاصاً منبثقاً من تصوره الإسلامي لما يجب أن تكون عليه المناهج، لتربية أبناء العروبة والإسلام، من أجل النهوض بأمتهم التي آدتها أثقال السنين بتراكماتها الشتى.. وتعليمهم ما ينفعهم وينفع أمتهم المثقلة بضروب التخلف..

والمؤلف كاتب، ومفكر، ومؤرخ، وراصد أمين للحوادث، وصاحب قلم يكتب بعفوية محببة، وبأسلوب رشيق وسهل، يرضى عنه العلماء والمثقفون، ويفهمه المتعلمون وأنصافهم، بلا تكلف ولا ادعاء.. إنه أسلوب أدبي رصين.. وهو صاحب رأي لا يستهان به، بل هو موضع تقدير وتأييد..

وهو، بهذا وذاك وسواهما، شخصية عامة، استأثرت جماعة الإخوان المسلمين بمعظم اهتماماتها.. ولو أتيح له هامش مجزٍ من الحرية في بلده، في ستينيات القرن الماضي فما بعدها، مثلما أتيح له قبلها، لكان لسورية وللإخوان منه شخصية تعين على سد الثغرات، وملء الفراغ الذي حصل بوفاة القائد البارع الشيخ مصطفى السباعي، تغمده الله بفيض رحماته ورضوانه، ولكان في عداد السياسيين البارزين من اليسار واليمين، ولكن النظام البعثي القمعي حال دون ذلك، فقد شل كل الفعاليات الحية في بلدنا الحبيب، شل فعاليات الأحزاب، والجمعيات، والشخصيات، وشل الحياة السياسية، والحياة الاقتصادية، والحياة الفكرية، وأبعد رجالات سورية عن ميادينها الحيوية، سجناً، وقتلاً، وإبعاداً، وتشريداً.. وقد نال

المؤلف مثل ما نال سواه من إبعاد، ومنع، ومطاردة، ومصادرة، وتشريد.. ولولا ذلك، لكان ملء السمع والبصر، ومع ذلك، تسامى على جراح الغربة ومواجعها ومعوقاتها ونوازلها ومتاعبها ومشاقّها، ومن ذاقها عرف ويلاتها وقيودها وإحباطاتها، وقاد الجماعة داخل حقول من الألغام الداخلية والخارجية، إقليمية ودولية، وحقق -مع إخوانه العاملين معه- بعض ما كان يصبو إليه من ألوان النجاح، وحالت ظروف قاهرة دون تحقيق المطامح الكبرى التي كان يخطط لها، ويسعى إليها، بدأب قل نظيره، وقل مقدوره.

الكتاب:

كنت، وما أزال، أعجب من قدرة المؤلف الكبير على متابعة الخوض في هذا الموضوع الوجيع، فهو في كله أو جله: جراح وآلام وأحزان، دماء، وأشلاء، لم يتحمل قلبي الواهن سماع الحديث عنها، فكنت أقرأ بضع ورقات، ثم أنهض عن مكتبي لأقوم بعملية (تبريد) يهدأ فيه بعض خفقانه، ويقر بلباله، لأنه -في مجمله وفي تفصيله- ينكأ الجراح، ويثير السخط والغضب، ويدعو إلى فضح أولئك الأوباش، لتخليص الشعب والأرض والعرض، من أوزارهم وجرائمهم المتوحشة.. أقول هذا، على الرغم من درايتي المسبقة بالكثير مما جرى على أيدي الوحوش البشرية.. كنت أقرأ ثم أنصرف عن القراءة، رأفة بحالي، وإشفاقاً على قلبي وأعصابي، وكنت وما زلت أعجب لقدرة المؤلف على تحميل قلمه كل ما كتب.. وإلا.. فمن هو صاحب القلب الذي يستطيع أن يمر بفصول المآسي

والكوارث والتعذيب الـذي لا تتحمله الجبال الراسيـات، ثم لا يتفطر قلبه، ولا يلعن لسانه أولئك..

إني ليحزنني أن أجد المؤلف وحـده في هذا الميدان الذي يتطلب جهود العصبـة أولي القوة من الرجال، فأعباء السنين التـسعين التي ما ناء بهـا كاهل المجـاهد العظيـم أبي أيوب الأنصاري، رضي الـله عنه وأرضاه، فـانطلق يـحمل سـلاحه، مـجاهداً في أرض الـله الواسـعة، حتى حطّ الرحـال شهيداً في مثواه الأخـير في هذه الدنيا الفـانية تحت أسوار القسطنطيـنية، وليس في (البقيع) قرب الحبـيب المصطفى ﷺ وعلى آله وإخوانه الصحابة الطيبين.. أعباء السنين الثمانين التي ألق ت بـثقلها علـى كاهل المـؤلف الكبيـر، لم تستـطع أن تحنيـه، فهيـهات هيـهات، ثم هيـهات هيـهات أن يقـعده المـرض الذي أرخى بكلـكله البـالغ القسـوة عليه.. فـسنوات الجـهاد المـضني، وسنوات الـمرض الشديد، لم تتمـكن من صموده وشموخه، ومن تصـميم الرجال على التـصدي لـوحوش القـرن العـشريـن، الذين مـزقوا قلـوب السوريـين ببراثنهـم وأنيابهم، بما فعلـوه في سورية عامة، وفي مديـنة أبي الفداء خاصة، فجـاب الدنيا مستصـرخاً ضمائر ذوي الضمائـر، لاستدراك ما فات، ولإنقـاذ ما بقي، من بيـن براثن أولئك الوحوش الـذين أوغلوا فتكاً بـكل ما يمت إلى عروبـة سورية، وإسلامها، وقـيمها، وإنسـانها بصلة..

تـحـرك، وهو يعـلم أن الـمؤامـرة أكـبـر من أي تحـرك، ولـكن ﴿معـذرة إلى ربكم، ولـعلهم يتـقون﴾ وهـيهات لـهم التقـوى، وأنّى

تكون لهم؟

هـذا الكتـاب من أهم الكتب الفكرية والـسياسية والدعـوية التي صدرت في هذا القـرن، والذين لم يدرسوه بعمق، قد يعـجبون من هذا الـكلام، وخاصـة أولئـك الذين لا يعـنيـهم من الـكتاب سـوى عنوانه واسم مؤلفه، ثم يتخذون المـوقف المناسب لهم ولتوجهاتهم ومـواقفـهم مـن موضـوع الكـتاب وكـاتـبه، أمـا أن يحـيطـوا علمـاً بمحتويات الكتـاب، وبتجرد وحيادية، فهذا ما يحـرجهم ويخرجهم من الدائـرة التي حشـروا أنفسـهم داخـلهـا تطوعـاً، أو تـحت وطأة ظروفٍ ما كـان ينبغي لهم أن يقفوا عندها كل هذا الوقت؛ فالمؤلف الكـريم -فـي هذا الـكتـاب وفي سـواه- قـدم لـلإسـلام وللإخـوان خدمات لا يستهان بها، فكراً، وتنظيراً، وتنظيماً.. خدم تاريخهم، وأنصف رجـالهم، كما لم يـخدم كل أولئك أحد مـن الإخوان ومن غير الإخوان..

أنا أدعـوكم -أيها الأحـبة- إلى دراسـة هذا السفـر القيم، لـلإفادة منه.. لمعـرفة تاريخكم المشـرف، تاريخ جماعتكـم، تاريخ بلدكم، فكر جماعتكم، تاريخ رجالكم، فلـن تجدوا في سواه ما تجدونه فيه، هذه شهادتي الـتي ألقى الله عليها، وسـوف يحاسبني التاريـخ عليها، ويسألني الله عـنها، فقد أزف الرحيل، وشارف جـيلي على الغروب، بعد أن ودعنـا سبعة عقـود، بكل ما حفلت بـه من أعمال فيهـا الخطأ وفيها الصواب، ما جعلت منا الصالحين ومنا دون ذلك.. قضينا تلك العقود بتعقيداتها التاريخيـة، وبعقدنا النفسية التي تزداد مع الأيام تأزماً

لغير ما سبب، إلا سبباً واحداً أمسك عن البوح به، والله هو المطلع على ما في العقول والصدور. .

أرجو من الأحبة، مخلصاً لهم رجائي، أن يعكفوا على قراءته، وأن يجعلوه ضمن مناهج الأسر، قبل فوات الأوان. .

نحا المؤلف في تأليفه نحواً غير معروف ولا مسبوق في تبويبه، وفي فقراته، وفي قفزاته، حتى كأنه سيناريو ذو مشاهد ومحاور ليست متوازية، بل متقاطعة، يعضد بعضها بعضاً، لجلاء الفكرة التي يعالجها بأسلوبه الخاص، بحيث يحسبه القارئ المتعجل في قراراته، يحتوي على أشتات من الأفكار والمعاني دون رابط يربطها، فيما هو يقدم ويعالج ما يريد جلاءه، فيما يدعوه النقاد: وحدة عضوية موضوعية متماسكة، متساندة، بما فيه من شمول متسم بالروح العلمية، مشوبة بذائقة أدبية لطيفة. .

وهو، في كل جزء، وفي كل فصل، يطالع قارئه بمعلومات جديدة مهمة، موثقة، تقشعر من أهوالها الأبدان، ويجفو الكرى عن أعين الوسنان، بعد أن يطالع ما فعله النظام الأسدي بسورية الحبيبة التي استباحها هو وعشيرته وجلاوزته، استباح الدماء في كل المدن والقرى، وفي الجامعات والمدارس والمصانع والمعامل والحقول والمساجد والكنائس. . استباح الحرمات، فنهب ونهبوا، واغتصب واغتصبوا، وارتكب وارتكبوا من الموبقات ما لم يرتكبه مجرم من قبل، أهدر دماء السوريين بعامة، والإسلاميين بخاصة، فكانت حمامات الدم، والمجازر الجماعية في كل مكان، حتى لم يبق بيت

لم تدخله مأساة، ولم يفقد أحداً أو أكثر من أحبائه وبنيه. .

وقدم لأبناء الشعب السوري الحر، ولكل أحرار الأمة، وثيقة تعد من أخطر الوثائق اللاإنسانية منذ محاكم التفتيش، بل ربما بزت محاكم التفتيش بهمجيتها (الستالينية العلمية الثورية التقدمية) أعني بها: خطاب رفعت أسد في المؤتمر القطري السابع الذي انعقد بدمشق، برعاية (الرئيس المؤبد) حافظ أسد، وكان ذلك الخطاب الإجرامي المشؤوم، قاعدة الانطلاق لوحوش الميليشيات الطائفية: سرايا الدفاع التابعة لرفعت أسد، وسرايا الصراع التابعة لعدنان أسد، والوحدات الخاصة، لصاحبها علي حيدر، والكتائب العمالية والطائفية المسلحة بأخطر أنواع السلاح، بالأحقاد التاريخية الدفينة، التي ابتعثها من قبورها، وسلّح بها كل ميليشياته، لتنزل الأهوال بهذا الشعب الحر، برجاله ونسائه وأطفاله وشيوخه، حتى نسي هؤلاء، كل ما اجترحه المجرمون عبر التاريخ من الحركات الباطنية، من العبيديين، والحشاشين، والقرامطة، والزنج، ومن التتار والمغول والصليبيين، والمستعمرين الفرنسيين، إلى الصهاينة المجرمين وما فعلوه في فلسطين، فكل أولئك مجرمون، قتلة، مخربون، وأما هؤلاء الذين عراهم هذا الكتاب في مجلديه: الثالث والرابع، فلا أجد لهم وصفاً دقيقاً يعبر عن حقيقتهم، بما ارتكبوه من جرائم القتل، والتعذيب الذي يذيق الضحية ألف موتة وموتة في اليوم الواحد، حتى صار الشنق أمنية يهنأ الأخ المعتقل على الفوز بها، لما يلقاه الواحد منهم، من صنوف العذاب الذي لا يوصف.

كان حسن الصباح يغتال القادة والعلماء والمجاهدين، بخنجر مسموم لا يعذب الطعين إلا لحظات، ثم يستريح، أما هؤلاء الثوار التقدميون الأشرار، فغاية ما يتمناه ضحاياهم: أن يعلقوهم على أعواد المشانق، أو أن يقتلوهم بأي طريقة عجز عن ابتكارها أبالسة الإنس والجن، ليتخلصوا من أهوال التعذيب غير المسبوق على أيدي الطغمة الحاكمة بدمشق منذ أكثر من أربعة عقود.

وقد أعانهم على هذا، علماء السوء، أولئك الذين استخفهم الطاغية فأطاعوه، وزينوا له جرائمه، وكانوا في ركاب العبيد، من سفلة السفلة الذين سيلقون جبار السماوات والأرض بوجوههم السود، وقلوبهم الأشد سواداً..

وكذلك استخف الطاغية حزبه القميء، ومن سار معه من أبناء طائفته، فأطاعوه، وكانوا أدوات إجرامه، ورأس حربة في خاصرة الشعب السوري الذي تعرض لعقاب الطاغية، لأنه شعب حر على مدار التاريخ، وكان، وسوف يبقى، شعباً حراً مكافحاً يأبى كل أنواع العبودية لغير الله تعالى، وكما حارب الاستعمار الفرنسي الغاشم، سوف يتصدى لهؤلاء الأغراب عن المجتمع السوري المعروف بأخلاقه، وتسامحه، وحسن تعامله حتى مع الغرباء الوافدين..

نسي أولئك المشايخ والحزبيون والطائفيون، تحذير الله وأمره ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ فاطر: ٦.

لن يفيد رفعت أسد إطلاق لحيته، وارتياد بعض مساجد دمشق،

قبل أن يطرد منها، فيداه الغارقتان بالدماء الطاهرة البريئة في سجن تدمر، وفي مدينة حماة، وفي سائر المدن السورية، وحياته المعجونة بالفساد والعدوان على كرامات الحرائر، وعلى أموال الناس، وثروات البلاد، وإذلال الناس، والعدوان على كرامة المحجبات والمتدينين.. ستبقى ماثلة للعيان، محفورة في الصدور، وسوف تحكي الأمهات والجدات، للحفدة والحفيدات، ما صنعت أنت وإخوتك وأقرباؤك وأتباعك، بسورية الشعب والأرض والعرض، مما لا يجوز أن يطويها التقادم، بأي حال من الأحوال.

تحدث الكاتب عن أمور خطيرة جداً لا يعرف حقيقتها كثير من الناس، مثل حادثة المدفعية، ومجزرة تدمر، ومذبحة التعليم، والمحاكمات الميدانية و(قضاتها) الجهلة، وخاصة ذلك (القاضي المؤبد) المعتوه: فايز النوري، والمجرم توفيق صالحة، والأرعن مصطفى طلاس، وأمثالهم من التافهين.. ووقف عند التعذيب وأنواعه التي زادت على الأربعين، وعند الجلادين، وتحدث عن الاغتيالات الخارجية، والاغتيالات الداخلية التي طالت العديد من العلماء المتميزين، ومنهم عالم الذرة الدكتور حسن محمد حسين والعديد من الأطباء والمهندسين والمحامين، والنقابات العلمية، والمثقفين عامة.. كما تحدث عن قانون الطوارئ، والأحكام العرفية التي فرضها النظام البعثي منذ انقلابه البائس في آذار ١٩٦٣ وما يزال معمولاً بها حتى الآن...

وسوف يطالع قارئ هذا المجلد، الدور المشرف للمحامين

السوريين الأحرار، ومحامي الإخوان في المهجر، وهذا الدور العظيم ينبغي أن يعرفه محامو سورية الأشراف، ومحامو الوطن العربي الأحرار الذين وقفوا إلى جانبنا ضد النظام القمعي بدمشق، واستنكروا ممارساته التي يأباها القانون والعدالة والروح الإنسانية، فيما كنا، وما زلنا، نرى الغرب (الديمقراطي) الرسمي، وزعيمته أمريكا، يشدون من أزر هذا النظام الذي ذبح الديموقراطية والحرية من الوريد إلى الوريد، والغرب الرسمي يعلم هذا علم اليقين، ويعلم عن ممارساته القمعية أكثر مما نعرف، ومع ذلك كان -الغرب- وما زال، يقف إلى جانب هذا النظام الاستبدادي الديكتاتوري، لا لشيء، إلا لمرضاة صاحبة العيون الكحيلة، والكيان المغتصب من أهله وذويه الفلسطينيين، ضحايا الإجرام الصهيوني اللئيم.. ولأنه -النظام- يحقق لها ولهم ما يريدون.. وقد كان الثمن باهظاً، دفعه الوطن السوري، والأرض السورية (الجولان العزيز) ليبقى النظام حامي حمى الكيان الغاصب الذي (خاض) معه (حربين) سلم في الأولى هضبة الجولان المنيعة كجبهة قتال، الغنية بثرواتها المائية، والمعدنية، والزراعية، وسلم في الثانية بضعاً وثلاثين قرية، وكان الثمن المدفوع لقاء الجولان: رئاسة الجمهورية، وثمن القرى في (الحرب) الثانية: تثبتت الحكم، ووقوف اللوبي الصهيوني في واشنطن ونيويورك ولندن وباريس وبرلين وسواها، إلى جانب آل أسد، وجمهوريتهم الملكية، برغم أنوف أمريكا والغرب والشرق والدنيا كلها..

القضية الفلسطينية

ينسى الناس أو يتناسون ما فعله نظام أسد بالقضية الفلسطينية، وبرجالها، وقادتها، وجنودها، وعندما كنا نجلس إلى السيد ياسر عرفات -رحمه الله- كنا نسمع منه شكاوى مريرة، وتأوهات، ونشم الحرائق في صدره، مما فعله حافظ أسد بهم وبقضيتهم، وكان مما قاله وردده مراراً: إن ما قتله حافظ أسد من الفلسطينيين، أضعاف ما قتله اليهود منهم..

وهذا المجلد يوثق تلك المجازر، والتآمر الذي كان عرابه والمنفذ له: حافظ أسد،.. ولهذا لا بد من قراءة ما جاء في هذا المجلد بتأن، وتمعن، ليعي المغفلون والذين في قلوبهم مرض، طبيعة الدور الخسيس الذي نهض وينهض به هذا النظام، منذ جيء به إلى حكم سورية بالحديد والنار، ليحكم على كل من يفكر بمقاومة العدو الصهيوني، وليقوم بواجباته والتزاماته تجاهه، وليحمي كل منهما الآخر، حسب الاتفاقات السرية التي نرى آثارها العملية على أرض الواقع..

مجزرة حماة

أو مأساة العصر، كما أسمينا أول كتاب صدر عن مكتبنا الإعلامي عام ١٩٨٣ بعد نكبتها بعام واحد..

نكبت حماة على أيدي الطائفيين خمس مرات، وكانت نكبتها الكبرى في شهر شباط ١٩٨٢ تلك التي قتلوا فيها أكثر من ثلاثين

ألف مواطن، أكثرهم من النساء والشيوخ والعجزة والأطفال.. وقد قارن بعض المسنين بين نكبة حماة على أيدي المستعمرين الفرنسيين المتوحشين عام ١٩٤٥ وبين نكبتها على أيدي الطائفيين عام ١٩٨٢ فوجدوا الفروق كبيرة جداً، إذ لم يجرؤ الفرنسيون على تهديم ثلث المدينة، كما فعلت ميليشيات أسد، ولم يعتدوا على الحرمات، ولم يهدموا المساجد والكنائس.. كما فعل الطائفيون، ولم ينهبوا ولم يسلبوا الناس أشياءهم، ولم يحرقوا ولم يدمروا عشر معشار ما فعل الطائفيون الأنذال خلال شهر واحد، كما قارن بعض الباحثين والدارسين بين ما فعلته قوات الاحتلال الصهيوني بغزة في كانون الثاني وشباط ٢٠٠٩ وبين ما فعله الطائفيون قبل سبع وعشرين سنة في حماة، فوجدوا أن الضحايا في حماة أكثر بثلاثين ضعفاً مما دمرته وقتلته وجرحته قوات الاحتلال الصهيوني الغاشمة المجرمة.. فهل أحقاد الطائفيين أعمق من أحقاد الفرنسيين على الشعب السوري؟ وهل أحقاد الصهاينة والمتصهينين على أهل غزة، أخف من أحقاد أولئك الطائفيين الأشرار الفجار أبناء الطائفيين الحاقدين الذين انضووا تحت راية الاستعمار الفرنسي، وكانوا أعوانه، فيما سمي بجيش الشرق الذي انخرطوا فيه، ليتصدوا للثوار في الغوطة، وجبل العرب، وجبل الزاوية، والحفة وجبل صهيون وفي حماة وحلب، وفي المناطق الشرقية؟

هل كانوا ينتقمون من تاريخ حماة؟ من بطولات أبنائها الذين تصدوا للفرنسيين المستعمرين، مثلما تصدوا من قبل لأجدادهم الصليبيين؟ فجاء هؤلاء ليثأروا لأجدادهم، ولسادتهم الفرنسيين

المستعمرين الذين مَرَّغَ الحمويون أنوفهم بالتراب، وهزموهم شر هزيمة؟

في هذا الكتاب أجوبة على كل هذه الأسئلة..

ولقد شاء الله أن يكتب المؤلف هذا الفصل الحزين الطافح بالدماء والأشلاء والدموع، في شهداء المأساة، في شباط الرعيب، بعد سبع وعشرين سنة على شباط المأساة، شباط المجازر، فهل جاء هذا من قبيل المصادفة، أم أن الله شاء أن يكتبه المؤلف، لتكون المأساة التي تتجدد كل عام، حية في قلب المؤلف، وفي قلوب مئات الألوف من أبناء الشعب السوري، وأبناء الأمة العربية والإسلامية، الذين سمعوا بالكارثة، ولم يقفوا على تفاصيلها، نتيجة التعتيم الإعلامي الذي فرض على وسائل الإعلام، بقدرة القادرين على الأمر والنهي، لمن لا يملك حيلة في فضح ما كان يجري، كما هو الشأن في سجن صيدنايا، فكل الشعب السوري لايدري شيئاً عما يجري فيه من مجازر منذ بضعة أشهر..

إن مأساة حماة حية، وسوف تبقى حية على الزمان، يتوارثها الأبناء عن الآباء والأمهات، والحفدة والحفيدات عن الأجداد والجدات، يتوارثها ويورثها كل من في قلبه ذرة إيمان، وفي ضميره ذرة من مروءة أو حس وطني أو إنساني، ولن يفلت المجرمون المتخلفون من العقاب ولو بعد حين، حتى ولو كانوا في حانات ماربيا وباريس، ومواخير أوربا وأمريكا.. لن يكون لهم عاصم من أمر الله المنتقم الجبار..

ترى.. بعد أن يطلع السوريون والعرب والمسلمون والناس أجمعون، على هذه المجازر.. هل سيبقى فيهم من لا يلعن هذا النظام الطاغوتي؟

لقد أثرت هذه المأساة على بعض الكتاب والمثقفين، أذكر منهم الأديب الكبير حسيب كيالي، رحمه الله تعالى، فقد هزته مجازر حماة، فانطلق لسانه وقلمه يلعنان هذا النظام، ويصمانه بما يستحقه من صفات، وقد كتب كتاب: (الحكم النصيري في سورية) الذي أصدرته (رابطة الصحفيين السورين الأحرار) وفضح فيه ممارسات النظام، وسياسته الطائفية قبل مأساة العصر، كما نشرت له مجلة النذير عدداً كبيراً من المقالات، والقصائد، والقصص، وكلها تفضح سياسة النظام، وتعري وطنيته الزائفة، وتشيد ببطولات بعض أبناء حماة، كالملحمة التي نظمها في الشهيد مهدي العلواني رحمه الله تعالى.

والأديب الثاني، هو الكاتب الإعلامي الساخر: شريف الراس، وكان يسارياً مثل الأستاذ حسيب كيالي، ثم لعن اليسار السائر بخنوع في ركاب الطغيان، وكتب عشرات المقالات، وألف رواية (طاحون الشياطين) ومسرحية (مهمة سرية جداً) وكتاب (من الجرح السوري) الذي قدمه له الأستاذ الكبير صاحب هذا الكتاب..

ومع هذا أقول: إن ما كتبه الكتاب والأدباء والشعراء والمؤرخون والفنانون عن مأساة العصر أقل من القليل، فالمصاب فادح عميق، ولن يعذر الناس المقصرين مهما كانت الأعذار التي سيقدمونها

للناس.. للشعب السوري.. لأبناء مدينة حماة..

بيان الثورة ومنهاجها

بعد كل الممارسات الاستفزازية، والقمعية التي طالت جماعة الإخوان المسلمين في سورية، وبعد أن أهدر النظام دماء الإخوان، واستحر القتل بهم في الشوارع، والمدارس، والجامعات، وفي كل مكان، ناهيك عن السجون والمعتقلات التي غصت بشيوخ الجماعة، وشبانها، وبالأخوات، والمحاكمات الميدانية، والتصفيات الجسدية على الشكل وعلى الهوية، وبعد مصادرة بيوت الإخوان، وتشريد أسرهم، واعتقال أقربائهم حتى الدرجة الرابعة فما بعدها.. بعد كل هذا وغيره، أعلن الإخوان الثورة على النظام، دفاعاً عن أنفسهم، وعن أعراضهم، وأصدروا بيان الثورة ومنهاجها الذي قدم تصورهم للحكم، في إيجاز يحتاج إلى تفصيل، وبه سبق إخوان سورية سائر الحركات الإسلامية الأخرى بربع قرن على الأقل.

وضع (البيان) النقاط على الحروف في صراع الشعب السوري -والإخوان شريحة مهمة منه- وأهمها: طائفية النظام، وفساده، ومنهجة الإفساد في سياساته الداخلية، والخارجية، وسعيه إلى تجهيل الشعب في كل المجالات الحيوية.

وكان (المنهاج) على مستوى رفيع من الوعي، ولو هيئ له أن يطبق على أرض الواقع، لتسنمت سورية ذروة الحضارة التي عرفتها وعرفت بها منذ القدم، ولعادت إلى موقعها في طليعة دول العالم الثالث على أقل تقدير..

لم يترك المنهاج مجالاً حيوياً إلا تعرض له، وعالجه بحكمة.. فقد تحدث -فيما تحدث- عن حرية الأحزاب، واشترط لقيامها شرطين: ألا تخالف الإسلام وتعاديه، وألا يكون لها ارتباطات خارجية.. والقضاء المدني العادل النزيه، هو الذي يفصل في هذه الأمور، بعيداً عن الأجهزة التي أفسدت كل شيء مدت أيديها الأخطبوطية إليه، وبعيداً عن وزارة الداخلية.. وبهذا سبقنا من عاصرنا من الأحزاب والهيئات السياسية في التأكيد على الديموقراطية والحريات السياسية، وحرية تشكيل الأحزاب، في تعددية حقيقية، لا مجرد ديكور يضحك حتى الثكالى، كما هو حاصل في التركيبة الكرتونية لما أسموه (الجبهة الوطنية التقدمية) وتركيبتها الحزبية الذيلية التي تأتمر بأوامر الديكتاتور، ولا تجرؤ على إبداء أي رأيٍ لا يرضى عنه..

كان هدف المنهاج، تفعيل الطاقات، والقضاء على الفساد، والمساواة بين المواطنين أمام القانون، وفي سائر أحوالهم، وإنصاف المظلومين الذين سحقهم النظام وميليشياته وعناصر مخابراته القمعية، وخاصة الطبقة الكادحة من العمال والفلاحين وصغار الكسبة، الذين صاروا يترحمون على أيام الإقطاعيين والبرجوازيين، وكذلك الأمر بالنسبة إلى ضباط الجيش وأفراده -من غير الطائفيين- ورجال التربية والتعليم- والمرأة، والأمن، والكرامة، والعيش الحر الكريم.. فقد سحق النظام كل هؤلاء، و(المنهاج) يعمل لإنصافهم، وتخليصهم من ظلم هذا النظام الشمولي، القمعي، الطائفي، الذي صار الناس اليوم،

يتبرؤون منه بعد ثلث قرن من تبرئنا منه، وسعينا الحثيث لإعادة الإشراقة لوجه سورية الحبيبة، بعد أن غشاها ما غشاها من نظام الأقلية الطائفية المقيتة..

إنني أدعو كل سوري، وكل عربي، وكل مسلم، وكل أحرار العالم، إلى قراءة هذا الكتاب قراءة واعية، ليعرفوا أي نظام هذا الذي يجثم فوق صدور الأحرار من أبناء هذا الشعب السوري الأصيل.

وأدعو الأدباء، والفنانين، والمفكرين، إلى توعية الدنيا بجرائم هذا النظام المخرب، وكتابة القصص، والروايات، والمسرحيات، وإنشاء المقالات، وعمل سيناريوهات لمسلسلات وأفلام تفضح أعمال القتل، والتعذيب، والنهب، والسلب، والاغتصاب، ونهجه الفاسد المفسد.. فالمادة بين أيديكم غزيرة، ودراسة هذا الكتاب سوف تقدم لكم الكثير من الأفكار..

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدي رسول الله وآله وصحبه أجمعين..

٨/٣/٢٠٠٩



الفترة الرابعة

سنوات المجازر المرعبة من عام ١٩٧٧ وحتى عام ١٩٨٣

في هذه السنوات القليلة شهدت سورية أحداثاً لا تخطر على قلب بشر من إعدام واغتيال وقتل مبرمج، ودعوة صريحة في المؤتمر القطري السابع ١٩٨٠ إلى مشروع الإبادة الجماعية على لسان الثوريين التقدميين من أمثال رفعت أسد وأخيه حافظ أسد من قبل، والتقارب -في ذات الفترة- أو التسابق باتجاه التفاهم مع العدو ما بين القاهرة ودمشق من جهة، والعدو من جهة أخرى، في سرية تامة، كشفت تفاصيلها، فيما بعد، لشعوبنا المكبلة والمغلوبة على أمرها.

أولاً: سحق النقابات العلمية

قبل الولوج في هذا الموضوع الشديد الوعورة، أذكر بإيجاز شديد، ما تناولناه من قبل حول البنية التنظيمية للإخوان المسلمين في سورية، بهدف ربط الأحداث وتسلسلها في داخل الجماعة ومن خارجها.

١- جرى انتخاب مراقب عام لجماعة الإخوان المسلمين السورية

استناداً إلى قرار صادر عن مكتب الإرشاد وسلطته وصلاحياته التنظيمية، وبناءً على إلحاح الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله على كاتب هذه السطور، ليكون مراقباً عاماً للجماعة، اجتمع مجلس الشورى للإخوان المسلمين السوريين في بيروت وكذا بعض الإخوان من حماة وحلب وإدلب، ملحّين على وجوب الاستجابة، ثم مغادرتي للفندق الذي كنت نزيلاً فيه في حي المنارة، والانتقال إلى فندق آخر هرباً من الإخوان وحياءً منهم، لعدم اقتناعي بأنني جدير ومؤهل لهذه المهمة الصعبة والثقيلة، ثم حملي على ذلك في مواقف مرّ ذكرها، ثم تشكيل المكتب التنفيذي (الذي صار يسمى فيما بعد: قيادة الجماعة) من خمسة أعضاء، اثنان من حلب وثالث من حماة، ورابع من حمص رشحه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة نائباً للمراقب العام، وخامس من محافظة دمشق ما يزال يعمل في إحدى دول الخليج.

تم وضع الترتيبات في الدخول إلى سورية بسرية تامة، وعقد الاجتماعات -في داخلها- للمكتب التنفيذي، ولمجلس الشورى، ولمكاتب التنظيم في عدد من المدن، والبدء بمرحلة جديدة، ووضع خطة شاملة يتحرك التنظيم بموجبها في قراراته، وعلاقاته، وترتيباته في الشؤون التربوية والمالية والحركية في أنحاء القطر، وتجديد النظام -الأساسي والداخلي- الذي استقيت أكثر مواده من نظام الجماعة في القاهرة، والانتقال -كثمرة لذلك- بالتنظيم أو الجماعة من مرحلة التعريف (التبليغ) والوعظ والتجميع والتكوين إلى مرحلة البرمجة

والتخطيط، إكمالاً للمرحلة الأولى التي سبقت، وليس إلغاءً لها، والاكتفاء بإصدار تعميم واحد على جميع أعضاء التنظيم خلال هذه الفترة الثلاثية من عام ١٩٧٦ وحتى عام ١٩٧٩، كانت خلاصته، أو كان جوهره: أن جميع الأزمات أو الخلافات مهما استعصت، تجد حلها في ظل التقوى، التي جعلتها الجماعة أساساً وشعاراً لها في هذه المرحلة التي أطلقنا عليها تسمية -التكوين الرباني-، وأن أبسط الأمور، وأيسر الخلافات يستعصي حلها في غياب التقوى، ومراقبة العبد لمولاه في السر وفي العلانية.

٢- اشتدت وطأة النظام المتسلط على السوريين، ولا سيما المتمسكون بدينهم، الدعاة إلى رسالة ربهم، كان من أبرزها (علونة الجيش) الذي بدأه الانقلابيون منذ الساعات الأولى في ٨ آذار عام ١٩٦٣، ثم ازداد وضوحاً ووقاحة بعد التدخل العسكري في لبنان، بإبعاد من ليس علوياً عن الجيش، وحشد عشرات الألوف من الطائفة العلوية في الجيش لاستلام مراكزه الأساسية والمفصلية، والإمساك بالمواقع الحساسة في أجهزة الدولة كلها، وتقديم العلويين، ولو لم يكونوا من الحزبيين على غيرهم، ولو كانوا من كوادر الحزب، ومن المتقدمين في تشكيلاته، وعلى الأخص في الجيش ودوائر الأمن، لأن أهل السنة والجماعة يعتبرون أرضاً خصبة في نظر العصابة الحاكمة، ويجب الحذر منها[١].

كان من أوضح هذه الظاهرة الطائفية المرضية الغريبة عن تركيب

(١) حوار حول سورية: ٨٥ و٨٦ و٩٥ .

المجتمع السوري ونفسيات المواطنين، توسيع السلطة للمعاهد العسكرية، وإنشاء معاهد جديدة، بحجة تحديث الجيش، للإمساك بالمؤسسة العسكرية بفرعيها -الجيش والأمن- كما شهدت أجهزة الأمن تغييراً شاملاً في عددها وفي مهماتها، إذ كان يتدفق إليها عشرات الألوف من الشباب في كل عام، إلى أن بلغ منتسبوها في عام ١٩٧٨م ٣٦٠ ألفاً من المتفرغين، يستخدمون ١٧ ألف سيارة، وأحدث ما في تقنيات الغرب والشرق من أجهزة تنصت وتجسس وتعذيب لحماية النظام، وتحويل مهمة المخابرات والمؤسسات الأمنية عن واجباتها في حماية المواطنين من العدو الخارجي وجواسيسه داخل الوطن، إلى مهمة حماية الرئيس ونظامه وحزبه من الشعب ومن المواطنين(١).

وهذا ما حدث في الجهاز القضائي، إذ تم إقصاء القضاة الأكفياء، وتعيين دفعات من القضاة المنتمين إلى حزب النظام، كما تم تعديل قانون الأحوال الشخصية للمسلمين، وأصبح انتشار التوقيف والاعتقال التعسفي دون الرجوع إلى القضاء لعبة بأيدي المتنفذين والأمنيين، فلم يعد المواطن آمناً على حياته أو ماله أو عرضه بعد غياب القضاء العادل النزيه، بل الاستمرار بالعمل بأحكام قانون الطوارئ المفروض على سورية المنكوبة منذ الثامن من آذار، كما رأينا ذلك تفصيلاً من قبل.

٣- عمل النظام القمعي على كل ما من شأنه أن يرفع من سخونة

(١) المرجع السابق: ٨٣ -٨٥ .

الصراع مع ذوي الاتجاهات الإسلامية من علماء وإخوان وجمعيات، للوصول إلى حافة التفجر، واندلاع مواجهات بين عصابات السلطة المسلحة بالحقد وأدوات الفتك، وبين المواطنين العزل المغلوبين على أمرهم، حتى غدت السيطرة على غليان الغضب الشعبي أمراً غير ممكن ولا مستطاع.

لقد أخذ النظام بسياسات التمييز المفضوح بين المواطنين، مستأثراً بجميع الفرص والمواقع ومراكز القوة، ولا سيما في مؤسسات الجيش والأمن التي أضحت وقفاً على مجموعة من هذه الفئة الطائفية دون الآخرين بمن فيهم شريحة من أبناء الطائفة العلوية نفسها المحرومة، شأن المواطنين الآخرين.

استأثرت هذه القلة بالمواقع الحكومية الهامة، بدءاً من موظفي الوزارات وإدارات المدارس والسلك الدبلوماسي، وفي الدوائر العامة والمؤسسات الإعلامية: الصحفية والإذاعية والتلفزيونية، وبالبعثات العلمية التي أضحت حكراً على أبناء الطائفة الموالين للنظام في جميع التخصصات، الأمر الذي أدى إلى استفزاز المواطنين، ودفعهم في طريق الصدام ضد الذين امتهنوا البطش والقمع والطغيان. قام بها -كما علمنا فيما بعد- مجموعة موالية للشهيد مروان حديد رحمه الله بعد أن تمت تصفيته في سجنه، ودفنه بعيداً عن ذويه وأهله.

لم تكن الجماعة على علم بأحداث تلك الفترة، نقول هذا مؤكدين على ذلك، طالبين بصوت مسموع أن تذكر أي جهة رسمية أو غير رسمية ما يناقض هذا التأكيد، فالجماعة كانت مستغرقة في

العملية التربوية والتوجيهية، وتبليغ المواطنين أمور دينهم ودعوتهم، لكن النظام الذي يعلم هذه الحقيقة التي اعترف بها حافظ أسد نفسه في إحدى كلماته إلى تجمع لطلاب الحزب، وجدها فرصة طالما سعى إليها في شن حملات واسعة من الاعتقال والتنكيل والاغتيال في داخل السجون وفي خارجها، ضد الإخوان وكل ذي توجه إسلامي من أي شريحة أو فصيل أو اتجاه، وهذا ما انتهى بالبلاد التي كانت طيلة تاريخها بعيدة عن التعصب والعنف وسفك الدماء، إلى تسريع الأحداث، ودفعها إلى حافة الانفجار، وحدوث ما لم يكن في الحسبان.

تحركت مؤسسات المجتمع المدني للتوسط بين السلطة الحاكمة وبين المواطنين لوقف هذا التدهور، والحؤول دون وقوع مجازر دامية في الشارع السوري، فاجتمع علماء وشيوخ عدد من المحافظات -من حلب وحماة وحمص- للتداول في شؤون البلاد والعباد، والأزمة التي تتعرض لها سورية، فقرروا اللقاء مع محافظ حلب، ليطلبوا منه بعض الأمور التي من شأنها أن تنتهي إلى الهدوء، مثل الإفراج عن النساء المعتقلات اللواتي يتعرضن في سجون السلطة للإهانة والاعتداء والتعذيب، فرفض المحافظ مقابلتهم، الأمر الذي أدى إلى تزايد السخط في المدينة التي كان التوتر فيها على أشده، فاندلعت تظاهرات نسائية في حلب بتاريخ ١٦-١١-١٩٧٩ .

ثانياً: نشاط المحامين ومأساتهم

في هذه الآونة سطر نقيب المحامين السوريين إلى المسؤولين في

النظام الحاكم مذكرة بتاريخ ١٧-٨-١٩٧٨، ضمنها مطالب شعبية، كان من أهمها: توفير مناخ الحرية وسيادة القانون، وإطلاق سراح الذين اعتقلوا دون مذكرة قضائية.

١- صدر القرار رقم ٢ بتاريخ ١-١٢-١٩٧٨ عن المؤتمر العام للمحامين السوريين الذي كلف مجلس النقابة بمقابلة رئيس الجمهورية للمطالبة بإنهاء حالة الطوارئ في البلاد، والتأكيد على مبادئ الحرية وسيادة القانون، ثم صدر بيان مجلس نقابة المحامين في سورية فيما بعد بتاريخ ٢٩-٩-١٩٧٩، وجاء فيه: إن ممارسات النظام أشاعت جواً من الهلع والخوف والقلق، وأخلت بميزان الأمن، وانتهكت حريات الأفراد والجماعات، واستباحت حرمات الأمن، فأصبحت أرواح المواطنين عرضة للإزهاق على يد سلطات الأمن، وباتت شرعة الرهائن وتهديم البيوت وسيلة تأديبية جماعية، حتى امتلأت السجون بالرجال والنساء والأطفال، وبالأعداد الضخمة من صفوف المثقفين، كالأطباء والمحامين والمهندسين والمدرسين.

وكانت النقابة من قبل قد أقرت بتاريخ ٢٢-٦-١٩٧٨ قرارات طالبت فيها بإنهاء حالة الطوارئ، وهددت أو أنذرت المحامين بعقوبات تأديبية إن هم تعاونوا مع الحكومة في قضايا غير مشروعة في المرافعات القضائية[١].

استمر اتحاد المحامين في صدام مع نظام حافظ أسد -العسكري-

---

(١) تقرير الشرق الأوسط: ٢٣ .

وبخاصة بعد تدخله في شؤون لبنان سنة ١٩٧٦، وعندما جمع المحامون عرائض الاستنكار، ونظموا الاحتجاجات رداً على هذا النشاط، قامت السلطة بحجز محاميين اثنين نشيطين هما: طارق حيدري وعادل كيالي، فمات كلاهما في الحجز تحت التعذيب، فقدم الاتحاد شكوى إلى الحكومة، ثم أثير الموضوع في تونس في اجتماع اتحاد المحامين العرب في تشرين الثاني عام ١٩٧٦، فلجأ النظام إلى إجبار المحامين النشيطين مثل أحمد محفل إلى البحث عن منفى له في عام ١٩٧٧ .

٢- أضحى اتحاد المحامين بحلول عام ١٩٧٨ القوة القائدة في صفوف المعارضة الديمقراطية، وما إن انعقد مؤتمر المحامين في ٢٢-٦-١٩٧٨ حتى طالب المجتمعون بوضع نهاية فورية لحالة الطوارئ، وأدانوا اللجوء إلى التعذيب، وأقروا إنذاراً وزع على جميع المحامين يحذرهم من مغبة التعاون مع الحكومة في مشاريع وأعمال غير مشروعة. وفي ١٧-٨-١٩٧٨ أرسل الأستاذ صباح الركابي رئيس اتحاد محامي سورية مذكرة احتجاج إلى الحكومة يحثها فيها على احترام حكم القانون، وإلغاء المحاكم الاستثنائية، وإطلاق سراح جميع المحتجزين من دون محاكمة. وصوت المؤتمر العام لاتحاد محامي حلب في ١١-١١-١٩٧٨ لصالح تأييد القرارات التي أقرها اتحاد المحامين في دمشق في شهر حزيران.

لم تمض إلا أيام قلائل حتى انقض عناصر من سرايا الدفاع على محام وزوجته في أحد شوارع دمشق، فرد اتحاد محامي دمشق على

ذلك بإضراب يوم واحد، ثم صدر عن محامي حماة وحمص وحلب ودير الزور قرارات التأييد والدعم لنقابة محامي دمشق.

أخذ المحامون المبادرة ثانية، إذ اتخذ محامو دمشق قراراً في ٣١-٨-١٩٧٩ دعوا فيه إلى وضع حد لحالة الطوارئ واحترام الحقوق الدستورية، إلا أن النظام بدا غير مبال بحملة المحامين، بل ضاعف من شدة قمعه.

في ١-٣-١٩٨٠ اجتمع محامو حلب الساخطون، وقرروا إضراباً لمدة ساعتين في اليوم التالي لتسليط الضوء على ندائهم بالعودة إلى الديمقراطية وتعميقها، وفي ٩-٧-١٩٨٠ أعلنت نقابتا المهندسين والأطباء في حمص، فضلاً عن اتحاد المحامين بيانات وتصريحات مشتركة مؤيدة، وتكرر ذلك في حماة بعد يومين من بيانات حمص(١).

جاءت ردة فعل الحكومة بإلقاء القبض على العديد من المحامين، وألقتهم في السجن، وبالرغم من أن كل أنواع المعارضة خلال الإضراب كانت سلمية تماماً، إلا أن الحكومة تعاملت مع المضربين بوحشية وقسوة، فاعتقلت خمسين محامياً بعد الشروع في الإضراب بقليل بمن فيهم صباح الركابي رئيس اتحاد المحامين في سورية، وموفق الكزبري رئيس اتحاد رعاية المسجونين، وسليم عقيل الرئيس السابق لمحامي حلب، ورشاد برمدا من لجنة حقوق الإنسان،

---

(١) الرقيب: ١٧٧-١٨٠ .

واستمراراً في نهج التسلط والقمع حل مجلس الوزراء جميع الاتحادات المهنية في ٩-٤-١٩٨١ مدعياً أنها قد اخترقت من عناصر الرجعية حتى صارت خطراً على المجتمع، وأغلقت السلطة مقرات الاتحادات الرئيسية والفرعية، ومكاتبها التنفيذية، ودوائر أبحاثها ودراساتها، فضلاً عن إغلاق لجنة حقوق الإنسان ونقابة رعاية المسجونين، وفي اليوم التالي قدمت السلطة ملاكات اتحادات محامين جديدة بتعيين عناصر المجالس التنفيذية الجديدة بدلاً من الأعضاء السابقين المنتخبين.

وقف مجتمع القانون مدهوشاً إزاء ما يجري، إذ إنه حتى في أسوأ لحظات الانتداب الفرنسي، لم يحصل مثل هذا الذي تراه أعينهم في سورية قط.

استنفر المحامون بسرعة التأييد الدولي لمناصرة قضيتهم، فرفض المجلس التنفيذي لاتحاد المحامين العرب المعينين الجدد في اتحاد محامي سورية، وكان المجلس ما يزال في غمرة اجتماعه في مراكش في شهر حزيران ١٩٨٠، تبعه وبسرعة إعلان مؤتمر اتحاد المحامين العرب القائل: إن قرارات الحكومة السورية تعد لاغية وغير شرعية، كما احتج أيضاً كثير من المنظمات الدولية القانونية الأخرى، بل إن بعضها أرسل وفوداً لمحاورة الرسميين السوريين، والتماسهم في إعادة النظر في الموضوع، إلا أن نظام حافظ أسد القمعي رفض تغيير نهجه تماماً.

فرضت السلطة السورية المستبدة القانون رقم ٣٩ الصادر في

٢١-٨-١٩٨١ المتضمن تغييرات حاسمة في هيكل الاتحاد، محولاً إياه إلى ذراع مسخر للتعاون مع الدولة والحزب الحاكم، وقد حددت المادة الثالثة من القانون الجديد عمل المحامين واتحادهم بالتوافق والانسجام مع مبادئ وقرارات حزب البعث الحاكم، أما المادة الرابعة فقد نصت على أنه يتعين على الاتحاد أن يعمل بالتنسيق مع الدائرة المختصة في القيادة القطرية للحزب، واستناداً إلى المادة ٣٧، ليس هناك مؤتمر عام لاتحاد المحامين يمكن أن ينعقد ما لم يدع إليه ويحضره ممثل عن حزب البعث. وفي ظل القانون الجديد يستطيع مجلس الوزراء، وفي أي وقت يشاء أن يحل مجالس الاتحاد الفرعية والقطرية تماماً مثلما يستطيع حل الجمعية العمومية لاتحاد المحامين.

٣- نهج النظام بكمّه فم اتحاد المحامين نهج من يريد تحطيم روحه المعنوية، وتغيير بنيته الهيكلية، فعلى سبيل المثال، تلجأ السلطة إلى إرسال عناصر من الأمن ليقفوا ويتربصوا في مداخل أبنية المكاتب القانونية، لإشاعة الفزع والرعب في نفوس الموكلين، أو الضغط على القضاة بالحكم دون وازع من الالتزام، حتى صار العمل القضائي يعتمد وباطراد وسرعة على عاملين: ارتباط المحامي الوثيق برجال السلطة العليا، ومهارته في رشوة الحكام والموظفين العموميين -القضاة ومن يعمل بإمرتهم-، وبمرور الوقت قام النظام بإطلاق سراح الكثير من المحامين المسجونين، إلا أن ثلاثة عشر منهم بقوا في الحجز حتى العام ١٩٨٥، إذ لم يقدم أي منهم إلى محاكمة، وعندما عقدت اللجنة التنفيذية لاتحاد المحامين العرب اجتماعها في

دمشق مايس ١٩٨٦ وعدهم أسد بإعادة الحرية إلى السجناء، فأطلق سراح عشرة منهم في مطلع كانون الأول باستثناء ثلاثة منهم ظلوا في المعتقل ثلاثة أعوام إضافية حتى نيسان ١٩٨٩ بسبب رفضهم التوقيع على تصريح يشكرون فيه أسد لإخلاء سبيلهم، ويتعهدون بالإحجام عن أي نشاط سياسي في المستقبل!!

أما الحزب فقد أخذ يدعم المرشحين البعثيين كإداريين وكمحامين بمن فيهم الكثير ممن لم يمارسوا مهنة المحاماة، ولم يتدربوا عليها فعلاً.

توقع النظام من المحامين الذين يشاركون في مؤتمرات المحامين في الخارج أن يدافعوا عنه، بيد أنه لم يحقق أي نجاح عبر جميع مؤتمرات المحامين في مراكش عام ١٩٨٠، وفي تونس عام ١٩٨٤، وفي الكويت عام ١٩٨٧، وفي هذا المؤتمر الذي عقد بالكويت لم يشأ الوفد السوري أن يعارض موقف الاتحاد في شجبه لمواقف سورية من المحامين، فحمّل أسد قيادة المحامين السوريين مسؤولية هذا الموقف، وأجبر جميع أعضاء المجلس التنفيذي على الاستقالة بعد شهرين فقط من مؤتمر الكويت، ثم نصّب بدلاً منهم آخرين يعتمد عليهم، وإذ أخفقت سلطة أسد في إيجاد رئيس جديد للاتحاد بين المحامين المتمرسين، اختارت حسن حمدان الذي لم يكن محامياً قط، بل هو موظف أمن متقاعد، ومدير سابق في مخابرات محافظة دمشق ليس إلا[1].

---

(١) رقيب الشرق الأوسط: ١٨٠-١٨٤ .

هكذا دفعت نقابة المحامين ثمن مواقفها النزيهة والجريئة، عندما قالت بوضوح: إن المحاكم في ظل حكم أسد تقع تماماً خارج إطار النظام القضائي الاعتيادي، بل إن الأحكام تصل مسبقاً إلى المحاكم عن طريق الأجهزة الأمنية التي نفذت الاعتقال. وعندما تبنت نقابة محامي دمشق بقرارها الشهير رقم (٢) في ٢ حزيران ١٩٧٨ بأن كل الأحكام الصادرة عن المحاكم الخاصة يتعين اعتبارها مناقضة للقانون ولمبادئ القضاء، نعم دفعت النقابة وأعضاؤها الأحرار المدافعون عن الحق والقانون وكرامة المواطن ثمناً غالياً شمل القتل والسجن والتعذيب والمطاردة من قبل سلطة أو قل عصابة لا ترعى حقاً ولا عدلاً ولا كرامة لمواطن في سورية الجريح(١).

ثالثاً: المحامون في تنظيم الجماعة

خاض الإخوان صراعاً حاداً مع نقابة المحامين السوريين التي عينها حافظ أسد بعد أن حل نقابة المحامين السوريين الشرعية وطارد أعضاءها وسجنهم، وأعدم بعضهم، وسلم أمرهم وشؤونهم إلى ضباط أمنيين لا يمتون بأي صلة لمهنة المحاماة ولنقابة المحامين.

لقد بذل المحامون الإخوان جهوداً، بل جهاداً لا يمكن نسيانه أو التغافل عنه، وعرضوا أنفسهم لأخطار محرقة كان يُعدها النظام السوري ضدهم، ويكلف بها شراذم القمع والقتل من رجال مخابراته، ويحشدهم في معظم مؤتمرات اتحاد المحامين العرب

---

(١) رقيب الشرق الأوسط: ٣١ .

تحت اسم نقابة المحامين السورية.

كان من أبرز من قاد هذا النشاط الأخ المحامي محمد علي صوان حفظه الله من إدلب، والأخ المحامي محمد العنجريني رحمه الله من حلب، وكلاهما كان أمين سر نقابة المحامين في بلده، قبل نزوحهما، مع الألوف عن أرض الوطن، والانتقال إلى البلاد العربية الشقيقة المجاورة.

استمر نشاط المحامين الإخوان معظم سنوات العقد الثامن من القرن الماضي، وامتد من عام ١٩٧٩ وحتى العام ١٩٨٦ في حركة دؤوبة لا تفتر، لفضح ممارسات نقابة المحامين السوريين التي عينها حافظ أسد بعد أن ألغى سابقتها المنتخبة الشرعية، وألغى معها جميع النقابات العلمية الأخرى التي كانت تضم الأطباء وأطباء الأسنان والصيادلة والمهندسين، وجميع الفروع التابعة لها في المحافظات السورية.

٢- عقد مؤتمر دولي لجمعيات المحامين الشباب في لوزان السويسرية في ٢٢-٨-١٩٨٢، فسافر الأخ محمد العنجريني عن طريق جنيف للمشاركة في هذا المؤتمر، فتمت المشاركة ليومين في أعماله، وطرح الأخ المأساة السورية في الحرية وحقوق الإنسان، ومطاردة نقابة المحامين السوريين الشرعية، وطبع الوفد مئتي نسخة من العدد السادس من مجلة المنبر المختصة بهذه الموضوعات باللغة الفرنسية، لتوزيعه على أعضاء المؤتمر كملف قانوني عن القوانين القمعية في سورية.

حضر المؤتمر ٤٥٠ محامياً، بينهم ٣٠ محامياً عربياً من تونس والجزائر وليبيا ومصر ومنظمة التحرير الفلسطينية.

يقول الأخ المحامي محمد العنجريني الذي مثلنا ضمن المحامين السوريين المعارضين: عرضنا قضيتنا مطالبين بإلغاء القوانين العرفية وحالة الطوارئ، كما طالبنا بسيادة القانون واستقلال القضاء، وانتقدنا القوانين التي تتعارض مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والمعاهدات الدولية الملحقة به، وعندما تقدمنا بهذه المطالب في سورية كان رد الحكومة الباغية حل نقابة المحامين السورية واعتقال أعضائها، وإلغاء قانون المحاماة، وسن قانون قمعي باسم قانون المحاماة، وهو القانون رقم ٣٩ لعام ١٩٨١ . ثم تلونا بعض فقراته.

طالب المؤتمر بتقديم أدلة على ذلك، وبإيراد هذه القوانين بنصوصها، فوزعنا عليهم مجلة المنبر باللغة الفرنسية، فأجل المؤتمر اجتماعه إلى اليوم التالي للاطلاع على هذه القوانين بصورة دقيقة.

في اليوم التالي عقد الاجتماع صباحاً، فأبدى الجميع دهشته وتعجبه لمثل هذا القانون ٣٩، ثم سألونا عن مطالبنا، فقدمناها لهم وهي:

أ- التنديد بحل النقابات المنتخبة واعتقال أصحابها، وإرسال وفد من المؤتمر لسورية، لمراجعة المسؤولين، مطالباً بإطلاق سراح المعتقلين، وإرسال برقية بذلك.

ب- التنديد بالقانون ٣٩ لعام ١٩٨١، واعتباره ماساً بحرية

المحامين، واستقلال المحاماة.

جـ- رفض قبول أي وفد رسمي ممثل لنقابة المحامين السوريين التي عينها النظام السوري في أي مؤتمر دولي للمحاماة.

فتقرر تشكيل لجنة لمتابعة هذه القضية التي اعتبرت إحدى القضايا الرئيسية في أعمال المؤتمر.

٣- رفع محامو التحالف الوطني المعارض -وضمنهم المحامون الإخوان- مذكرة إلى الأمين العام لاتحاد المحامين العرب المنعقد في القاهرة في ١٨-١-١٩٨٣ جاء فيها: ننتهز فرصة انعقاد مؤتمركم الدائم في القاهرة في هذه المرحلة الدقيقة القاسية على حياة شعبنا لنطلعكم على بعض جوانب المأساة التي يعيشها شعبنا في سورية على يد نظام وطّن نفسه، ووظّف خدماته لصالح أعداء أمتنا العربية بلا حياء.

فمنذ استلم حافظ أسد السلطة -الرئاسة- عام ١٩٧١ عمل على تمزيق الشعب، بفرض الطائفية البغيضة بين أبنائه، وسلط أزلامه وجلاوزته على الأحرار، وسل سيف البطش والتنكيل والإرهاب على الفئات التي لم ترضخ لطغيانه في داخل سورية وفي خارجها، وبالإبادة الجماعية، كالذي حدث في سجن تدمر الصحراوي، إذ قتل فيه عام ١٩٨٠ ما بين ١١٠٠ إلى ١٧٠٠ معتقل سياسي داخل الزنزانات والمهاجع التي حشروا فيها، وكما فعل في مدينة حماة التي استباحها طوال شهر شباط ١٩٨٢، وارتكبت فيها عناصره الطائفية وجيوشه الطفيلية من سرايا الدفاع وسرايا الصراع والوحدات الخاصة وأجهزة المخابرات وقطعات الجيش من ألوان الجرائم الوحشية ما لا

يتصوره الإنسان من قتل حوالي ٤٠ ألف مواطن، واعتقال ما يزيد على هذا العدد، وتشريد أكثر من ١٥٠ ألفاً، بالإضافة إلى السلب والنهب وانتهاك حرمات الحرائر، وعلى مشهد من ذويهن في مأساة فريدة أطلق عليها المراقبون صفة -مأساة العصر-، وكذلك فعل في بلدات: سرمدا، وجسر الشغور، وفي حي المشارقة في مدينة حلب، وفي مناطق أخرى، فعل ما فعله بغيرها من ضروب القهر والاضطهاد.

أما على الصعيد العربي، فقد انتهج حافظ أسد سياسة جعلت نظامه يقف إلى جانب أعداء الأمة العربية، وفي خدمة العدو الصهيوني عن طرق عدة، أهمها:

أ- تدخله في لبنان منذ عام ١٩٧٦ لتعميق الهوة بين أبناء الطوائف من جهة، ولضرب المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية من جهة أخرى، وممارسة عصاباته اللاأخلاقية واللاإنسانية على المواطنين اللبنانيين، والاعتداء على النساء، واستلاب الأموال، وأخيراً تسليم مواقعه الإستراتيجية التي كانت بقبضة الجيش السوري في منطقة جِزِّين وما حولها للعدو الصهيوني في حزيران ١٩٨٢، الأمر الذي مكن الإسرائيليين من تطويق بيروت وسحق المقاومة فيها، ومنع وصول المتطوعين والإمدادات إلى المقاومة المحاصرة، فنال بذلك رضا الصهاينة عنه إذ قال بيغن رئيس الوزراء: إن حافظ أسد أثبت مراراً التزامه بتنفيذ الاتفاقات، وبالمقابل قال حافظ أسد إن قواته لم تدخل لبنان لمحاربة إسرائيل.

ب- وعلى صعيد العلاقات العربية، نسف حافظ أسد كل أشكال التضامن العربي، باعتماده سياسة مدمرة تهدف إلى تمزيق وحدة الصف العربي إلى حد التحالف مع إيران في حربها مع العراق، وإمدادها بالسلاح والخبرات والصواريخ وطواقمهم، وتعميق الهوة بين اليمن الشمالي واليمن الجنوبي، وبين المغرب والجزائر، وتهديد الأردن وحشد قواته على حدوده.. إلخ مدعوماً من الأمريكان والصهاينة الذين ينفذ لهم سياساتهم على حساب القضية العربية، ولا سيما القضية الفلسطينية.

أيها الإخوة أعضاء اتحاد المحامين العرب

كان المحامون السوريون وغيرهم من المثقفين في طليعة المنبهين إلى خطورة هذا النظام وكشف ممارساته القمعية، فكان جزاؤهم حل نقابتهم الشرعية، ومصادرة حريات جميع النقابيين، واعتقال واغتيال وتشريد الكثير منهم.

٤- حضر وفد التحالف وفيه الأخ محمد العنجريني اجتماع المكتب الدائم لاتحاد المحامين العرب الذي انعقد في تونس ما بين ١٦-١٨ كانون الأول ١٩٨٣، في رحلة حملت أعضاء نقابة المحامين في العراق فكنا -كما قال الأخ العنجريني- أول الوفود التي وصلت إلى تونس، فأخذنا أمكنتنا في أحد فنادق قرطاج الذي عقدت فيه الاجتماعات، وشرعنا في استقبال الوفود وقت وصولها، وإمدادها بالمعلومات عن أوضاع سورية، وما يتعرض له المواطنون من تنكيل وقمع، ثم ركزنا على ما يلي: عدم شرعية نقابة المحامين التي عينها

النظام بعـد أن حل النقابة الشرعيـة المنتخبة، وعلـى القانون ٣٩ الذي فرضه النظام على المحامين السوريين، وعلى الاعتقالات السياسية في سورية، وبخاصة فـي أوساط المحامين والأطباء والمـهندسين، وعلى المجازر الجماعية في سورية، ولا سيما مجزرة حماة الكبرى ومجزرة تدمر، وعلى الحصـار المضروب على الفلسطينيـين في طرابلس، وما سبقه من مجازر في تل الزعتر والكرنتينا وبيروت وصبرا وشاتيلا.

أ- بعـد أن افـتتـح المـؤتمـر جلـساتـه صبـاح الجـمـعـة المـوافق ١٦-١٢-١٩٨٣، كان أول المـتحدثـين نقيب الـمحامـين المصـريين، فألقـى كلمة رائعـة جاء فيـها: يجب أن نضـع النقاط علـى الحروف، ونواجه الـمشاكل بـرجولة، ولو أننـا اتخذنا مـوقفاً مـباشراً وقـوياً من حافظ أسـد يوم دمر مـدينة حمـاة وذبح شعبـها لما تـجرأ على تدمـير مدينة طـرابلس، وعمل على ذبح مـنظمة التحـرير الفلسطينيـة وشعب طرابلس العربي المسلم.

ثم تحدث الخـواجة عن نقابة المـحامين السوريـين، وعن حلها، وتعييـن نقابة للمحامـين في سورية بقرار من السلـطة دون الرجوع إلى المحامين، وقـال: عندما حل حافظ أسد نقابة المحـامين في سورية، ذهبت إليـه بعد أن تهرب مـن الاجتماع مـعي، ثم تمكنت من لـقائه، وطلبت منه الرجوع عن قرار حل النقابة، لأن هذا الحل سيكون بدعة سيـئة، وسوف تقـلده حكومات لا تجـرؤ اليوم علـى حل نقاباتـها في الوطن العربي، وفعـلاً لم تمض فترة قصيرة حـتى أعلن أنور السادات حل نقـابة المحـامين في مصـر، لأننا عارضـنا اتفاقيـة كامب ديفـيد،

ورفضناها وقاومناها، لكن القضاء المصري وقف إلى جانبنا، وانتصر لنا، وأبطل قرار الحل.

يقول الأخ العنجريني: كان الجميع متجاوباً معنا ضد سياسة البطش في سورية، وكلهم هاجم أسد، وتكلموا عما يعتلج في صدورنا وفي ضمائرنا.

ب- تكلم السيد جمال الصوراني نقيب المحامين الفلسطينيين، فهاجم حافظ أسد، وتحدث عن المنشقين عن منظمة التحرير، وتشجيع أسد لهم، وتسليحهم وإمدادهم بالمال والدعم، وأنهم ينطلقون من دمشق، ليشتبكوا مع ياسر عرفات والمنظمة في معارك دامية، وقال: النظام السوري يعمل على تصفية منظمة التحرير الفلسطينية والسيطرة عليها، وجعلها ورقة في يده، يتصرف بها مساومةً وبيعاً وشراءً، فالنية ثابتة، وكذا الفعل، وأركان الجريمة متوفرة.

جـ- ثم تكلم نقيب المحامين العراقيين عن الحرب العراقية الإيرانية، وتحالف أسد والقذافي مع إيران. وفي سياق دعوة عمال الشغل التونسية بقيادة الحبيب عاشور لمؤتمر المحامين، قال أحمد الخواجة: يا إخوتي عمال تونس، اتركوا اتحاد العمال العرب، فلا خير فيه، لأنه اتحاد للأنظمة العربية الحاكمة، وضد شعوبها، وليس اتحاداً للعمال، فالأنظمة تعينهم، وتنفق عليهم، ليمجدوا الحكام، من أجل استيعابكم، وقال: ذهبت إلى دمشق إبان الغزو الإسرائيلي لبيروت، وقابلت حافظ أسد، وطلبت منه أن يتدخل الجيش

السوري، وينقذ الجنوب، فقال: نحن دخلنا لبنان كقوات أمن، وليس لمحاربة إسرائيل، وأن حدودنا هي الخط ٤١ من حدود إسرائيل، وقال الخواجة: بعد الهجوم على لبنان من العدو الصهيوني، رأينا الجيش السوري يخلي مواقعه للقوات الصهيونية من الفجر، وقال: لقد طلب العرب من ياسر عرفات أن يخرج من بيروت، وضمنوا له سلامة الفلسطينيين، وبعد خروجه بثلاثة أيام حدثت مذبحة صبرا وشاتيلا.

٥- وبعد العشاء -كما ذكر الأخ العنجريني- التف حولنا المحامون التونسيون، ليتعرفوا علينا، وعرضوا خدماتهم، واستمعوا إلى مأساة سورية وشعبها، وهيأوا لنا لقاءً مع الصحافة التونسية في ١٧-١٢-١٩٨٣، فتحدث عدد من أعضاء نقابة المحامين المصرية، فتحدث المحامي حامد الأزهري عن القانون ٣٩، وعن المحامين السوريين المخطوفين، وقال: إنني لا آمن على نفسي من أن يخطفني النظام السوري ويغتالني، وعلينا أن نعمل من أجل إخواننا السوريين، ثم قال: إذا قدر الله، وخرج إخواننا السوريون من المعتقلات، فبأي وجه سنقابلهم؟!!

وقد خصصت رئاسة المؤتمر الجلسة الصباحية في ١٦-١٢-١٩٨٣ للحديث عن سورية ومأساتها، ومأساة أبنائها، ومأساة المحامين وأعضاء النقابات الأخرى.

أ- زارت وفود المحامين مدينة القيروان، فعقد المكتب الدائم جلسة مسائية في ١٨-١٢-١٩٨٣، قال فيها المحامي المصري رفعت

التباوي: لماذا تدارون النظام السوري، لماذا لا نضع النقاط على الحروف؟ إن جميع أعضاء المكتب الدائم أجمعوا على أن نظام حافظ أسد متواطئ مع الصهيونية والإمبريالية ضد منظمة التحرير الفلسطينية، وضد حقوق الفلسطينيين بأسلوب شيطاني باطني خبيث، وإذا كان الفلسطينيون يتعرضون اليوم لعملية إبادة على يد حافظ أسد، ونحن ساكتون، فإن الشعب السوري يتعرض لعملية إبادة منذ أربع سنوات ونحن ساكتون سكوت أهل الكهف، ثم قال المحامي رفعت التباوي: لقد أباد حافظ أسد مدينة عربية مسلمة، وأحرق شعبها، ليس كما فعل نيرون بروما، بل أشد من ذلك، لأن نيرون سمح لسكان روما أن يفروا، بل لقد ذبح أسد من حاول الفرار ذبح النعاج، وقال: لو وقفنا الوقفة التي يتطلبها الواجب حيال مدينة حماة وسكانها حين تم تدميرها، ما كان أسد قد تجرأ على ذبح الفلسطينيين واللبنانيين في طرابلس وأقدم على تدميرها.

ب- كان سليمان الحديدي النقيب الأردني هو الوحيد في المؤتمر مع زميله حسين المجلي الذي برر مذابح الأسد ودافع عنها، فتصدى له المحامي المصري حامد الأزهري قائلاً: غريب جداً ما أسمعه من سليمان الحديدي، فهل نحن في عالم آخر؟ ثم طالب أن تخصص فقرة في متن القرار الذي سيصدر عن المؤتمر بإدانة سورية في اعتدائها على منظمة التحرير الفلسطينية، وتواطئها مع العدو الصهيوني، بحصار المنظمة من البر في الوقت الذي تحاصرها فيه إسرائيل من البحر.

اتجهت وفود مؤتمر المحامين إلى مقر منظمة التحرير الفلسطينية صباح السبت الموافق ١٧-١٢-١٩٨٣ في زيارة تضامنية، فتحدث فاروق أبو عيسى الأمين العام حديثاً غامضاً مبهماً، فوقف له المحامي المصري أحمد عيد رافعاً صوته قائلاً: آن الأوان لنضع النقاط على الحروف بلا لف ولا دوران، فالذي يذبح المقاومة الفلسطينية هو حافظ أسد، وهو فأر وليس أسداً، فأمام العدو الصهيوني فأر، وأمام الشعب السوري والمقاومة الفلسطينية يستأسد، وهو الذي ذبح الفلسطينيين في تل الزعتر والكرنتينا، وهو الذي سهل دخول العدو الصهيوني إلى بيروت، وهو السبب في مجزرة صبرا وشاتيلا، والآن ينفذ أوامر الصهاينة وأمريكا في قصف مخيمي البداوي ونهر البارد، ويدمر طرابلس، إن حافظ أسد عدو الأمة العربية، لماذا نلف وندور؟ كفانا دماءً، كفانا خوفاً، كفانا نفاقاً، فمتى نتكلم بصراحة ووضوح؟ هل نتكلم جميعاً عندما نصبح جميعاً من أصحاب القبور؟

جـ - قال الخواجة لأبي إياد: أريد أن أسمع كلاماً واضحاً حتى أتمكن من الإجابة، فزوجتي تسألني، وابني يسألني، وصديقي يسألني، فعرض أبو إياد وقائع مرة لا يحتملها ضمير إنسان على مدى وقت طويل حول موقف ليبيا والسادات وحافظ أسد الذي أحبط انتصار الفلسطينيين وحلفائهم في لبنان، وكانوا قاب قوسين أو أدنى من الانتصار الحاسم، وسدد لمنظمة التحرير الفلسطينية ضربة قاصمة، وحاول جاهداً شق المنظمة بالمال وبكل الوسائل الأخرى.

عقد المحامون من الشباب التونسي اجتماعاً معنا يوم الثلاثاء في

٢٠-١٢-١٩٨٣ -كما ذكر الأخ العنجريني- فتحدثنا لهم عن مجازر حماة الأولى والثانية، وعن مجزرة جسر الشغور، ومجازر حلب وحمص وسرمدا، وعن مجزرة تدمر، ومجزرة سجن النساء -في الرستن- ثم تحدثنا عن مجزرة حماة الكبرى، كما تحدثنا لهم عن التمشيط الذي جرى للمدن السورية، وعن المعتقلات، ومعاملة السلطة للمعتقلين، فانفجرت ثلاث محاميات بالبكاء، وكن ضمن خمسين محامياً عقدوا معنا اللقاء في مكتبة قصر العدل التونسي.

في اليوم التالي كتبت جريدة الرأي التونسية أن وفداً من المحامين السوريين حضر إلى مكتب الحزب، وحدثهم عما يجري في سورية من انتهاك مشين لأبسط حقوق الإنسان، وإن ما أوردوه لنا تقشعر له الأبدان، ويكاد لا يصدق، فقد كان الفاندال في القرون الوسطى أرفق بالإنسان من هذا النظام.

هذه خلاصة ما قدمه الأخ العنجريني عن مؤتمر المحامين في تونس من اجتماعات وقرارات وأنشطة، تم فيها فضح النظام الوحشي في سورية، وكان العنجريني رجل الحلبة في هذا الجهد المشكور، والنشاط المبرور الذي لا ينسى، رحمه الله رحمة واسعة وآنسه في مثواه الأخير.

٦- عقد أعضاء المكتب الدائم لاتحاد المحامين العرب مؤتمرهم في الخرطوم ما بين ٢٦-٢٨ شباط ١٩٨٤، وكان أسوأ ما فيه أن الأمين العام للاتحاد: فاروق أبو عيسى شرع في الترويج للنظام السوري علانية دونما وجل أو حياء بعد الذي عرفه المحامون العرب

في كل مؤتمراتهم السابقة من قتل وقمع وانتهاك خطير لحقوق الإنسان في سورية، الأمر الذي جعل مؤتمر المحامين هذه المرة في الخرطوم باهتاً، لا طعم فيه ولا رائحة له، فلم يصدر المكتب الدائم بياناً ختامياً، ولم يبحث فيه قضايا الحريات في الوطن العربي، ولا الحريات النقابية.

كان ثمة مخطط مسبق تم كشفه من خلال أحاديث بعض الوفود، ومن اتصال لجنة التحالف الوطني لإنقاذ سورية في القاهرة التي عرفت أموراً مهمة من بعض أعضاء الوفد المصري للمحامين طبقاً لمخطط تم بمساعي سليمان الحديدي الذي عمل على عقد اتفاق بين النظام السوري والأمين العام فاروق أبو عيسى على حضور وفد نقابة النظام السوري، وأن يكون عدده كبيراً، وأن لا تبحث أي قضية تمس النظام السوري، وأن يذكر بالمديح عبر موقفه من لبنان، وأن لا تبحث الحرب العراقية الإيرانية، وأن تسدد النقابة مقابل ذلك مبلغ ٧٥ ألف ليرة سورية عن اشتراكات متراكمة، كما تم تبرع نقابة المحامين السورية للاتحاد بمبلغ ٣٥ ألف ليرة سورية.

أ- كان أحمد عمران رئيس المحامين السوريين يعترض على أي موضوع يتعلق بالحريات العامة، وبالحرب العراقية الإيرانية وغير ذلك، وعندما هممت -يقول الأخ العنجريني- أن أوزع مذكرة تخص الأوضاع في سورية، نصحني رئيس وفد المحامين العراقيين حامد الراوي أن لا أفعل ذلك تجنباً لصدام مؤكد مع الوفد السوري، ثم إن نور الدين حبال المحامي السوري قال للراوي وهو يجلس بجانبه:

ينبغي أن نبقى أصدقاء، وآمل أن تقدروا موقفي حين أقول كلاماً لست مقتنعاً به، لأنني سأعود إلى سورية، وأقدم تقريراً أذكر فيه ما تفوهت به، وهذا ما جعل مندوبنا يراعي موقف الراوي حتى لا نخسر تعاطفه مع القضية السورية.

ب- ساعدني -يقول الأخ العنجريني- في مهمتي الأستاذ إحسان الكيالي، إذ رتب لي لقاءً مع عمارين بن تومة، وشرح له وضع الحريات في سورية، والمعتقلين في السجون السورية، وذكر بأن الأسماء التي وردت في مذكرتنا من شهداء ومعتقلين كلها صحيحة، وأكد له إعدام المحامي السوري فاروق الشيخ سعيد.

عقد الأخ العنجريني اجتماعاً مع اتحاد كفاح الطلبة السودانيين، وتبادل معهم المعلومات، وسلمهم مذكرة محامي الإخوان السوريين، فوزع الطلبة مذكرة نددوا فيها بالنظامين: السوري والليبي.

كان تجاوب المحامين السودانيين مع مأساة الشعب السوري كبيراً، وقد أحاطوا مندوبي الإخوان برعاية فائقة، وفي كل يوم كانوا يحضرون مجموعة من المحامين السودانيين، ليستمعوا عن معاناة الشعب في سورية وعن مأساته.

جـ- كانت الازدواجية لدى أعضاء الوفد السوري ظاهرة، فعندما يكونون منفردين، وتذكر أمامهم جرائم النظام السوري، يبتسمون ويوافقون على صحتها، وعندما يكون أكثر من واحد منهم موجوداً، يدافعون عن النظام، ثم يعتذر أحدهما همساً أمام كل من كان قد سمعه، معللاً ذلك بأن زميله سوف يكتب عنه تقريراً، وهذا ما كان

يضطره إلى الإدلاء بكلام غير مقتنع به.

ولأول مرة في تاريخ اتحاد المحامين العرب، يجتمع المكتب الدائم دون أن يصدر بياناً نهائياً، أو يعلن عن قرارات، وإنما اكتفى بتبني قرارات المكتب التي صدرت من قبل في تونس.

د- قام ممثل الجماعة (المحامي محمد عنجريني) بتوزيع أفلام عن نكبة حماة سلمها إلى أحمد الخواجة وحامد الأزهري، ونقيب المحامين التونسيين، ونقيب المحامين المغاربة، ونسخة خامسة لممثل لجنة التحالف في القاهرة السيد خالد الحكيم.

كما أن الأستاذ حسن عاشور صاحب دار الاعتصام تكفل بتوزيع كتاب حماة مأساة العصر في داخل مصر وفي خارجها، وكذا كتاب مجزرة حماة، وكتاب من الجرح السوري، ثم تدارس المندوب مع السيد حسن عاشور تسجيل كاسيت بصوت عدنان سعد الدين بشكل خطاب موجه إلى الأمة الإسلامية حول محنة الإسلام والمسلمين في سورية، فتحمس للفكرة قائلاً: بأنه مستعد لتوزيعه، ولكن هذا الأمر لم يتيسر.

وإذا كان نجاح المعارضة السورية كبيراً في اجتماع المحامين في تونس، فإن الخط البياني انخفض انخفاضاً كبيراً في الخرطوم، نظراً للدور السلبي الذي قام به سليمان الحديدي من الأردن وفاروق أبو عيسى، والرعاية التي بدأ النظام السوري يحظى بها من أعداء الأمة العربية ومن المتربصين بها، ثم كان اجتماع المحامين في نهاية عام ١٩٨٣ في دمشق نكسةً، كذلك جرى بترتيب الأمين العام فاروق أبو

عيسى بدعوى العمل على الإفراج عن المحامين المعتقلين، فوجه محامو الإخوان مذكرة في نطاق التحالف الوطني لإنقاذ سورية، ضمنوا فيها ممارسات النظام، وكشفوا عن جرائمه، وقاموا بتوزيعها على الأمين العام، وعلى رؤساء وأعضاء نقابات المحامين في البلاد العربية.

٧- عقد اتحاد المحامين العرب مؤتمرهم الخامس عشر في مدينة سوسة ما بين ٣-٥ تشرين الثاني ١٩٨٤ في تونس، فاشترك فيه زهاء ألفي محامٍ، كان فيه وفد مصر أكثرهم عدداً إذ حضر من أرض الكنانة ٤٢٠ محامياً، ومن العراق ١٧٠ محامياً، ومن سورية ١٥٠ محامياً، ومن الأردن ٧٠ محامياً، ومن ليبيا ١٥٠ محامياً، رفض الاتحاد قبولهم، فارتدوا على أدبارهم مبعدين.

شارك التحالف الوطني لإنقاذ سورية -والإخوان جزء منهم -ضمن الوفد العراقي بثمانية عشر محامياً، سافر عدد منهم إلى المغرب والكويت والقاهرة قبيل انعقاد المؤتمر للاتصال بنقابات المحامين فيها.

أما سورية فقد كان على رأس وفدها رجل أمني هو العقيد في المخابرات سهيل فاضل، وعضو بارز في الحزب هو عبد الله شكري، ورئيس الوفد أحمد عمران من الطائفة العلوية، أما النقيب نور الدين حبال فقد كان شاحب الوجه، تظهر عليه علائم البؤس والاضطهاد.

أ- كانت المفاجأة ظهور ياسر عرفات وإلقاؤه كلمة في افتتاح المؤتمر، مما أربك محامي النظام السوري الذين هددوا نقيب

المحامين التونسيين بأنهم سيتقدمون إلى المنصة، ويمنعون عرفات من الاستمرار في الحديث إذا تعرض لسورية بسوء، فأجاب النقيب التونسي بأن أي شخص مهما كانت صفته سيسحب ويقذف به خارج الحدود إذا أخل بالأمن والنظام، ثم استدعى مسؤول الأمن التونسي نقيب المحامين السوريين قائلاً له: سأحملك نتيجة أي إخلال بالأمن صادر عن المحامين السوريين.

تكلم الأمين العام مشيداً بسورية، ومعترفاً بالمنشقين عن منظمة التحرير، فثارت في وجهه عاصفة، اضطر بعدها إلى إنهاء كلمته بإشارة من رئيس الوزراء التونسي محمد المزالي، ثم تكلم ياسر عرفات، فغمز من جانب سورية بأسلوب فهمه المؤتمرون، ذاكراً أن المنظمة تعرضت في السنوات الثلاث الماضية إلى عدوان بعض الأطراف العربية، للقضاء عليها من خلال العدوان الأمريكي الصهيوني على الشعبين اللبناني والفلسطيني في ٤-٦-١٩٨٢، إذ دفعت إسرائيل بأكثر من ثماني فرق ونصف تشكل ثلاثة أرباع الجيش الإسرائيلي في عدوانها الأثيم في معركة استمرت ٨٨ يوماً على أرض لبنان، ثم حيّا عرفات بعض ضباط الجيش السوري أمثال العميد محمد جلال الذي قاتل مع الفلسطينيين وانتصر لهم.

تكلم بعده أحمد الخواجة قائلاً: من المعيب أن يكون لنا زملاء في السجون بدون محاكمة منذ خمس سنوات -في سورية- ولكن كيف يتكلم من في فيه ماء؟

ب- حاول أحد عملاء السلطة السورية مدح الأسد، فقال له

محام معارض: ألا يكفي ما فعله حافظ أسد في حماة؟ فهبت القاعة كلها ضد المحامي السوري، فقال له رئيس الجلسة: نحن لم نأت إلى هنا لمدح الأنظمة، ومنعه من الكلام.

قبيل انتهاء الجلسة وقف أحد المحامين المعارضين قائلاً: أيها الزملاء، أنا مضطهد وممنوع من دخول سورية، ورئيس الجلسة منعني من الكلام، فرد عليه ظافر خير الله الذي عينه حافظ أسد رئيساً لفرع نقابة المحامين في حلب، فحصلت مضاربة واشتباك، تصدى فيها بعض المعارضين المحامين، فتراجع محامو النظام السوري، وبدا الذعر والخوف عليهم فتواروا.

قال محامٍ عراقي: إن الخائن حافظ أسد قطع أنابيب النفط العراقي المار في سورية، فحصلت معركة بالكراسي بينه وبين محامي النظام، فأوقفت اللجنة الجلسة على أثرها، وقال محام سوري معارض: هناك خطأ في الجغرافيا، لقد أذاعت دمشق أن الطيران والمدفعية وراجمات الصواريخ قصفت تل أبيب، فإذا بالمواطنين السوريين يشاهدون هذه القنابل تتساقط على مدينة حماة -ثم على طرابلس- وقال: لقد أعلن الرئيس السوري أن الجيش السوري حاصر مدينة القدس، فإذا بالجنود السوريين يرون أنفسهم وهم يحاصرون حلب.

جـ- اتخذ المؤتمر قرارات كثيرة ومهمة، منها: تأييده للعراق في حربها مع إيران التي رفضت كل المبادرات والوساطات لوقف الحرب بينها وبين العراق، واستنكر المؤتمر غزو السوفيات لأفغانستان

واحتلاله لها، وعندما حاول فاروق أبو عيسى الكلام، هتف المصريون في وجهه قائلين: خنت العهد يا أبو عيسى، فتوقف عن الكلام وانصرف، والمصريون مستمرون في هتافاتهم ضده، وحتى بعد انسحابه.

عاتب الخواجة زهيراً الميداني في انسحابه من الترشيح لمنصب الأمين العام للاتحاد، مما سهل الطريق أمام فاروق أبو عيسى، فأجاب زهير: أجبرني النظام السوري على ذلك لصالح أبو عيسى.

اعترف أبو عيسى أمام اللواء محمد الجراح عضو المكتب السياسي للمعارضة السورية أنه زور مقررات المكتب الدائم لصالح النظام السوري، وفي هذه الأثناء وصلت رسالة إلى أحمد الخواجة من سليم عقيل الذي كان ما يزال يقبع في سجن النظام السوري، ذكر فيها عدد وأسماء المحامين السوريين المعتقلين معه في الزنزانة، وما يلاقونه من معاناة، وأن المعتقلين سيضربون عن الطعام، فأطلع الخواجة فاروق أبو عيسى على ذلك، فتجاهل ذكرها والتحدث عنها.

في أثناء تلاوة الفقرة الخاصة بإدانة السوفييت على احتلال أفغانستان، لم يعترض على ذلك إلا ظافر خير الله، وكان الخواجة يتلو القرار، فصاح في وجه خير الله: اخرس، فسكت خير الله وخرس بالفعل (كان خير الله موقفه صدى للطاغية أسد الذي قال في مؤتمر القمة الإسلامي في الرياض: إن أفغانستان جمهورية اشتراكية وهي جزء من الاتحاد السوفياتي).

تحرك وفد التحالف، وكان الإخوان أشدهم حماساً وحراكاً، فقاموا بتوزيع مجموعة من الكتب الفاضحة لهمجية النظام ووحشيته مثل: حماة مأساة العصر، وتدمر المجزرة المستمرة، وقانون العار رقم ٤٩، ورأي الإخوان في الحرب العراقية الإيرانية، وأشرطة فيديو حول مأساة حماة، وتقرير منظمة العفو الدولية عن انتهاكات حقوق الإنسان في سورية الصادر عام ١٩٨٣، ومذكرة كان المحامون السوريون المعارضون قدموها للمؤتمر، ومذكرة باسم التحالف، ودراسات قانونية، كما قام محامو الإخوان والتحالف بإجراء مقابلات واسعة مع التونسيين والمصريين، ومع ممثلين عن لجان الدفاع عن حقوق الإنسان في تونس، ومع مجلة المجتمع الكويتية، ومع عدد من الصحف، ومع ممثلين عن الحزب الدستوري الحاكم، وعدد من الأحزاب المعارضة في تونس، وجمعية المحامين الشباب، وعدد كبير من السياسيين، ومع اتحاد الشغيلة الذي يرأسه الحبيب عاشور، ومع نقيب الأطباء التونسيين، ليفضحوا ممارسات النظام السوري الظالمة.

لقد كان هذا المؤتمر مظاهرة إعلامية وثقافية كبيرة، حضره محامون من جميع أنحاء الوطن العربي، كما حضره صحفيون وممثلون عن منظمات حقوق الإنسان، فكان الخاسر الأكبر فيه نظام حافظ أسد، لأنه عري وكشف على حقيقته أمام الرأي العام الرسمي والشعبي التونسيين، وأمام المراقبين الأجانب والإعلاميين العرب. وكانت قيادة الإخوان السوريين قد أحسنت التصرف حين طلبت من

التنظيم العالمي للإخوان المسلمين أن يشجعوا الإخوان المحامين المصريين على الاشتراك في هذه المؤتمرات، إضافة إلى أن كلمة ياسر عرفات في جلسة الافتتاح أثارت الجميع ضد نظام أسد، ومن يقف معه من المأجورين والمنتفعين.

٨- عندما عقد أعضاء المكتب الدائم لاتحاد المحامين العرب في القاهرة بتاريخ ٢١-٢-١٩٨٥ رفع المحامون السوريون المعارضون وضمنهم محامو الإخوان مذكرة إلى المؤتمر، ذكّروا فيها أعضاءه بمأساة المحامين السوريين الذين لا يزال لفيف منهم يقبع في الزنزانات والسجون، وتحت التعذيب والاضطهاد، وذكروا مطالبهم في إلغاء حالة الطوارئ التي مضى على إعلانها في سورية خمسة عشر عاماً وإعادة الحياة الدستورية، وإلغاء المحاكم الاستثنائية، وباستقلال القضاء، فكان رد النظام قيامه باعتقالات واسعة، شملت عدداً كبيراً من المحامين وأعضاء النقابات العلمية الأخرى، فتعرضوا للتعذيب الوحشي إذ استشهد العشرات منهم، كما ذكروا في مذكرتهم مقررات مؤتمر المحامين العرب منذ ١٩٨٠ وحتى عام ١٩٨٥، وما أوضحوه في كلماتهم ومذكراتهم ولقاءاتهم عن مأساة الشعب السوري، ولا سيما المثقفون منهم، وفي مقدمتهم المحامون السوريون.

وعندما عقد الحقوقيون العرب مؤتمرهم في ٢٤-٤-١٩٨٥ رفعت الأمانة العامة للتحالف الوطني كتاباً مفتوحاً هتكت فيه سياسة النظام السوري وجرائمه بحقائق دامغة لا ينقصها البيان والوضوح عما يجري من مآسٍ ومظالم في سورية ولبنان وضد الشعب الفلسطيني الذي ما

فتئ النظام السوري يطارده ويسحقه في كل من سورية ولبنان كما قرأنا ذلك في صفحات سابقة.

أ- عقد المكتب الدائم لاتحاد المحامين العرب مؤتمره في بغداد بتاريخ ٢٦-٢٨ تشرين الثاني ١٩٨٥، فرفعت نقابة المحامين السوريين المعارضة مذكرة، أكدت فيها على ما سبق أن أوضحته من ممارسات النظام السوري اليومية، عدواناً بارزاً للظلم والقهر والاستبداد، ورمزاً صارخاً للقمع والإرهاب والمجازر الجماعية، ونموذجاً سيئاً للتفريط بقضايا الوطن وحقوق المواطن. وجاء في المذكرة أن المؤامرة الكبرى التي ينفذها النظام تتلخص في بندين أساسين:

- أولهما: إلغاء كامل للحياة الديمقراطية في سورية، وشطب دور المواطن في الحياة العامة، والاستخفاف بالإنسان وحقوقه وحرياته.

- ثانيهما: التآمر على فكرة الوحدة العربية، وتخريب التضامن والعمل العربي المشترك، وتشجيع سياسة المحاور والتكتلات، وكذلك التفريط بالأرض تحت شعارات مزيفة مفضوحة، والدور التآمري الذي ينفذه في لبنان، وإشعال نار الفتنة بين فئة وأخرى، وكذا ضرب المقاومة الفلسطينية ونزع سلاحها، وتمزيق منظمة التحرير الفلسطينية وشق وحدتها ومؤسساتها الشرعية، ووقوفه في الخندق الإيراني في الحرب الدائرة بين العراق وإيران؛

لقد جردت أجهزة النظام السوري الأمنية والعسكرية حملات متلاحقة وتشريد وخطف، ومصادرة أموال وممتلكات وعمليات تصفية واغتيال واعتقال أفراد أسر المحامين، والاحتفاظ بهم كرهائن،

بسبب مطالبة المحامين بإلغاء حالة الطوارئ والأحكام العرفية والمحاكم الاستثنائية، وإعادة الحياة الدستورية.

٩- إن المحامين الذين يعيشون في المنفى نتيجة إرهاب الدولة في سورية، يذكرونكم من جديد بقرارات وتوصيات المؤتمرات العامة للاتحاد ومكتبه الدائم حول محنة نقابة المحامين الشرعية في سورية، ومأساة زملائكم من المحامين والمعتقلين الذين مضى على اعتقالهم أكثر من خمس سنوات.

إننا نهيب بكم:

أ- الاستمرار بعدم الاعتراف بالنقابة المفروضة غير الشرعية.

ب- الاستمرار ببذل المساعي لإطلاق سراح زملائكم المعتقلين.

جـ- بموجب قرار المؤتمر العام الخامس عشر عام ١٩٨٥ الذي يؤكد على حقوق الإنسان العربي، فإن الاتحاد ومكتبه الدائم ملتزم بمسؤولياته تجاه شعب سورية الذي تتعرض حقوقه وحرياته للانتهاك، وفي مقدمتها الحق في الحياة والحرية، حتى بلغ الأمر حد تنظيم مجازر جماعية في ظل حالة الطوارئ أكثر من ٢٢ سنة.

د- نطالبكم -أيها الإخوة الزملاء- بإدانة النظام في تآمره على منظمة التحرير الفلسطينية، وعلى العراق وانحيازه لإيران في حربها مع العراق.

إن المحامين السوريين يسألونكم باسم المعتقلين، وباسم الذين استشهدوا منهم تحت التعذيب أو بسببه، وباسم من شردوا وصودرت

أموالهم وممتلكاتهم، وأخذ أفراد أسرهم كرهائن، وباسم ألوف الضحايا الذين قضوا في المجازر الجماعية وعمليات الإبادة، أن تكونوا عوناً لشعب سورية، وصوتاً حراً له في محنته مع النظام القمعي الإرهابي، ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾(١).

١٠- كانت آخر حلقات هذا الصراع في إطار اتحاد المحامين العرب عام ١٩٨٦ عندما قرر اتحاد المحامين العرب عقد مؤتمره في دمشق، إذ رفع المحامون السوريون المعارضون مذكرة إلى أعضاء المكتب الدائم لاتحاد المحامين العرب في ٣-٥-١٩٨٦ موقعة من ٣٥ محامياً يمثلون أطياف المعارضة السورية كلها بمن فيهم المحامون المنتمون إلى جماعة الإخوان المسلمين، وقد جاء في هذه المذكرة أمور سبق بحثها في مؤتمرات سابقة، وورد فيها أمور جوهرية منها:

أ- إن حافظ أسد ساهم في إيصال أمتنا إلى حالة التردي والهوان التي تعاني منها بسبب ممارساته العدوانية على الأمة العربية، ومنها: سفك دماء أبناء الشعب السوري، وتدمير مدنه، وذبحه للمقاومة الفلسطينية، ومشاركته في العدوان الإيراني الذي يصر على استمرار الحرب.

كل هذا وغيره يخرجه عن الانتماء للأمة العربية، ومن ثم فإن انعقاد المؤتمر في دمشق يعتبر مخالفاً لمشروع قانون اتحاد المحامين العرب، وانتهاكاً لأهدافه في تحرير الأرض والإنسان العربي،

---

(١) سورة التوبة جزء من الآية ١٠٥ .

ومحاربة الغزو الصهيوني لفلسطين.

ب- أما على المستوى المهني والنقابي، فمن المفيد تذكيركم بالقرارات المتخذة من قبل المكتب الدائم في مؤتمراته التي عقدها في الرباط وبغداد والجزائر وتونس والخرطوم والقاهرة، وموقف المكتب حيال نقابة المحامين السوريين التي دمرها حافظ أسد، وفرض عليها القانون ٣٩ في عام ١٩٨١ المسمى: قانون تنظيم مهنة المحاماة الذي اعتبرته اللجنة التي شكلت لدراسته ماساً بكرامة المحاماة، ومقيداً للمهنة.

إن اجتماعكم في دمشق بدعوى العمل على إطلاق سراح المحامين المعتقلين هو دعم لحافظ أسد ونظامه وإعادة الاعتبار له رغم ارتكابه الجرائم المنوه عنها بحق الوطن والشعب والمواطنين.

إننا نطالبكم بالرجوع عن قراركم في عقد اجتماع المكتب الدائم في دمشق، لِتَفُوا بالعهدِ تجاه المهنة والمحامين السوريين المطاردين والمعتقلين، ومن استشهد منهم، وتجاه أمتكم العربية ومع الشكر الجزيل.

١١- عاملان كانا وراء هذا الإسهام النشط في موضوع الاتحاد العام للمحامين العرب، الأول أن مهنة المحاماة معنية بحقوق الإنسان وبالحريات العامة، والالتزام بالدستور والقوانين والدفاع عن استقلال القضاء، وعدم المس في سلطاته، والثاني أن الصراع الذي استمر في مؤتمرات المحامين العامة التي جرى عقدها في عدد من العواصم

العربيـة، وكذا المكتب الدائم لاتحاد الـمحامين العرب، كـان صراعاً حاداً وشرسـاً، بلغ حد الصدام والتـشابك بالأيدي، وإصدار البـيانات التي فضحت ممارسات النظام السوري على كل الصعد.

حشدت نقـابة المحاميـن السورية مئات المـحامين الذين ألبـستهم سلطات الـبغي في دمـشق رداء المحامـين، والكثيـرون منهم أبعـد ما يكونون عن مهنة المـحاماة، وكان ضباط الأمن يهيمـنون على النقابة، ويحـضرون المـؤتمـرات العامـة والمكـتب الدائم لاتـحاد المـحامـين العرب، وبالمقـابل حشدت المعارضة السورية (وكـان محامو الإخوان ركيزة أسـاسية في بنيـتها) لفيـفاً يفيض بالحـماسة للدفاع عـن الشعب السوري الـذي دأبت حكومة دمـشق الأمنية علـى اضطهاده وسحـقه، فاستطاعت إحباط ما أعدته السلـطة السورية وأجهزتها الأمنية، وإبطال ما كادوا ومـا صنعوا، ونجحوا أيمـا نجاح في فضح ممـارسات النظام السوري وأعـماله البـربرية من قتـل واعتقال واغـتيال ونـهب الأموال، وخطف الحرائـر، وإشعال نار الطائفيـة، وارتكاب المجازر الجمـاعية في كل أنحاء القطر السوري، حتى صـار المحامون السوريون في نظر المـحامين الـعرب مصـدر كره واشمـئزاز، فكـانوا يتلقـون الإهانات، ويسـمعون الـكلمات الـجارحة، والـصرخات الـتي تصك آذانه: مـثل رئيسكم الخائن، واخـرسوا، ويا أيها القتلة، والمتآمـرون على القضية الفـلسطيـنيـة ومقـاومتـهـا، والتـعاون مع الـعدو، وذبـح اللبـنانيـين، والمنحـازين إلى الخندق الإيـراني، ومفرقي كـلمة العرب، وعـشرات الاتهامـات والإدانات لنظام الأقـلية في سـورية، ولمن يرسلـونهم إلى

مؤتمرات المحامين العرب.

كان الأخ محمد العنجريني أبا أيمن الذي فقد ولده أيمن شهيداً في سورية، فصار يدعى أبو معن، وكان الأخ محمد علي صوان الذي فقد ولده ياسر شهيداً في سورية، فصار يدعى أبا حسن. كان الأخوان مجاهدين صلبين شجاعين في مواجهة مجرمي النظام في كل المؤتمرات العامة للمحامين العرب، ولقد عرضا نفسيهما للخطر الحقيقي مراراً في مواجهة البغاة وتفنيد مزاعمهم المفتراة، فوجدا تعاطفاً فاق طموحهما من المحامين العرب في المغرب وتونس والقاهرة والخرطوم، وكان للمحامين المصريين مواقف لا تنسى في مؤازرة إخواننا المحامين، رحم الله أبا أيمن -أبو معن- وأجزل له الأجر، وتجاوز عن تقصيره في جنب الله، وأطال الله في عمر أبي الحسن محمد علي صوان، وتقبل منه جهاده وتضحيته، وأعان أبناء الجماعة الراشدة على الاستمرار في نهجها، وتبليغها للأجيال الصاعدة ولشعوب الأرض قاطبة في أنحاء المعمورة وللعالمين.

رابعاً: الاتصالات العربية الإسرائيلية

في منتصف ١٩٧٧ بدأت الوساطات تنشط على عدة صعد بين العرب وإسرائيل، كان السادات هو الذي فتح بابها على مصراعيه، فقد شعرت إسرائيل أن السادات يتطلع إلى تفاهم معها من وراء العرب في البداية، ثم انتهى إلى زيارة السادات لإسرائيل، وإلقائه خطاباً في الكنيست الإسرائيلي، وهنا يحضرنا سؤال ربما لا نستطيع الإجابة عليه، أو بالأحرى لا نجد إجابة عليه؛ ما الذي جعل من

السادات عرّاباً للتفاهم مع من اغتصب فلسطين، وضم إليه سيناء التي تبلغ في المساحة أربعة أضعاف فلسطين؟ وهو رئيس أكبر دولة عربية كانت في فترات عدة تتزعم الأمة العربية وتقودها؟ هل هي الماسونية التي حامت حوله شكوك بالارتباط بها؟ إن والد السادات كان معجباً بجمعية الاتحاد والترقي التي عزلت السلطان عبد الحميد عن عرشه، وهو الخصم الألد للصهيونية ولهجرة اليهود إلى فلسطين في أحداث ومواقف ليس هنا محل تفصيلها، وأحدثت انقلاباً خطيراً في السلطنة مهدت لإخراجها من العالم الإسلامي، وفرضت اللغة الطورانية، وأحلتها محل اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، ومارست -جمعية الاتحاد والترقي- الضغوط على العرب سلماً وحرباً، وكان يقود هذه الجمعية -المتهمة بتغلغل يهود الدونما في صفوفها، وفي تحريكها وتوجيهها- أربعة من قادتها هم: أنور وطلعت وجمال ونيازي، فسمى والد السادات أسماء أبنائه بأسماء قادة الاتحاد والترقي مثل أنور وطلعت... إلخ!!!

هل كان السادات على صلة بالمخابرات الأمريكية cia من قبل عندما شارك بتشكيل الضباط الأحرار، وسار مع جمال عبد الناصر خانعاً متمسكناً حتى لقب الأستاذ صح، لأنه كان يعقب على كل ما يقوله عبد الناصر بكلمة صح؟!!

ما الذي حمل السادات على تفكيك الجبهة العربية أمام العدو عندما عقد صلحاً أخرج بموجبه مصر من الصراع مع العدو الصهيوني؟ وترك الدول العربية الصغيرة مثل الأردن وسورية ولبنان

وفلسطين إلى قدرها؟

لا بد من انكشاف هذا الأمر، ومعرفة الدوافع الحقيقة التي جعلته يهرع إلى إسرائيل، ويلتحم مع الأمريكان، وينادي ثعلب السياسة الأمريكية كيسنجر، ويفتتح رسائله إليه بعبارة: عزيزي كيسنجر، لا بد لأمتنا أن تدرك وتحيط علماً بما يبيت لها في الخفاء، لتكشف بعد فوات الأوان في كل فترة: ابن علقمي جديد، وهي سادرة في غفوتها، مستغرقة في نومها، والعدو يقظ يخطط للقضاء عليها، وإلغاء دورها، بل إلغاء وجودها، وصدق الله العظيم: ﴿ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾(١).

١- طلبت إسرائيل من رومانيا وإيران، ومن ملك المغرب الحسن الثاني العمل والمساعدة في ترتيب اجتماع بين بيغن والسادات، وعندما توجه بيغن في شهر آب عام ١٩٧٧ إلى بوخارست، طلب من شاوشسكو التحرك بهذا الاتجاه، وفي نفس الشهر -آب- قام موشيه دايان بزيارة طهران، وقدم نفس الطلب، أو أعرب عن نفس الرغبة لشاه إيران أن يقوم بنفس المسعى لجمع السادات مع بيجن، ثم طار دايان في الأسبوع الأول من أيلول عام ١٩٧٧ إلى المغرب، طالباً من الحسن الثاني أن يقوم بالمساعي الحميدة بين مصر وإسرائيل، فآتى هذا الجهد الدبلوماسي ثماره في ١٦-٩-١٩٧٧، إذ سافر حسن التهامي نائب رئيس الوزراء المصري والصديق الحميم للسادات الذي

(١) سورة النساء جزء من الآية ١٠٢ .

كلفه بالذهاب سراً إلى طنجة، ليجتمع بدايان، ويستمع إليه فيما يحمله من مشروع لقاءٍ بين بيغن والسادات، فوعد دايان بأن سيناء كلها يمكن إعادتها إلى مصر، وكإغراء إضافي للتعامل المباشر، زودت إسرائيل السادات بمعلومات وتحذيرات عن وجود مؤامرة تدعمها ليبيا للإطاحة به.

سافر السادات إلى إسرائيل، وهبطت به طائرته في مطار بن جوريون في مدينة اللد، وكان في استقباله جولدامائير التي كان يطلق السادات عليها: العجوز الشمطاء، فداعبته قائلة: هذه العجوز الشمطاء في استقبالك، وكان أسوأ ما وقعت أعيننا عليه القبلات المتبادلة بين بيغن والسادات وزوجته، زوجة رئيس دولة الأزهر الشريف، إذ مط بيغن شفتيه اللتين تشبهان فم سمكة الهامور، ليقبل زوجة الرئيس المصري أنور السادات، معقباً على ذلك بوقاحته المعهودة أنه لم يشم رائحة عطر في حياته كالتي استنشقها عندما كان يقبل زوجة الرئيس المصري أنور السادات، ولم يكن لي أن أورد هذا الأمر المخجل لولا أن هذا الأمر ورد مصوراً في التلفزيون، ومسجلاً بصوره ومنظره المؤلم الكئيب في صحف تلك الفترة.

ما الذي دها هؤلاء الحكام حتى تجاوزوا في علاقاتهم مع العدو كل القيم العربية والمثل الإسلامية والأخلاق المحمدية والأحكام الشرعية فلم يعد لديهم حرمة يحافظون عليها، فأضاعوا وفرطوا بالشهامات والمروءات والغيرة وهي من سجايا العرب ومقومات حياتهم وأعرافهم في جاهليتهم وإسلامهم؟!!

٢- أما في سـورية فإن القـائد الثوري الضـابط حافظ أسـد أصيب بصدمة عندما أدار له كـيسنجر وكارتر ظهريهما بعـد أن نفذ للأمريكان أكثر مما يتوقعون ولإسرائيل أكثر ما كانت تتطلع إليه من سحق منظمة التحرير الفلسطـينية على الأرض اللبنانية، وذبح الفلسطـينيين المعادين لإسرائـيل بعشـرات الألوف في مخـيمات الجـنوب والوسط والشـمال على أرض لبنان، وبـعد أن سحق الجبهـة الوطنية اللبنانيـة التي كانت تساند الفلسطينيين، وسلم لبنان لقمة سـائغة لليمين اللبناني المتحالف مع إسرائيل، والمتعاون معها في لقاءات سرية عن طريق ميناء جونيه، وفي بلدة بكـفيا وغيـر ذلك مما رأينا من قـبل. فدعا حـافظ أسد إلى تشكيـل جبهة الصـمود والتصـدي التي ضمت سوريـا وليبيا والـجزائر واليمن الجنوبـي، ثم أدرك أن هذه الجبهة وهم وسراب لا تغـني شيئاً فاعـلاً على أرض الواقـع، فالتـفت إلى موسـكو، وأرسل على عـجل وزير خارجـيته ورئـيس أركان الجيـش إلى العاصـمة السـوفياتيـة، ثم تبعهمـا في شباط ١٩٧٨ ليقدم طلباً للحـصول على دبابات وطائرات، فحصل على وعد من السوفيات برفع مستوى قدرات سورية الدفاعية، لكن تنفيذ ذلك التعهد كان بطيئاً بشكل مؤلم(١).

٣- لم تضـيع إسرائيل هـذه الفرص المـتاحة، وهذا الـخلل الذي أصاب دول الجوار في مـصر وسورية والأردن ولبنان، فانـقضت على لبنان، وغزته في آذار ١٩٧٨، واستولت بسهولة ويسر على جنوبه كله حتى نهـر الليطاني رداً على خطـف فلسطينيـيـن لحافلة إسرائيلـية على

---

(١) باتريك سيل: ٣٠٥ .

الساحل جنوبي حيفا في ١١-٣-١٩٧٨، وقتل أكثر من ٣٠ مدنياً إسرائيلياً، فرأى العدو في ذلك فرصة لا تفوت، فدخل في حرب مدمرة ضد لبنان، وقتل أكثر من ٢٠٠ شهيد، وشرد حوالي ٢٠٠ ألف مواطن لبناني من منازلهم، والجيش السوري يراقب من بعيد هذه الأحداث الجسام، وكأنه يشاهد مباراة لكرة القدم، ولسان حاله ومقاله: سنحدد الزمان والمكان للرد على العدو الصهيوني، وهي مقولة ظل يرددها أكثر من ثلاثة عقود دونما خجل أو حرج، لينطبق عليه قول النبي المختار ﷺ: إن مما أدركه الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

خشي الأسد أن تكون عملية الليطاني هي المقدمة لشن هجوم على سورية، وكان للحكومة السورية ٣٠٠٠٠ جندي في بلدة جزين المرتفعة والمطلة على الشرق والغرب والجنوب، لكنه لم يكن معنياً بتعكير صفو العدو، ومواجهة مخططاته، ولو برصاصة واحدة أو بكلمة، إذ إن جيشه الذي استهوته عمليات التهريب، وغيرها من أنماط السلوك المنحرف بدأ يعاني من الأمراض الخبيثة(٢).

٤- بعد أن ساءت سمعة الأسد إثر ممارسته سياسة البطش في سورية، وبعد تدخله في لبنان، وسحقه للمقاومة الفلسطينية لحساب العدو الصهيوني، وبعد ارتكابه جرائم وآثاماً رهيبة ضد الشعب اللبناني، عمل الأسد جهده ليسترد بعض الاعتبار الذي فقده نظامه،

---

(١) باتريك سيل: ٥٠٥ .

فأعلن عن تكوين لجنة للتحقيق في الكسب غير المشروع في ١٨-٧-١٩٧٧، وفي جرائم الاختلاس واستغلال المناصب الرسمية، أملاً في تبديد السخط الشعبي ضد الفساد المتفشي في القطاع العام وفي المرافق الأخرى.

كانت هذه الحملة التفصيلية محكوماً عليها بالإخفاق منذ البداية، إذ إن أفراد الحاشية المباشرة للأسد كانوا يشكلون أقرب المقربين إليه من الضباط، وأكثرهم علويون، وكانوا متورطين وغارقين حتى آذانهم في الفساد والنهب والرشوة وفرض الأتاوات على التجار، ورجال الأعمال نبهاً وابتزازاً، فمن الذي يستطيع أن يواجههم أو يعترض سبيلهم؟ لقد كان السائد حينذاك أن العلويين قد تقلدوا ١٨ منصباً (في سيطرة كاملة على القوات المسلحة) من بين ٢٥ منصباً رئيسياً بقيادة الجيش(١). حتى إن جريدة الثورة الناطقة بلسان النظام والموالية له كتبت في عددها ٥٠٨٩ بتاريخ يوم ٢٨-٩-١٩٧٨: إن عملية النهب لمؤسسات القطاع العام عن طريق السماسرة والوسطاء، وصلت حداً لا يحتمل، ويهدد بوقوع انتكاسات كبيرة في عملية البناء الوطني، وانتهت إلى ظهور طبقة طفيلية غير منتجة، تجني ثروات طائلة على حساب القطاع العام أولاً، وعلى حساب المواطنين كمحصلة نهائية(٢).

---

(١) فان دام: ١٢٣ .

(٢) مجلة النذيرالعدد ٤ ص٢ .

خامساً: اتساع دائرة الفساد

بعد عام ١٩٧٠، ولا سيما بعد التدخل في لبنان ١٩٧٦ استغلت النخبة العسكرية سلطتها لتزداد ثراء، وأخذ الفساد يتفشى داخل الجهاز الحزبي، وداخل النظام بكل مرافقه، فلم يكتب للعديد من الحملات التي كانت ترمي إلى اقتلاع الفساد، إلا نجاح محدود جداً، حيث كان من الصعب النيل من العناصر الفاسدة في النخبة العسكرية العلوية التي كانت تتمتع بمراكز مرموقة، والتي كانت تنتمي لحاشية الأسد وما يتبعها كما رأينا من قبل، وكما قرأنا في صفحات سابقة، فمن الذي يستطيع أن يحاسب رفعت الأسد سفاح سورية الذي أحكم قبضته الفولاذية على سورية وشعبها وجميع مواطنيها، وكل مرافقها في التجارة والاقتصاد؟[١].

١- في عام ١٩٧٨ فقد العديد من ضباط الجيش رتبهم ووظائفهم، فقد نقل الأسد عام ١٩٧٨ على ثلاث موجات ٤٦٠ ضابطاً من القوات المسلحة من مراكزهم الحساسة في الجيش، مستبدلاً بهم جميعاً أنصاره وأبناء عشيرته وطائفته[٢]!! كما صرفت السلطة ٤٠٠ ضابط آخرين من الجيش في الشهور الستة اللاحقة[٣].

لقد لاحظ صاحب كتاب: سورية لا خبز ولا حرية، أن الحكم في سورية لم يطرأ عليه أي تغيير في عهد بشار فيما بعد، وأن

(١) فان دام: ٢٠٣ .

(٢) تقرير الشرق الأوسط: ٢٢ .

(٣) سيرو: الدولة والبريد: ٦٨ .

المجلس النيابي يبقى نادياً للكلام، وأن مهمته الرئيسية هي البصم على قرارات الرئيس.

لقد كانت سورية خلال حكم حافظ أسد تعيش نوعاً من المساواة في البؤس والانعدام الكلي تقريباً للمحاسبة الديمقراطية، وغياب الاحترام والتقدير لحقوق الإنسان[1]. ثم يتساءل الباحث ألن جورج في فترة لاحقة، كيف ستكون إمكانات سورية لو لم تقع تحت حكم ديكتاتوري منذ أربعين سنة؟ ومهما تكن الأسباب والأعذار، فالحقيقة المركزية التي لا يمكن التهرب منها، أن النظام الذي جاء به البعث -وبخاصة حافظ أسد بالذات- هو نظام شرس وحشي وفاسد[2].

في الدولة البوليسية -مثل دولة أسد- حيث تتعدد الأجهزة الأمنية، وتتداخل وكالات الأمن وتتجمع تحت عنوان -المخابرات- يعمل فيها خمسة وستون ألف ضابط، بالإضافة إلى الألوف من العاملين نصف دوام، وعشرات الألوف من المخبرين والمتعاونين في الشرطة، ليكون هناك بوليس سري واحد لكل ١٥٣ مواطناً بالغاً إذا استثنينا الأطفال[3].

لقد ذكر صاحب كتاب حوار حول سورية، كما ذكر غيره من كتاب وباحثين، أن الأجهزة الأمنية شملت عدداً كبيراً مثل: الأمن

---

(١) سورية، لاخبز ولا حرية: ٣٨-٣٩ .

(٢) المرجع السابق: ٢٥ .

(٣) المرجع السابق: ٣٧ .

الخارجي، والأمن الداخلي، وأمن الدولة، والمخابرات العامة، والأمن العسكري، والأمن السياسي، وأمن الرئاسة، ومخابرات القوى الجوية، وفروع أمنية أخرى تابعة للأمن العسكري المتخصص بمنطقة دمشق العسكرية وبالجبهة، حيث تتمركز الوحدات العسكرية الأساسية للجيش، وفرع فلسطين المتخصص بملاحقة الفلسطينيين والحالات السورية المتداخلة معهم، وفرع التحقيق العسكري الذي يمر به جميع معتقلي الأمن العسكري، والذي يترأسه ضابط مسيحي من بانياس هو الضابط كمال يوسف، وهو مصنع للتعذيب والقتل، يعمل ليلاً ونهاراً بدون توقف، كما يوجد في كل محافظة وقضاء سوري فروع لأجهزة الأمن ما بين ٢٥٠ إلى ٣٠٠ ألف في هذه الأجهزة الأمنية[١].

الرقابة في سورية شاملة، يتعرض لها المواطنون من الرجال والنساء، في البيوت والأحياء والمتاجر والمدارس والمساجد والكنائس والكراجات وسيارات النقل العام والخاص، وإن نسبة عالية من سيارات التكسي ملك للأمن يعمل عليها موظفون أمنيون[٢].

بلغ عدد أقبية المخابرات في تلك الفترة ٧٦ قبواً استقبلت مئات الألوف من المواطنين، وبالأخص عندما شرَّعت السلطة تطبيق سياسة القضاء على الإخوان المسلمون، ولاسيما الذي اتهمته السلطة الباغية ظلماً وإفكاً بأنه شارك في العمل المسلح، وينطبق عليه القانون ٤٩

(١) حوار حول سورية: ١٢٨ - ١٢٩ .

(٢) المرجع السابق: ١٣١ .

الذي أصدره البغاة عام ١٩٨٠، والذي يقضي بإعدام كل من يثبت انتماؤه للإخوان المسلمين، ولو كان يعيش في عزلة بعيداً عن الناس وعن الاختلاط بهم.

كانت أجهزة الأمن تعتقل النساء والأطفال والشيوخ وكل من يقصد مسجداً للصلاة، أو يستمع إلى درس ديني، لتقضي قضاءً جسدياً على كل منتم أو متهم ولو زوراً بالانتماء إلى جماعة الإخوان المسلمين.

شرعت الأجهزة تبحث في ضمائر الناس وقلوبهم، لتقرأ أفكارهم ومشاعرهم. وبهذه الأحقاد الدفينة، تم اعتقال الألوف بل وعشرات الألوف من المتهمين بأنهم من جماعة الإخوان، وأنهم أعضاء في تنظيمها أو من أصدقائها، بل ومن المؤمنين العاديين، وأرسلوا إلى المشانق في واحدة من أكبر عمليات القتل التي شهدتها سجون العالم في القرن العشرين، فقد نفذ حكم الشنق بـ ١٢ ألف من الرجال والنساء والشبان بين عامي ١٩٨٠ و١٩٨٨ عدا عمن ماتوا تحت التعذيب ، وهم ألوف كثيرة أيضاً(١).

٢ – منذ استلم الأسد السلطة مدَّ عينيه ويديه إلى إيران ليقيم معها علاقات وثيقة بدوافع معروفة وملموسة وليست على من يتابع بخافية، وكأن الطاغية اكتشف قوميته العربية التقدمية الثورية في طهران، فأحكم الصلة بين سورية والشاه في صيغ مر بنا ذكرها، وعندما وصل

---

(١) حوار حول سورية: ١٧٠ - ١٧١ .

الخميني إلى السلطة، وحكم إيران، لم يغير الأسد موقفه من طهران، بل ازدادت الصلة بين البلدين وثوقاً وعمقاً، فليس ثمة فرق بين نظامي الشاه والملالي في نظر الأسد طالما أن الدافع هو الانتماء الطائفي للنظامين.

لقد مدّ الأسد يد المساعدة إلى أنصار الخميني، وأعطى من يحتاج منهم جوازات سفر سورية، وأقام اتصالاً عميقاً بموسى الصدر ذي الأصل الإيراني، الذي أضحى صديق الأسد الحميم، وحليفه السياسي، فأصدر الصدر فتوى عام ١٩٧٣ نصَتْ على أن العلويين جزء أساسي من المسلمين الشيعة (وهذا يخالف إجماع الأئمة المنتمين إلى المذهب الاثني عشري، ولاسيما الإمام العسكري الذي نشأت النصيرية في زمنه). وأبقى الصدر الطائفة الشيعية خارج ائتلاف الجبهة الوطنية التي كانت تؤيد المعارضة الفلسطينية، والتي كان يقودها كمال جنبلاط الذي حاول الأسد ترويضه واحتواءه، وكبح جماحه، حتى انتهى به المطاف إلى اغتياله.

كان الصدر همزة الوصل بين نظام الأسد والخميني، ورائداً من رواد محور دمشق - طهران في ثمانينيات القرن الماضي، وكان الأسد منذ الساعات الأولى لسيطرة الخميني على إيران قد أعلن عن ترحيبه بانتصار الخميني على الشاه، وأرسل برقية تهنئة حارة له باستلام السلطة، ثم أرسل له بعد أسابيع نسخة من القرآن الكريم المزخرفة بالذهب والأحرف الساطعة هدية إلى (قم) حملها وزير إعلامه أحمد اسكندر أحمد[١] وعندما زار الأسد موسكو في تلك الفترة أصدر بياناً

(١) باتريك سيل: ٥٧٣ .

مع بريجنيف بدعـم إيران الخميني، وحقهـا في تقرير مصيرها بنـفسها دون أي تأثير أجنبي، ورخص السوفيات لسورية وليبيا بتسليم أسلحة سوفـياتـية لإيران، فكـان ثمة جـسر جـوي من سوريـة إلى إيران عـبر اليونـان وبلغاريا والاتـحاد السوفـياتي، ومن لـيـبيا عـبر البحـر الأسود لدعمها في حربها مع الـعراق، ثم أعقب ذلك أن أغلق الأسد حدوده مع العـراق، وأوقف ضخ الـنفط العـراقي إلى الخـارج عبـر الأراضي السورية في وقت لاحق عام ١٩٨٢ .

٣ - استفـحلت عمليات النـهب لميزانية الـدولة وثروات الأمة من قبـل رجال السلـطة والمتـنفذين مـن أقربائـهم وعائلاتـهم وعشـائرهم وحاشيتـهم، وانتشر بناء القصور الـفارهة الكثيرة في محـافظة اللاذقية وفي مصايفـها، وفي دمشق، وخارج سورية، وصار المـتنفذون الذين كثر عددهم يتبـارون في تشييدها واقتنائها، وجرى تـسليم القطاع العام ومؤسساته وشركاته للمرتزقة واللصوص من عصابات الحكم، ما أدى إلى إفلاس معـظم هذه المؤسسات، فـلجأت السلطة إلى طبـع العملة بلا رصيـد فانخفضـت قيمتـها وهوت مكانتـها، كما لجـأت إلى نهب واردات النفط التي لم يسمح حافظ أسد بإدخالها في حسابات الدولة، بل دخلت في حساب رئيس الدولة وعائلته وأعـوانه وحاشيته، فانتشر الفسـاد والرشاوى في كـل مرافق القطاعـات الاقتصـادية بشكل مـعلن زكمت رائحتها الأنوف، وعلى كل المستويات الوظيفية العليا والدنيا، وعندما تجرأ من يسأل عن أمـوال النفط، جاءت الإجابة: إنها في أيد أمينة، فانتشرت هذه المقولة في أرجاء الوطن انتشار النار في الهشيم.

٤ - صدر عن الحكومة بيان جبهوي يطرح حلولاً تخفف من النقمة الشعبية ضد النظام الفاسد، فرد الإخوان على ذلك بأن هذه الحلول ليست جيدة وقد سبق لحافظ أسد أن لجأ إلى مثل هذه الطروح، كلما أحس أن الأرض تمور من تحت قدميه، وقال الإخوان: إننا لم ننسَ لجنة الكسب غير المشروع التي شكلها الأسد امتصاصاً للنقمة الشعبية العارمة يوم كان يقتل الفلسطينيين في تل الزعتر، ثم لم تلبث هذه اللجنة أن تلاشت حيث بدأت إشارات الاستفهام تتجه إلى المفسدين الكبار، فاضطرت جريدة الثورة المؤممة لسان السلطة الحاكمة أن تنشر في عددها ٥٠٩٢ المؤرخ في ٣٠-٩-١٩٧٩- مقالاً جاء فيه: عندما بدأ البحث عن شاطئ حرّر بكامله وبيع، وعندما نرى كيف هدمت أحياء، وبيعت مناطق، وارتفعت بنايات شاهقة، ونشاهد أساطيل السيارات توضع تحت تصرف المسؤولين وأنجالهم وأقربائهم حتى الدرجة العاشرة، وعندما نسأل عن صداقات غير طبيعية وغير شرعية نشأت بين المتنفذين وبين تجار داخل القطر وربما خارجه، عندما نرى ذلك -تقول الجريدة- سنكون قد وضعنا أقدامنا على الطريق، وسيكون السؤال من أين نبدأ، من الرؤوس الصغيرة كي نصل إلى الكبيرة؟ أو من الكبيرة إلى الصغيرة؟ لابد أن يكون البدء بالرؤوس الكبيرة.

استهجن المجاهدون بيانات الحكومة وأقوال صحفهم قائلين: هذا ذر الرماد في العيون، ووجهوا خطاباً إلى رأس المفسدين جاء فيه: ندعوكم إلى تشكيل محكمة وطنية محايدة تمثُلون أمامها، مستعينين

بمن شئتم من محامين وخبراء لتثبتوا براءتكم: إننا لا نطالب بتقديمكم إلى محكمة أمن الدولة التي اعتدتم أن تقدموننا إليها، فبالأمس كنتم تؤيدون طلب السيد سعد الدين الشاذلي لمحاكمة أنور السادات، فلماذا لا تستجيبون لطلبنا بمثولكم أمام لجنة قضائية نزيهة.

أيها الرئيس: أنتم متهمون أمام السوريين جميعاً بالتهم التالية:

أ - الخيانة العظمى بتسليم جزء من أرض الوطن بلا قتال في حرب ١٩٦٧ .

ب - سوء التخطيط والتصرف في حرب ١٩٧٣ مما أدى إلى ضياع أجزاء أخرى من أرض الوطن.

ج - ارتكاب العديد من عمليات القتل والتصفية الجسدية لألوف المواطنين الأبرياء المظلومين، وسوف يطالب أولياء الضحايا بحقوقهم أمام المحكمة.

د - التواطؤ أو السكوت عن انتهاك الأعراض والنيل من الحرمات.

هـ - قتل الفلسطينيين في تل الزعتر رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً، وسوف يقاضيك اليتامى عن آبائهم، والأرامل عن زوجاتهم، والثكالى عن أبنائهم، والمشوهون عن أعضائهم.

و - سرقة أموال الشعب وتحويلها إلى بنوك سرية.

إننا ندعوكم لذلك حقناً للدماء، وإنقاذاً للمواطنين، فاللجوء إلى السلاح الذي اضطررتمونا إليه، وسيلة أخيرة في إصلاح الأوضاع

للسوريين جميعاً[1].

سادساً: حادثة المدفعية

كانت حادثة المدفعية عملاً كارثياً بالنسبة لتنظيم الإخوان المسلمين، لأنها كانت السبب في تعطيل برامج الجماعة وعرقلة مسيرتها الدعوية، فالجماعة قد وضعت لنفسها خطة التزمت بها، وتقيدت ببنودها ومراحلها ووسائلها، وكان أهم ما ورد فيها برنامج الجماعة في التعريف الذي يشمل التبليغ ونشر مبادئ الإسلام باللسان والبيان والقلم وجميع وسائل النشر المستحدثة، تأتي المرحلة التي تعقبها، وهي مرحلة التكوين التي تهدف إلى تهيئة العناصر القيادية في داخل التنظيم وفي خارجه، وفي الدوائر والمؤسسات ومرافق المجتمع كلها، وأن تسير المرحلتان معاً دون أن يُستغنى عن أي منها، كما أن الخطة نصت بوضوح تام على تجنب الصدام مع السلطة المتعطشة لدماء المواطنين، ولاسيما ذوو الاتجاهات الإسلامية منهم تحت أي ظرف، مهما كانت وأياً كانت درجة الاستفزاز من دوائر السلطة الأمنية والحزبية وميليشيات النظام، وقد نشرنا هذه الخطة كاملة في نهاية المجلد الثالث من هذه الموسوعة الخاصة بتاريخ الإخوان المسلمين كجزءٍ من المجتمع وليست منفصلة عنه.

ولم يكن مضى على إقرار الخطة عدة أشهر حتى وقعت حادثة المدفعية، قبل أن نبدأ بتنفيذ بنود الخطة، ولاسيما فيما له صلة بتطوير

---

(١) مجلة النذير العدد ٤ الصفحة ١-٢ .

القوى -على كل الصعد التربوية والاجتماعية والنسائية. .إلخ- وتكوين القيادات، وإعداد الكوادر، فكانت هذه الحادثة كوقع الفأس على الرأس، لأنها جاءت سبباً موجعاً في تعطيل برامج الجماعة على كل الصُّعد، ولم نكن نعلم عنها وعن الذين قاموا بها شيئاً، حتى قرأنا تصريحات عدنان عقلة فيما بعد ينسبها إلى نفسه، وإلى رفيقه في نشأتهما بمدينة الرقة: النقيب إبراهيم اليوسف متباهياً في هذا الأمر، ومفاخراً في إنجازه وتنفيذه.

أ- سارعت الجماعة إلى الإعلان عن عدم علمها بحادثة المدفعية وبمن قام بتنفيذها، لأنها تتعارض مع تفكير الجماعة كما وردت تفصيلاً في الخطة، وكما أكدت الجماعة النأي بنفسها وبأبنائها عن كل صدام أيّاً كانت حالة الاستفزاز التي درجت عليها مؤسسات السلطة الأمنية وغيرها ضد المواطنين، وقد سمعت من الشهيد عبد الستار الزعيم رحمه الله أنه حذّر من أي عمل في القتل الجماعي الذي يطول مواطنين أبرياء لا ذنب لهم، وهذا مرفوض ومحرم بالإسلام على إطلاقه، لكن عدنان عقلة الذي نسب نفسه إلى مجموعة مروان حديد رحمه الله التي يزعم أن مروان قد أنشأها، وهذا الزعم لا أصل له البتة، فمروان لم ينشئ ما يسمى بالطليعة، ولم يستخدم هذا المصطلح قط، بل إن عدنان عقلة عندما قابلته لأول مرة في إيطاليا بعد خروجه من سورية -وكان من قبل يخوّن ويكفر كل من يغادر سورية- وسألته: متى كانت آخر مرة قابلت بها مروان؟ فأجاب: لم ألتق بمروان في حياتي ولم أره قط.

كانت عائلة عدنان عقلة قد نزحت من الجولان بعد تسليمه إلى إسرائيل، واستقر والده في مدينة الرقة، يعمل فيها خبازاً، وبعد حصوله على الثانوية انتقل إلى حلب، والتحق بكلية الهندسة، وانتسب إلى جماعة الإخوان المسلمين، فلم تمض على انتسابه فترة قصيرة حتى صدر قرار بفصله من الجماعة بعد أن لمسوا منه خروجاً على منهاج الجماعة، وتمرداً وطموحاً غير مألوف، وتطلعاً إلى الزعامة بأي وسيلة كانت.

عقد عدنان عقلة صلته بالنقيب إبراهيم اليوسف الضابط في الجيش السوري بعد أن تم التعارف بينهما في الرقة أو حلب على ما يذكره البعض، ونجم عن هذه الصداقة حادثة المدفعية في الثكنة العسكرية (الراموسة) في حلب.

٢ - لم نكن نسمع أو سمعنا عن النقيب إبراهيم اليوسف قبل حادثة المدفعية، فهو لم يكن من الإخوان قط، بل كان بعثياً منذ فترة طويلة، حتى بلغ درجة العضو العامل في الحزب، وعضوية التنظيم العسكري في الجيش.

تساءل كثيرون عن الدوافع الحقيقية لهذا العمل الجريء والفظيع في مدرسة المدفعية، وذهب ضحاياها العشرات كما قال البيان الرسمي لحكومة الأقلية، فالبعض يذكر أن ما رآه النقيب إبراهيم اليوسف من تحيز طائفي، وملء كوادر الجيش بأبناء الطائفة العلوية، وإن لم يكونوا من ذوي الكفاءة، وإقصاء أبناء الأكثرية السنية، وأبناء الطوائف الأخرى، هو الذي أثار حفيظته وسخطه، وشحنه بالحقد

على هذه الفئة الباغية المتسلطة التي كشرت عن أنيابها، وكشفت عن أهدافها بتحويل الجيش السوري من مؤسسة وطنية إلى كتلة طائفية، فأقامت أكبر دورة لسلاح المدفعية شملت حوالي ٣٠٠ طالب ضابط مدفعي، كان العلويون يشكلون أكثر من ٩٠٪ منها، وحوالي ١٠٪ من أبناء الأكثرية، ومن أبناء الطوائف الأخرى كالمسيحيين والدروز والإسماعيليين، بل إن البعض قدر عدد العلويين في الدورة بـ ٢٨٥ وعدد الآخرين ١٥، لتكون نسبة الجميع ٥٪ ونسبة العلويين ٩٥٪ ليكون سلاح المدفعية وقفاً على العلويين، بالإضافة إلى ما شكله الطائفيون، وعلى التحديد والتحري بعض الطائفيين من مليشيات يغلب عليها الطابع الطائفي، مثل سرايا الدفاع وسرايا الصراع والوحدات الخاصة والحرس الجمهوري.. إلخ.

وجد النقيب إبراهيم اليوسف في عدنان عقلة تجاوباً للقيام بتوجيه ضربة قاتلة وفاضحة في هذا التمييز الطائفي المنتن.

كان النقيب إبراهيم هو الضابط المناوب والقائم بإدارة التوجيه المعنوي -السياسي- للطلبة من دورة سلاح المدفعية، فاتفق مع عدنان عقلة الذي قدّم له عدداً من الذين وافقوه على تنفيذ العملية، وهيأ لذلك كل أسبابها، حيث أدخل مجموعة التنفيذ بسيارة مغطاة لم ير الحرس أحداً منهم، وأوكل إليهم العمل التنفيذي مفصلاً، فبدأوا باعتقال الحرس وإبعادهم، وتعطيل غرفة الاتصالات السلكية واللاسلكية، ثم دعا طلاب الدورة إلى اجتماع طارئ وسريع في قاعة المحاضرات، باعتباره ضابط الأمن الذي يمثل السلطة الحزبية،

يحضـره قائد اللواء ليلقي بـهم كلمة مهمـة، فتسارع الطلاب الـضباط إلى القـاعة، فـالتف المنـفذون حول الـقاعة، وأخـذ كل واحد مـنهم موقعـه خلف إحدى النوافذ، وشـرعوا في إطلاق النار من الـرشاشات وإلقـاء القـنابل اليـدوية، حـتى قـتل أكـثـر من في القـاعـة، فغـادرت المجـموعة المنـفذة الثكنة، فـكان هذا الحادث كـارثة مؤلمة للـسلطة الحاكمة، وللطائفيين الطغاة المتسلطين على رقاب المواطنين.

٣ - لم تعـلم السلـطات بحـادثة المـدفعـية إلا بعـد ساعـتيـن من وقوعها فـجن جنونها، وشرعت بإصـدار البيانات التي بدأ التـخبط في كل كلماتها، فالحادثة وقـعت في ١٦-٦-١٩٧٩، وكان ضحاياها كما جاء قـبل قليل من العلـويين، فشكل هذا الـحدث فضيـحة للطائفـيين المتسلطين على الحكم، أراد المسؤولون في السلطة الباغية أن يستروا هذه الفضيحة، فأعلن وزير الإعلام: أحمد إسكندر أحمد أن الضحايا من كل الطـوائف، وأن بينهم ضـحايا مسلـمين ومسـيحييـن، ثم اتهم الوزير الإخوان الـمسلمين في ٢٢-٦-١٩٧٩ بـحادث المدفعـية، وفي تنفـيذ الاغـتيـالات دون أن يكون لـديه دليل واحـد على اتـهامـه، أما الإخوان المـسلمون فـقد سارعـوا إلى شجب الحـادثة، مؤكـدين عدم علمهم بـها وبمن نفذها، وبالـرغم من مكابرة السلطة وإصـرارها على اتهـام الإخوان، فـإن عـدنان عقـلة بعـد فتـرة قصيـرة، نسب حـادثة المدفعية إلى نفسه، وافتخر بتنفيذها مع النقيب إبراهيم اليوسف.

لم يكتف الإخوان بشجب الحادثة وبالتـأكيد على عدم صلتهم من قريب أو بعيد بها، بل نشروا ذلك بـما يملكون من وسائل النشر، بل

تحدى بيان صادر عن الجماعة أن تثبت أي جهة في العالم بتحقيق حيادي نزيه أن تكون قيادتهم أو عناصرهم قد مارست مثل هذا العمل وأشباهه طيلة عمرها المديد، ثم نشرت ذلك في مجلة المجتمع الكويتية ذات الشهرة في العالم الإسلامي، ونفت نفياً قاطعاً هذا الحادث في عددها ٤٥٢ المؤرخ في ٣-٧-١٩٧٩ .

عقد وزير الداخلية عدنان دباغ الذي كان إحدى الواجهات للحكم الطائفي مقابل متع رخيصة عُرف بها، مؤتمراً صحفياً في ٢٢-٦-١٩٧٩ أعلن فيه الحرب على الجماعة واستباحة دماء أبنائها، فاعتصم الإخوان بالله، ثم بالصبر لمواجهة هذا الابتلاء، وتعرضت الجماعة للملاحقة والفتك والقتل في البيوت والشوارع وعلى قارعة الطريق، مما اضطر، بعد ذلك الملاحقين بعد أكثر من ثلاثة، أشهر أن يقرروا الدفاع عن أنفسهم، ليستشهد منهم أعداد، وتختفي أعداد، وتغادر أعداد أخرى إلى أرض الله الواسعة.

كان لحادثة المدفعية أثر سلبي وآخر إيجابي، فقد ألحق في الجماعة أضراراً كبيرة، وعطل برامجها وتنفيذ خطتها وكل مشروعاتها التي كانت ترمي إلى التغيير السلمي في المجتمع السوري عن طريق التبليغ والنشر والتوجيه والاتصال وتشكيل الأسر . . إلخ -التعريف- والتكوين وتهيئة الكوادر والدعاة وعناصر الاختصاص في كل حقول المعرفة، وما يتطلبه بناء الدولة الحديثة والمجتمع من قيادات فنية وتنفيذية، كما جرأت السلطة على الإسراف في القتل والاغتيال وسفك الدماء. أما الجانب الإيجابي، فهو فضح السياسة الطائفية

لحكم الأقلية، إذ كشفت حادثة المدفعية النظام وعرته من آخر ورقة توت كان يحاول أن يستر بها سياسته الطائفية في داخل سورية، وفي المحيط الدولي، فقد ذكر ميشيل سيرو كما نقل عنه المؤلف فان دام، وتقرير الشرق الأوسط أن ٢٨٢ طالباً عسكرياً من بين ٣٠٠ طالب كانوا من العلويين، فانقض عليهم بعض رفاقهم من البعثيين -المقصود إبراهيم اليوسف- الذين لم يتحملوا هذا التعصب الطائفي، وأوقعوا مقتلة كبيرة، وأثبتت أيضاً أن هذا الاغتيال لم يكن ذا علاقة بالإسلاميين(١)، وذهب ديفيد هيرست إلى حد القول: إنه ليس البعثيون هم الذين يحكمون البلاد بأي معنى من المعاني، بل هم العلويون الذين يحكمون البلاد من خلال الحزب، وعملياً من خلال تضامنهم الخفي، داخل الحزب والمؤسسات الهامة الأخرى، وخلف الواجهة، فإن أفضل مؤهل للسلطة بمقياس حكم الأقلية هو الصلة من خلال العائلة أو العشيرة أو الطائفة أو أبناء المنطقة من العلويين، وصلتهم بالعلوي الأول في البلاد الرئيس حافظ أسد(٢).

سابعاً: مجزرة التعليم

استمرت السلطة الحاكمة، أو بتعبير أدق العصابة الحاكمة في هدم كيانات المجتمع، وتحطيم مؤسساته المدنية التي يقوم بناؤه عليها،

---

(١) تقرير منظمة رقيب الشرق الأوسط عن انتهاكات حقوق الإنسان في سورية لعام ١٩٩٠ في هامش صفحة ٢٥ .

(٢) فان دام: الصراع على السلطة في سورية، نقلاً عن الغارديان البريطانية في ٢٦-٦-١٩٧٩ .

فالتفتت إلى المؤسسة التعليمية التي ترعى وتوجه وتربي الأجيال الصاعدة من كل الأعمار، بدءاً من المراحل الأولى الابتدائية وحتى التعليم الجامعي، التفت النظام المفسد إلى هذه المؤسسة العتيدة بعد فراغه من هدم المؤسسات العسكرية والأمنية والقضائية والاقتصادية، فأعمل فيها معاول الهدم، ليحرمها من كل المعلمين والأساتذة ذوي الخبرة العالية، والأخلاق السامية، والتجارب الناجحة في حقل التعليم، لتسريحهم أو نقلهم إلى مجالات لا صلة لهم بها من حيث العمل والاختصاص، مثل دوائر البلديات والأشغال العامة والتموين والمواصلات. .إلخ وتبقى المدارس والناشئة وقفاً على مدرسين ومعلمين فاسدين أدباً وخلقاً، ليزرعوا بذور الفساد في الأجيال الصاعدة، لتنشأ مجردة من القيم الرفيعة والأعراف العريقة والمثل العليا، وقد بلغوا في هذه السياسة المدمرة شأواً بعيداً وا أسفاه، فالذين يزورون دمشق من العراق والأردن وغيرهما يتحدثون عن موجة من الفساد لم نسمع بمثلها، لا في البلاد العربية ولا الأجنبية، فالأكثرية من سائقي التكسي ومن مؤجري الشقق يواجهون الزوار والسائحين بعروض تقشعر منها النفوس الأبية، فيعودون إلى بلادهم وبيوتهم، وهم يتحدثون عن مشاهد ومظاهر وظواهر تشمئز من سماعها ورؤيتها جلود الذين يحملون في ضمائرهم غيرة على عروبتهم وإسلامهم وتقاليدهم التي حملتها أمتنا مئات السنين، وحافظت عليها، وحُفظت بها. وهذه إحدى نتائج مجزرة التعليم التي أقصت بها السلطة الباغية المربين الفضلاء والموجهين العقلاء عن

التعليم، لتترك أبناء الأمة ومصيرهم إلى السفلة والمفسدين.

١ - تتالت مراسيم المجزرة زهاء خمس سنين، بدءاً من التوقف عن تعيين أي مدرس ذي ميول إسلامية في المدارس الإعدادية والثانوية، وفي الجامعات، ثم جاءت الضربة القاتلة في القرار الرسمي الذي أصدرته وزارة التربية عام ١٩٧٦ بتحويل ٦٠٠ مدرس من سلك التعليم إلى وظائف غير تربوية مثل وزارة التموين وغيرها من الوزارات الأخرى التي لا تمت أعمالها إلى التعليم بصلة[١].

ثم جاءت الضربة الموجعة التي لم يحتملها السوريون، ولاسيما ذوو الاتجاه الإسلامي، ألا وهي الاستمرار في مذبحة التعليم، وتسريح المئات من مدارسهم ووظائفهم، فكانت هذه الإجراءات الظالمة من جملة الأسباب التي زادت في الاحتقان، وفجرت الصراع بين السلطة الباغية، وبين أبناء الحركات الإسلامية على اختلاف توجهاتهم، فكتبت مجلة النذير التي صدرت في ١٣-١٢-١٩٧٩ في افتتاحيتها[٢]: بعد أن امتدت يد الهدم في صراع التعليم من المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية إلى التعليم الجامعي: في العام الماضي أصدر ما يسمى المؤتمر القطري لحزب السلطة الحاكم عدداً من القرارات السرية والعلنية، نصت على تبعيث التعليم، وبمعنى آخر، على سلخ الإسلام ورجاله من أجهزة التربية والتعليم في سورية المنكوبة مثل: تطبيق التعليم المختلط، والتضييق على المدارس

(١) منير الغضبان - سورية في قرن ج٢ ص٥٠٤ .

(٢) النذير العدد ٨ ص١ .

الشرعية، ووقف تعيين خريجي كلية الشريعة، وتعديل منهاج التربية الإسلامية، أو بالأصح تشويهه، وتسريح ما لا يقل عن ٥٠٠ إلى ٦٠٠ معلم ومدرس في محافظات القطر ممن عرفوا بالكفاءة والأخلاق الرفيعة، ثم اكتملت المأساة أخيراً بنقل المذبحة من التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي إلى التعليم الجامعي بين يدي انعقاد المؤتمر القطري السابع، فأفرغ الحاقدون في السلطة والحزب كل عدائهم للإسلام والمسلمين في ميدان التربية والتعليم أو في هذه المؤسسة التربوية العتيدة.

٢ - تابعت افتتاحية النذير في عددها الثامن قائلة: نحن نعلم أن إسرائيل اشترطت على أنور السادات في صلحها معه أن يعيد النظر في مناهج التعليم، وأن يحذف كل فقرة توحي بالعداء لليهود أو تنال منهم، في عملية غسل دماغ للأجيال الناشئة في مصر العزيزة، ومعلوم أن حافظ أسد يصف السادات بأنه طرف من أطراف كامب ديفيد، وينعته بنعوت قاسية في صلحه مع اليهود، فما بال الأسد نفسه؟ وما بال سورية في عهده؟ وما بال العلماء وما ينالهم من إيذاء وتنكيل على يديه؟ أينسف العلم، ويقصي العلماء ويشردهم، ويحظر عليهم حتى دخول الحرم الجامعي؟ ويمنعهم من الاقتراب من الجامعات التي بنوها، وخرجوا أجيالاً في كل الاختصاصات من قاعاتها ومختبراتها[1]، أليس في الجامعات السورية مدرسون إنكليز وفرنسيون تعاقدت معهم الجامعات بأجور باهظة لحاجتها الماسة إليهم؟ فلِم تطرد أبناء سورية وعلماءها أبناء الوطن الذين أفنوا شبابهم

وكهـولتهم في تـعليم أبنائـه وأجياله؟ ألـم تكفك أيهـا السفاح مـجزرة الاقتصاد الذي نهبته ودمرته؟ ألم تكفك مجزرة الجيش الذي حطمته، وفككت عراه، وأوهنت قواه، وحرمته من خيرة ضباطه وأبعدتهم عنه بالمئات والألوف، فتركته بدون هـيئة ضـباط حسب تعـبير صـديقك باتريـك سيل؟ لـن نقول لـك: اتق الله، وأنـت الزنديق الآبـق، الذي يحارب الله تعالى جهاراً ونـهاراً؟ ولن نقول لك: احرص على الوطن الذي هو كرسـي الرئاسة لديك، والذي بـعت جبهة الـجولان لأجله؟ ولن نقـول لك: احرص على ماء وجـهك، لأنك لو كان فـي وجهك قطرة ماء لما وقـفت ذات يوم تعلن في التلفزيون الـسوري وتقول: لو كان في سـورية واحد غـير راضٍ عن حكمك ومـوقعك في الـرئاسة، ويحك، لو قـالها تقـي لما قبـلها المـسلمون، فـمن أنت يا فاقـد ماء الوجه؟ ولن نـقول لك رفقاً بـطائفتك التي دفـعت بها إلى الصـدامات الدموية مع المواطنين على مذبح احتـفاظك بالسلطة الباغية، بل نقول لك ما جاء في كـتاب ربنا سبحانه: ﴿إن موعـدهم الصبح﴾[٢] وقوله جل ثناؤه: ﴿إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً﴾[٣].

هذه المقالة التي أوردتها مجلة الـنذير، إن هي إلا نفثة حرى تعبر عن شعـور كل مواطن سوري، أضحـى مسكوناً بالخـوف والذعر من

---

(١) كان هذا جزءاً من مرسوم تسريح الأساتذة الجامعيين.

(٢) سورة هود - الآية: ٨١ .

(٣) سورية المعارج - الآية: ٦ .

سلطة تهوى خطف المواطن وقتله، ونهب ثروته وما يملك، والعدوان على كرامته وجسده وحرمته، وكأن لديها من الحقد على أبناء سورية مخزوناً يكفي لتدمير الوطن والشعب، وتقول: هل من مزيد؟ بل كأن هذه السلطة الطائفية تثأر للصليبيين والمغول والتتار والحركات الباطنية، والاستعمار الفرنسي، وكل عدو ألحق بالعرب والمسلمين شراً في القديم والحديث.

٣ - يتتالى صدور ما يسمى بالمراسيم في إبعاد الأساتذة عن الجامعات السورية، بعد تصفية سلك التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي والتجاري والصناعي والشرعي من كل المعلمين والمدرسين ذوي النزعة الإيمانية كما رأينا، ليأتي دور كبار الأساتذة في سورية.

لقد صدر في دمشق مرسوم برقم ١٢٤٩ مؤرخ في ٢٠-٩-١٩٧٩ بتسريح الدكاترة: أحمد الحمصي، وفاروق العظمة، ومحمد هواري، وأحمد بلال، وفوزي فيض الله، ووحيد الدين سوار، ومحمد دلول، وفاروق جباوي، ومحمد دمشقي.

وفي جامعة اللاذقية صدر المرسوم ذو الرقم ١٢٥٠ المؤرخ في ٢٠-٩-١٩٧٩ بتوقيع القائد الثوري حافظ أسد -وكل المراسيم السابقة بتوقيعه- قضى بتسريح الدكاترة: محمد خير حلواني، ومحي الدين رمضان، وحسن هنداوي، وبلال حاج زين، وممدوح نيربية، وعبد الرحمن الصوفي، وخالد عبد الرحيم، وحسني ناعسة.

وفي جامعة حلب صدر المرسوم ١٢٥٦ المؤرخ في ٢٧-٩-١٩٧٩

بإبعاد الدكاترة: أدهم سفاف -تمت لاحقاً تصفيته جسدياً- ونزار حمضمض، ونذير زرنجي، وعبد الكريم حلبي، وعمر فاروق الأفندي وحسن محمد حسين -العالم النووي الذي تمت تصفيته في السجن فيما بعد- وبسام داخل، وعلي موسى، كما قضى مرسوم آخر بتسريح الدكاترة من جامعة دمشق وهم: فايز المط كبير مدرسي مادة التشريح، والتي بقي تدريسها معطلاً لعامين، وراتب كحالة، وأبو الخير الخطيب، وصادق فرعون، وهيثم خياط، ومحمود جزيري، وقد تضمنت مراسيم التسريح والنقل إبلاغ السادة وجوب تسليم ما بحوزتهم لبراءة ذمتهم وعدم دخول الحرم الجامعي(١).

٤ً - دخل عام ١٩٨٠ ومذبحة التعليم مستمرة دون أن يهدأ أو يسكت حقد ابن العلقمي الثاني، فأصدر المرسوم ٨٧٦ بتاريخ ٢١-٥-١٩٨٠ صرف بموجبه أكثر من ١٩٠ مدرساً يتبعه نقل عدد من أساتذة الرياضيات والفيزياء والكيمياء والتربية الإسلامية واللغات المختلفة إلى دوائر لا تمت إلى اختصاصهم بصلة مثل البلديات والمصارف ومكاتب دفن الموتى، كالذي فعله بمن سبقهم عام ١٩٧٩.

لقد نص المرسوم ٨٧٦ المنوه عنه على تسريح ٤٠ مدرساً ومدرسة في دمشق، و١٧ في حلب، واثنين من محافظة اللاذقية، وعشرة مدرسين ومدرسات من محافظة حماة، و١٤ من محافظة

---

(١) مجلة النذير، العدد٨، ص٥.

حمص، و٨٥ من محافظة إدلب، و٦ من محافظة حوران، و١١ من محافظة دير الزور، ولولا التطويل لذكرت أسماءهم، ومن رغب في معرفتهم، فليرجع إلى العدد العشرين من مجلة النذير الصادرة في شهر تموز ١٩٨٠ .

ثامناً: اتساع دائرة القتل

لم تكن السلطة بحاجة إلى مبرر في تنفيذ عمليات القتل والاغتيال وإعدام المئات، لأنها سلطة دموية كشفت عن سوءاتها منذ اليوم الأول الذي استولت فيه على السلطة عن طريق السلاح، غير أن حادثة المدفعية أعطتها مبرراً معلناً وجرأة وقحة في الإسراف في القتل، وإغراق المجتمع السوري كله بحمامات الدم والمجازر الجماعية، بحيث لم تنج محافظة واحدة من هذه المآسي المروعة في القتل والتعذيب الذي لا عهد لسورية به من قبل، ولم يسمع به إنسان قبل حدوثه في سورية مما سيأتي لاحقاً.

١ - سارعت السلطة الدموية إلى إجراء محاكمة صورية وسريعة لترفع على أعواد المشانق ثلة من أبناء الدعوة عرفهم إخوانهم وعرفناهم بأنهم أصفياء أتقياء كماء السماء بالطهر والنقاء وهم: عصام عقلة من مواليد ١٩٥٣ طالب جامعي، وعبد العزيز السيخ من مواليد ١٩٥٤ مهندس، ومحمد مجاهد دباح البقر وشقيقه محمد مروان دباح البقر، والدكتور حسين خلوف طبيب أسنان من مواليد ١٩٤٣، والدكتور مصطفى الأعوج من مواليد ١٩٤٤ طبيب أسنان، ومحمد سعيد الحمش مزارع من مواليد ١٩٤٨، وصفوان عدي تاجر أغنام

من مـواليـد ١٩٤٩، وعبـد القادر فـاعـور عامل مـن مواليـد ١٩٥٥، ومسعف الشيخ إبراهيم من مـواليد ١٩٥٣، ومهدي علواني طالب من مـواليد ١٩٥٦، وخـالد عـلواني طالـب جامـعي مـن مواليـد ١٩٥٧، وعمر علواني تـاجر من مواليد ١٩٤٩، وحسن سلامة عـسكري مجند من مواليد ١٩٥٩(١).

كان المـهندس رياض جـعمور عضـو المكتب التـنفيذي قـد حكم عليه بالمؤبد في نطاق محاكمة الـشهداء الخمسة عشر، إلا أن السلطة الباغية نفـذت فيه حكم الإعدام في وقت لاحق بدون محاكـمة معلنة، أو بمحاكمة صوريـة لم نسمع عنها شيئاً، وكان الشهيـد -كما عرفته- من الأتقياء الذين تلقوا من الشيخ محمد الحامد الأوراد والأذكار التي كان مـداوماً عليهـا وشديد الحـرص على أدائها، وقـد كان تنفـيذ هذه الأحكام الظالمة في ٢٨-٦-١٩٧٩ .

كانت هـذه الثلة من الشـهداء الأبرار هي البـداية لأعداد كبـيرة تم إعـدامهـم، وهم مـن خيـرة أبنـاء المـجتمـع السـوري خلـقاً وعـطاءً واستقـامة، وكـانوا يمـثلـون النخـبة الـعلمـية فـي الوطن، ومن بـين المـواطنين، وكان الـقاضي الذي يـصدر أحكام الإعـدام بالجمـلة هو السفاح فايـز النوري من مدينة دير الزور أحد الأدوات التي استـخدمها الطائفيون نظير مكاسب رخيصـة بالأسلوب الذي استخدموا فيه عدنان دباغ ومصطفى طلاس وأمثالهما من قبل ومن بعد.

---

(١) مجلة النذير العدد١ ص١٩ .

كان رد السلطة بعد حادثة المدفعية بحقد انتقامي كبير، إذ احتجزت قوات الأمن ٦٠٠٠ مواطن بريء كما قُدِّر ذلك في حينه، كما صرفت الحكومة الدموية ٤٠٠ ضابط آخرين من الخدمة في الجيش في الشهور الستة اللاحقة(١).

نقلت النذير في عددها الأول ص١٥ بعض من شملتهم الاعتقالات في المحافظات السورية، فأوردت كمثال على ذلك عشرة معتقلين من دمشق، وأحد عشر من حمص، وواحداً وأربعين من حماة، وسبعة وثلاثين من إدلب، وخمسة وتسعين من حلب، عدا عشرات الأخوات المسلمات، وثلاثة من دير الزور، والميادين، وأربعة من الرقة، وأربعة من اللاذقية، ثم اتسعت دائرة الاعتقالات حتى غصت بهم السجون والمعتقلات، وكل من يقرأ أسماء المعتقلين كما وردت في مجلة النذير في الصفحات من ١٥ حتى ١٨ يجد أنهم يمثلون الصفوة في المجتمع السوري من حيث الدرجات العلمية والشهادات الجامعية، والاختصاصات الفنية، كما تابع البغاة إعدام أعداد جديدة أو اغتيالهم في المحافظات السورية، كان منهم في حلب: المدرس وليد عطار، والطالب الجامعي عمر سالم، والمدرس محمود عزيز، والطلاب الجامعيون: عصام مواصلي، وأسامة إدلبي، وياسر خطيب، ورامز عيسى، وياسر غنام، وهمام الشامي، وزهير سرحيل، والشيخ عبد النور، والعسكري عبد الراشد الحسين أعدم في مدرسة المدفعية لتدينه. وكان منهم في حماة:

---

(١) التقرير ص٢٥ نقلاً عن سيرو في كتابه: الدولة والبريد ص٨٦ .

محمد دياب فاعور، والعارف بالله الشيخ محمود عبد الرحمن الشقفة -اغتيال- والمحسن الكبير الحاج علي خير الله، ومن حمص الشيخ فاضل زكريا، ومن دمشق مأمون إدلبي، و. . . طالب جامعي، وأبو ياسر هشام.

تابعت النذير نشر أسماء بعض المعتقلين، فسجلت من دمشق أسماء ١٤ معتقلاً ومن حماة ٦١ معتقلاً، ومن بانياس ٤ معتقلين، ومن حلب ثلاثة معتقلين[١]، ثم قامت السلطة باغتيال عدد من الملاحقين في أثناء المداهمات في الشوارع أمام أعين المواطنين، إمعاناً في إشاعة الرعب والذعر في البلاد ورصدت مكافآت مالية لمن يُقدم على اغتيالهم كما حدث للشيخ الصالح محمود الشقفة كما ذكرنا من قبل في مسجده طعناً بالسكين بتاريخ ٤-٨-١٩٧٩ بيد آثمة لأحد الأشقياء، واغتيال أحمد زلف وهو يطارد في أحد بساتين حماة.

٢ – استمر القتل في كل فئات الشعب، وكان نصيب المحامين من الشهداء كبيراً، جاءت النذير على ذكر عدد منهم مثل: طارق حيدري، وعادل كيالي، ومحمد أمين إدلبي، وبرهان الدين عطور، وخضر الشيشكلي، وفاتح أمين بركان، وأحمد الموسى، وأسعد علبي، وسعيد نينو، وفاروق الشيخ سعيد، عدا بضع عشرات من المعتقلين الذين مكثوا في المعتقلات مدداً متفاوتة، تجاوز بعضها عشر سنين.

أما الأطباء فكان عدد الشهداء منهم كبيراً كذلك، مثل: بدر الدين

(١) النذير: العدد الأول ص١٩ – ٢٠ .

الصفدي، وعبد الستار الزعيم، وعبد القادر قندقجي، وعمر الشيشكلي، وأحمد الزلف، وحسين خلوف، ومصطفى الأعوج، وطاهر حداد، وعمر موسى، ومالك عقيلي، ومصطفى عبود، ومحمد نساج، وعدنان عبود، وتوفيق فهيم، وعبد الله دادة، وعبد العزيز محمد، وعماد الدين حبيب، ورضوان قباني، ومحمد فتاحي، وعصام الشافعي، وأحمد قباني، وعبد الرحمن فرواتي، وزياد نحاس وغيرهم، رحمهم الله جميعاً، وأعلى مقامهم ودرجاتهم في جنات النعيم.

أما المعتقلون من الأطباء فقد أوردت النذير أسماء ٧٦ طبيباً استشهد بعضهم فيما بعد في سجن تدمر الصحراوي[١].

تبع عمليات القتل والاغتيال من كل فئات المواطنين انتهاج سياسة تهديم البيوت التي يأوي إليها الفارون والملاحقون، كالذي فعلوه في منازل آل عجعوج، وآل درويش، وآل مكية في مدينة حماة بتاريخ ١٥-١٠-١٩٧٩، كما عمدوا إلى مصادرة العقارات والمساكن والأملاك الخاصة بالمعتقلين والملاحقين، والتي بلغ عددها آلاف المنازل في كل أنحاء سورية ومدنها.

٣ - دفع البغاة إلى ما يسمى محكمة أمن الدولة العليا بـ ٢٧ أخاً لإجراء محاكمة شكلية أو صورية وسرية لهم، كما هو حالُ جميع المحاكمات التي سبقت، وأعدم من جرائها أعداد كبيرة من الصفوة

---

(١) مجلة النذير: العدد ٣٨ ص١٨ - ١٩ .

من أبناء الوطن.

بدأت المحكمة التي يرأسها السفاح فايز النوري يوم الثلاثاء في ١٧-٢-١٩٨٠ بمحاكمة الإخوة: المدرس عدنان شيخوني، والطالب محمد أمين الأصفر، والطالب عبد الغني السباهي، وفي يوم الأربعاء في ١٩-٢-١٩٨٠ كانت الجلسة للإخوة: هيثم ملا عثمان طالب الهندسة الميكانيك، وسليم زنجير الطالب في كلية الهندسة، والتاجر أحمد ماهر قولي، والطبيب مالك محمد العقيلي، والشقيقين هيثم عقيل وجمال عقيل الطالبين في كلية العلوم والهندسة، ومحمد صديق شعبان، والطالب الجامعي بشير خليلي.

وفي يوم الأحد ٢٤-٢-١٩٨٠ جرت محاكمة المدرس محمد عادل غنوم والمهندس محمد زهير الخطيب، والمهندس عبد الستار عبود، والطالب محمد أسعد بساطة، والموظفين محمد نبيل حاضري، ومحمد نديم لولو، والطالب الجامعي عبد الحكيم جلال، والشيخ الفاضل محمد خير زيتوني إمام وخطيب جامع بلال بحلب، وعبد السلام عبد السلام، ومحمد نذير البوشي، ومحمد نيال.

وفي يوم الأربعاء الموافق ٢٧-١٢-١٩٨٠ عقد السفاحون الجلسة الرابعة للإخوة: عبد الغني خراط، وبشار تاجا، وعبد القادر دلال، ومصطفى خرسا، وحسان سرميني.

جرت هذه المحاكمات بصورة سرية، وبشكل مسرحي، إذ لا يوجد فيها من صفات القضاء ومعاييره أي شي، فلم يحضر في

الجلسة الأولى أي محامٍ، وكان المتسلطون على هذه المحاكمات المهزلة عناصر من المخابرات بملابس مدنية، وقد رفض بعض الإخوة الإجابة عن أسئلة القضاة إلا إذا تمت بشكل علني، وقال بعضهم للسفاح رئيس المحكمة: إنني لم أفهم من هذه المحاكمة شيئاً، وعندما طلب محامٍ مقابلة بين اثنين من المتهمين قال النوري: ليس لدينا وقت، لأن أمامنا ٤٥ شخصاً مقدمين للمحاكمة.

فضح الإخوة ما عانوا من صنوف التعذيب الهمجي الذي تندى له الكرامة الإنسانية، فقال النوري: لولا التعذيب لما أخذنا منكم شيئاً، وفي إحدى الجلسات اعترف أخ بقتل اثنين ورسم مخططات العملية التي أمليت عليه، ثم تم كشف من قام بهاتين العمليتين، فاضطرت النيابة إلى شطب الاتهام.

أظهر شباب الدعوة أنهم رجال فحول أمام الطغاة في مناقشاتهم وأجوبتهم، والرد على اتهاماتهم الزائفة، ومع هذا نقل قسم منهم إلى سجن المخابرات العامة في كفرسوسة، تمهيداً لإعدامهم.

هذه نماذج من عمليات القتل وسفك الدم والمحاكمات التي تثير القرف والاشمئزاز، وليست سوى إحدى طرق وأشكال الظلم الذي تكرر عشرات ومئات المرات، ولكن الله المنتقم الجبار ليس بغافل عما يعمل الظالمون، ولكن يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، وصدق الله العظيم: ﴿إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم، ولا ليهديهم طريقاً، إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً، وكان ذلك على الله يسيرا﴾(١).

(١) سورة النساء - الآية: ١٦٩ .

تاسعاً: تعذيب تقشعر لهوله الأبدان

كانت السنوات الأخيرة من سبعينيات القرن الماضي، وحتى منتصف الثمانينيات من السنوات العجاف للسوريين بعامة، ولأبناء الدعوة الإسلامية على وجه الخصوص.

فقد أطلق السفاح ابن العلقمي العنان لمئات الألوف من أعضاء الأجهزة الأمنية، ليفعلوا بأي مواطن ما يشاؤون، بل كان يشجع على القتل ويحض عليه، فمارسوا ألواناً من التعذيب تقشعر الأبدان من هولها وحشية وعنفاً ووضاعة لكل من يقع في قبضة الأمنيين المتعطشين لدماء المواطنين، بغض النظر عن اتهامهم أو براءتهم، أو التهمة الموجهة إليهم، وقد شملت هذه الهجمة الهمجية المتهم أو قريبه أو أحد أفراد عائلته أو جاره الذي لم يخبر عنه، وقد أدى تسرب أخبار التعذيب في المعتقلات، وفي أقبية التقدميين إلى إشاعة أجواء من الرعب والخوف في أوساط المواطنين، الأمر الذي جعل الشاب الملاحق يفضل الموت، هرباً من الاعتقال وما ينتظره فيه على أيدي البغاة، لا سيما أن عدداً من المعتقلين استشهدوا تحت التعذيب مثل الشيخ فاضل زكريا في ٢٩-٧-١٩٧٩، والدكتور الجراح مصطفى عبود، والشيخ أحمد فيصل الشهابي.

١ - وجه سجناء الإخوان من داخل السجون والمعتقلات نداءً إلى علماء الأمة، تضمّن تذكيرهم بواجباتهم حيال دينهم وتجاه المواطنين، كما تضمن ذكر تفاصيل العذاب الذي يمارسه الظالمون ضد المعتقلين جاء فيه:

أ - هذا النداء نوجهه إليكم من وراء القضبان، ومن الزنزانات، ومن أقبية التعذيب، لتقفوا على الواقع الذي يعيشه أبناء أمتكم.

أيها السادة العلماء: نود أن نضعكم أمام مسؤوليتكم، ونود أن نذكركم بيوم الحساب، حين تُحاسَبون على ما انتدبكم الله له، من نشر دينه، والحفاظ على الدعاة إلى الله من أن تطالهم أيدي الطغاة الذين بغوا عليكم وعلينا، وعلى ديننا وقيمنا، ونالوا من أعراضنا ومقومات حياتنا.

أيها السادة العلماء: إن مسؤوليتكم عظيمة أمام الله والتاريخ في هذه الظروف العصيبة، حيث نزف الدم المسلم الذي يحكي قصة البغي والظلم والكفر والعدوان على جند الله الذين فروا إلى الله، ليرضى عنهم قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم. إنكم تستطيعون رفع أصواتكم محتجين على ما يجري، مطالبين بوقف أعمال القمع والعسف ونزف الدم، تستطيعون المطالبة بإطلاق سراح المعتقلين، وبإطلاق الحريات العامة للشعب، وحرية الصحافة، وألوان الحريات المعترف بها دولياً، والتي نص عليها الدستور الذي عطله المرتزقة والمنتفعون والعبيد، الذين هم أداة السلطة الظالمة وعصاها الغليظة، تستطيعون أن تطالبوا بوقف هذا التسلط الطائفي والحزبي، وأنتم تعرفون أن المسلم اليوم في سورية مواطن من الدرجة العاشرة، الأمر الذي أدى إلى دمار سورية التي كانت في طليعة البلاد العربية، تطلعاً إلى تحرير فلسطين، وكل جزء من الوطن العربي والعالم الإسلامي.

يا علماء الأمة: ماذا بقي لكم من دينكم في حياتكم العامة؟ أين

المعاهد الشرعية؟ أين المعلمون والمدرسون المسلمون؟ أين مادة التربية الإسلامية ومدرسوها؟ أين منظمات الطلائع والاتحادات النسائية من هذا الدين؟ أين المناهج الإسلامية والتعليم المختلط، والمعسكرات الطلابية المختلطة، واتحاد الشبيبة واتحاد الطلاب؟ أين صوت الإسلام في هذا الوطن الذي يمثل المسلمون أكثريته الساحقة؟

ب - يا سادتنا العلماء: إننا نلقى هنا من العذاب الجسدي والنفسي من هؤلاء الجلادين ما الله به عليم، الجلد على القدمين ظاهراً وباطناً، وعلى كل مكان من الجسد العاري تماماً كيوم الولادة، والوضع في الخازوق، واستعمال الصعق الكهربائي بدءاً من الأعضاء التناسلية التي يربطون بها السلك الكهربائي، وانتهاءً بالرأس والأصابع والأذنين والصدغين، والرفس واللكم على الوجه والبطن، وعلى كل مكان من الجسد العاري، والإحراق بالماء الشديد الحرارة حتى الغليان، والتعليق من القدمين والرأس إلى الأسفل، وتقييد القدمين معاً لعدة أيام في الزنزانة، ومنع المعتقل من النوم عدة أيام وهو واقف، والجلاد فوق رأسه يعلوه بسوطه لأدنى تململ أو استناد إلى جدار، وإلقاء الأخ المعتقل بالزنزانة بلا فراش أو غطاء، مع سيول الشتائم التي تخجل الساقطات من التلفظ بها، وشتم الرب العظيم على الدوام، وانتهاك حرمة السيدات وضربهن وتهديدهن بأعراضهن، وتهديد المعتقلين بنسائهم وأخواتهم وأمهاتهم، وضرب بعض الإخوة حتى الموت، كما حدث للدكتور مصطفى عبود، وأحمد فيصل، والشيخ فاضل زكريا، وقلع الأظافر، وإحراق اللحية والشارب،

وإحراق شعر العانة والصدر، وقضم اللحم بالكماشة، وإطفاء السجاير في المناطق الحساسة من الجسم، كالأعضاء التناسلية.

لسنا ندري ما إذا كنا بحاجة إلى الاستمرار في تعداد ألوان العذاب على أيدي الطغاة، فلقد منعوا عنا المصاحف، وحرمونا من الصلاة الجماعية.

يا علماء الأمة: ذنبنا أننا أنكرنا الفساد الداخلي الذي شمل كل قطاعات الحياة الاجتماعية والاقتصادية ودوائر الحكومة، كما أنكرنا الحرب الشعواء على الإسلام ودعاته، وطالبنا بالقضاء على التسلط الطائفي، ومصادرة الحريات، وتنشئة الأجيال بعيداً عن الإسلام وأحكامه، والدفاع عن القضية الفلسطينية التي يتآمر عليها حكام سورية والعديد من الحكام العرب.

يا علماء الأمة: هيا انهضوا بمسؤوليتكم في هذه اللحظات التاريخية، ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾[1].

هذه مقتطفات من نداء المعتقلين، وجهوها إلى العلماء في تشرين الثاني ١٩٧٩ كما نشرتها النذير، لمن أراد أن يقرأ هذه المناشدة لعلماء سورية الموقرين[2].

٢ - أوردت مجلات وصحف وكتب كثيرة ما يلاقيه المعتقلون

(١) سورة آل عمران الآية: ١٣٩ .

(٢) مجلة النذير العدد ٨: ٩-١٣ .

من صنوف التعذيب والهوان التي لم يسمع البشر بمثلها قبل تسلط هذه الفئة الحاقدة بالسلاح على مقاليد سورية ومقدراتها، بما في ذلك ما كتبه اليساريون والعلمانيون عن جرائم التعذيب الوحشي لمعتقلي الإخوان المسلمين، فقد جاء على سبيل المثال، لأن استقصاء ذلك يحتاج إلى مجلدات، في كتاب: حوار حول سورية لمؤلفه محمود صادق: يعذب الجلادون الضحية بجميع الوسائل المخصصة للتعذيب، ومنها الدولاب، والكهرباء، والمروحة، والكرسي الألماني، وبساط الريح، والفروج المشوي، والخشبة ذات المسامير التي يضغطون بها ركبتيه، وزجاجة الكولا التي يدخلونها في مؤخرته، والصاج المحمي الذي يضعونه فوق طباخ الكاز يجلسون عليه الضحية من المعتقلين، وهو عاري القفا، والمشنقة والعصا الخيزرانية ذات الرأس الحديدية المدببة التي يضربون بها الضحية ضربات متواترة على ظاهر قدميه، أو على مؤخرة عنقه، إلى أن ينفصل اللحم نتفاً صغيرة، وتظهر عظام قدمه أو مؤخرة عنقه، كما يطفئون السجاير المشتعلة على صدره، ويربطونه من خصيتيه إلى حبل رفيع يشدونه إلى بكرة مثبتة في السقف، فيعتصر الحبل الخصيتين عندما يتم لفه حول البكرة، أو يدخلون يده في آلة بكرة دوارة تلفها وتعتصرها كما تلف الغسالة الغسيل وتعتصره، إلى أن تنكسر عظامها قطعة بعد قطعة، وجزءاً بعد جزء، وأخيراً يمارسون العدوان الجنسي عليهم، أو على أحد أفراد عائلته، وخاصة النساء منهم[1].

---

(١) حوار حول سورية: ١٣٧ .

٣ - حدثت جرائم غير مسبوقة لدى البشرية قاطبة بحق المواطن السوري في ظل حكم الأقلية الطائفية، كان من الأمثلة الصارخة فيها: اعتقال أقارب المتهم والمطارد، وممارسة أساليب خسيسة تمس كرامته وإنسانيته، فإذا لم يكن للقريب علاقة حزبية أو بأي منظمة سياسية، فإن أحد فروع الأمن سيستدعيه ليطلب إليه في أجواء من الإهانات والسباب والضرب المبرح، وبعد سجنه في زنزانة مظلمة وقذرة، قد تمتد لأيام عديدة يُحرم خلالها من النوم والطعام، ويهدد بإحضار زوجته أو إحدى الإناث من أسرته -ابنته أو شقيقته أو والدته- واغتصابها أمامه، إن هو رفض توقيع تعهد يلزم نفسه فيه بمتابعة قريبه وإعلام الأمن عنه، أو يلتزم بالتعاون مع الأمن لاستدراج قريبه إلى منزله، وتسليمه لكمين ينصبه جهاز الأمن المكلف بملاحقته.

أ - لنفترض أن هذا المواطن بحاجة إلى قليل من النقود، وأنه أجّر غرفة يملكها لأحد الأشخاص، ثم اتضح أن هذا الشخص مطلوب للأمن، فإن عقوبة المواطن تكون الحبس خمسة أعوام، لأنه أجَّر أو باع بيتاً دون موافقة الأمن المسبقة، وعندما يعتقل أي مواطن لسبب من الأسباب، فإن أبناءه وبناته وزوجته وأباه وأمه وإخوته وأخواته يبدأون مسيرة عذاب لا تنتهي، إذ إن أول إجراء تتخذه السلطة الظالمة هو قطع راتب المعتقل أو الملاحق أو الذي تلاحقه دسيسة، إن كان موظفاً، ومصادرة بيته وماله في أغلب الأحيان، وتبدأ سلطات الأمن بمضايقة أسرته، وخاصة الإناث منها، فيتم على

سبيل المثال استدعاء زوجته أو إحدى بناته أو أخواته أو أمه إلى فرع الأمن حيث يطلبون إليها إقامة علاقات أمنية جنسية، وإلا لفقوا لها تهمة ما، ووضعوها في السجن، أو اعتدوا على أولادها وبناتها أمام عينيها، أو أخذوها رهينة، أو اغتصبوها أو أعدموا زوجها بحضورها. . . إلخ، هنالك مثل صارخ قام به العميد محمد مسعود رئيس فرع فلسطين الذي أمر باعتقال أحد العاملين في جهازه ليساومه على أخته التي رآها مرة، وأمر أخاها بإحضارها إليه كي يمارس الجنس معها، وبعد اعتقال الشاب أرسل مسعود دورية أحضرتها من بيتها إلى أحد البيوت السرية التابعة لفرعه في حي المزة، حيث قال لها بعد أن فكوا العصبة عن عينيها، وأدخلوها إلى البيت، وأنه أمر العناصر بإطلاق النار عليها إن خرجت بغير إذنه أو صحبته من المنزل، ثم أمرها بخلع ملابسها والاستلقاء على السرير لـ. . . فأخبرته أنها ما زالت عذراء، فأجابها أنه يعرف طريقة تمكنه من إدخال. . . دون أن يفقدها عذريتها، وبعد أشهر من العلاقة الحرام ذكرته الفتاة بوعده لها بإخلاء سبيل أخيها، فأجابها: أنه لن يخلي سبيله إلى أن يشبع منها، أو تجد له فتاة أجمل منها تنام معه!!

ب - في العادة تتعرض أسر المعتقلين لعمليات تعذيب نفسي، وإرهاب معنوي فظيع ومتصل، من ذلك إيقاظها بالليل أو عند الفجر، وتهديدها باختطاف أبنائها، أو أنهم قتلوا في المعتقل، وقطعوا عضوه التناسلي، ويقولون لزوجته إن كانت تريد بديلاً له لأحد رجال الأمن، أو يسمعونها كلمات سباب وتهديد بأفحش الأفعال الجنسية إن هي

خرجت من منزلها... إلخ. هذه الاعتداءات تستمر سنوات يحطمون خلالها الروح المعنوية لأسرة المعتقل التي تجهل عنه كل شيء، لأنهم يمنعونها من زيارته أو الاتصال به بأي شكل من الأشكال. في هذه الظروف الرهيبة يسمحون لأسرة المعتقل بزيارته لمرة أولى، لتجد أمامها ابناً أو أخاً أو زوجاً أو أباً حطمه التعذيب والإرهاب الجسدي والمعنوي، وأنهكه الجوع والإذلال، فترجوه القبول بتنفيذ ما يطلبونه منه، ويطلب بدوره منها العمل لإخراجه من السجن بأي ثمن، فيكون الانهيار والتحطيم نصيب الجانبين[1].

خلال اعتقال المواطن في بيته، يتم توجيه الألفاظ النابية إليه وإهانته أمام أسرته وأطفاله، ويأخذونه معهم بثياب النوم ويقيدون يديه وراء ظهره، ويربطون عصبة سوداء على عينيه. وعندما يبلغ المعتقل الفرع، وإنزال المواطن المعصوب العينين، المقيد اليدين من السيارة، تنضم عناصر من الفرع إلى الدورية التي قامت بالاعتقال، فيبدأون بدفع المعتقل وجره إلى داخل الفرع حيث يجردونه من ساعته وخواتمه ونظارته وحذائه ونقوده وهويته وربطة عنقه، ويدفعون به تحت ضرب السياط التي تنهال عليه إلى إحدى الزنزانات المظلمة، ترافقه التهديدات، وتملأ مسامعه أصوات وصيحات واستغاثات من يعذبون وصرخاتهم، فيخبره السجان أنه أصبح رقماً يسمونه به، وأنه سيعاقب إن هو استخدم اسمه أو نسي رقمه، في هذا الجو المشحون بالحيرة والخوف، يأتي سجان آخر، فيسأل عن اسم المواطن الذي

(١) حوار حول سورية: ١٣٢-١٣٤ .

يجيب عادة بذكر اسمه الحقيقي عندئذ تنهال عليه الضربات والإهانات، ويقال له: إنه غدا رقماً، وعليه أن ينسى اسمه ونفسه وعالمه القديم[١].

ج - أعطى الأسد ضباطاً برتبة رائد فما فوق حق تشكيل محكمة ميدانية عسكرية، وإصدار أحكام بإعدام من يرون أنه من أعداء النظام، فكانت نتيجة مرسوم جمهوري كهذا تشكيل فروع عسكرية للتعذيب في معظم وحدات الجيش، ونشر الإرهاب على كامل رقعة البلاد، أما المحاكم الفورية، فهي محاكم أمنية تتشكل في فروع الأمن من ضباطها، تحاكم المعتقلين بناء على اعترافاتهم المنتزعة منهم بالأساليب التي قرأناها في صفحات سابقة، وتعدمهم داخل الفرع نفسه، لأن أحكامها وأحكام المحاكم الميدانية غير قابلة للطعن، أو النقض، أو للاستئناف.

كان لدى السلطة الباغية قناعة أن الأحكام العرفية هي التي تمكن حكومة الأقلية من السيطرة على الأمور، وأنهم لا يستطيعون البقاء في الحكم بدونها، وهذا ما صرح به حافظ أسد في اجتماع للقيادة القطرية عام ١٩٨٠، حين نوقشت مسألة إلغاء الأحكام العرفية: إذا ألغينا الأحكام العرفية، اضطررنا لترك الحكم خلال أربع وعشرين ساعة[٢].

هـ - يتبين لنا بوضوح تام أن حافظ أسد هو الذي أمر بالقتل

(١) المرجع السابق: ٣٥ .

(٢) المرجع السابق: ١٤٤-١٤٥ .

العشوائي، وأعطى كل ضابط حق تشكيل المحكمة، وإصدار حكم الإعدام وتنفيذه دون أن يكون للضحية حق الاعتراض، وأنه هو الذي أصر على الحكم العرفي واستمراره، بل وهو الذي كان يأمر بالقتل المباشر بأيٍّ من المواطنين، فقد حدث أن الأسد كان يستقبل الوفود الطلابية والعمالية والشعبية بترتيب المخابرات ليعربوا عن تأييدهم له، وفي هذا السياق، وفي غمرة أحداث ١٩٧٩ لجأ حافظ أسد إلى عقد مؤتمرات دعا إليها معظم الاتحادات التي شكلها النظام مثل: اتحاد الفلاحين، واتحاد العمال، والاتحاد النسوي، واتحاد الطلبة، وكان يلقي في كل منها خطباً مضطربة يشدد فيها على أهمية دور هذه الاتحادات في حماية النظام، وكانت إذاعة دمشق تنقل هذه الخطب الثورية!!، وبعد هذه المؤتمرات كان يستقبل في القصر الجمهوري وفداً عن كل اتحاد للتحدث إليهم، وعندما جاء دور اتحاد الطلبة، الذي يرأس ويقود اتحاد الطلبة الجامعيين الذي يمثل كل جامعات القطر، ومن ضمنها وفد جامعة حلب.

لقد حدّث الدكتور أدهم سفاف رحمه الله وأعلى شأنه -الذي اختطفته مخابرات البغاة قبل فجر ١١-٦-١٩٨٠ وقامت بقتله بحوالي ثلاثين رصاصة في جسده، وألقت جثته قرب حاوية للقمامة مقابل بيته في ضاحية الروضة بمدينة حلب- على لسان أحد طلاب الاتحاد الذي حضر اللقاء مع الرئيس التقدمي، فقال الطالب - خ.ج بعد انتهاء الأسد من خطبة في ممثلي اتحاد الجامعات السورية: سيدي الرئيس: إن جامعات القطر لا تزال ملأى بالأساتذة الرجعيين -يقصد

الإسلاميين-، فرد عليه الرئيس على الفور قائلاً: ابني، هل قمتم بتصفية أيٍّ منهم وحاسبكم أحد؟ بتحريض واضح على قتل أساتذة الجامعات من قبل الطلاب، فذهل الطالب المتحدث (بالرغم من مداهنته للطاغية)، من جواب الرئيس، وأوشك أن يناقش ويستوضح حول جواب لم يكن ليتوقعه، فضغط عليه زميل له كان يجلس بجانبه، ونصحه بالصمت، خشية أن يكون حواره أو اعتراضه سبباً في تصفيته.

و - في هذه المرحلة البالغة السوء - من ١٩٧٩ إلى ١٩٨٢- لجأ جهاز القمع إلى أخذ رهائن، فامتلأت السجون بهؤلاء المعذبين، الذين كان غالبهم من الأطفال والنساء والشيوخ، يحتجزهم البغاة لسنوات قد تطول، لإجبار أحد أقاربهم الملاحقين على تسليم نفسه، أو العودة من الخارج، وهو ما يعني موته وتصفيته.

كان يوجد في قواويش السجون السورية (مهاجع) ومنها على سبيل المثال المهجعان ١١، و١٢ من فروع التحقيق العسكري بدمشق، عشرات الأطفال والنساء، وبعضهم ولدوا في السجن، لأن أمهاتهم كن حوامل عند اعتقالهن، أو لأنهن حملن من السجانين الذين يغتصبونهن كلما سنحت لهم الفرص، أو رغبوا في ذلك، وقد روى سجين عراقي أنه أفاق ذات يوم في قبو سجن الحلبوني بدمشق على صوت امرأة تتوسل إلى سجانها أن يدعها لأنها حامل على وشك الولادة، فسمع صوت السجان يقول لها: الحامل... لأنها تكون ضيقة، ثم سمع عذابات امرأة وهي تغتصب.

من البديهي أن الرهائن من الأطفال لا يعرفون القراءة والكتابة، ولا يعرفون أي شيء عن عالم الأطفال خارج السجن، إذ لم يسبق لهم أن خرجوا منه أو من زنزاناتهم، كما لا تعني كلمات الطيور والعصافير والأرانب والكرات والطائرات والسيارات والأنهار والبحار شيئاً بالنسبة لهم، فلم يسبق لهم أن رأوها، أو لعبوا بها(١).

لقد بلغ عدد الرهائن المئات بل الألوف بين عامي ١٩٧٩ و١٩٨٢ وهي الفترة الأسدية الأشد سوءاً، إذ إن كثيراً من الرهائن كانوا نسوة من عائلات الإخوان المسلمين ممن تهددهن المخابرات بالـ. . .، بل في بعض الأحيان يقترفون الجرائم التي تؤكد هذه العصابات أنها مجردة من الأديان والخلق والشرف والإنسانية بل وأحياناً الحيوانية، لعنهم الله وأصمَّهم وأعمى أبصارهم.

وعندما يستحوذ أفراد المخابرات على رهينة من النسوة، وعلى وجه الخصوص من الأخوات المسلمات، فإن التهديد الذي ستواجهه لديهم، يسلط ضغطاً رهيباً على العائلة، وعلى الهارب نفسه، خذ مثلاً الإخوة أسامة ونمير ومازن أولاد عمر العسكري الذين اعتقلتهم المخابرات عام ١٩٨٣ ضمن من اعتقلتهم من أفراد حزب العمل الشيوعي أثناء إضراب الطلبة في جامعة حلب، حيث اقتيدت شقيقتهم لينا رهينة بدلاً من شقيقتهم الأخرى ومقابلاً لها. فإذا لم يستسلم الهارب، ولم يتمكنوا من إلقاء القبض عليه، فقد يحتفظ جهاز الأمن بالرهائن سنين عديدة، كما حصل مع غرناطة ابنة خالد الجندي

(١) المرجع السابق: ١٥٠ .

الطالبة في كلية العلوم بجامعة حلب إذ بقيت رهينة ست سنوات مقابل والدها خالد الجندي، ومثلاً آخر أن الأمن اعتقل صفاء ربيع مقابل أخيها جمال المهندس، فاستمرت في المعتقل حتى اعتقال أخيها جمال، وحسب تقرير كتبه سجين سابق، وأكثر قال: حاولت صفاء الانتحار مرتين بسبب وحشية التعذيب الذي تعرضت له، وفي قضية موثقة اقتيد ما لا يقل عن سبعة أشخاص من أولاد حمود قباني -وزير بعثي سابق- استمر حجز ثلاثة منهم ست سنوات[1].

كتبت مُدَرِّسة عما حصل لها عندما اختفى زوجها على يد المخابرات فقالت: بعثت مديرة المدرسة في طلبي، مثلت أمامها، فأخبرتني أن ليس بمقدوري بعد الآن الاستمرار في العمل، وعندما سألتها عن السبب أجابت: بناء على أوامر من المخابرات، فذهبت إلى مسؤولة التربية، كانت تعرفني، وكنا زميلتين، فقالت لي: حتى لو وافق رئيس الوزراء ووزير التربية على إعادتي للوظيفة، فإن المخابرات ستلغيه تماماً، وعندما حاولت الحصول على وظيفة أخرى بعد ذلك، حصل الشيء نفسه معي، حتى صار وضعنا في العائلة صعباً جداً.

٥ً - في عدد من الحالات الموثقة جداً، مات عبد الرزاق أبا زيد عضو المكتب السياسي في الحزب الشيوعي في معتقله تحت وطأة التعذيب الوحشي في فرع المخابرات العسكرية في دمشق، ومات إحسان عزو في سجن صيدنايا بالسكتة القلبية إثر تعذيب قاسٍ، وقد

(١) التقرير: ١٢٠ . .

أجبرت المخابرات عائلته على دفنه في دمشق دون أخذه إلى قريته، ومات محمد السراج المدرس في اللاذقية، وكان عضواً في حزب العمل الشيوعي في فرع فلسطين بدمشق، ومات سليمان مصطفى عيبور من مدينة حماة في فرع المخابرات العسكرية، كما توفي الطالب الجامعي أمين نصور بعد اعتقال دام ثلاث سنوات، عندما رمى الحرس جثته من شباك الطابق الثالث، زاعمين أنه انتحر، وبعد أن استلمت عائلته جثته وجدت آثار التعذيب من حروق وصدمات كهربائية شديدة. كما توفي فلسطيني مجهول الهوية تحت التعذيب في فرع المخابرات العسكرية.

أ - انتشرت كذلك عملية الاختفاء من الوجود والحقيقة أن جميع السجناء السوريين يختفون من الوجود لأجل غير مسمى، فعندما يعتقل أحد أفراد العائلة، لا تعلم العائلة المعنية عنه شيئاً، ولا تحصل على أي معلومات عن السجن الذي يقبع فيه، ومثل هذا النوع من الاختفاء الطويل ما حدث ليوسف حمام الحلاق اللبناني الذي اختطف من بيروت سنة ١٩٧٠، لأنه شاهد حادث اغتيال في بيروت قامت بها قوة أمن سورية، وفي بعض الأحيان يعتقد ذوو العلاقة أن المختفي قد مات، ثم يكتشفون بعد مدة أنه ما زال حياً، كالذي حدث للطبيب توفيق دراق السباعي الذي اختفى في شهر مايس ١٩٨٠ واعتقد ذووه أنه قتل في مجزرة تدمر، ثم اكتشفوا بعد أربع سنوات أنه حي في سجن المزة.

ب - بدأ الإعدام الكيفي كممارسة بعثية في صيف العام ١٩٦٣

بعد أربعة أشهر من تسلم البعث للسلطة، فالناصريون من الضباط العسكريين الذين حاولوا الانقلاب على السلطة الجديدة، ثم استسلموا لها لم ينالوا العفو والرحمة، ولم يحصلوا على الإذن بالعيش في المنفى، كما وعدوهم قبل أن يستسلموا، بل إنهم اقتيدوا إلى محكمة صورية، ومن ثم أطلقوا عليهم النار فوراً، وفي كل محاولات الانقلاب اللاحقة لقي الانقلابيون المعاملة بالطريقة نفسها.

جربت الحكومة نوعاً جديداً من الإعدامات الصورية الكيفية في العام ١٩٧٩ رداً على حركة المعارضة ذات القواعد الجماهيرية، وانتقاماً من حملة الاغتيالات التي ناء تحت وطأتها رموز النظام على اختلافهم، إذ بدأت قوات الأمن في إعدام السجناء السياسيين من دون أدنى محاكمة ولو صورية، وكان ثمة قتل جماعي على هذه الطريقة أحياناً، إذ قتلت عناصر الجيش والمخابرات والميليشيات والكتائب المسلحة، خلال الفترة من ١٩٧٩ وحتى ١٩٨٢ عدة آلاف من المواطنين في حماة وحلب ومناطق أخرى، وإذا أضفنا عدد القتلى في جسر الشغور وسرمدا عام ١٩٨٠ وقتلى حماة في عام ١٩٨١، والقتلى في أماكن أخرى، فإن العدد الإجمالي يصبح أقرب إلى الألف وخمس مئة مواطن ممن أعدموا بأحكام صورية وكيفية خلال الفترة المذكورة خارج السجون.

ج - وفّر القانون الذي صدر في ٨-٧-١٩٨٠ ذو الرقم ٤٩ (والذي جعل من العضوية في جماعة الإخوان المسلمين جريمة عقوبتها الموت) غطاءً ومسوغاً لارتكاب أعمال القتل المذكورة، إذ

أطلق القانون الإعدام المباشر فـور الاعتقال، وقامت عناصر الأمن في بعض الأحـيان بقـتل المـشتبـه بهم في عـقر دارهم وشـققـهم، أو في الشوارع وعلى أرصفة الطريق.

في تلك الأثناء تولت قوات الأمن العسكري، حيث يحتجز الكثير من الإسلامـيين، قتـل أكثر من ألف سـجين في مـجزرة تدمر بـتاريخ ٢٧-٦-١٩٨٠، وخلال الفترة نـفسها، وكما عبر عن ذلـك الكثير من السجناء الـسابقين في إفاداتهم، أخـذت أعمال الشنق تجري تـباعاً في كل أسـبوع مـرتيـن أو ثلاث مرات فـي سجنـي تدمـر والمزة وبـعض الـسجون الأخرى لألـوف المعـتقلين، وقـد قدر مـصدر سوري مـمن أمضى فترة الاعتقال مـا بين ١٩٨١ وحتى ١٩٨٣ في سجن تدمر، أن الرقم يصل بالمعدومين على هذه الصيغة داخل السجن في تلك الفترة بما يزيد على ٦٠٠٠ عملية إعدام، وإذا جـمعنا القتلى خارج السجون إلى القتلى فـي داخلها، فإن الحاصل الكلـي يصل إلى ٥٠٠٠ شخص كرقم فـي حده الأدنى خلال أربـع سنوات، عدا عن الـذي حدث في تدمر، ومر ذكره قبل قليل.

أوردت المنظمة العربية لحقوق الإنسان تقارير عن قضايا وحالات تمثل الإعدامات الكيفية في سـجن تدمر، وفي سجن الشيخ حسن في شهـر حزيـران ١٩٨٥، كما أفـادت بعـثة الأمم الـمتحـدة عن حـقوق الإنسان عام ١٩٨٩ من أنهـا قامت بالتحري عن ٢٩ حالـة إعدام كيفي في سـجن تدمـر، استناداً إلى مـعلـومات تقـرير خـاص أعدتـه الأمم المتـحدة، قالت فيـه: إن السجناء الذين تم إعـدامهم فور محـاكمات

صورية سريعة، لم تمنح المتهمين حق الدفاع أو الاستئناف، وأن قوات الأمن قتلت في طرابلس وبيروت عشرات اللبنانيين، وأنها اصطادت لبنانيين في شققهم ومساكنهم، وقتلت المئات منهم، وغطت بجثثهم الشوارع كافة[1].

عاشراً: خطاب رفعت أسد في المؤتمر القطري

ترددت كثيراً في إيراد خطاب رفعت أسد في هذه الأوراق التي تتحدث عن فترة عصيبة في حياة المواطن السوري، وذلك لطوله الممل، وحثه على القتل الجماعي لأبناء سورية، بيد أنني عزمت على إيراده كاملاً، لأمرين خطيرين:

أولهما: ما يبشر به (رفعت) في هذه الأيام، في فضائيته من الدعوة إلى إنقاذ السوريين من حكم ابن أخيه بشار، والتأكيد على الحريات والديمقراطية والمساواة بين المواطنين، والحفاظ على حقوق الإنسان في سورية، وفي الوطن العربي، وعلى حرية الرأي والانفتاح السياسي، وما إلى ذلك من دعاوى كاذبة وملفقة ومتناقضة مع تصرفاتٍ إجرامية لا تعرف سورية لها مثيلاً في تاريخها القديم ولا في الحديث، لأكثر من عقدين من الزمن في الستينيات والسبعينيات وبعض الثمانينيات.

وثانيهما: ما تضمنه الخطاب الذي ألقاه في المؤتمر القطري السابع لحزب البعث الحاكم، من دعوة صريحة وصارخة لإبادة

(١) منظمة رقيب الشرق الأوسط: ١٢٤-١٣٠ . .

السوريين وقتلهم عبر تصفية النخب السورية من علماء وأدباء وفقهاء ودعاة، وأكاديميين ونقابيين وإعلاميين ومثقفين، وكل من يعارض النظام أو ينتقده أو لا يؤيد نظام الإبادة بيد أو على يد الأقلية الحاكمة بعد أن أمسكت بالسلاح الذي دفع المواطن السوري ثمنه للدفاع عن الوطن ومواجهة الصهاينة الغزاة، فإذا به يتحول على يد العصابة المارقة إلى صدور ورؤوس الأكثرية من السوريين.

حاولت اختصار الخطاب الطويل ففشلت، لأن كل عبارة في الخطاب تحض على القتل والإبادة والتصفية على الطريقة الستالينية حسب تعبير كبير السفاحين في سلطة الأقلية رفعت أسد، فعزمت على إيراد الخطاب كما هو، ولو كان في ذلك إثقال على القارئ إذا استطاع أن يقرأ أو يصغي إلى ما احتواه الخطاب مما يؤذي السمع وما تقشعر من فظاعته النفوس والأبدان.

١- ألقى رفعت خطابه في أعلى سلطة للحزب، دون أن ينكره أو ينكر عليه أي عضو في المؤتمر القطري السابع، بل حظي بموافقة الجميع والإعجاب به، والتصفيق لأفكاره المدمرة، وحضه على تصفية الخصوم.

قال رفعت: أيها الرفاق، يجيء مؤتمرنا السابع في ظروف إقليمية ودولية بالغة الدقة، مما يقضي بالضرورة أن تكون النظرة المتبصرة المحللة فيه على أعلى مستوى من الموضوعية والأمانة التاريخية لنا وللأجيال القادمة، بل للوجود العربي كله.

وإذا كنا، كما قال الأمين العام، أعلى سلطة سياسية وعقائدية في

هذا القطر، فإن حجم المسؤولية في هذا القطر، واتباع الموضوعية، وتحري الأمانة التاريخية، يزداد ثقلاً وارتفاعاً، فالرجل هو المسؤول من حيث يضع نفسه بالرأي والقرار والفعل.

إن مؤتمراً يمثل حزبنا كفاءة وتجربة وأصالة، مطالب بالنظرة المتفحصة بعيداً في أعماق التاريخ، وعالياً في آفاق المستقبل، لتأتي رؤيته وقراراته رفيعة في التزامها، واسعة في شمولها، صائبة في تشخيصها، بقدر ضخامة المشكلة والموضوع الذي نتصدى له، والذي تتعرض له أمتنا العربية جمعاء، وقطرنا الذي يقع من هذه الأمة موقع القلب والقائد والمحرك.

في التاريخ البشري حضارات كبيرة وعظيمة، علينا أن نلقي عليها النظرة المتأملة المستشفة لقيمها، ونعتبر بها، ونستفيد من أخطائها، حضارات كبيرة شاخت وانقرضت، فلم يكن لديها الطاقات الكامنة التي تدفع الحضارات باتجاه الأمام، لذلك بادت، منها الآشورية والسومرية والبابلية والغالية واللاتينية وغيرها.

بين أيدينا تجارب عن تاريخنا العربي، أولى بنا وأجدى أن نسترجعها بالذاكرة، وأن نقرأ فهرسها، لنجد فيها الكثير، ونجد أن علينا، قياساً على واقعنا العربي، أن نعمل فيها الكثير، فلا نزال رغم كل شيء في بداية الطريق.

أيها الرفاق: إني أحذركم من الخطر القادم سيلاً جارفاً، يتجاوز في تدميره الكثير من السدود الهرمة الموضوعة في أمتنا، وإني لأحذركم لتقديري أنكم موضع التحذير، وفي مكمن الحذر، فأنتم

الآن وأمتنا العربية معكم أمام حضارة متقدمة جداً، تدق أبوابكم الأولى، فيما أرى أنها تلغي حضارتكم العربية، وتمحو وجودكم الإنساني سلوكاً وثقافة وتراثاً وحضوراً عالمياً ومجتمعياً، فما أعددتم لكل ذلك؟

٢ - ستقولون جئنا من الجزيرة العربية قبائل، واجتمعنا بالعالم المحيط بنا، وسنعود الآن كما كنا سابقاً، نملأ الأرض حضارة وحضوراً إنسانياً وثقافياً. أقول: نعم، لقد جئتم من الجزيرة العربية، كنا نحمل الهمة العالية، والرأي السديد، والتصور الواعي، والقلب الشجاع، وكنا مع هذا وقبله ومعنا العصبية للعروبة، والحلم بالقومية، والدعوة للأصالة العربية (يبدو كان الفاتحون من حزب البعث التابع لرفعت وأمثاله)!!، وجئنا لنواجه إمبراطورية هرمة، تميل شمسها باتجاه الانحدار، وتميل روح الاندفاع في مجتمعها إلى سفح الشيخوخة والتهاوي، وكانت بالضرورة وبجدلية التاريخ تنتظر قدرها المحتوم على يدي أمة شابة برجالها وبروحها، حتى تقتحم عليها الأسوار، وتنهيها لتحل محلها، فقانون الحياة وجدلية التاريخ تقولان بغلبة روح الاندفاع الجسورة، وبانهيار الروح الشائخة اللامبالية، بربكم أيها الرفاق، ألسنا اليوم أشد هرماً من الإمبراطورية الرومانية؟ بربكم، أليست همة العدو وطاقته الكامنة أعلى وأكبر وأقوى من همتنا أيام انتصار حضارتنا، واندفاع موجاتنا؟ ألا تتصورون معي خطورة هذه الأمور مجتمعة؟ ألا تتصورون همّ الجيل القادم والحضارة المغلوبة الزائلة؟ نعم أنتم في مواجهة حضارة متقدمة معادية وقوية،

تدق أبوابكم لتزيلكم عن أماكنكم، ولتمحو آثاركم لتحل مكانكم، بل ولتجعل من أمتكم أقناناً ورقيقاً استهلاكياً لشعبها وحضارتها، فهل نبهت غافلاً بهذا القول؟ هل أسمعت بهذا التحذير؟

أيها الرفاق: القدس في جوهر الموقف ليست قضية أرض أو عاصمة دنسها العدو، القدس في جوهر الموقف هي هوية، هي رمز من الرموز المقدسة، الأرض العربية هويته، والوطن العربي بجغرافيته هوية، والتاريخ العربي هوية، والتراث العربي هوية، فأين نكون، وكيف نصير إذا أخذت منا الهوية؟ الخطر قادم على أمتنا يزحف ليغير الأسماء، ويغير الصفات، وكل ما يغتصبه العدو يتمثله بسرعة، ويغير معالمه بسرعة، وبكل شيء فيه، فالضفة الغربية لنهر الأردن اسمها اليوم يهودا والسامرة، وبئر السبع اسمها اليوم بئر شيفع، والقدس اسمها اليوم أورشليم، حتى البقرة الشامية المعروفة بعرقها الأصيل تقدم اليوم على أنها بقرة إسرائيلية، والفولكلور الفلسطيني العربي والآثار العربية في الأراضي المحتلة تجوب العالم اليوم على أنها فولكلور وآثار إسرائيلية، فهل دقت أسماعكم هذه التسميات؟ وهل أثارت شجونكم الأهداف البعيدة لذلك؟

الحرب الدائرة اليوم بيننا وبين عدونا هي حرب عسكرية واقتصادية وسياسية، لكنها قبل ذلك حرب حضارية، حرب وجود ثقافي وإنساني، فهل نكون نحن الأمة الشائخة؟ هل نكون الرقيق الاستهلاكي أمام حضارة الطغيان والسلب والنهب الاستعماري؟ فإذا كان الجواب نفياً، فماذا أعددتم للطارئ القادم؟ ماذا أعددتم لمملكة

يهودا الراكبة على ظهر الإمبريالية العالمية؟ ماذا أعددتم محلياً؟ ماذا أعددتم عربياً؟ ماذا أعددتم عالمياً؟ ستقولون فعلنا شيئاً كبيراً منذ الحركة التصحيحية، ورفعنا منجزات صناعية وعسكرية كبيرة، وما زلنا ننتظر الكثير، وستقولون وقعنا بأخطاء، وارتكبنا هفوات، سنسلط عليها الضوء، فلا نعود إليها أبداً، كل هذا صحيح، ولكنني أصدقكم القول فيما هو أصح وأدعى من كل ذلك، سأصدقكم القول، فالرائد لا يكذب أهله، إن كل الذي فعلنا هو دون المطلوب في مواجهة الحضارة المعادية، إن كل الذي أنجزناه لا يقف وحده قبالة الخطر القادم، لقد أنجزنا أقل من المطلوب للمجابهة، بخطأ أكثر من المتوقع في رحلة العمر، لكن سيهجس رأسك دوماً شجاعة الحقيقة، عصبية العروبة، فصديقك من صدقك لا من صدّقك، فكيف نتحاور بيننا تحاوراً مع الصداقة، بل الأخوة، فنحن اليوم رفاق عقيدة، ورفاق درب، ورفاق مصير ووجود، فينا دم العروبة، ونبضنا نبض البعث، مصيرنا أن تحيا بنا الثورة، أو أن نموت دونها.

٣ – أيها الرفاق، اليوم أكثر من أي وقت مضى، مطلوب أن نقف لنختار -نحن أعلى سلطة سياسية وعقائدية في هذا القطر- مطلوب أن نختار الخيار الأصعب، فالمسؤولية تكليف لا تشريف، فلنكن جديرين بحملها، لنكن خشبة النجاة وجيل الصعود، وعصمة الأمن، لنكن الرجال، فحضارة الأجداد ولغتها واسم العروبة يستحقون منا ذلك، إذا كنا نستحق حمل اسم أحفادهم.

في عمر الشعوب وقفات تأمُّلٍ لاتخاذ القرار، وأنتم اليوم كطليعة

شعب عربي تقفون واحدة من هذه الـوقفات؛ فإياكم والطريق السهل، حذار من الطريق المعبدة، فهي الطريـق المرسومة سلفاً، والبعث يأبى إلا أن يكون له طريقه الذي يختاره، ولو كـان صعباً، فهو القادر على سلوكه بهمة الرجال، وعصبية القوميين، وإصرار المؤمنين العقائديين.

ما من أمة عبرت الدنيا إلا وكان لها سماتها الخاصة بها، ونظريتها الملائـمة لوضعـها، ونحن لسـنا بدعاً من الأمـم، إن لنا نظريتـنا التي نتعـصب لها، ونـعتصم بهـا، وننتصـر لها، ليكـون الولاء أولاً وآخراً للحزب، للـقومية العربـية، ولتسقط وإلى الأبـد كل الولاءات الأخرى الهجينة والدخيلة والمتقوقعة.

لقد انتـصرت ألمانيا بتـعصبها للـعقل الألماني وللإنسـان الألماني والشعب الألماني، واليوم رغم الويـلات التي لاقاها الألمان، فهم من أعظم الشعوب الغربية تقنية وسلوكاً وحضارة.

أمريكا الشمالية تسبق بآلاف الأشواط أمريكا الجنوبية رغم كونهما من قارة واحدة، ورغم كون الأولـى قد شكلت مجتمعهـا بالهجرات، ومع ذلك تكاد أمـريكا تقود العـالم، وسر هذا كله بتعـصبها لإنسـانها ولنظريته..

ستـالين أيهـا الرفاق أنـهى عشـرة ملاييـن إنسان في سـبيل الـثورة الشيـوعية، واضعـاً في حسابـه أمراً واحداً فقـط هو التعصب لـلحزب ولنظريـة الحزب، ولو أن لينـين كان في مـوقع وظرف وزمان ستـالين لفعـل مثله، فالأمم الـتي تريد أن تعيـش أو أن تبقى تحتـاج إلى رجل

متعصب وإلى حزب ونظرية متعصبة.

ماوتسي تونغ قـاد أمة من ثمان مئة مليون نحـو الخلاص والخلود الإنساني، متمسكاً بشعار واحد ووحيـد هو التعصب لـلحزب، وفي التـاريخ القديـم والمعـاصر الكثير من الشـواهد والأمثلة، لا أريد أن أطيل عليكم، ويكفي أن أقول: نحـن النسغ الصافي فـي هذه الأمة، ونحن الـعقل الراجـح وأصحـاب النظرية الـصائبـة والأصيلـة، فلم لا يكـون تعصـبنـا للحـزب، ولنظـرية الحـزب وحده؟ لـلبـعث ولنظـرية البـعث، فـخلاص الوطـن، واستـمرار الأمـة بهذا الـتعـصب القـومي المـقـدس، به تـنتـصـر الأمـة، وتخـلد الشـعـوب، وتـكسب سـبـاق الحضارة، وجولات الرهان الإنساني.

٤- واليـوم، ونحن نـناقش الوضـع الداخلـي، وبالتـحديد ظـاهرة العنف المنظم الذي تقوده جماعة الإخوان المسلمين، يجدر بنا:

أولاً أن ندرس هذه الـظاهرة، وأن نضـعهـا في إطارهـا الجغـرافي المجتمـعي والاقتصادي والسياسي، لـتأتي معالجتهـا شاملة كل جذور المشـكلة، ومقتلـعة لهذه الجـذور من الأعماق، فـلا تعود تظهـر بعد ذلك أبداً، إننـا كحزب ثوري نرفـض أن تكون معالـجتنا إصلاحـية أو توفيقيـة، ونأبى أن تكون حلولنا وقتية أو ارتجـالية أو ردة فعل، إذ إنا لو فعلنا ذلك لأسـقطنا من حزبنا صفات في غايـة الأهمية والخطورة، ولجـعلنا حزبـنا حزباً تـقليدياً عـابراً في تاريـخ الأمة. وحزب البـعث العـربي الاشتـراكي حـزب ثوري يملك نـظرية علـميـة، يؤمن بالـعلم وبمنطق العلـم وبجدلية التاريخ، حزب أصـيل يحمل لنفسه مـسؤولية

خلاص الوطن والشعب، ويأخذ على عاتقه مستقبل الأجيال ووجودها الإنساني، ولا يمكن أن يكون حزباً تقليدياً إصلاحياً توفيقياً. لذلك، ولأن حزبنا هذه صفاته، ولأن الجريمة اتسعت، واستطالت، ولأن الأمانة مع التاريخ، والصدق في المعاملة، والارتفاع في المسؤولية هي جميعاً سمات المناضلين الذين نحن منهم وطليعتهم، لذلك سأستعرض معكم بإيجاز أطر الجريمة وأساليب قمعها واجتثاثها بشكل ثوري عملي أصيل.

في عام ١٩٧٠ وبعد الحركة التصحيحية عاشت الأمة العربية، وبفضل تحرك قطرنا لخطاب تضامن عربي قادها قطرنا باتجاه توظيف كل الطاقات المادية والمعنوية لأمتنا العربية نحو تحرير الأرض، وكانت حرب تشرين التي أرادها قطرنا وحزبنا حرب التحرير، بينما أرادها البعض الآخر، وهم كثير بكل أسف، حرب تحريك للواقع العربي، ودفعها من هذا المنطلق باتجاه التخلص دفعة واحدة من قضية مؤمنة، أما البعض الثالث فقد وجد فيها غطاءً سياسياً يضمن له وضعاً اقتصادياً ومالياً أفضل. إذن فسياسة الانفتاح والمرونة التي مارسها قطرنا لتوليد مناخ التضامن في سبيل النصر، إنما هي مرونة باتجاه التنازل، ومن ثم الركوع، وبدأ الخلاف في وجهات النظر من هذه النقطة بالذات، وكلما ازداد الآخرون تنازلاً واستسلاماً واستغلالاً، كلما كانت مواقف القطر تزداد صلابة وصموداً، وإذا كانت الظروف العربية والدولية لم تسمح بالصدام المباشر بين هذين الاتجاهين، فإن الطرف الآخر لم يتوقف لحظة واحدة عن الضغط

على قطرنا اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً وإعلامياً وتخريبياً داخلياً بغرض ثنيه عن موقفه أو تركيعه ليسير في ركاب الخطة الأمريكية الاستسلامية.

اتفاقية سيناء، والحرب الطائفية في لبنان، وزيارة الخيانة للقدس، والمحاصرة الاقتصادية... إلخ وآخرها تحريك يد القتلة من هراطقة الإخوان المسلمين، هذه بإيجاز شديد خريطة الوطن العربي سياسياً، وهذه هي الأسباب البعيدة لكل مظاهر القتل والفوضى داخلياً وعربياً.

أما عن قطرنا والشرائح الاجتماعية فيه، فهي كما أرى موزعة بين طبقة الفلاحين التي تشكل الغالبية من أبنائه، وهذا أمر طبيعي، باعتبار أن سورية مجتمع زراعي.

أ- لقد برز من بين الفلاحين المفتقرين أساساً لأبسط مقومات الحضارة، والذين عانوا على مدى الأجيال، بسبب تخلف الزراعة؛ بؤساً اجتماعياً واقتصادياً كاملاً، برز من بينهم وفي أوساطهم مجموعة من كبار المالكين الإقطاعيين، تحالفوا فيما بعد مع كبار الصناعيين، ومع الفئة الوسيطة بينهما -التجار- فكانت البورجوازية الكبيرة.

ب- بقيت الغالبية الساحقة من الفلاحين تعاني من تخلفها الزراعي، فوجدت في انتسابها للجيش بعد الاستقلال خلاصها، لأنه يؤمّن فكرة الانتصار للكرامة القومية. كما أفرزت هذه الغالبية أيضاً قسماً آخر مارس الصناعات الخفيفة، لا سيما في أرياف دمشق وحلب وحمص، وقد فضل الجميع انتقالهم هذا على واقعهم المر

سابقاً في القطاع الزراعي.

جـ- الطبقة الثانية المشكلة بعد الاستقلال هي الطبقة التي تحوي خليطاً عجيباً من الناس، ربما أفرزتهم الطبقة البورجوازية لإدارة مصالحها في الدولة، ولأن حياة الرفاه والهناء في الوظيفة، لا تقاس بقسوة الحياة في الجيش.

د- في الحقيقة لا يمكن تسمية البورجوازية الصغيرة من حرفيين وكسبة وتجار صغار بالطبقة المستغلة، فالأولى أن يصنفوا مع العمال والفلاحين، ضمن طبقة واحدة هي الطبقة الكادحة.

٥- هذه لمحة سريعة للتشكل الطبقي قبل الثورة، وقد كانت هذه البيئة مناخاً ملائماً لنمو الحزب، بهويته الوحدوية الاشتراكية المتحررة، كما كانت مناخاً ملائماً لانتشاره الواسع والسريع في صفوف الفلاحين والعمال والطلاب والعسكريين وأبنائهم، وبما أن منطق الالتزام السياسي كان وما يزال تابعاً للالتزام والمصلحة الاقتصادية، فإن تنامي حزب البعث العربي الاشتراكي، كان يستدعي قيام حركات سياسية تقاومه دفاعاً عن مصالحها الاقتصادية المهددة، فقامت عدة حركات وأحزاب، نتوقف اليوم عند واحد منها بالتحليل كشفاً لخطواته، واضعين في حسابنا رسم خطة محكمة لتخليص الأمة والشعب من شروره، هو حزب الإخوان المسلمين، وهو رديف وشقيق لحزب آخر من نوعيته أداءً وفكراً وسلوكاً هو حزب التحرير الإسلامي.

لقد ولد هذان الحزبان بمباركة استعمارية، ودعم الدول الرجعية، وعناصرها كما هو واضح، تستغل المشاعر الدينية لدى البسطاء، لتكون شعاراً وغطاءً لها في سلب هذه الطبقة الكادحة والبسيطة حقوقها، رافعة شعاراً ظاهره الحق وباطنه العذاب، قائلة: إن الرزق من عند الله، وإن الولاء الديني للشيخ أو من يمثله، يرافقه رزق على الأرض، ورحمة من السماء، ومن لم يكسب رضى الشيخ وثقته، فلا رزق له على الأرض، ولا رحمة الله له في السماء، ونتيجة البؤس والفقر والجهل فإن مثل هذه الشعوذة كانت تلاقي صداها بين صفوف البسطاء من الناس، وكان يتكاثر عدد المبشرين بها، والمستفيدين من الطبقة المسيطرة اقتصادياً، أعني البورجوازية الكبيرة، وبقايا الزعامات التقليدية، وهكذا كان الدين مسرحاً لأبشع أنواع الاستعباد الإنساني والسلب الاقتصادي، وكان لانتصار الحزب في إقامة ثورة آذار على أنقاض الانفصال الرجعي أن أدخل متغيرات على الواقع السياسي.

أ- انتساب واسع لحزب البعث العربي الاشتراكي من قبل أبناء الطبقة الكادحة عموماً عن إيمان وقناعة بأن الحزب يحمي مصالحهم، ويحقق صبوتهم القومية في الوحدة العربية، وحرية الإنسان، والاشتراكية في الجهد والدخل، مع التنويه بأنه اندس مع هؤلاء في صفوف الحزب، العديد من راكبي الموجة التقدمية والمستفيدين دوماً من الظروف المستجدة، ومثل هؤلاء موجود في كل بيئة ومجتمع، ويشكل ظاهرة مرضية في جميع الأحزاب العربية والعالمية.

ب- انشطارات حزبية لها طابع التمحور الشخصي أكثر من التميز

العقائدي، وجميع هذه التجمعات ترفع شعاراً تستقيه من مبادئ الحزب عرفت للتميز بسمات شخصية مثل: الحورانيون والناصريون والوحدويون والاشتراكيون.

جـ- انفراط في تنظيم الأحزاب التقليدية الرجعية مثل حزب الشعب والحزب الوطني والقوميين السوريين... إلخ لأن بنيتهم الاقتصادية قد تهدمت بفعل الثورة، فكان انفراط هذه الأحزاب واختفاؤها لصالح الحزب الحاقد الذي استمر يعمل في الخفاء، وهو حزب الإخوان المسلمين، إذن فالخريطة السياسية في قطرنا وفي هيكلها القديم تضم:

- الأحزاب والحركات الوطنية والتقدمية، مع تعدد الأسماء والصفات، وحرية العمل السياسي لهؤلاء جميعاً متاحة من خلال ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية، ومن خلال مبادئ حزب البعث العربي الاشتراكي.

- الإخوان المسلمون وبقايا الأحزاب الرجعية والشوفينية الحاقدة، وهم يمارسون نشاطاً سرياً محموماً منذ زمن غير قريب، يتجلى بنشاط واسع في بناء المساجد، واتخاذ هذه الأماكن ستاراً لمدارس دينية للفكر المتعصب، تحت سمع الدولة وبصرها، بحجة ممارسة الواجبات الدينية، كما تقيم الجماعة معسكرات يشرف عليها هراطقة الإخوان المسلمين، يمارسون على عقول الناشئة أوسع عملية تخريب حاقد في التاريخ ليقطعوهم كلياً عن الوطن والقومية والحب للحضارة والمجتمع، وتقوم في العديد من البيوت القديمة اجتماعات لها الطابع

الديني المتعصب، يلتقي فيها البسطاء والسذج من الناس، ويقوم بينهم واحد أو أكثر من رجال الدين ليملأهم بالاتكالية والتخاذل والبغضاء والحقد، وليصور لهم بشعوذة عجيبة تعود بتاريخها إلى القرون الوسطى المظلمة. فالعروبة والعمل والحب الوطني إنما هي جميعاً من عمل الشيطان، ومن المحزن حقاً أن هذه الاجتماعات البغيضة لم تعد محصورة بالمسنين المتخلفين، بل أخذت تتعداهم إلى اليافعين ذكوراً وإناثاً، مما ينذر بأشد الخطر على مستقبل الأمة والأجيال.

٦- إن اجتماعنا هذا في مؤتمرنا القطري السابع هو من أخطر اجتماعاتنا السياسية والعقائدية، ولأننا في مؤتمرنا هذا نمثل أكبر مسؤولية سياسية وعقائدية، فإنني أضع بين أيديكم الوقائع كما هي مهما كانت جارحة، ومهما كانت قاتمة.

أ- المواطن العادي أولاً: لم تتخذ السلطة حلاً رادعاً أمام التخريب القومي والوطني الذي يمارسه هؤلاء ليصبح المواطن العادي في حيرة من أمره، ويكاد يأكله اليأس، هل الرزق فعلاً من رضى الشيخ؟ هل الرحمة تأتي من تنفيذ أوامره؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك، فلماذا لم يأخذ الحزب مبادرته ضد هذه المظاهر الضالة والمضلة؟ لماذا لم يتحمل أحد مسؤوليته التنظيمية العقائدية في الحزب، ومسؤوليته الإجرائية التنفيذية لإنقاذ هيبة الدولة؟ لماذا لم تأخذ القيادة مسؤوليتها بحزم وقدسية دفاعاً عن القيم العقائدية؟ لماذا كانت المساومة البشعة والمرفوضة هي مبعث تحركاتهم تجاه هذه الحادثة أو

تلك، لماذا التنازل والرحمة لأعداء الشعب والأمة؟ لماذا نترك هذه الطائفة الباغية تتسع وتنتشر، وتحرق هيبة الأمن والدولة والقيادة، وتدوس كرامة الوطن، وتستنزف قدراته ومواقفه القومية؟ نعم أيها الرفاق، بسبب تخلي المناضلين من بعثيين ومنظمات وموظفين عن مسؤوليتهم الوطنية، وبسبب من تفشي الفساد بين المواطنين من ضعاف النفوس في الكوادر الإدارية، وبسبب العديد من الاختراقات العقائدية للحزب، وهيبة الحكم والأجهزة، فإن زمام الأمور يكاد يفلت من أيدي رجال الأمن والنظام، حتى أصبح الاغتيال يأخذ شكل الاقتحام والتحدي في وضح النهار، وفي أكثر الأماكن اكتظاظاً، وأصبح القطر كله أمام ظاهرة جرمية مرعبة.

ب- ضعفت ثقة الحزب بالحكم، وسقطت هيبة القيادة لديه، وأصبح قلقاً من الداخل، وفقد المواطن العادي الثقة بينه وبين النظام، فالأمن لديه مفقود، والتسيب واضح، حتى لقد أصبحت أجهزة الأمن مثالاً للتندر والسخرية بين المواطنين، فأي مواطن عادي يعلق بعد أي حادثة اغتيال قائلاً: ألقي القبض على القتيل وفر القاتل، وهذا الشعور المرير، ما كان ممكناً لولا أن المواطن العادي، وصل إلى قناعة لم يستطع بعدها أن يتصور كيف أن أجهزة الأمن على اختلاف جهاتها وتفرعاتها عاجزة عن إلقاء القبض على عصابة مجرمة رغم ما بين يديها من إمكانيات مادية ومعنوية وآلية، هذه التي تشكل أمام عينيه يومياً مظاهرة للاستعلاء في الشارع، وفي الطريق، وفي الباص، وفي السينما، وفي المكتب، وفي كل مكان.

لهذا أخذ المواطن يحس أنه غريب في وطنه، وأخذ تدريجياً يفقد شعوره بالمسؤولية المواطنية، ويتخلى شيئاً فشيئاً عن مشاركته الوطنية والقومية، أضف إلى ذلك كله ما يولده لدى المواطن منظر رجل الأمن المتفاخر والمتعالي من نفور وسخط داخليين.

جـ- أيها الرفاق: إلى متى يستمر هذا؟ وهل سنصدق المقولة التي يروج لها قطاع كبير من المواطنين، بأن المصير المجهول هو ما ينتظر كل مناضل شريف؟

أتساءل: هل يجوز أن نبقى مكتوفي الأيدي حيال هذا الوضع؟ وهل مصلحتنا كمناضلين أن نبقى متفرجين على تآكل الأمن والنظام من الداخل؟ وهل مقبول أن نسمح لشرذمة من الخارجين على القانون المارقين من الدين والمرتبطين بالأجنبي أن تعبث بنضالنا وهيبتنا وتاريخنا السياسي؟ ليس أمام هذا الواقع المتردي إلا واحد من الاختيارين التاليين:

إما أن نتخلى عن استراتيجيتنا السياسية، ومواقفنا القومية، ونظريتنا المستقبلية العقائدية للأمة العربية، وللمنطقة العربية لأن المؤامرة تستهدف قبل كل شيء تغيير استراتيجيتنا هذه، ليكون الانقضاض على الحكم والثورة هي الخطوة التالية المذكورة، وإما أن ننجح في التصدي لهذه المؤامرة في أن نغير الذهنية التي نعالج بها الأمور، ليكون الدواء منسجماً مع جنس الداء، ومن البديهي أننا جميعاً سنختار الحل الثاني، إذاً فما هي الخطوات اللازمة والواجبة التنفيذ، حتى نعيد هيبة الدولة والقيادة، ونجعل الأمن والنظام على

المستوى الداخلي؟

هـ- أيها الرفاق: إن الإجرام المنظم الذي يطرح نفسه على بساط البحث، قد استفحل بين ظهرانينا، وتجاوز في خطورته حد التحدي للأمن ولجهازه، وأصبح لزاماً علينا، ونحن هنا الآن لنعلن مسؤوليتنا الجماعية في التصدي له، وأن نتفق الآن، وفي هذه اللحظة على خطة المواجهة، وطريق المواجهة.

إن حركة الإخوان المسلمين منذ بداية تاريخها ١٩٢٩ في الإسماعيلية على يد حسن البنا، وبإشارة من بعض المستشرقين البريطانيين ارتبطت سلوكاً وتخطيطاً وأغراضاً بالدوائر الاستعمارية، وكانت على وتيرة واحدة ضد مصالح الشعوب، وضد إرادة الحرية، وضد الاستقلال والتقدم، وما يكشف في مصر إلى جانب ما تملكه الثورة في قطرنا من وثائق، تدمغ ارتباطها بجهاز المخابرات الإسرائيلي ويجعل واجباً علينا تقييمها، ليس فقط، كحركة دينية رجعية، وإنما كحلقة خبيثة في مخطط المجابهة الحضارية وأهدافها.

إن الإخوان المسلمين لا يملكون لا من الفكر النظري، ولا من السلوك المجتمعي، ولا من الأدوات، ما يجعلهم قادرين على الوقوف بأنفسهم، فهم يعملون كما كانوا دائماً لمصلحة جهة ثالثة تزودهم بالمال وبالإرادة والخطة، وساحة التحرك، ومن ثم، بعد أن يقوموا بدورهم، وينكشف هذا الدور، يتم الاستغناء عن خدماتهم، كما تم في مصر عندما واجههم جمال عبد الناصر، وصفّى وجودهم حتى الجذور، لكن حجم دورهم اليوم يتجاوز قطراً واحداً في

سورية، ويمتد ليشمل المنطقة العربية التي يراد لها أن تكون التابع الأمين للسياسة الأمريكية، والصهيونية، والحسابات التي تجريها الدوائر الأمريكية باتجاه تركيع سورية مفتاح ركوع المنطقة العربية كاملة:

٧- ولذا أقترح ما يلي: أن يصدر قانون من السلطة يدعى قانون التطهير الوطني يطال كل منحرف عن المسار الوطني، ممن يعتنق أي مبادئ هدامة، تمس الفكر القومي أو السلامة الوطنية

أ- أن يصدر تشريع من السلطة ينص على إنشاء معسكرات تدريبية بغرض تخضير الصحراء، وتصحيح المسار الوطني للخاطئين وطنياً، ويدعى إلى هذه المعسكرات كل من تحكم عليه المحاكم الشعبية التي تملك سلطة قانون التطهير الوطني المذكور، وأن توضع برامج ثقافية، قومية اشتراكية، والتزام وطني، تقسم على درجات منهجية مدرسية بحسب المدارس التعليمية التربوية، وتدرس هذه المناهج في صفوف التدرج المذكورة للوافدين إلى معسكرات تخضير الصحراء، وتصحيح المسار الوطني بحيث تكون الغاية منها، إدخال الفكر القومي والحس الوطني إلى أذهان هؤلاء الوافدين، وانتزاع الموروثات المريضة، والأفكار الخاطئة أسرياً ومجتمعياً.

توضع برامج زراعية ومناخية في المكتبة الزراعية ليقوم المدرسون المختصون بتدريسها لوافدي المعسكرات دروساً نظرية وتطبيقية بحيث تخدم في وقف التصحر، وفي تخضير الصحراء، وفي تعديل مناخ القطر السوري مستقبلاً، كما توضع برامج لإحياء الصناعات التقليدية

المهددة بالانقراض حالياً، إلى جانب صناعات يدوية أخرى اشتهر بها العرب سابقاً والسوريون.

يتقدم الوافد لمعسكرات التدريب إلى امتحانات سنوية حتى ينهي الفترة المحكوم بها، ويعطى وثيقة تنص على تطهيره وطنياً، وعلى اكتسابه خبرات زراعية وصناعية، ويعود بعدها إلى الحياة العامة إنساناً سوياً، معافى من أمراضه السابقة، محصناً بشهادة التطهير الوطني، ومكتسباً لخبرات تؤهله للعمل والرفد الحضاري والعطاء الوطني، وصالحاً متعصباً وطنياً وقومياً.

ب- يرصد المال الكافي بحسب خطة مبرمجة لتغطية معسكرات تخضير الصحراء، وتصحيح المسار الوطني، إن هذا الاقتراح يرمي إلى:

- عزل المرضى قومياً ووطنياً بأمراض شتى، مثل الانتماء إلى الهرطقة الدينية، والتشبث بأفكار مشبوهة، مثل التعصب القبلي أو العائلي، أو إلى الهرطقة الدينية، وتخليص المجتمع من أوبئتهم وأمراضهم.

- تهيئة المناخ النظيف وطنياً لنشاط الحزب والثورة، ولإبداع الأصحاء الذين يتخطون مراحل السبق الحضاري، ويقودون الأمة باتجاه الريادة والسيادة والتفوق.

- الإفادة من هؤلاء الخاطئين قومياً ووطنياً بالجهد العضلي على الأقل، ومن ثم إعادتهم إلى الوطن، مواطنين متطهرين أصحاء، يشاركون في مسيرة العمل والبناء، ونكون بذلك قد قللنا حتى الحدود

الدنيا خسارة الوطن مادياً وجسدياً.

- تطويق سورية بحزام أخضر، يعدل مناخها من جهة، ويوقف التصحر الزاحف إليها من جهة ثانية، ويعيد إليها سمعتها الزراعية، وطاقاتها المائية، بتعديل المناخ من جهة ثالثة.

- إحياء صناعات وطنية يدوية تقليدية هي من الرموز الحضارية، تدل على فن وذوق ومهارة وإبداع الإنسان العربي، فضلاً عما تدره اليوم هذه الصناعات من دخل لأصحابها، ومن مردود وطني.

٨ً- يوصي المؤتمر القيادة العامة بتكليف الرفيق وزير الدفاع بإغلاق الجوامع التي تستخدم مدارس لتخريج الفكر الطائفي الهرطقي، وبأن يضرب بيد من حديد كل الذين يسلكون هذا الاتجاه المقنع سواء في التدريس الحاقد، أو في تخريب ولاء المواطنين البسطاء، وأن يترافق هذا الإجراء مع المبررات المقنعة له والكافية والمشروعة.

أ- يوصي المؤتمر القيادة العامة بأن تكلف المختصين في حقول الإعلام والثقافة، بأن تقدم للمواطنين الحجج والمبررات والوثائق والكشوف التي تدين المتاجرين بالدين والمخربين والهراطقة الذين يفسدون على بسطاء الشعب سلامة طويتهم، ونظافة إيمانهم، بأن يدخلوا بدعاً وتزويراً لا علاقة لهما بالدين ولا بالإيمان.

ب- يوصي المؤتمر القيادة العامة بأن تكلف الرفيق وزير التربية، وهو المشرف على القطاع التربوي بإنهاء الفكر المعادي في جهازه،

وبتعديل المناهج التربوية لديه، بما يلائم ويتوافق مع الحزب والثورة، وبالاستغناء عن حملة الفكر المعادي، وبالأخص الإخوان المسلمون أو المتعاطفون معهم في هذا القطاع. كما يوصي القيادة المقبلة بأن تكلف وزير التربية بأن يستفيد في مناهجه الدينية والقومية بالنصوص القرآنية والأحاديث الشريفة، والمأثورات عن الصحابة بما فيه إحياء التراث العربي والأخلاقي والقومي، وبما فيه من تركيز على البطولة والإخاء والتضحية والوفاء بما يخص العمل والإنتاج، وعلى العروبة والمحبة والوطنية والإقدام والتآخي والكرامة والوحدة والحرية والاشتراكية، كما تستخلص النصوص التي تنفر من الجريمة والغدر والتآمر والاتصال بالعدو، والعمل بما فيه خدمته، وأن يستفاد ويرافق هذا المنهج النبيل بحملة تسحق المتشنجين ضده والمعارضين لأغراضه التربوية.

جـ- يوصي المؤتمر القيادة القادمة بأن تبتعد عن أي مساومة فكرية مهما كان نوعها، تظهرها بمظهر الضعف، وتفقدها هيبتها كقيادة سياسية تحكم وتقود، وأن تعتمد القيادة على رفاق متميزين بمواصفات قيادية، وخبرة عالية في قيادة القطاعات التي لا يسيطر عليها الحزب مثل كلية الشريعة، فنتخذ من رفاقنا خريجي كلية الآداب كوادر للعمل التدريبي، ولتقديم مادة الثقافة القومية والاشتراكية مع مجلس كلية الشريعة من خيرة الرفاق البعثيين لقيادتها، وأن تهيئ القيادة للقياديين مناطق سكنية خاصة بهم، لأن الاختلاط يعرضهم لانزلاقات يديرها المتسللون والمفسدون والمخربون، وأن

تبتعد القيادة في قراراتها عن إقامة التوازنات الطائفية وغيرها، وأن تأخذ القيادة على نفسها مبدأ الحزم والدقة والقدسية العقائدية في جميع الأمور التي يمكن أن تشكل مساساً بمبادئ الحزب وقيمه وسلوكياته، وأن يعمل كل رفيق في قطاع عمله على تصفية البؤر المخربة والمتذرعة في سلوكها بذرائع إيمانية ودينية!!!

هـ- يوصي المؤتمر القيادة القادمة بأن تجعل من الجهاز الرئيسي درعاً مسلحاً في وجه كل الحركات أو العناصر المشبوهة فكرياً وقومياً ووطنياً، وأن تهيئ الرفاق ليكونوا خَفَرَ الحزب وعينه الساهرة، وقوته الصدامية الشارعية، تضرب وتتعقب المخربين والمجرمين، وأن تحاسب بكل الشدة كل مقصر في هذا المجال، فالانتساب للحزب مهمة نضالية، قبل أن يكون مزية أو منفعة مادية أو معنوية.

لذلك وحتى تعطى للقيادة دورها الكامل، فلا بد أن تكون الأجهزة كلها تحت إشراف القيادة ممثلة بعضو من أعضائها، يتولى تشكيل مكتب مركزي، نقترح أن تتجمع فيه كافة الذاتيات العائدة لعناصره من ضباط وأفراد وغيرهم، وأن تتم من خلاله كافة التعيينات والتنقلات، وأن تقر من قبله كافة عمليات التأهيل والتدريب داخلياً وخارجياً، وكل ما يستتبع ذلك، كما يتفرع عن هذا المكتب غرف تمثل كل واحدة منها جهازاً بكامله على النحو التالي: غرفة الأمن العسكري، وغرفة الشعبة السياسية، وغرفة أمن الدولة، وغرفة الأمن والداخلية، وغرفة الأمن الحزبي، وغرفة الإدارة السياسية... إلخ ويتم تعيين رؤساء الغرف من قبل رئيس المكتب المركزي عضو

القيادة، وينشأ في المحافظات مكتب مصغر عن المكتب المركزي، يتولى قيادة العمليات الأمنية، ويرتبط مباشرة بالمكتب المركزي.

و- يتولى المكتب المركزي إلى جانب مهماته في التعيين والتدريب إصدار الخطط الأمنية بكل أقسامها ومراقبة تنفيذها، والدأب على تطويرها باستمرار ضماناً لتثبيت الأمن والنظام، كما يتولى مسؤولية التغيير الجذري في الجهاز الأمني المالي، وتصفية شكله الحالي، وبنائه من جديد، ويحشد له المؤهلات وأصحاب الكفاءات والعناصر الجديدة، وأن يجعل هذه المهمة من أخطر وأسرع مهماته، وكيلا يكون هذا المكتب خاضعاً لأي شكل من أشكال الضغط أو التعويق، فإنني أقترح أن يكون مرتبطاً بالرفيق رئيس الجمهورية، وعلى هذا ينبغي أن يمتلك المكتب القدرة على سرعة الحركة، وعلى الجاهزية المالية، كي يستمر في ملاحقة الاتجاهات المعادية، فيتمكن من حبس أنفاسهم، وشل حركتهم، وتقليص نفوذهم، وضربهم أينما كانوا حتى آخر موقع لهم، فيكون قادراً على إلقاء القبض على أي مجرم أو شبكة أو عصابة، في اللحظات الأولى لوقوع الجريمة، بل وعلى اكتشافها قبل وقوعها، فالعمل الأمني فن مقدس لعقل مستنير.

وأخيراً، يوصي المؤتمر بتكليف الرفيق مسؤول الأمن باعتماد التحديث في أجهزته، كما يوصي بتكليف وزير التعليم العالي بفتح كلية الشريعة للرفاق الحزبيين، ممن يرشحهم الحزب لنيل شهادة الإجازة منها، وأن يضيق على أصحاب الفكر الديني المخرب، بحيث

تصبح هذه الكلية على مدى ست سنوات قادمة، تمتلك الغالبية من خريجيها من الرفاق المسلحين بالفكر القومي التقدمي، كما يوصي المؤتمر القيادة القادمة بأن تشدد من رقابتها، فلا تترك مجالاً للفكر الديني المتعصب أن يتسلل إلى صفوفها، وأن تشدد من رقابتها على القطاع الاقتصادي الملتصق بالشعب، لأن هذه الظاهرة المؤثرة على الجماهير تسهل سقوطهم في براثن هراطقة الإخوان المسلمين.

في ٦-١-١٩٨٠

حادي عشر: دلالات الخطاب الدموية

بالرغم مما يسببه الخطاب الذي ألقاه رفعت أسد في المؤتمر القطري السابع في مطلع ١٩٨٠ من ملل، وما يحدث في نفوس قارئيه من اشمئزاز وغثيان، فإنني رأيت إيراده كاملاً، لاقتناعي عبر مطالعاتي واطلاعي ومعاصرتي للأحداث التي شهدها السوريون في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينات، من القرن الماضي، أنه أخطر وثيقة في العصر الحديث صدرت في ظل حكم الأقلية التي تسترت بحزب البعث، بعد أن وضعت يدها على السلاح الذي دفع السوريون ثمنه لحماية الوطن من الزحف الصهيوني، لتوجهه إلى صدور المواطنين، وتقضي به أو تقتل به كل من يعارض أو يعترض أو ينتقد أو لا يؤيد الفئة الباغية في تسلطها على رقاب العباد الذين اعتبرتهم مواطنين من الدرجة الثانية حسب نصوص الدستور الذي وضعوه هم، أو وضعه لهم الدكتور محمد الفاضل عميد كلية الحقوق ثم رئيس الجامعة على مقاسهم وكما يحلو لهم أو يريدون.

أ- ينمّ هذا الخطاب الذي كتبه رفعت أو كتب له، عن ضحالة وسطحية، وجهل مطبق ليس فقط بحقائق الأشياء بل ببديهياتها، وأن التدليس ملموس في كل فقرة من فقراته، ناهيك عن الركاكة والأسلوب العقيم، وأن الجرأة فيه على التزييف والتدليس وطمس الحقائق بل ومسخها بلغت حد السفاهة والوقاحة، فالصحابة، رضي الله عنهم، الذين خرجوا من جزيرتهم لتبليغ رسالات الله إلى العالمين، هم، في نظر السفاح، حملة راية العروبة والقومية، ولم يبق عليه إلا أن يقول: إنهم ينتمون إلى حزب البعث -الطائفي-، والإخوان في رأيه يلتمسون الرزق من الشيوخ، وأنهم من العامة أو يخدعون العامة، وكل من يلم بأي معرفة عن المجتمع السوري في القرن العشرين، يعلم أن الإخوان هم من حملة راية التنوير والتحرير، وإنقاذ الجماهير من الخرافة والجهل والتخلف والشعوذة والدجل واستغلال الجماهير باسم بعض الطرق الدخيلة من شيوخ تعاون معهم رفعت مقابل منافع ومكاسب رخيصة، وأن ما يؤخذ على الإخوان المسلمين أنهم استقطبوا الفئات المثقفة والعلماء والنقابات العلمية وطلاب المدارس الثانوية وأبناء الجامعات، دون أن يولوا العامة وأبناء الريف وبعض القطاعات العمالية نفس الاهتمام الذي أولوه للمثقفين والعلماء وجمهور المتعلمين.

وإذا تجاوزنا كل هذه الغثاثة التي تثير في النفوس القرف والاشمئزاز، فإن الخطاب جاء بجميع فقراته ليؤسس ويعبئ النفوس، ويدفع بها ويحرضها على سفك دماء المعارضين، والقضاء المبرم

على كل عضو في جماعة الإخوان المسلمين في القتل الفردي والجماعي، في البيوت وفي الشوارع، وعلى قارعة الطريق وفي أقبية التعذيب، بدعاوى كاذبة، واتهامات زائفة، وأوصاف خادعة يلصقونها بأبناء الدعوة والجماعة، وهي لا تمت إلى الحقيقة بأي صلة، فقد أورد السفاح اتهامات للجماعة، تخالف العقل، وتنافي الواقع، أخذ يقذفها جزافاً أمام مؤتمر المصفقين والمنافقين الذين تم اختيارهم بهذه المواصفات، وكأنه يستعيرها من طائفة الحشاشين الذين ذاق المسلمون منهم الويلات في العصر العباسي، وفي أثناء الحملات الصليبية والتتار على بلادنا العربية والإسلامية[١].

استهل رفعت أسد خطابه بالحديث عن نشوء الحضارات وسقوطها بعد أن شاخت وانقرضت، كما حدث للآشوريين والسومريين والبابليين.. إلخ وأخذ يهرف بما لا يعرف عندما تحدث عن الرومان، وكيف زالت دولتهم لأنها في فهمه بلغت سن الهرم، فزالت أمام جحافل العصبية والقومية العربية!! جاهلاً أو بالأصح متجاهلاً ذكر الإسلام والرسالة والتربية والإعداد النبوي، وما أحدثه الإسلام في العرب، وكيف وحدهم، ونهض بهم، وجعل منهم خير أمة أخرجت للناس، فظهر جيل قرآني فريد، ليقلب موازين العالم، وينهي تسلط الأباطرة الرومان، والأكاسرة الفرس وكل الطغاة.

نسب الجاهل انتصار أمة الإسلام وتلاميذ سيد الخلق محمد عليه

---

(١) اقرأ كتاب: هكذا ظهر جيل صلاح الدين، وهكذا عادت القدس لمؤلفه الدكتور ماجد عرسان الكيلاني.

أفضل الصلاة وأزكى السلام إلى العصبية العربية والقومية متجاهلاً عن عمد وعناد أن الذين حملوا راية الإسلام، وبشروا به في العالمين، فزالت أمام عقيدتهم وإيمانهم وإخلاصهم وربّانيتهم الإمبراطوريات، وتلاشت مثل كرات الثلج، وكأن البعث -كما يقول هذا الفطحل- الذي يتستر البغاة به هو الذي أنجز الفتوحات، ونشر مبادئ الرسالة الخاتمة، فكان هذا أول تلفيقات الخطاب، وتجاهله للإسلام، فلم يذكر كلمة واحدة عن الإسلام والقرآن ورسالة سيدنا وقدوتنا محمد ابن عبد الله سيد الأنام.

وذكّر رفعت أعضاء المؤتمر السابع أنهم يمثلون أعلى سلطة سياسية وعقائدية، وبذلك يكون أعضاء المؤتمر الذين وافقوا على كل ما جاء في خطابه، أو لمَ يعارضوه، قد تحملوا المسؤولية كاملة فيما دفعهم إليه من مذابح رهيبة سوف يأتي الحديث عنها في فقرات الخطاب لاحقاً.

٢- انتقل رفعت بخطابه خطوة ثانية في التمهيد لما يزمع عليه من قتل وسفك للدم، ونشر الموت في أصقاع الوطن، وإشعال الحرائق في جنباته، وإحداث المجازر وحمامات الدم، فدعا إلى التعصب لنظريته التي يدعو إليها دون أن يشرح لنا هذه النظرية العتيدة أو يذكر لنا بعضاً من فقراتها، أو من مبتكراتها، وأكد على وجوب الولاء للحزب أولاً وآخراً، وللقومية العربية قائلاً: لتسقط إلى الأبد كل الولاءات الأخرى الهجينة والدخيلة. فما هي هذه الولاءات التي دعا هذا السفاح إلى إسقاطها؟ هل ثمة ولاء لدى أمتنا يتقدم على ولائها

المطلق للإسلام ودعوته المنقذة؟ ثم ضرب السفاح أمثلة على وجوب التعصب، وكيف انتصرت الأمم بتعصبها لنظرياتها وشعوبها، فذكر الشيوعية والنازية والماوية... إلخ فقال: لقد انتصرت ألمانيا بتعصبها للشعب الألماني، وقادت أمريكا العالم بتعصبها لإنسانها ونظريته، وأنهى ستالين عشرة ملايين إنسان في سبيل الثورة الشيوعية، واضعاً في حسابه التعصب للحزب ولنظرية الحزب -تمهيداً للمجازر التي يتهيأ رفعت لتنفيذها- وقاد ماوتسي تنغ الصين نحو الخلود، متمسكاً بشعار واحد هو التعصب للحزب الشيوعي.

استشهد رفعت بستالين دون أن يذكر نهايته المظلمة، وأنه صار مثلاً على مدى الأزمان للطواغيت والسفاحين في نظر حزبه وشعبه والعالم أجمع، واستشهد بالنازيين، متجاهلاً مصير هتلر الذي دمر ألمانيا بسياسته وانتهى نهاية مأساوية مفجعة.

ثم اعتبر رفعت نفسه وحزبه وطائفته -أو على وجه الدقة شطراً منها- التي تحكم من وراء ستار، قائلاً: نحن النسغ الصافي في هذه الأمة، ونحن العقل الراجح، وأصحاب النظرية الصائبة والأصيلة، فلم لا يكون تعصبنا للحزب وحده، لحزب البعث ولنظرية البعث؟ فخلاص الوطن، واستمرار الأمة بهذا التعصب القومي المقدس تخلد الشعوب.

هكذا نسج رفعت على منوال الصهاينة الذين يزعمون أنهم شعب الله المختار، فجاء زعمه بأنه وحزبه ومن والاه من طائفته هم الصفوة، ونسغها الصافي وعقلها الراجح، وأصحاب النظرية الصائبة

الأصيلة.

٣- بعد هذا التمهيد اقترب رفعت في خطابه خطوة ثالثة أخرى في الكشف عن أهدافه وبرنامجه في إبادة الخصوم فقال: نحن اليوم نناقش الوضع الداخلي، وبالتحديد ظاهرة العنف الذي تقوده جماعة الإخوان المسلمين، ونضعها في إطارها، لتأتي معالجتها شاملة كل جذور المشكلة، ومقتلعة هذه الجذور من الأعماق، فلا تعود تظهر أبداً. إننا -والكلام لرفعت- نرفض أن تكون معالجتنا إصلاحية أو توفيقية، أو تكون حلولنا وقتية أو ارتجالية، أو ردة فعل، فحزبنا حزب أصيل يحمل مسؤولية خلاص الشعب والوطن. ثم قال: أردنا من حرب تشرين تحرير الوطن، وأرادها الآخرون تنازلاً واستسلاماً، فحركوا الإخوان المسلمين، دون أن يذكر من هؤلاء الذين حركوا الإخوان؟ هل هم الناصريون الذين لم يتوقفوا عن اضطهاد الإخوان ومطاردتهم وإعدام قادتهم وأئمتهم، بعد أن خاضوا أشرف المعارك في فلسطين، وأحرزوا انتصارات تحدث عنها المؤرخون، وكتّاب النكسة، وقادة فلسطين، من أمثال الحاج أمين الحسيني وأعضاء الهيئة العربية العليا بزعامة الحسيني، بينما كان رفعت وحافظ ومن يواليهما ينسقون مع العدو في اتفاقات سرية جاء ذكر الكثير من تفصيلاتها في المجلد الثالث من هذه الأوراق.

انتقل السفاح في خطابه إلى الحديث عن الفلاحين والحرفيين والكسبة، فزعم أن الإخوان، بمباركة استعمارية ورجعية، يسلبون البسطاء والفقراء، في هذه الطبقة، حقوقهم!!!

ما أجرأ هـذا الطاغوت على الإفك؟ رفـعت يتحدث عن الـفقراء، وأن الإخوان يسلبونهـم حقوقهم، فهل استلم الإخـوان الحكم وفعلوا ذلك؟ هل يوجد في تـنظيم الإخوان ملاك كبار، ورأسمـاليون أثرياء، ورجال أعمال أغنياء؟ لقد أمضيت في الجماعة بضعة وستين عاماً، لم أصادف ثرياً واحداً واسع الثراء في هذه الجـماعة، بل إن كل أعضائها من الطلاب والموظفـين وأبناء الطبقة الوسطى ومـن الفقراء، ومع هذا يتـهمهـم صاحب حـديث الإفك في خـطابه دون منطـق أو ضمـير أو دليل، وهو الذي سلب البلاد والعباد، ونهب البنك المركزي والقطاع العام، ووضع على جميع التجار الـكبار أتاوات، فجمع الملايين، ثم المليارات، ليصبح من أغنياء عصره، ومن المقاولين الكبار في أوربا، مشـاركاً فـي مشـروع القناة الـتي تربط بـين إنكلـترا وأوربا عـبر بـحر المانش، وشارياً في شارع بوش بالعاصمة الفرنسية، وفي مدينة ماربيا في إسبانيـا، وفي سويسرا وأمريكا أضـخم المشروعات العـقارية حتى قدر رفيقـه الشاعر أحمد سليمان الأحـمد، قبل أن يتخاصمـا ويفترقا، ثروة رفـعت أسـد بسـبـعة عـشـر مليـار دولار، ومع ذلـك لا يخـجل رفـعت، مـن أن يكـيل الاتـهـام للإخـوان، بـاسـتـغـلال الفـلاحـيـن والحـرفيـين، في خطابـه الذي يحـرص فيـه على سفـك دماء أعـضاء جماعة الإخوان المسلمين.

تمـادى وأمعن في اتـهام الإخوان بـكلام يناقض الـعقل، ويجـافي الواقع ويعارض الأدلـة القاطعة التي يبصـرها كل ذي عينين، مسـتمراً في اتهامـات رخيصة تثيـر الضحك والسخريـة بآن واحد، إذ زعم هذا

المفتري أن شعار الإخوان هو الولاء للشيخ، وأن من لم يكسب ثقة الشيخ فلا رزق له على الأرض، ولا رحمة له في السماء، فكأن الدين، كما قال المفتري، مسرح لأبشع أنواع الاستعباد الإنساني، ثم تابع في هذا الإفك قائلاً: كان للإخوان نشاط واسع في بناء المساجد، واتخاذها ستاراً لمدارس دينية بحجة ممارسات الواجبات الدينية، وأقاموا معسكرات لليافعين يشرف عليها هراطقة الإخوان يمارسون عليها عملية تخريب، وأن الإخوان يعقدون اجتماعات في بيوتهم لها طابع ديني متعصب يملؤون بها العقول بالاتكالية والتخاذل والبغضاء والحقد، ويصورون للشباب بشعوذة عجيبة تعود في تاريخها للقرون الوسطى المظلمة: أن العروبة والحب الوطني إنما هي جميعاً من رجس الشيطان!!

ما أجرأ هذا الطاغية على الافتراء، وفبركة الاتهامات التي تثير الاشمئزاز، وتذكر القارئ في العصر العباسي بإخوان الصفا، وبفرقة الحشاشين التي ألحقت بالمسلمين من الأذى واغتيالات القادة الذين كسروا شوكة الصليبيين في حملاتهم على بلاد العرب والمسلمين أكثر مما ألحقه المغول والصليبيون(١).

كأن رفعت قد استقى هذه الصور القميئة التي أملاها عليه إفكه، ليلحقها بالإخوان، من الجبل الذي وُلد فيه، ومن بعض البقاع المتخلفة في أركانه، حيث يقدس البسطاء والأميون شيوخهم الجهلة الذين يستغلونهم، وينهبون أقواتهم، ويضللونهم في تقديس الأموات

(١) اقرأ كتاب: هكذا ظهر جيل صلاح الدين، للكيلاني.

وتعظيمهم، ويقدمون لهم النذور والأضاحي، ويستغيثون بالقبور، ويتبركون بالقباب والمقامات والقبور المنتشرة بالمئات في أركان الجبل، مما ينكره مثقفوهم والمتنورون منهم. فقد نقل رفعت هذه الصور والمشاهد المنكرة من هناك، ليلصقها بالإخوان الذين يستقطبون الصفوة من الفئات الواعية والمثقفة من الطلاب والعلماء والفقهاء والمفكرين والمؤلفين والكتّاب الكبار، الأمر الذي جعل الفئات المثقفة، تلتف حول جماعة الإخوان انتساباً أو مؤازرة، حتى إن النقابات العلمية، بما تضمه من أطباء وأطباء أسنان ومهندسين ومحامين وصيادلة، أعطت ولاءها لجماعة الإخوان المسلمين في سورية ومصر والأردن وغيرها في عدد من الأقطار العربية والإسلامية.

لقد جددت حركة الإخوان المسلمين في الوطن العربي، للأمة دينها وفكرها، وحرروا جماهيرها من الخرافة والتخلف، ودفعوا بها إلى ساحات العلم والنهوض الثقافي والحضاري، حتى انتشرت حركتهم في شعوب الأمة الإسلامية عبر محور جاكرتا - طنجة، وفي الأقليات المسلمة في جميع القارات، حيث لا يوجد حركة إسلامية في العالم لا تنتمي بصورة أو بأخرى إلى مبادئ الإخوان وشعاراتهم (كما رأينا ولمسنا ذلك بشكل واضح في طوافنا على الأقطار الإسلامية في قارتي آسيا وإفريقيا) ونظرياتهم في التربية والتوجيه والسياسة، والمفاهيم التي تقوم عليها أركان الدولة وأسسها في العصر الحديث.

٤- انتقل رفعت في خطابه بخطوة أخرى إلى التحريض الصارخ والمباشر على الإخوان -تمهيداً لقتلهم كما سنرى- بما يشبه محاكم التفتيش بالهجوم على عقائدهم وأفكارهم وبنائهم للمساجد وأدائهم العبادة فيها، واتهامهم بأوصاف لا تخطر على قلب إنسانٍ سويّ، فاجتماعهم، في رأي الطاغية، في بيوتهم واستقبالهم من يزورهم من أهليهم وإخوانهم وأصدقائهم وجيرانهم يشكل جريمة كبرى لا يمكن التساهل معها، لأنها تحمل طابعاً دينياً وشعوذة تعود إلى القرون الوسطى، وأنهم أي الإخوان يرون في العمل وحب الوطن والعروبة رجساً من عمل الشيطان!!

اقترب السفاح في خطابه كثيراً من الكشف عن هدفه، والإعراب عن خطته في ذبح الإخوان والقضاء عليهم، فذكر أعضاء المؤتمر أن اجتماعهم من أخطر اجتماعاتهم السياسية والعقائدية في مؤتمرهم القطري السابع، باعتبارهم يحملون أكبر مسؤولية، لذا أضع -يقول رفعت- بين أيديكم الوقائع التالية:

أ- السلطة لم تتخذ حلاً رادعاً أمام التخريب الذي يدعي أصحابه أن الرزق من رضى الشيخ!! فلماذا التنازل والرحمة لأعداء الشعب والأمة؟ لماذا نترك هذه الطائفة الباغية تتسع وتنتشر، وتحرق هيبة الأمن والدولة والقيادة؟ هل نبقى مكتوفي الأيدي أمام وتجاه شرذمة من الخارجين المارقين من الدين والمرتبطة بالأجنبي؟ لا بد أن ننجح في التصدي لهذه المؤامرة، لحزب الإخوان الذي أسسه البنا عام ١٩٢٩ بإشارة من المخابرات الإسرائيلية، مما يجعل واجبنا تقييمها

كحلقة خبيثة في مخطط المجابهة الحضارية وأهدافها، فلقد صفى جمال عبد الناصر وجودهم حتى الجذور!!

هكذا تطاول هذا الأرعن في خطابه المأساة على الإمام الشهيد حسن البنا الذي أجمع الطيف الأوسع من السلفيين والمتصوفة والمثقفين والمفكرين على أن البنا هو الإمام المجدد، وأنه أحد العمالقة الكبار في العصر الحديث، فهو الذي جدد للأمة الإسلامية دينها، وأحيا آمالها، وأيقظها من سباتها، وأسمعت صيحته أرجاءها. أسس كبرى الجماعات الإسلامية في القرن العشرين الميلادي - الرابع عشر الهجري، وربى أجيالاً صلبة عازمة على التغيير والتحرير والنهوض الكبير، وانتقل بالعمل الإسلامي من حيز النظريات والفرضيات إلى سوح الجهاد والبناء، وأعطى من نفسه القدوة والفداء والتجرد والإخلاص ونكران الذات.

ب - لذا سارع الأعداء، إلى اجتماع عقدوه في (فايد) مركز القيادة البريطانية في معسكرات قناة السويس المصرية، حضره ممثلو فرنسا وإنكلترا وأمريكا، ورفعوا مذكرة نشرتها مجلة الدعوة الإخوانية بالزنغراف، طلبوا فيها من الحكومة المصرية، عن طريق وكيل وزارة الداخلية عبد الرحمن عمار، التخلص من الإخوان -كحركة مجاهدة مناهضة للاحتلال- ومن قائدهم ومؤسس حركتهم الإمام حسن البنا، وسرعان ما استجابت حكومة الملك فاروق، وأقدمت على جريمتها النكراء، في اغتيال الإمام حسن البنا، ولما يتجاوز الثانية والأربعين من عمره المبارك.

تمادى هذا المدعي على القائد العملاق، فزعم أن البنا أسس جماعة الإخوان عام ١٩٢٩ (الجماعة أُسست عام ١٩٢٨) بإشارة من البريطانيين والإسرائيليين دون أن يفطن هذا الأرعن إلى أن الإنكليز أمروا بالتخلص منه وهو في ريعان شبابه، وقد نفذت حكومة السعديين برئاسة إبراهيم عبد الهادي، وقتلت أكبر مصلح في حياة العرب والمسلمين في القرن الماضي، وذلك في مطلع ١٩٤٩ .

ج - اقترح رفعت على أعضاء المؤتمر القطري السابع إصدار قانون دعاه بالتطهير الوطني، وإصدار تشريع بإقامة معسكرات تدريبية بغرض تخضير الصحراء، ووضع برامج ثقافية اشتراكية، لانتزاع الموروثات المريضة -الإسلام- ووضع برامج زراعية وصناعية، ليعود المعتقل معافى من أمراضه السابقة، وحاملاً شهادة التطهير الوطني، مواطناً صالحاً، متعصباً وطنياً وقومياً، ورصد مبالغ كافية لتغطية نفقات تخضير الصحراء، وعزل المريض قومياً بمرض الانتماء إلى الهرطقة الدينية، وتخليص المجتمع من أوبئتهم وأمراضهم، واستخدامهم بالجهد العضلي على الأقل.

فالإخوان، في نظر السفاح رفعت أسد، حلفاء البريطانيين، ومرتبطون بالمخابرات الإسرائيلية، ليكشف عما تنطوي عليه نفسه ومن لف لفّه من حقد دفين على الإسلام والمسلمين، وجهل مطبق في تاريخ الإخوان الذي شنّ فدائيوهم على معسكرات الإنكليز هجمات لم تتوقف، حتى اضطر البريطانيون إلى ترك معسكراتهم في قصر النيل والعباسية في القاهرة، وفي معسكرهم في الإسكندرية دون

مفاوضات أو شروط بل لينجو عساكرهم بأنفسهم، وانسحبوا إلى مواقعهم في قنال السويس، لم يمكِّن رفعت جهله في الذي كتبه المجاهد كامل الشريف رحمه الله عن المقاومة السرية -للإخوان- في مصر على ضفاف القتال، وربوع فلسطين، وعن أعمالهم البطولية.

٥ - طلب رفعت من المؤتمر أن يوصي القيادة بتكليف وزير الدفاع بإغلاق المساجد التي تستخدم مدارس لتخريج الفكر الطائفي!! والهرطقي، والضرب بيد من حديد على هؤلاء، وأن يقوم الإعلاميون بإدانة المتاجرين بالدين، والمخربين والهراطقة الذين يفسدون هوية المواطنين، وأن يقوم وزير التربية بتعديل المناهج بما يتلاءم مع مصالح الحزب، والاستغناء عن حملة الفكر المعادي، وبالأخص الإخوان المسلمين، أو المتعاطفين معهم، وأن يركز على العروبة والوطنية والحرية والاشتراكية بالنصوص الدينية من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة!!

الإخوان المسلمون في نظر هذا الطاغية، طائفيون، لأنهم ينتمون إلى أكثرية الشعب في الجمهورية السورية بنسبة لا تقل عن ٨٠٪، أما رفعت والطغمة الحاكمة التي سرحت، كما يقول صاحب كتاب سقوط الجولان ٨٥٪ من ضباط الجيش لانتمائهم للأكثرية، وأحلت مكانهم ما لا يقل عن ٧٠ ألف ضابط علوي، أما البقية القليلة التي لم تسرح من الجيش، فقد تركوهم ليشغلوا أعمالاً إدارية وخدمات لوجستية، حتى لا تنفضح مخططاتهم الخبيثة في تطهير الجيش من ضباطه وقادته الحقيقيين من أبناء الشعب السوري الأصيل، أما

هؤلاء، الذين لا تزيد نسبتهم على ١٢٪ كما ذكر الضابط العلوي القديم محمد الهواش المقيم حالياً في باريس، أما هؤلاء فليسوا طائفيين ولا متعصبين طالما أنهم أدخلوا الأكثرية من السوريين في السجن الكبير.

لقد بلغت الجرأة بهذا الباغي أن يطلب من وزير التربية تغيير المناهج أو تعديلها، وتسريح رجال التعليم من ذوي الاتجاهات الإسلامية، زيادة على ما أقدموا عليه من مذبحة التعليم التي جاءت تفصيلاتها في المجلد الثالث من هذه السلسلة عن تاريخ الإخوان المسلمين، وأن يحل محلها التركيز على العروبة التي مزقوها شر ممزق، وعلى الحرية التي ذبحوها من الوريد إلى الوريد بوحشية وقسوة غير مسبوقة، والاشتراكية التي سلبوا باسمها أكثر ما يملكه السوريون من ثروات، حتى اضطر المهندس وخريج الجامعة أن يبيع الخبز للمسافرين، ويعمل سائقاً على التاكسي، وغير ذلك من الأعمال حتى يستطيع إطعام أبنائه وأفراد عائلته، هذا ما طالب به رفعت لإدخاله في المناهج التعليمية مدعوماً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية (التي يزيف بها مشايخ السوء من المرتزقة والسفلة الذين يبيعون دينهم بعرض من دنياهم أو دنيا غيرهم) بالتلفيق والتزوير وليّ النصوص التي تضطلع بها فئة محسوبة في ظاهرها على الإسلام، باعت دينها بثمن بخس ومكاسب رخيصة عاجلة.

٦ - اقترب الخطاب في نهايته من الإعراب عن الهدف المدمر والغرض الذي يرمي إليه حيال أبناء الإسلام ودعوته المباركة من فتية

ورجال الإخوان المسلمين، فطالب وزير التعليم العالي بالسيطرة على كلية الشريعة، وفتح أبوابها للرفاق الحزبيين، والتضييق على ذوي الفكر الديني المخرب، لتصبح هذه الكلية على مدى ست سنوات ذات أغلبية من الرفاق المسلحين بالفكر التقدمي، ثم أوصى بتشديد الرقابة على المنظمات والاتحادات كيلا تترك مجالاً للفكر الديني المتعصب، والرقابة على القطاع الاقتصادي حتى لا يسقط في براثن الهراطقة من الإخوان المسلمين، وشدد على كوادر الحزب ليكونوا خفر الحزب وعينه الساهرة، وقوته الصدامية الشارعية لضرب المخربين والمجرمين.

وأخيراً -وليس آخراً- طالب السفاح في آخر فقرات خطابه من المؤتمر العمل على وحدة الجهاز الأمني وسريته وتقنيته، وأن يقوم بالتغيير الجذري، وتصفية شكله الحالي -حتى لا يبقى فيه من ينتمي للأكثرية من أهل السنة والجماعة- وبنائه من جديد، وأن يكون بكل أجهزته تحت إشراف أحد أعضاء القيادة، وأن يسمى مكتب الأمن القومي، ويمنح جميع الصلاحيات، من تعيينات وتنقلات، وأن يشمل فروع الأمن العسكري والسياسي وأمن الدولة والأمن الداخلي والأمن الحزبي والإدارة السياسية وغيرها، كما يتولى المكتب إصدار الخطط الأمنية، وأن تحشد كل المؤهلات والكفاءات لهذا المكتب، وأن يكون مرتبطاً بالرفيق رئيس المهورية مباشرة، وأن يمتلك كل القدرات والسلطات والجاهزية المالية كي يستمر في ملاحقة الاتجاهات المعادية، كي يتمكن من حبس أنفاسهم، وشل حركتهم،

وتقليص نفوذهم، وضربهم أينما كانوا حتى في آخر موقع لهم، وأن يكون قادراً على إلقاء القبض على أي مجرم أو شبكة أو عصابة في اللحظات الأولى لوقوع الجريمة أو حتى قبل وقوعها.

وبالفعل ارتبطت أجهزة الأمن الخمسة عشر أو السبعة عشر حسب إحصاء بعض الدارسين، بشخص حافظ أسد، يديرها من القصر، ويربطها مباشرة بشخصه بشبكة اتصال رهيبة، فلا يستطيع أي مسؤول أن يتدخل بشأنها ولو كان قائد الجيش أو رئيس الوزراء، فهي شأن رئاسي تصدر بخصوصها وبكلِّ أمرٍ من أمورها الأوامرُ من حافظ أسد شخصياً، بما في ذلك إعدام من يرى إعدامه حسب التقارير التي ترده، وتبقى المحاكم أو المحاكمات صورية لا تستغرق إلا دقائق، ويحال المحاكمُ أو الضحية للقتل حسب توصيات القائد الثوري الذي يصدرها من فوق كرسي الرئاسة!! وكم من مرة راجع المواطنون من عائلات المخطوفين والمغيبين رؤساء الوزارة المتعددين، ليأتي الجواب: هذا ليس من اختصاصنا، ولا يسمح لنا التدخل فيه أو المراجعة بشأنه.

٧ - لو جاء هذا الخطاب المسموم في سياق الصراع الإعلامي، لتجاوزناه دون الوقوف دونه، لكنه جاء ليعبِّر عن خطة، ويرمي إلى سياسة قمعية دموية خطيرة، مهد له صاحبه بالحديث عن زوال الحضارات، ووجوب التعصب للحزب، مهما كلف ذلك من سفك الدماء، وإزهاق الأنفس، وسحق الخصوم والإمعان أو الإسراف في القتل، واستشهد صاحب الخطاب بكبار السفاحين في التاريخ

الحديث من شيوعيين ونازيين من أمثال ستالين وهتلر وغيرهما، ليمهد للسياسة التي يزمع على تنفيذها بموافقة المؤتمر القطري السابع، مقترحاً أن يتحول المجتمع السوري برمته إلى مجتمع أمني تسيطر عليه الأجهزة العديدة بما تملكه من ميزانية ضخمة، وصلاحيات مطلقة، تأذن لعناصر أجهزة الأمن أن يفعلوا بالضحايا ما يريدون من تمزيق أجسامهم، وانتهاك حرماتهم، ومصادرة أموالهم، والاعتداء على أرحامهم، استناداً إلى ما يسمونه مراسيم وقوانين تعفي رجل الأمن من أي مسؤولية فيما يفعله بالمعتقلين، وتأذن له بعقد محاكمات في الشوارع، وعلى الأرصفة، وتنفيذ القتل بالمواطنين دون محاكمة عادلة وقضاء عادي نزيه كما قرأنا ذلك تفصيلاً في المجلد الثاني. والعجيب بعد مرور أربعين سنة على هذه السياسة الدموية، وبدلاً من تغييرها والاعتذار عما ارتكبته من جرائم تشمئز منها الأنفس حين تسمع بها، أضيف إليها فيما تتمتع به من صلاحيات جهاز الشرطة، إذ أعفت السلطة في مرسوم صدر في ٣٠-٩-٢٠٠٨ رجال الشرطة من أي مسؤولية في أن يفعلوا بالمعتقل ما يشاؤون، ولو كان بريئاً قياساً على الصلاحيات الممنوحة لرجال الأمن في أن يفعلوا بالمعتقل ما يشاؤون، في ممارسات استباقية تقشعر منها جلود كل من يطلع عليها أو يستمع إلى من بقي حياً من الضحايا عن فظاعتها ووحشيتها.

لقد أنهى رفعت خطابه الدموي بشنّ حرب لا هوادة فيها ضد الإخوان المسلمين ومن يشايعهم أو يؤيدهم أو يقف معهم، فكان

طلبه بمثابة إعلان حرب على كل من ينتمي لجماعة الإخوان وقتله في الشوارع أو البيوت أو في المعتقلات والسجون، وضربهم أينما كانوا حتى آخر موقع لهم، وإلقاء القبض على أي مجرم أو شبكة أو عصابة في اللحظات الأولى لوقوع الجريمة، بل قبل وقوعها -القتل بالشبهة- حسب تعبير السفاح في خطابه!!

٨ - لم يكد رفعت ينتهي من إلقاء خطابه، أو طرح خطته الدموية في ذبح الإخوان أينما كانوا، وموافقة المؤتمر القطري السابع عليه حتى بادرت الحكومة والحزب والأجهزة الأمنية والدوائر المختصة والميليشيات والكتائب المسلحة وجميع التنظيمات العمالية والطلابية وغيرها على مطاردة الجماعة طبقاً لقوانين وتعليمات ومراسيم صدرت، فسالت الدماء غزيرة، وأزهقت أنفس بريئة، وحدث الخطف والاغتيال في الشوارع، وقد كانت مجموعات رفعت وسرايا دفاعه في مقدمة القتلة والسفاحين، وزاد رفعت على ذلك في نهب مئات الملايين، وفرض الأتاوات على التجار والصناعيين ورجال الأعمال، وخطف الحرائر من الطرقات، وتمزيق حجاب النساء في الشوارع من فوق رؤوسهن، بيد المظليات التابعة لسرايا الدفاع، وحدوث ما لم يخطر على بال في سورية من قبل، حتى لم يعد المواطن آمناً على دمه أو ماله أو عرضه.

أ - صدرت القوانين التي تبيح قتل الأخ المسلم على مجرد انتمائه للجماعة، حتى ولو كان معتقلاً قبل صدور هذه المراسيم أو اللوائح أو القوانين التي صادق عليها البرلمان العتيد!! دون أن يجرؤ

أحد على استفسارٍ أو توضيح أو اقتراح أو اعتراض، وكل الذي قرأته في الجريدة الرسمية حول مناقشة البرلمان فيما يخص قتل الإخوان على مجرد انتمائهم أن نائب دمشق تحسين الصفدي أوصى أن يميز بين المجرم وغير المجرم من المواطنين، فكان في كلامه هذا مجازفاً في حياته ومصيره.

لقد كان عام ١٩٨٠ منذ ألقى رفعت خطابه وضمنه مقترحاته وبرامجه في ١٦-١-١٩٨٠ البداية في انتشار الاغتيالات والمذابح الفردية والجماعية، وحمامات الدم والمجازر الوحشية في جميع المدن السورية من الشمال إلى الجنوب، في حلب وإدلب وجبل الزاوية وحماة وحمص ودمشق وحوران، ومن الشرق في الميادين والدير والرقة والجزيرة إلى الغرب من اللاذقية وجبل العلويين ومدن الساحل السوري، وفي عدد من المناطق والنواحي والقرى، وكانت حماة وجبل الزاوية من أشدها ابتلاءات وكوارث.

ب - كشر الطائفيون عن أنيابهم الزرق، فأسرفوا في سفك الدماء التي كان أكثر من تسعين بالمئة ممن أصابتهم أبرياء، لا علاقة لهم بسياسة أو بمعارضة، وإنما هم من ذوي الملاحقين وأفراد عائلاتهم وجيرانهم وأصدقائهم، ومن يقدم لهم يد العون لإطعام أطفالهم، ولم ينتصف عام ١٩٨٠ حتى صدر القانون ٤٩ تطبيقاً لبرنامج رفعت الذي صادق عليه المؤتمر القطري السابع، والذي يقضي بإعدام كل من له علاقة أو انتماء لجماعة الإخوان المسلمين، ليعج سجن تدمر سيئ الصيت بالألوف، وينفذ حكم الإعدام بما قدره البعض بثمانية عشر

ألف شهيد، ليدفنوا في مقابر جماعية في صحراء بلاد الشام، أو في أكثر من أخدود حفره الطغاة ليقبروا به كل من يؤمن بالله العزيز الحميد.

استمرت سياسات الذبح والإعدام والخطف والاغتيال في الشوارع، وعقدت المحاكمات الميدانية على الأرصفة سنوات متتابعة بلغت أكثر من خمس سنين دأباً حتى منتصف عقد الثمانينيات من القرن الماضي، أما عائلات الملاحقين والمعتقلين والمعدومين، وأحوال نسائهم وأطفالهم وذوي أرحامهم، فهو ما يندى له جبين الإنسانية، وليس السوريين أو العرب والمسلمين وحدهم.

لقد كانت معاناتهم ومآسيهم واضطهادهم وتجويعهم وسلب ما يملكون مروعاً، لا يستطيع أي إنسان سويٍّ سماعه أو رؤيته أو الإصغاء إليه.

لقد أعادت هذه الجرائم إلى الأذهان تاريخ محاكم التفتيش في إسبانيا، والتنقيب على ما ينطوي عليه صدر الضحية من أفكار ومعتقدات، وما تختزنه ذاكرته من أفكار، ليحاسبوه عليها، ويعاقب من ثم بأسوأ وأبشع أساليب القتل وطرائق الإعدام، بعد تعذيب فظيع شنيع.



الفترة الخامسة

المجازر وحمامات الدم
من عام ١٩٨٠ وحتى العام ١٩٨٣

أمعنت عصابات البغي والطغيان في الاغتيالات الفردية والمذابح الجماعية وسفك الدماء في حمامات الإبادة، فامتدت الأيدي الأثيمة إلى المنازل والشوارع والسجون لقتل كرام المواطنين وكبار الشخصيات العلمية والاجتماعية لتنفيذ تعليمات وتوجيهات رفعت أسد التي ضمنها خطابه، وحصل على موافقة المؤتمر القطري السابع عليها.

أولاً: الاغتيالات الفردية والجماعية

في هذه الفقرة نورد على سبيل المثال أسماء عدد من الشهداء والضحايا الذين أعدمتهم عناصر السلطة بأساليب متنوعة، يغلب عليها طابع الاغتيال، لاسيما بعد أن شجعت السلطة أزلامها على اغتيال أبناء الدعوة والحركة الإسلامية أينما كانوا، وبعد أن رصدت مكافآت مالية لمن يسفك دماءهم.

١ - ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

- اغتيال السيدة الفاضلة الشهيدة بنان الطنطاوي زوجة الأستاذ

الكبير عصام العطار المراقب العام السابق للإخوان المسلمين في سورية، ورئيس مكتب التنسيق للإخوان المسلمين في البلاد العربية، وهي بنت الأديب الكبير القاضي الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى، وقد أقدم المجرمون على قتلها في منزلها الذي داهموه في مدينة آخن الألمانية.

- قيام عناصر أمنية بمهاجمة كلية الشريعة في جامعة دمشق، وتحطيم محتوياتها في ١-٦-١٩٨٠، لأن هذه الكلية العتيدة التي أسسها كبير الدعاة الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله كانت قذى في أعينهم، وصرحاً شامخاً خرج مئات الدعاة والباحثين والمدرسين.

- ضرب مطعم (يا مال الشام) في دبي، لأن صاحبه الأخ أسامة الأسعد رحمه الله كان من الإخوان، فجرح عدد من الذين كانوا يرتادون المطعم.

- اغتيال عضو نقابة المحامين في حلب الرجل الصالح الشهيد المحامي أمين إدلبي عام ١٩٨٠، وهو راقد على فراش المرض، وهذا الفعل الخسيس لم يقدم عليه الصهاينة ولا الوثنيون في بلاد أخرى.

- اختطاف الدكتور الشيخ ممدوح جولحة، والشيخ عبد الستار عيروط في اللاذقية، ثم قتلهما والتمثيل بجثتيهما بتاريخ ٢٧-٦-١٩٨٠، وكانا من أبرز الدعاة في محافظة اللاذقية التي فرض عليها الطائفيون ثقافة الرعب والقتل كي يسحقوا أهل السنة الذين يشكلون الأكثرية في اللاذقية وجبلة وبانياس والحفة... إلخ كيلا تقوم لهم قائمة في مدن المحافظة وفي غربي سورية.

- قيام عناصر المخابرات وسرايا الدفاع في ٢-٦-١٩٨٠ بمداهمة مساجد دمشق في ساعة متأخرة من الليل، وعاثوا فيها فساداً، وسرقوا محتوياتها من كتب ومسجلات وسجاد وأثاث، واعتقلوا من كان فيها نائماً، وكان منهم الأخ الشهيد ياسر فخري من خيرة شباب حماة كما عرفناه وهو عضو إدارة مركز حماة، وعندما اقترب الفجر وتوافد المصلون على المساجد لأداء صلاة الفجر، واجههم أفراد العصابة بالإهانة والتنكيل، فكان شهر حزيران، كما أورد بعض الكتاب، شهر المجازر الهمجية، في داخل سورية وفي خارجها.

- اغتيال الشيخ علاء الدين أكبازلي ابن الشيخ أحمد أكبازلي الأستاذ في كلية الشريعة، وهو من أسرة معروفة بالتمسك بالإسلام والدعوة إلى رسالته.

- تنفيذ حكم الإعدام بخمسة عشر أخاً مسلماً بتاريخ ٢٨-٦-١٩٨٠ كما رأينا من قبل، انتقاماً لما حدث في مدرسة المدفعية بحلب، دون أن يكون لهم أي صلة بأحداث صدامية مع السلطة.

- قتل عدد من المعتقلين في أثناء المداهمات أمام أعين المواطنين المارين في الشوارع والأماكن القريبة من عمليات القتل، دون أن تكلف السلطات أفرادها بإلقاء القبض عليهم، وإحالتهم إلى المحاكم إن كان صدر عنهم ما يستدعي ذلك.

- اغتيال الضابط المسرح عبد الوهاب البكري في عمان بتاريخ ٣٠-٦-١٩٨٠، وقد ألقت السلطات الأردنية القبض على القتلة

المجرمين من أعضاء المخابرات، فأعدمت المجرم، وأخلت سبيل آخر من السفارة السورية لحصانته الدبلوماسية.

- اغتيال الشيخ محمود عبد الرحمن الشقفة العالم المتقي الورع الذي أنشأ المدرسة المحمدية الشرعية، والتزم فيها بتدريس طلابها منهج وزارة التربية كيلا يحرم أبناؤها من حمل شهادات الدولة التي تفتح لهم الباب أمام تولي الوظائف، والالتحاق في الجامعة، مضيفاً إلى ذلك، برنامجاً شرعياً شمل القرآن الكريم، والحديث الشريف، والفقه، والتوحيد، والسيرة النبوية، وعلم الفرائض، في أوقات إضافية، وفي حصص حلت محل الحصص غير الأساسية في المنهاج الحكومي، فكان لهذه المدرسة فضل علينا فيما تلقيناه من تعليم وتوجيه، ثم أنشأ الشيخ الصالح الشهيد رحمه الله معهد الروضة الهدائية نسبة إلى أبو الهدى الصيادي الذي كان قريباً من السلطان عبد الحميد، فشرع في فتح المعاهد في سورية، كان منها المعهد الذي لم يُستكمل بناؤه، لأن أبا الهدى خطفه وسجنه الاتحاديون في انقلاب ١٩٠٩ مع السلطان عبد الحميد، وأودعوه السجن حتى فارق الحياة، وقد شهد مأساة خطفه وجيه المعرة الكبير ونائبها حكمت الحراكي عندما كان في زيارة لعمته بنت نورس باشا الحراكي في استنبول، فسمعت تفصيل ذلك من الوجيه حكمت الحراكي وما شهده من فصول هذه المأساة قبيل وفاته.

انبرى الرجل العارف بالله محمود الشقفة لهذا المعهد فأكمله وأجمله بما جمع له من تبرعات، وفتح أبوابه لطلاب العلم، فتخرج

فيـه المئات والـتحقوا بـالجامعـات والكليات الـشرعيـة، وكان الأزهر الشريف في مقـدمتها، فملأ خريجـو المعهد الهدائي وخـريجو مدرسة الشيخ التقي الورع أحمد الحصـري (التي استفادت من اعتراف الأزهر بالمعـهد الهدائي، والـتحقت باسـمه بكليات الأزهـر) فراغاً كبـيراً في الإمامة والخطابة والدعوة إلى الإسلام.

امتدت يد غادرة أثيمة من شياطـين السلطة (أكرم طاقوجة) بخنجر إلى الشيخ وهو جالس على كرسيه في المعهد الهدائي، وبقرت بطنه، فاندلـقت أمعاؤه، فلـم يلبث أن فارق الحـياة، رغم المحـاولات التي بذلت لإنقاذه، فالتحق في ركب الشهداء العارفين بالملأ الأعلى، وفي جنات النعيم بإذن الله وفضله وعطائه.

- في ٢١-٧-١٩٨٠ اغتـال تلاميذ صلاح الـدين البيطار أسـتاذهم مـؤسس حزب الـبعث الـذي حولوه إلـى بؤرة طائـفيـة، بعد أن أنـكر عليـهم طائفـيتـهم وجرائـمهم في الـقتل والنـهب، فكتـب مقالـين في جريدته الأسبوعـية -الإحياء العربي- التي أصدرهـا في باريس، يعتذر فيهـا للشعب السوري عمـا ألحقه به هذا الحزب الـذي أسسه، والذي خرج عـن مساره، فـكلفـه ذلك حيـاته، فقـد تمّ اغتـياله وهـو يركب مصعد العمارة إلى مكتبه.

- اغتال أفراد هذه العصابة الطالب السوري في بلغراد (عبد القادر ودعة) لنشاطه الإسلامي في الوسط الطلابي في العاصمة اليوغسلافية.

- كما اغتـالوا كذلك الداعية الإسلامي الأسـتـاذ نزار الصباغ الذي اضطلع بمـسؤولية كـبيرة في إحيـاء الدعوة الإسلامـية في إسبانـيا التي

كان شعبها وأحزابها يتحسسون من ذلك في تلك الفترة، جراء رواسب الماضي، عندما كانت إسبانيا تعيش لثمانية قرون في ظل الإسلام، فكان الشهيد مسؤولاً عن المركز الإسلامي في غرناطة، وفي أول زيارة قمنا بها لإسبانيا، أشار إلينا من داخل بيته بيده إلى قصر الحمراء المتربع على هضبة مطلة على غرناطة، ليبدو لنا، عندما زرناه، وكأنه شُيِّد اليوم وليس قبل عدة قرون.

- تعاونت سلطة الطغيان والقمع مع الإرهابي الدولي كارلوس في تنفيذ عدد من الأعمال الإرهابية المدفوعة الأجر من أجهزة النظام، من رفعت أسد، ضد شخصيات سورية معارضة.

- نفذت عصابات الأمن التي لا تلتزم بدين أو خلق، ولا تتقيد بقانون أو دستور أو بمعنى إنساني، سلسلة من عمليات الإعدام الجماعي بحق المواطنين، فأعدمت أحد عشر عسكرياً من الضباط وضباط الصف في ٥-٧-١٩٨٠، وأعدمت خمسة مواطنين بتاريخ ٢٦-١٢-١٩٨٠، وعشرين مواطناً في دمشق، وسبعين مواطناً في حماة في أواسط تشرين الأول من عام ١٩٨٠ .

- وأخيراً -وليس آخراً- أعدمت الشهيد حسني عابو وعدداً من إخوانه ناكثة العهد الذي قطعته واتفقت عليه مع الشهيد أمين يكن في وساطة قام بها، وقبلوها، ثم فاجؤوا الناس بنقضها ونفذوا أحكام الإعدام في حسني عابو وزهير زغلوطة وياسر الخطيب، وإخوانهم، دون أن يرعوا فيهم وعداً أو عهداً أو ميثاقاً أو اتفاقاً.

هذا نزرٌ يسير، وأمثلة قليلة عن الذين طالهم القتل الهمجي،

والاغتيال الوحشي، وقد بلغوا العشرات، بل المئات وعشرات المئات ممن ذكرت كتب كثيرة أسماءهم وأنسابهم ومدنهم، وما كانوا يشتهرون به من علم مكين وخلق كريم.

٢ - أما المجازر الجماعية وحمامات الدم التي شملت العشرات والمئات في حلب وحماة والرقة وغيرها، والألوف التي أبيدت في سجن تدمر الصحراوي، وفي مجزرة حماة الكبرى في عام ١٩٨٢، فالحديث عنها ذو قروح وجروح وشجون، وهذه أمثلة قليلة، وليست على سبيل الحصر، نذكر بها تفصيلاً لاحقاً بالمواطنين، كيلا يطويها التقادم أو النسيان. من هذه المجازر:

أ - في اليوم العاشر من شهر آذار ١٩٨٠ عقدت السلطة الباغية محكمة عسكرية ميدانية برئاسة المجرم توفيق صالحة (من الطائفة الدرزية) عضو القيادة القطرية لحزب البعث، والذي وصل من دمشق بالطائرة، وعلى الرغم من بقاء تفاصيل جلسات المحاكمة التي عقدت جلساتها على الرصيف في بلدة جسر الشغور طي الكتمان، فإن المواطن يلمس نتائجها مما شاهده: تنفيذاً لأحكام الإعدام بحق أكثر من مئة محتجز، حتى بلغ ما قتلتهم قوات الأمن من سكان المدينة مئة وخمسين إلى مئتين، حسب التقديرات التي أوردها باتريك سيل[١] وأوردتها منظمة العفو الدولية في تقريرها ص٣٤ لعام ١٩٨٣، وكتاب: الإخوان المسلمين لمؤلفه سيرو ص١٤٥، فقد تحدث كل من سيرو وباتريك سيل عن مقتل مئتي مواطن من بلدة جسر الشغور

---

(١) الأسد لباتريك سيل: ٣٢٧ .

الصغيرة!! أعقبها إحراق ١٥ منزلاً و٤٠ محلاً تجارياً فيها.

ب – إن الذين كانوا ينفذون هذه الجرائم هي عناصر خمسة عشر جهازاً قمعياً (أمنياً) كانت ترتكب هذه الأعمال الإجرامية في سورية، ولكل منها أقسامها الإدارية الخاصة بها، ورؤساؤها المباشرون الذين يرفعون التقارير مباشرة إلى (الرئيس) والكل يمارس الاعتقال، واستجواب السجناء، ويشرفون على عملية الحجز والحبس، وليس لهذه الأجهزة حدود في سلطاتها إزاء تنفيذ الاعتقالات والتفتيش والاستجواب والحجز، إذ لم يعرض أي سجين من بين آلاف السجناء لأسباب سياسية على محكمة ما، تنظر بأمره منذ عام ١٩٨٠[١].

كان الذين يشرفون على تنفيذ هذه السياسات الأمنية المدمرة هم من أقرباء حافظ أسد، من أمثال شفيق فياض قائد الفرقة المدرعة الثالثة، وعلي حيدر آمر القوات الخاصة، وعلي دوبا رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية، ومحمد الخولي رئيس مخابرات القوى الجوية، وكانت هذه المخابرات تثقل كاهل الخزينة السورية بنفقاتها، إذ ذكرت بعض التقديرات أن ثلث الميزانية العسكرية تم تخصيصها لأجهزة المخابرات[٢].

ج – كان نصيب مدينة حماة من المجازر كبيراً، إذ حدثت عدة مجازر قبيل وقوع المجزرة الكبرى عام ١٩٨٢، كانت أولاها في ٥ نيسان، وقد استمرت إلى ١٢-٤-١٩٨٠، قتل فيها المئات من كبار

(١) التقرير: ٨٥ – ٨٦ .

(٢) المرجع السابق: ٨٦-٨٧ .

الشخصيات ووجهاء مدينة أبي الفداء، من أمثال الدكتور عمر الشيشكلي رئيس جمعية أطباء العيون، وخضر الشيشكلي، وريث الكتلة الوطنية وشقيق توفيق الشيشكلي زعيم الكتلة الوطنية في مدينة حماة، والدكتور عبد القادر قنطقجي طبيب الجراحة العظمية، وخريج الجامعات الألمانية، والوجيه أحمد قصاب باشي بعد تعذيبه، وقطع أصابع يديه، وقلع أظافره قبل إعدامه.

وحدثت المجزرة الثانية في ٢١-٥-١٩٨٠ أي بعد أقل من ٤٠ يوماً من وقوع المجزرة الأولى.

ثم تبعتها مجزرة ثالثة في ١٠-١٠-١٩٨٠، وكل ذلك حدث قبل حدوث المجزرة الكبرى التي سترد في فقرة خاصة بها لفداحتها وفظاعتها، والتي لم يحدث مثيل لها في الحروب العالمية الكبرى، أو في ثورات الاستقلال في سورية أو مصر أو العراق أو السودان أو تونس أو المغرب، باستثناء ما وقع في الجزائر عام ١٩٤٥ عندما انتفض الشعب الجزائري في نهاية الحرب العالمية الثانية التي ساهم وشارك مشاركة حاسمة في انتصار فرنسا فيها ضد ألمانيا، وطالب بالاستقلال، ثمناً لتضحياته، فقتل منه الفرنسيون قرابة ٤٥ ألف جزائري في الجزائر وفي المدن الفرنسية.

د - وإذا عرجنا على كارثة تدمر، نستمع إلى أحد شهودها قبل أن نلج إلى تفصيلاتها.. فقد قال أحد معتقلي سجن تدمر في شهادة له أمام منظمة العفو الدولية: الحياة في تدمر أشبه بالسير في حقل ألغام، قد يفاجئك الموت في أي لحظة، إما بسبب التعذيب أو وحشية

السجانين، أو المرض أو الإعدام، وتقول المنظمة في تقريرها المعنون بـ (تعذيب ويأس وتجريد من الإنسانية في سجن تدمر): يوصف عادة سجن تدمر في سورية بأنه مكان: الداخل فيه مفقود، والخارج منه مولود، وقد أصبح سجن تدمر بالنسبة للسوريين مرادفاً للوحشية واليأس والتجريد من الإنسانية، وقد قاسى السجناء في سجن تدمر مستوى مروعاً من الصعب التصديق لما حدث فيه من ضروب التعذيب والتنكيل والوحشية، فالقتل والتعذيب حتى الموت سمة رئيسية من سمات أجهزة النظام السوري تحت إمرة حافظ أسد، إذ التصفية الدموية رافقته من أول يوم استولى فيه على السلطة، وهذا الوصف يثبت في ملفات جمعيات ومنظمات حقوق الإنسان الإقليمية والعالمية التي دونت خلاصاتها وفقاً للمعايير الأممية، كما نص على ذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في ١٠-١٢-١٩٤٨، إلا أن النظام السوري وأجهزة مخابراته الإجرامية تنقض المعاهدات والمواثيق -بالرغم من توقيعه عليها- ويقوم بتصفية عشرات الألوف بصورة دموية، لم تعرف سورية مثيلاً لها في تاريخها القديم والحديث.

٣ - في صبيحة السابع والعشرين من شهر حزيران عام ١٩٨٠ حدثت -في سجن تدمر الصحراوي- مجزرة رهيبة ومرعبة، كان منفذوها من سرايا الدفاع التي يرأسها ويقودها رفعت أسد تنفيذاً لما جاء في خطابه الدموي الذي حض فيه على القتل، ونال فيه موافقة أعضاء المؤتمر القطري السابع، متأسياً بستالين الذي أباد عشرة ملايين

في الاتحاد السوفياتي حسب تعبير رفعت أسد.

لقد أشارت إفادات المعتقلين الذين قدر لهم النجاة من مجزرة تدمر، وخرجوا من السجن، وهم قلة قليلة، بالنسبة إلى ألوف الضحايا الذين دخلوا السجن وهم أحياء، ثم اندثرت وغيبت أخبارهم عن ذويهم وعن العالم في جوف المعتقل الصحراوي، حيث الإحصائيات تقول: إن عدد المفقودين في تدمر على مدى أربع أو خمس سنوات بلغ عشرين ألف ضحية.

أ - لقد مضى أكثر من ربع قرن على وقوع مجزرة تدمر الرهيبة سيئة الذكر، واستمرار المجازر في هذا المسلخ البشري، وقد أقر أحد أركان النظام مصطفى طلاس وزير الدفاع في نظام حافظ أسد، ونائب رئيس الوزراء في حديث لمجلة دير شبيغل الألمانية في شهر شباط ٢٠٠٨ وفي عددها ذي الرقم ٨/ ٢٠٠٥ أجرته معه الصحفية سوزان كوليبيل أنه كان يوقع في أوائل الثمانينيات على ١٥٠ حكماً بالإعدام أسبوعياً على المعارضين السياسيين الإسلاميين، كما اعترف بأن يده -الأثيمة- وقعت على أحكام إعدام بلغت الألوف دون أن يبلغ ذووهم عن إعدامهم، باعتباره نائب الحاكم العرفي بموجب حالة الطوارئ المفروضة، فكانت تحال إليه نتائج المحاكم الصورية الميدانية في تدمر وغيره من مراكز الاعتقال والتحقيق للتوقيع عليها.

ذكر من كتبت له الحياة -وهم كما جاء قبل قليل قلة قليلة- أن المهجع الذي يبلغ عدد المعتقلين فيه ما بين ١٥٠ إلى ٢٠٠ سجين لم يبق فيه سوى عدد يتراوح ما بين ٢٠ إلى ٣٠ بعد أن كانت تدفع إلى

ساحة الإعدام من معتقليه في كل أسبوع دفعة أو دفعتان للقتل، وكان نزلاء المهاجع الأخرى يسمعون تكبيرات الشهداء قبل أن تنفذ فيهم عمليات القتل، فضاقت عصابات القتل بتكبيرات المعتقلين وهم يساقون إلى الإعدام، فصارت تضع لواصق على أفواههم، حتى تحرمهم من هتاف الله أكبر كيلا يسمع المعتقلون في المهاجع الأخرى نداءاتهم واستغاثاتهم لربهم حينما كانوا يقتلون.

ب - لقد حاولت السلطات الحاكمة في سورية أن تسدل ستاراً من الكتمان الكثيف على جريمة سجن تدمر المروعة، لكن سرعان ما انكشف ذلك الستار عندما اعتقل جهاز الأمن الأردني مجموعة من العناصر المسلحة في ٣١-١-١٩٨١ أرسلتهم سلطة البغي السورية إلى عمان لاغتيال رئيس وزراء الأردن الأسبق السيد مضر بدران، فتبين من مجريات التحقيق أن عنصرين من الذين كلفوا بالاغتيال كانا قد شاركا في مجزرة تدمر، واعترفا بتفاصيل المذبحة التي تابعها الشعب السوري والأردني والعرب في أقطارهم والعالم أجمع عبر التلفزيون الأردني وهو يبث اعترافات المجرمين القتلة أو الذين احترفوا القتل في سورية ولبنان والأردن وقتل الفلسطينيين حيثما وُجدوا. . إلخ، وقد ضُمّت هذه الاعترافات إلى وثائق الأردن الرسمية.

كان جميع السجناء والمعتقلين والضحايا الذين ذبحتهم عصابات القتل في تدمر وغيره من السجون والمعتقلات وأقبية التعذيب الـ٧٦ قبواً، وفي جميع المحافظات والأقضية السورية: أعضاء في جماعة الإخوان المسلمين، ومن أنصار التيار الإسلامي، الذين عارضوا

انتهاكات حرمات الإسلام والمسلمين.

ج - في فجر السابع والعشرين من حزيران ١٩٨٠ قامت وحدات من سرايا الدفاع التابعة لسلطة رفعت أسد بالانتقال بالطائرات المروحية، وعددها إحدى عشرة طائرة من مناطق تمركزهم قرب دمشق إلى تدمر، حيث كانت الأوضاع في السجن يجري ترتيبها على قدم وساق، بإشراف مدير السجن: فيصل غانم لتنفيذ المجزرة الرهيبة.

ففي الساعة الثالثة والنصف من فجر ٢٧-٦-١٩٨٠ دُعيت مجموعتان من سرايا الدفاع للاجتماع بلباس الميدان الكامل، فكانت المجموعة الأولى من اللواء ٤٠ الذي يقوده الرائد معين ناصيف صهر رفعت أسد قائد السرايا، وكانت المجموعة الثانية من اللواء ١٣٨ الذي يقوده المقدم علي ديب، تضم كل مجموعة ١٠٠ عنصر انتدبوا للذهاب إلى تدمر وذبح عدد كبير من المعتقلين فيه.

اجتمعت مجموعة اللواء ٤٠ في سينما اللواء حيث ألقى فيهم معين ناصيف كلمة قال فيها: راح تقوموا بهجوم على أكبر وكر للإخوان المسلمين، ثم انتقلت المجموعة إلى مطار المزة القديم، وهناك التقت المجموعتان، حيث كانت في انتظارهم طائرات الهيلوكبتر التي تتسع كل واحدة منها إلى ٢٤ راكباً.

كلف المقدم سليمان مصطفى قائد أركان اللواء ١٣٨ بقيادة العملية الإجرامية، وكان معه من الضباط: الملازم أول ياسر باكير، والملازم أول منير درويش، والملازم أول رئيف عبد الله.

أقلعت الطائرات حوالي الخامسة صباحاً، فوصلت إلى مطار تدمر حوالي الساعة السادسة، فعُقد اجتماع لضباط العملية، تم فيها توزيع المهمات، وتقسيم المجموعات، ثم أعطي للعناصر استراحة لمدة ٤٥ دقيقة. كان السجن هادئاً، قد اتخذت فيه ترتيبات معينة، جرى فيها تفقد المعتقلين، وتسهيل مهمة مجموعات سرايا الدفاع، وكانت الشرطة العسكرية المكلفة بالحراسة عند الباب الخارجي، كما كان رئيس الحرس وشرطته العسكرية مجتمعين في ساحة السجن.

دعي عناصر سرايا الدفاع إلى الاجتماع حيث تم تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات، الأولى مكونة من ٨٠ عنصراً، كلفت بدخول السجن، وسميت مجموعة الاقتحام، والثانية مكونة من ٢٠ عنصراً، كلفت بحماية طائرات الهيلوكبتر، والثالثة مكونة من بقية العناصر، ظلت في المطار للاحتياط.

ركبت مجموعة الاقتحام سيارات دودج تراك، وحين وصلت إلى السجن انقسمت إلى مجموعات صغيرة، وقد سلم مدير السجن النقيب فيصل الغانم مفاتيح المهاجع إلى ضباط سرايا الدفاع، كما زودهم بمرشدين لغرف السجن وباحاته.

كان عدد مهاجع السجن ٣٤ مهجعاً، في كل واحد منها معتقلون يتراوح عددهم ما بين ٢٠ إلى ٧٠ معتقلاً تبعاً لحجم المهجع، وقد تم تنظيم العملية بقتل المعتقلين على دفعتين، الأولى تشمل الغرف المطلة على الباحات: ١ و٢ و٣، والدفعة الثانية تشمل الغرف المطلة على الباحات: ٤ و٥ و٦، وبسبب انخفاض المهاجع وعتمتها في

غرف الدفعة الأولى، تقرر إخراج المعتقلين إلى الباحات، فوقف المعتقلون مغمضي العيون.

في الباحة رقم (١) تم إخراج نزلاء المهاجع: ٤ و٥ و٦، وجمعوا في زاوية الباحة الشمالية الشرقية، وفي الباحة رقم (٣) تم جمع المعتقلين من المهاجع: ١٢ و١٣ و١٦ و١٧ في الزاوية الشرقية الواسعة من الأمام، وهكذا تم تجميع المعتقلين مع أغراضهم بشكل يجعل عملية القتل والإبادة تبدأ في الباحات الثلاثة في وقت واحد، والجدير بالذكر أن المعتقلين جميعاً في اليوم السابق تعرضوا لأنواع من التعذيب الشديد الذي لم يسبق له مثيل، فقد اندفعت عناصر الشرطة العسكرية تطوف بالمهاجع، وتضرب المعتقلين بالسياط والعصي، كما أخرجوا نزلاء بعض المهاجع بالتسلسل، وانهالوا عليهم ضرباً بالعصي والسياط، فأصيب الكثيرون من المعتقلين بكسور وجروح مختلفة.

أعطيت إشارة البدء بالقتل، فانطلقت الآلات النارية تصب جام غضبها على المعتقلين العزل الأبرياء ومعظمهم رهائن، وألقيت عدة قنابل في الباحة رقم (٢) واستخدمت قاذفات اللهب مع إطلاق النار الكثيف في كل الباحات الثلاث، فتعالت صيحات المعتقلين بهتافات: الله أكبر، وخلال دقائق قليلة انتهى الأمر، لكن بعض المعتقلين تمكنوا من الهرب ودخول المهجع الكبير المزدوج ٤ و٥، فلحق بهم عناصر سرايا الدفاع وقتلوهم ومثلوا بهم، ثم اندفعت ست مجموعات من القتلة إلى الباحة رقم (٤) وفيها أربعة مهاجع مليئة بالمعتقلين،

فدخلوا علـيهم، وأخذوا يطلقون رصـاصهم رشاً على الضـحايا الذين سقط معظمهم على الأرض ما بين قتيل وجريح، حتى قضوا على كل من في المهـجع، ثم انطلقت المجـموعات إلى الباحتـين ٥ و٦ حيث توزعت عـلى المـهاجع الخـمسـة الباقـية، فـبدئ بـقتل من فـيهـا من المعـتقليـن، وقام بعض الضـباط والعناصـر بتقليـب جثث الضـحايا، للتأكد من مقتلها أو الإجهاز على من فيه بقية من رمق، حتى تلطخت أيديهـم وثيابـهم وصدورهم بـالدماء، وكـان ممـن قاموا بـهذا العـمل البطولـي الثوري التـقدمي!! المـلازم رئيف عبـد الله، والملازم مـنير درويش، والرقيب علي محمد موسى.

تم تنظيـف الساحات، والقيـام بطلاء الجدران في السجـن لإخفاء معالم الجريمة النكراء، ثم عاد القتلة إلى مطار المزة في الساعة الثانية عشـرة والنصـف، وكان في انـتظارهم الـرائد معين ناصـيف، حـيث اجتمع بهم، وشـكرهم على جهودهم قائلاً لهم: مـا لازم تطلع أخبار العملية لأحد، بل تظل مكتومة وسرية، ثم وزع عليهم في اليوم التالي على كل عنـصر ٢٠٠ ليرة سورية، مكـافأة لهم على (جهـادهم) ليس في الجولان التي كـانت سرايا الدفاع أو الهاربون منهـا باتجاه دمشق، بل بقتل أسرى ومعتقلين في سجون القتلة المجرمين.

اطلعت لجنة حقـوق الإنسان التابعة لمنظمة الأمم الـمتحدة -التي انعقدت فـي جنيف في دورتها السابـعة والثلاثين- على وقـائع مجزرة سجن تدمـر، والتي تضمنت إفادات المـشاركين في المجـزرة (عيسى إبراهيم فياض، وأكرم بيشاني).

كانت المجزرة مدبرة، لأن عملية الفصل بين المعتقلين الإسلاميين وغيرهم من نزلاء سجن تدمر بدأت قبل أسبوعين، كما أفاد بعض البعثيين المناوئين لحكم حافظ أسد، والذين كانوا معتقلين في سجن تدمر، وأفكار القتل ومعسكرات الاعتقال في الصحراء، وما سمي بالتطهير الوطني والتعصب للحزب، ومعتقلات تخضير الصحراء، والتصفية الجسدية، وتقليد ستالين في سياسة التصفية والإبادة، واجتثاث الحركة الإسلامية من الجذور، وملاحقة أبناء الجماعة أينما كانوا- كانت سياسة رفعت المعلنة في خطابه بالمؤتمر القطري السابع الذي وافق على ما جاء في هذا الخطاب الدموي. وقد سارع حافظ أسد بعد مجزرة تدمر بسنٍّ قانون يشرعن التصفية الجسدية، إذ صدر القانون رقم ٤٩ في ٧-٧-١٩٨٠ يدين أي علاقة بالإخوان المسلمين، ويعاقب عليها بالإعدام، وقام حافظ أسد في اليوم التالي، أي في ٨-٧-١٩٨٠ بالتوقيع عليه، ليصبح قانوناً نافذاً بأثر رجعي، بحيث قضت المادة الخامسة من القانون أنه لا يستفيد من اعتقل قبل هذا التاريخ من أي فرصة، لذلك فما نُشر عن تعرض حافظ أسد لمحاولة اغتيال فاشلة، لانعرف عنها ولاعن منفذيها شيئاً، إن هي إلا للتغطية على هذه المجزرة المدبرة التي استهدفت شريحة من علماء سورية وشيوخها وأطبائها ومهندسيها وجامعييها وطلابها وأدبائها وفلاحيها ومن كل فئات المواطنين، بلغ عددهم حسب مصادر هيومان رايتس ووتش ١١٨٢ في مجزرة تدمر، وقد رفع بعض الباحثين والمعنيين العدد إلى ١٧٠٠ شهيد.

د – إننا نعتقد، وفق المنطق القانوني والقضائي، أن هذا الحق لا يضيع بالتقادم، لأنه جريمة بشعة ضدّ الإسلام والمسلمين والسوريين والبشرية قاطبة، والدماء الزكية التي أريقت، وأصحابها معتقلون ومقيدون لن تضيع سدى ولو طال الزمان.

إننا نؤكد على ما صدر عن اللجنة السورية لحقوق الإنسان في ٢٧-٦-٢٠٠٧ من أن سجن تدمر قد تحول على مدى عقدين، إلى مجزرة حصدت فيه آلاف الأرواح في حملات الإعدام الجماعية التي أكدتها تصريحات مصطفى طلاس وزير الدفاع لمجلة دير شبيغل الألمانية، كما رأينا من قبل.

لقد بلغ عدد الذين ابتلعهم سجن تدمر، واختفت آثارهم فيه، وفي جوف الصحراء المحيطة به، سبعة عشر ألف شهيد من النخبة، ومن صفوت الشعب في سورية، والسلطات الباغية لم تزل منذ ٢٩ سنة تتجاهل الموضوع برمته، وتتعامل ببالغ القسوة مع كل استفسار عن أي مفقود في سجن تدمر الصحراوي والسجون السورية كافة.

لقد طالبت اللجنة السورية للدفاع عن حقوق الإنسان -ونحن معها ومن مؤيديها- بما يلي:

– الإعلان عن مصير كل مفقود في سجن تدمر والسجون السورية الأخرى، والإفراج عن الذين ما يزالون على قيد الحياة.

– الكشف عن أماكن دفن الذين ذبحوا في المجازر أو تحت التعذيب، ومنح ذويهم حق نقل رفاتهم إلى مقابر أسرهم.

- فتح تحقيق مستقل في مجزرة سجن تدمر، والمجازر الجماعية كافة.

- التعويض الكامل لذوي المفقودين، بسبب ما ألحقه فقد الزوج والأب والأخ والابن من أضرار مادية ونفسية واجتماعية جسيمة، وغير ذلك مما دعت إليه اللجنة السورية لحقوق الإنسان.

وإننا إذ نختم الحديث عن هذه الفقرة التي طالت لأنها أفظع جرائم العصر بالعبارة الموجزة: إذا ظن المجرمون والسفاحون وسفاكو الدماء والوحوش الضارية أن هذه الجريمة ذهبت أدراج الرياح، وأن التقادم أو النسيان طواها أو سيطويها، فإنهم واهمون، وفي غيهم سادرون، إذ لا بدَّ من أن ينالوا العقاب الذي يستحقونه بموجب شرع الله وعدالة السماء، ثم بالقوانين البشرية التي لا يختلف عليها أحد، ﴿ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريباً﴾(١).

٤ - تتالت المجازر الجماعية، واتسعت دائرتها، وامتد جحيمها في معظم محافظات القطر دون توقف، ودون أي شفقة أو رحمة، يشرف عليها، ويدفع إليها، ويحث عصاباته على تنفيذها: حافظ أسد الذي صادق على القانون ٤٩ بعد ساعات من صدوره بظاهرة غير مألوفة في تاريخ القانون، لشدة تعطشه لسفك الدماء، وإعدام المظلومين والأبرياء، ومن المجازر التي ارتكبها الطغاة على سبيل المثال لا الحصر:

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١٥ .

- مجزرة جبل الزاوية بتاريخ ١٣-٥-١٩٨٠ وراح ضحيتها ١٤ مواطناً.

- مجزرة سوق الأحد في حلب، وقد حدثت في ١٣-٧-١٩٨٠ في السوق الشعبي، فراح ضحيتها ١٩٢ مواطناً من أبناء مدينة حلب التي فقدت الألوف من أبنائها في هذه الفترة العصيبة من تاريخ سورية الحديث، على أيدي عصابات البغي المتسلطة على البلاد، وعلى رقاب العباد.

- مجزرة حي المشارقة -أو مقبرة هنانو- في حلب أيضاً، وقد حدثت في شهر آب ١٩٨٠، وراح ضحيتها ١٠٠ مواطن، وقد أفاد العميد هشام المعلا: أن الذي أمر بها هو رفعت أسد، فراح ضحيتها ٨٦ مواطناً، أنزلهم البغاة من منازلهم في يوم حزين صباح يوم العيد رداً على حادثة وقعت بين المعارضين وبين رجال السلطة، فأخرج البغاة السكان من منازلهم بلباس النوم، وأوقفوهم ووجوههم إلى جدار المقبرة، ثم صبوا عليهم نيران بنادقهم ورشاشاتهم، وأردوهم قتلى البغي والظلم والطغيان.

- مجزرة سرمدا، حدثت في ٢٥-٧-١٩٨٠ راح ضحيتها ١١ رجلاً وامرأة، وجرى تمثيل ببعض الجثث كما حدث للشهيد أمين الشيخ.

- مجزرة بستان القصر، حدثت في يوم ١٢-٨-١٩٨٠، تم فيها إعدام ١٢٠ امرأة كن رهينات، ونمسك عن الحديث المأساوي لما جرى، لأن القلم يعف عن ذكر ذلك، وبعض الأخبار التي وردتنا

تقول: إن هذه الحادثة جرت في سجن الرستن الذي يقع ما بين حمص وحماة.

- مجزرة البساتين في حمص، حدثت في ١٦-٨-١٩٨٠، وخلفت عشرات القتلى، لم تستطع أي جهة حقوقية أن تحدد أعدادهم.

- مجزرة ساحة العباسيين في دمشق بتاريخ ١٨-٨-١٩٨٠ خلفت ٦٠ قتيلاً و٥٠ جريحاً.

- مجزرة الرقة التي حدثت في منتصف شهر أيلول ١٩٨٠، وبلغ عدد ضحاياها ٢٠٠ ضحية.

- مجازر الحجاب، جراء الاعتداء على النساء المحتشمات المحجبات في شوارع دمشق، وكانت في ١٨-٨-١٩٨٠ إذ شرع السفلة والساقطات من المظليات ومن عناصر المخابرات يمزقن حجاب النساء، فأدى هذا العمل الشائن إلى استشهاد بعض النساء، وهن يرفضن الكشف عن الرؤوس والنحور تحت تهديد السلاح، مع شتمهن بالكلمات البذيئة، فسقط نتيجة ذلك قتيلات وجريحات، والحديث عن هذه المآسي يطول، ويثير الألم والاشمئزاز، ويورث الأحقاد والضغائن بين المواطنين.

أما مجزرة حماة الكبرى، فلها مكان آخر في هذه الأوراق لأنها كارثة كبرى، بل هي أكبر الكوارث التي شهدها القرن العشرون.

٥ً - ثمة مجزرة من نوع آخر، ذات أهداف خبيثة في تمزيق

الوحدة الوطنية، وترويع أهل السنة في محافظة اللاذقية، لبث الرعب في أوساطهم والتنكيل بهم، لحملهم على النزوح، وترك مساكنهم، بما يشبه التطهير العرقي والتهجير القسري إلى خارج المحافظة، ففي ٣٠-٨-١٩٧٩ قتل الشيخ العلوي يوسف صارم في منطقة الرمل الشمالي، حيث تقطن أغلبية علوية، وكان الشيخ يوسف يوالي صلاح جديد الذي كان في نزاع حاد مع حافظ أسد، كما كان الشيخ يوسف ينتمي إلى فرقة الحيدرية، بينما كان حافظ أسد ينتمي إلى فرقة الكلازية. وعلى الرغم من فرار القاتلين اللذين يرجح أنهما اقترفا جريمتهما لأسباب عائلية بحتة، فإن تبعية القتل ألقيت تلقائياً على المسلمين من أهل السنة والجماعة، فسارع شباب الطائفة العلوية إلى التجمهر يتقدمهم ضابط من سرايا الدفاع هو الملازم نبيل داوود، فسارع الغوغاء وتحت حماية عناصر الشرطة العسكرية والمخابرات، لا يدعون شيئاً للمسلمين السنة إلا أتوا عليه، لقد أحرقوا السيارات، وكسروا واجهات المحلات التجارية، وأشعلوا النار في محطات الوقود، وهاجموا الفنادق وأحرقوها، وصبوا نار سخطهم على سيارتين سعوديتين أمام فندق الريفيرا، وتعرضوا للسائحين السعوديين بالضرب، وسلبوا ونهبوا كل من مَرَّ بهم.

أ- سار المتظاهرون يهتفون بشعارات معادية للإسلام، ويشتمون الصحابة -أبو بكر وعمر وعثمان- رضي الله عنهم، فحصل صدام دموي مع أهل مدينة اللاذقية، قتل فيها قائد المظاهرة الملازم نبيل داوود.

في المناطق التي يسكنها العلويون، وضع شبابهم المتاريس على طريق كسب - اللاذقية، والشاطئ الأزرق - اللاذقية، وشرعوا في تفتيش السيارات، فقتلوا ونهبوا، فكان من القتلى ثلاثة حلبيين من آل الصباغ.

اتجه بعض المتظاهرين إلى منطقة حي الجمال حيث يسكن التركمان المسلمون، فقام الغوغاء بأعمال النهب والسلب، ودخلوا مسجد علي الجمال، فنهبوا أثاثه، ومزقوا المصاحف، وأحرقوا المسجد، وكسروا زجاجه، فتعطل المسجد عشرة أيام لا تقام فيه الصلاة، وكان محصلة قتلى التركمان عشرين شهيداً.

وفي (الحفة) خرج الغوغاء يحملون جنازة الشيخ يوسف الصارم، ويطوفون بها على القرى لتحريض العلويين للاشتراك بالفتنة، وكلما مروا على قرية من قرى المسلمين السنيين، نهبوا، وقتلوا، وأشعلوا النيران في العقارات والأملاك.

وفي مدينة اللاذقية قام أحد عناصر المخابرات في حي الصليبة بقتل المواطن اللاذقي نادر حصري، وهو ابن ثمان وعشرين سنة، فانطلق المسلمون يحملون شهيدهم على أكتافهم يوم الجمعة في ٣١-٨-١٩٧٩، وهم يهتفون بـ: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وساروا بها إلى ساحة الشيخ ضاهر، فأطلق ثلاثة مسلحين النار على المشيعين، فسقط منهم في الحال ثمانية قتلى، وجرح خمسة آخرون، فوقعت الجنازة على الأرض، غير أن المشيعين صمموا

على السير بها، حتى واروا الشهيد في مثواه الأخير(١).

ب - أدرك الإخوان ما يبيت للمسلمين السنة في اللاذقية، فأصدروا بياناً في ٦-٩-١٩٧٩ حول أحداث المدينة، خاطبوا فيه السوريين والعرب والمسلمين وأحرار العالم بكلام جاء فيه: لقد سمعتم الأكاذيب والأباطيل التي لفقها النظام السوري ضد الإخوان المسلمين بقتل شيخ من العلويين، لإيقاظ فتنة طائفية، ذهب ضحيتها الكثيرون من المسلمين.

إن الإخوان المسلمين يطالبون الجامعة العربية والدول العربية، كما يطالبون حكام المسلمين، وهيئة الأمم، ودول العالم، ولجان الدفاع عن حقوق الإنسان، ولجنة العفو الدولية، بإجراء تحقيق عادل نزيه حيادي ليقف العالم بأسره على الحقيقة الناصعة، من براءة الإخوان المسلمين، ومن تخطيط النظام الطائفي الذي دبر المجزرة للمسلمين في اللاذقية، وفي الساحل السوري.

إن الإخوان المسلمين يضعون في أعناق المسلمين مسؤولية التدخل لإيقاف المذبحة الجماعية للمواطنين المسلمين، فالعلويون بيدهم كل أنواع السلاح، والمسلمون عزل، لا حول لهم، وفي كل يوم يقيم الطائفيون مسلخاً بشرياً، ويجرون نهراً من الدماء البريئة في اللاذقية وفي المدن الأخرى(٢).

---

(١) مجلة النذير، العدد الثالث ص٣ - ٦ الصادر في ٧-١٠-١٩٧٩ .

(٢)مجلة النذير، العدد الأول ص٨ - ٩ .

ج - أهاب الإخوان المسلمون بالعرب والمسلمين أن يهبوا لنجدة إخوانهم الذين يواجهون في منطقة الساحل السوري خطة رهيبة كخطة الصهاينة في إجلاء الفلسطينيين عن ديارهم، أو إبادتهم. وإن ما يجري في اللاذقية شبيه بمجزرة قبية، ومجزرة دير ياسين، لتصفية السنيين في الساحل، وتهجيرهم، وإحلال البعض من سكان الجبل محلهم.

إن الإخوان يناشدون العرب والمسلمين لإيقاف المذابح التي تجري في سورية. وختم الإخوان نداءهم ومناشدتهم بقول القائل:

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة   حتى المنابر ترثي وهي عيدانُ

لمثل هذا يذوب القلب من كمد   إن كان في القلب إسلام وإيمان

٦ - ضج العالم من هول ما يجري في سورية من قتل وإبادة، وحمامات الدم، ومجازر جماعية، تسفك فيها دماء العشرات والمئات والألوف، كما جرى في سجن تدمر، وفي مدينة أبي الفداء، وبدأ الناس يسمعون نداءات المسلمين في العالم، وصرخات ذوي الضمائر الحية، في المشارق والمغارب من هول الفاجعة، وما يحدث للسوريين على أيدي التتار الجدد، والمغول الحاقدين، وإمعانهم في القتل، وإسرافهم في إبادة من يؤمن بالله العزيز الحميد.

وكان الإخوان قد وجهوا مذكرات عديدة في عام ١٩٧٩ و١٩٨٠ إلى الحكومات العربية، وإلى جامعة الدول العربية، والهيئات الدولية، والمنظمات الحقوقية المدافعة عن حقوق الإنسان في لندن

وجنيف وغيرهما.

أ - كانت صيحة الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في هذا الشأن مدوية، إذ وجه برقية لحافظ أسد في ٢٩-٧-١٩٧٩ جاء فيها: لقد هال المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية المنعقد في المدينة المنورة، والذي يحضره ممثلون من علماء المسلمين وقادة الفكر في العالم الإسلامي، ما جرى ويجري في سورية المسلمة، من إعدام وتعذيب وتنكيل بالمسلمين الذين يطالبون بتحكيم شريعة الله في المجتمع.. إلخ.

إن المجلس الأعلى للجامعة يأسف أشد الأسف لما يجري في هذا البلد الغالي من سفك دماء الذين ينشدون ما هو واجب على كل حكومة تؤمن بالله ورسوله، ويستغرب المجلس الأعلى أشد الاستغراب أن تكون الدعوة في بلد إسلامي عريق جرماً يستوجب أهله الاعتقال والإيذاء والقتل، دون أن يسمح للمتهم بأدنى قدر من الحرية لجلاء الحقيقة[1].

كما رفع الإخوان مذكرة إضافية إلى لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان، تضمنت شرحاً وافياً عن نكبة المسلمين في سورية منذ خمسة عشر عاماً في ظل حكم ديكتاتوري متعطش لسفك الدماء، وإزهاق الأرواح، والتعذيب حتى الموت في سجون المزة، والشيخ حسن، والحلبوني، والقصاع، وأقبية المخابرات، وسجون

---

(١) مجلة النذير، العدد الأول: ١٢ بتاريخ ٢١-٩-١٩٧٩ .

المحافظات المدنية والعسكرية، التابعة لعدد من أجهزة القمع، ومخابرات رئاسة الجمهورية، وتضمنت المذكرة أسماء شهداء أبرار قضوا غيلة أو تعذيباً، وأسماء سجينات عذّبن بالكهرباء والوسائل الأخرى. وقد قرأنا من قبل مقتطفات من بيان الإخوان الذين خاطبوا به السوريين والعرب والمسلمين، وأحرار العالم في الصفحة الثامنة من العدد الثاني من مجلة النذير.

ب - ثم صدرت فتوى صريحة عن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لنصرة المجاهدين في سورية جاء فيها: من عبد العزيز بن باز إلى من يراه من ذوي الخير والإحسان: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فقد ثبت لدي أن إخوة لكم في سورية قد قتلوا، وبعضهم غيب في السجون ظلماً وعدواناً، وما نقموا منهم إلا أنهم مسلمون، يدعون إلى الله سبحانه، ويرشدون العباد إلى توحيده وطاعته، وقد خلفوا عوائل وأولاداً قاصرين، هم في حاجة إلى المواساة والإحسان، ولا يخفى عليكم أن المسلمين أينما كانوا كالبنيان الواحد والجسد الواحد، يشد بعضهم بعضاً، ويألم بعضهم لبعض، ويواسي غنيهم فقيرهم كما قال النبي ﷺ: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك ﷺ بين أصابعه، وقال عليه الصلاة والسلام: المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، وقال عليه الصلاة والسلام: والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ولهذه الأحاديث، وما جاء في معناها، رأيت تعريفكم بحالهم، راجياً منكم العون والمساعدة لهم من الزكاة،

رحمة بحالهم، ومواساة لهم، وقياماً بحق الأخوة الإسلامية، والله المسؤول أن يضاعف أجركم، ويتقبل منكم، ويخلف عليكم ما تنفقون في سبيل الله بأحسن الخلف، إنه جواد كريم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته(١).

ج - كما وجه الأستاذ سالم عزام الأمين العام للمجلس الإسلامي الأوربي رسالة للسيد توماس هاماربرج الأمين العام لمنظمة العفو الدولية حول الأوضاع في سورية، هذا نصها: لا شك أنكم مطلعون على الأخبار المفجعة عما يجري في سورية منذ فترة طويلة، من اعتقالات جماعية، ونشر الإرهاب، وتذبيح جماعي للمعارضين السياسيين لنظام الأسد، ولقد تجاوزت همجية نظام الأسد كل الحدود، ووصلت إلى أبعاد لم يسبق لها نظير، كما يمكنكم أن تروا من القصاصة المرفقة على صحيفة الدايلي تلغراف عدد أمس، وتدل التقارير الصادرة عن مصادر موثوقة في سورية، أن نظام الأسد قد جُنّ جنونه، وأن عصاباته من القتلة الذين يتلذذون باللعب بالخناجر والبنادق، تذبح الناس بدون تمييز وفي نطاق واسع جداً، وأن الوضع على غاية بالغة من الخطورة، مما يدعو لعمل فوري، إذا أريد منع مجازر جديدة يذهب ضحيتها آلاف الأشخاص.

لقد لعبت منظمتكم دائماً دوراً بارزاً وهاماً ضد مثل هذه الأعمال في أنحاء العالم، ولا يساورني شك أنكم ستتخذون كل الخطوات الضرورية، وتولون هذا الأمر أولوية قصوى، وإن المجلس الإسلامي

---

(١) النذير، العدد ٢٤: ٣٠ .

من جانبه يقوم بواجبه أيضاً، وإن الأمر يتطلب من كل الدول المتمدنة، ومن وسائل الإعلام والمنظمات والأشخاص أن يتكاتفوا، ويتجاوبوا بسرعة وعزيمة مع هذا الأمر الفاجع.

وقد أجاب السيد توماس على رسالة الأستاذ سالم عزام برسالة مطولة، جاء فيها:

- لقد عبرت منظمة العفو الدولية خلال الأشهر الماضية عن قلقها حول حقوق الإنسان في سورية، وقد قام قسم الأبحاث لدينا بنشاطين عاجلين ضد إعدام ١٤ حكموا بالإعدام، وخمسة عشر آخرين أعدموا في دمشق.

- بيان صحفي في ٣٠-١-١٩٨٠ يتضمن إرسال برقية إلى حافظ أسد، تطالبه بتأكيدات حول حقوق الإنسان من الحكومة السورية.

- بيان صحفي في ٢٥-٤-١٩٨٠ لإعلان تقارير عن اعتقالات واسعة النطاق، وعن إعدامات ميدانية، وسنستمر في عمل ذلك في المستقبل، وأؤكد لكم أن منظمة العفو الدولية ستستمر في العمل في أرجاء العالم كله ضد اعتقال السجناء السياسيين، وضد التعذيب، وللإلغاء التام ضد عقوبة الإعدام(١).

الأمين العام: توماس هامابرج

د - وعندما عقد المؤتمر الإسلامي لقاء في إسلام آباد عاصمة باكستان في ٢٩-١-١٩٨٠ تلقى برقية من المركز الإسلامي في

---

(١) النذير، العدد ٢٢: ٢٤-٢٥.

ميونخ، ومن الاتحاد الإسلامي في ألمانيا جاء فيها: نناشدكم مساعدة إخواننا الأفغان في كفاحهم الشجاع ضد الغزاة السوفيات، الذين يتجبرون بقواتهم المتغطرسة، كما نحثكم على إدانة الرئيس السوري حافظ أسد بشدة، لأنه الرئيس الوحيد لبلد مسلم الذي أيد الاحتلال السوفياتي لأفغانستان.

إن القمع الوحشي والمذابح الرهيبة التي تقترف ضد المسلمين المخلصين في سورية، تدل بكل وضوح على أن هؤلاء الذين هم في مركز قوة لا يترددون حتى في بيع أوطانهم إذا كان ذلك يمكنهم من البقاء في السلطة. إن كل من يقوض التضامن الإسلامي بتفضيله المساعدة الشيوعية على دماء المسلمين، هو عدو لله ولرسوله وللمؤمنين.

ساعدوا -ولكم الشكر- المسلمين السوريين على إنقاذ وطنهم من مخالب نظام كافر(١).

هـ - تبع ذلك أن أصدر اتحاد المنظمات الإسلامية في أوربا بياناً بتاريخ ١١-٣-١٩٨٠ ندد فيه بالنظام الطائفي المتداعي لحافظ أسد، وجرائمه القمعية التي ارتكبها مؤخراً بحق الشعب السوري المجاهد، أما المجلس الإسلامي الأوربي فقد عبّر من خلال جبهة التضامن الإسلامي عن قلقه بسبب الاضطهاد القاسي الذي يتعرض له المسلمون في سورية، وحذر البيان الصحفي لجبهة التضامن

---

(١) النذير، العدد ١٢: ١٠ .

الإسلامي حافظ أسد، جزار الفلسطينيين في تل الزعتر والمخيمات الفلسطينية الأخرى -وهو المعروف بجرائمه ضد الإسلام والمسلمين- من استمراره في عمليات القمع الوحشية التي لم تمنع المسلمين في سورية من أداء واجبهم تجاه الإسلام. وأضاف البيان: يجب أن يُعلم أن المسلمين في أنحاء العالم ينظرون إلى أفعاله بالاحتقار والاستهجان.

وكان المسلمون في ألمانيا الغربية قد وزعوا منشورات تفضح النظام السوري، وتطلب من لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان زيارة سورية، والاطلاع على أحوال المعتقلين عن كثب، كما اشترك المسلمون في ألمانيا بمسيرة ليلية نظمتها لجنة العفو الدولية، وشارك فيها مسلمو كولن وفرانكفورت، فضلاً عن أبناء الجاليات التي تمثل الشعوب المضطهدة التي تعاني من الأنظمة الاستبدادية، وقد حمل المتظاهرون اللافتات التي تدافع عن قضايا شعوبهم، ومنها قضية الشعب السوري المجاهد المصابر الذي يرزح تحت أبشع نظام استبدادي عرفه العالم في العصر الحديث.

ثانياً: صدور القانون ٤٩ لعام ١٩٨٠

كان سكان شبه جزيرة القرم في البحر الأسود من المسلمين، وكانت الحرب بين الروس والعثمانيين سجالاً، فتارة ينتصر الروس، وتارة ينتصر العثمانيون، وكثيراً ما وقعت شبه جزيرة القرم تحت الاحتلال الروسي، فقرر ستالين -المثل الأعلى لرفعت أسد- القضاء على السكان المسلمين في شبه الجزيرة، فأسرف، كعادته، في

عمليات الإعدام لتبلغ عشرات الألوف، فلم يشف هذا القتل نفس ستالين الدموية الخبيثة، ورأى أن ذلك لا يحقق قصده في إبادة سكان شبه جزيرة القرم، فدلته نفسه الشيطانية على أسلوب آخر، فأسرع يتخلص فيه من السكان الذين كان عددهم خمسة ملايين، فحاصر شبه الجزيرة، ومنع عنها الغذاء والأسباب المعيشية ليموتوا جوعاً، وقد كان ذلك، إذ فَنِيَ سكان شبه جزيرة القرم، ومات معظمهم جوعاً وعطشاً ومرضاً، حتى لم يبق منهم سوى ثلاث مئة ألف من السكان الذين نكبوا بسياسة ستالين الوحشية، وهذا ما قرأته في كتاب وزعه أبناء شبه الجزيرة، وليس تحت يدي في هذه الغربة.

٦ - هذا ما حدث شبيهه في سورية، إذ أن بطل المذابح رفعت وأخاه السفاح ابن العلقمي الثاني ومن يدور في فلكهم من الطائفيين والمنافقين من أمثال مصطفى طلاس وفايز النوري، لم يشف غليله قتل واغتيال ومذابح المؤمنين المظلومين في حماة وتدمر وحلب وحمص ودمشق والرقة وجسر الشغور واللاذقية وسرمدا وجبل الزاوية، فأملت عليهم أحقادهم أن يتجاوزوا هذا القتل البطيء المتدرج أياً كانت حصيلته: عشرات أو مئات أو ألوفاً كالذي حدث في تدمر وحماة، فسولت لهم نفوسهم الخبيثة الأمارة بالسوء والظلم والإبادة: قتل السوريين من الإخوان ذوي التوجهات الإسلامية مرة واحدة، بإصدار الحكم بإعدامهم طبقاً لقانون ما عرف العالم الحديث والمتمدن له سابقاً أو شبيهاً، فأصدروا القانون ٤٩ لعام ١٩٨٠، وصدقوا عليه من البرلمان السوري التقدمي العتيد.

إنني أهيب بكل سوري أو إنسان غيور على الإسلام، وعلى دماء المسلمين أن يقرأ -كما قرأت- ما نشرته الجريدة الرسمية إذ ذاك من مناقشات حول إعدام من ينتسب إلى جماعة الإخوان المسلمين، وكيف كان الخطباء يتبارون بالحث على ذبح أعضاء الجماعة دونما شفقة أو رحمة، فكان قانون العار ذو الرقم ٤٩ الذي يعد لطخة عارٍ في جبين الفئة الباغية التي أصدرته، وأقره الرئيس الطاغية بعد صدوره ببرهة وجيزة في تصرف غير مسبوق في تاريخ القوانين، ونفذ بموجبه قتل عشرات الألوف من أعضاء الجماعة الراشدة المجاهدة التي أنقذت جيلاً بل أجيالاً من الضياع والانحراف وأخذت بأيديهم إلى حظيرة الإيمان ورحاب الإسلام.

٢ - صدر قانون العار رقم ٤٩ في ٧-٧-١٩٨٠ الذي أقره مجلس الشعب أو مجلس عدو الشعب (الذي جاء به الطاغية في انتخابات تثير السخرية لدى كل من يعرف حقيقتها وكيف تمت) في جلسة ٧-٧-١٩٨٠، ونصت فيه المادة الأولى على اعتبار كل منتسب لتنظيم الإخوان المسلمين مجرماً يعاقب بالإعدام، ويعفى حسب المادة الثانية من العقوبة كل منتسب إلى هذه الجماعة، إذا أعلن انسحابه منها خلال شهر واحد من تاريخ نفاذ هذا القانون، كما نصت المادة الخامسة من قانون العار أنه لا يستفيد من التخفيض والعفو الوارد في المادة الثالثة في هذا القانون الذين هم قيد التوقيف أو المحاكمة.

رئيس مجلس الشعب محمود حديد

وهذا يعني أن جميع المعتقلين سينفذ فيهم حكم الإعدام، وهذا ما يفسر إرسال أفواج المعتقلين في تدمر إلى ساحات الإعدام فوجاً إثر فوج حتى بلغ عدد من نفذ فيهم حكم الإعدام في سجن تدمر حوالي عشرين ألف شهيد، هل عرف الإنسان مثل هذا التعنت والظلم والقسوة على البشر كالذي نراه من عسف وحقد على الذين يشهدون بالوحدانية لله، ويعملون على نشر دعوة الله والالتزام بأحكام الشريعة والتزام أوامره واجتناب نواهيه؟

هل قرأ القارئون وكل من يعنيه مصير الإنسان على هذه البسيطة وعلى كوكبنا الأرضي مثل هذه الوحشية في إبادة البشر كالذي ارتكبه الطاغية حافظ أسد في سورية؟ لقد كان القانون ٤٩ كارثة في نصوصه، والإجراءات التي انتهت إلى إقراره، فقد نص قانون التضحية هذا في مادته الأولى أن كل منتسب لتنظيم جماعة الإخوان المسلمين يعتبر مجرماً، كما رأينا، ويعاقب بالإعدام، نعم بالإعدام، إذا كان يؤمن بمبادئ الإخوان المسلمين -التي هي مبادئ الإسلام- التي تعتنقها عشرات التنظيمات الإخوانية في الوطن العربي والعالم الإسلامي، وفي أوساط الجاليات الإسلامية في القارتين الأوربية والأمريكية.

٣ - إن طريقة إقرار القانون لا يقل غرابة وإجراماً عن نصوصه، فقد عرضه من يسمى رئيس مجلس الشعب محمود حديد، فطلب النائب غازي خضرة استعجال النظر في القانون، فأوضح عبد الله موصللي أن للسلطة التنفيذية أو لأي عضو أن يطلب صفة الاستعجال

لأي موضوع ليحال إلى اللجان المختصة لتبت فيه خلال خمسة أيام، وكما تعلمون فإن دورتنا تنتهي في منتصف هذا الليل، أي بعد خمس ساعات ونصف، ثم قال: الموضوع خطير جداً، لذا أطلب من الأعضاء عدم الموافقة على الاستعجال فيه، وأن يبحث في تروٍ وإمعان ودقة، وسوف أعلن أمام الجميع بأنني لن أحضر جلسة اللجنة الدستورية حال إقرار الاستعجال فيه، فتعالت الأصوات للحد من قسوة هذا القانون الجريمة، من أمثال عبد الله الموصللي والشيوعي وحيد مصطفى، وتحسين الصفدي، ونجم الدين صالح، وجمعة عبدون اللذين استغربا تطبيق القانون بأثر رجعي على الموقوفين، فرد وزير الداخلية ناصر الدين ناصر: أن القانون سوف يطبق على الموقوفين، لكن هذه الأصوات النبيلة تلاشت في الجو المحموم، وأمام المتعطشين لسفك الدماء من أمثال جمال عبد الدين، ومحمود كللو، ومحمد جمعة تفتنازي، وغازي خضرة، وجميل أسد الذي أضاف على القانون اقتراحاً يقضي بمصادرة الأموال لمن ينفذ فيهم حكم الإعدام من المنتمين إلى الإخوان المسلمين.

لم يعثر المحامون على قيد واحد لقضية وضعت النيابة العامة عليها تطبيقاً للقانون ٤٩، وعندما قام وفد من علماء سورية، ومعهم آباء لعدد من المعتقلين لزيارة حافظ أسد ليطمئنوا على أبنائهم بعد المجزرة التي ارتكبها الطغاة في سجن تدمر يوم ٢٧-٦-١٩٨٠ وذهب ضحيتها ما بين ١٠٠٠- ١٧٠٠ سجين، دون أن تعلن أسماء الضحايا، قال لهم: لقد عقدت في تدمر محاكم ميدانية لتقوم بعملها.

لقد تساءل الحقوقيون والمحامون عن هذه المحاكم الميدانية، ومن هم قضاتها؟ وهل هي محاكمات سرية أم علنية؟ وما هي الأصول المتبعة في إجراءاتها؟ وهل يحق للمتهم الاستعانة بمحام للدفاع عنه؟ وهل أحكامها قابلة للطعن؟ لابد من الرجوع إلى قانون المحاكم الميدانية لمعرفة ذلك.

من قراءة قانون محاكم الميدان العسكري نرى أنها محاكم استثنائية، ليس لها اختصاص إلا في زمن الحرب، عندما تقع اشتباكات مع العدو، وإن قضاتها من العسكريين، ولا يوجد نص يلزمها بالعلنية، ولا تلتزم باتباع الأصول والإجراءات المنصوص عليها في التشريعات النافذة، ولا يحق للمتهم أن يستعين بمحامٍ، وأن أحكامها قطعية غير قابلة للطعن، ولما كان القانون (٤٩) قد صدر بتاريخ ٧-٧-١٩٨٠، ومعلوم أنه قبل صدوره، وحتى نهاية القرن العشرين، لم يقع صدام عسكري مع العدو، ولا اشتباكات مسلحة مع أي عدو من أعداء الوطن، لذا فإن محاكمة الإخوان المسلمين أمام هذه المحاكم باطلة، وأن قراراتها معدومة، وأن قضاتها الذين أصدروا أحكاماً بالإعدام على ألوف المعتقلين قد ارتكبوا جرائم قتل عمداً، ولابد للشعب من محاكمتهم، وإنزال العقاب بهم كمجرمين.

٤ - ضج المدافعون عن حقوق الإنسان مما يعانيه المواطن السوري منذ أكثر من أربعة عقود وما يزالون، من إرهاب وتعذيب وحرمان من أبسط حقوق الإنسان، بل ومما هو دون الإنسان، وما برحوا يرسلون صيحاتهم ونداءاتهم لجميع شعوب العالم، ولكل ذي ضمير حي كي

يعملوا ويسهموا في رفع المعاناة عن الإنسان في سورية.

أ - أوردت اللجنة العربية لحقوق الإنسان حالات من العذاب والقهر تشمل الألوف التي تعيش في ظل حكم إرهاب الدولة لا مثيل لوحشيته في العالم كله، إذ لا توجد فترة زمنية للتوقيف الاحترازي في سورية، ولم تجر العادة في سورية أن يتلقى موقوف سياسي مذكرة توقيف، أو يؤذن لمحام بالدفاع عنه أو يحال إلى محاكمة عادلة. فكل هذه الإجراءات غائبة عن قانون الحكم في سورية، لدى اللجنة العربية لحقوق الإنسان. إن لدى المنظمة قائمة غير مكتملة بـ٣٠٠ شخص، بدأت محاكمتهم لدى محكمة أمن الدولة بعد عشر سنوات من اعتقالهم، وقائمة غير مكتملة بـ٦٥٠ شخصاً لم يحاكموا يوماً رغم بقاء بعضهم بالسجن ٢٧ سنة، وكل ضحايا الوفاة تحت التعذيب لم يجر التعويض على عائلة ضحية واحدة.

ب - لقد وصل عدد الذين دخلوا السجن في العقود الثلاثة الماضية لأسباب تتعلق بحرية الرأي والضمير في حوزة المنظمة إلى ١٨٠٠٠ شخص، منهم أكثر من ٥٠٠٠ فلسطيني، وأكثر من ٨٠٠ لبناني، والقائمة بالتأكيد غير مكتملة، والسلطة السورية لم تقبل بإجراء تحقيق حول مصير أي مفقود (بعد تطبيق هذه السياسة الإجرائية من ٣٠ سنة) كما توجد قائمة غير مكتملة بأسماء ٣١٠٠ شخص ما زال مصيرهم مجهولاً، وفقاً لشهادة المهندس فاتح جاموس الذي أمضى ١٨ سنة في عدة سجون، وهو القائل: قتلت أجهزة الأمن من عام ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٥ في سجن تدمر من خمسة

إلى ستة آلاف سجين، في حين يعطي أقرباء أعضاء جماعة الإخوان المسلمين العدد نفسه لعامي ١٩٨٠- ١٩٨٢، وبفضل الضغوط الدولية، أحيل فاتح جاموس -اليساري- إلى محكمة أمن الدولة، وبالرغم من انتهاء الحكم عليه في السجن ١٥ سنة بقي في السجن ثلاث سنوات إضافية، وكذلك كان حال الأستاذ عبد الكريم أصلان الذي أمضى في السجن ١٦ سنة و٨ سنوات في الملاحقة، أما الأستاذ رياض الترك الرجل الصلب: فقد بقي في زنزانته الانفرادية وفي عزلة تامة عن العالم دون محاكمة أكثر من ١٧ سنة.

ج - بلغ عدد المحرومين من حقوقهم المدنية أكثر من خمسة آلاف، أما عدد المنفيين لأسباب سياسية فيبلغون حوالي ٢٧ ألفاً على أقل تقدير، وهذا غيض من فيض لشرح أسباب المأساة التي أوصلت سورية الجريح إلى ما بلغته اليوم، ووصلت إليه من انحطاط سياسي وحقوقي، حسب تقديرات اللجنة العربية لحقوق الإنسان.

بعد أكثر من أربعة عقود على سيطرة القوانين الاستثنائية الشاذة، وإلغاء مفهوم السلطة القضائية، وتسلط أجهزة الأمن آمرة وناهية على رقاب الناس، لم تكن هذه المآسي في نطاق الممارسات من فوق الدستور، وإنما أدخلت في صلب الدستور الدائم الذي فصله حافظ أسد، ليأتي أنموذجاً في التعسف والجور الطغيان.

إن منظمة حقوق الإنسان العربية في دمشق التي أُسست عام ١٩٦٢ جرى حظرها عام ١٩٨٢، وزجت السلطات أعضاءها في السجن طويلاً، فأصبح الخطاب الرسمي يتحدث عن عدم أهلية

الشعب في سورية للديمقراطية، والحاجة إلى ظروف تؤهل هذه الرعايا إلى مستوى المواطنة، مع أن سورية مارست الديمقراطية منذ عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي بالكمال والتمام، وبحرية كاملة، وخاضت صراعاً حاداً مع سلطات الانتداب الفرنسي، وانتزعت بوعي الشعب وصلابته انتخابات حرة نجح فيها الوطنيون بقيادة فوزي الغزي، وهاشم الأتاسي، ثم شكري القوتلي، انتصاراً مؤزراً، ونالوا الأكثرية في البرلمان السوري، وبعد ثمانين سنة من هذه الممارسة الديمقراطية التي سبقت أقطار العالم الثالث في انتزاعها، لم يعد السوريون مؤهلين للحرية والانتخابات الديمقراطية، إلا إذا كانوا من قرية القرداحة، أو من عشيرة حافظ أسد الكلازية!!

وبهذا المنطق السقيم أو التزييف وطمس الحقائق، وتضليل الشعب والعسف الجائر، وخلال ثلاثة عقود أو يزيد مارس حافظ أسد السلطة كعمل فردي تعينه عليه أجهزة تنفيذية أمنية، وبطانة سياسية، فتم تجميد القضاء، وتطويع السلطة التشريعية التي تحولت إلى فرقة للمدح والقدح والنوح تسمى مجلس الشعب، ومن ثم لم يعد من الممكن الخروج من الطريق المسدود الحالي بعد مجزرة حماة الكارثية دون كسر الصيغة أو النموذج السائد، وإعادة الاعتبار لكل مواطن يعيش على أرض الوطن.

٥ً - لم تقتصر انتهاكات حقوق الإنسان في سورية على أبنائها وحدهم، فقد شملت كل من طالته يد السلطة الإرهابية من المواطنين العرب، ومن أبناء دول الجوار، كاللبنانيين والفلسطينيين والأردنيين

والعراقيين واليمنيين وغيرهم، فقد سجل السيد حاكم الفايز عضو القيادة القومية لحزب البعث، حلقتين في جريدة العرب اليوم الأردنية، تحدث فيهما عن اعتقال السلطات الأمنية السورية له، وخطفه من لبنان، بعد تخديره.

أ - ذكر الفايز أن الأمن السوري ألقى القبض عليه من منزله بطريقة وصفها بأنها رخيصة، فقد كانت حاجته لرخصة مسدس هي المصيدة التي وقع فيها بالفخ الذي نصبه له زهير محسن بواسطة شقيقه ماجد محسن الذي أحضر إلى شقته مجموعة لم يستطع تقدير عددهم، حيث سارعوا إليه بالضرب المبرح بالبنادق والمسدسات، فسال الدم منه، وبلل قميصه الداخلي الذي ما زال يحتفظ به، ثم قاموا بتكتيفه والدم ينزف منه، وتخديره، ففقد وعيه، وعندما صحا لم يكن يعرف أين هو، وكان الوقت ليلاً، ثم وجد نفسه في كراج للسيارات على الأرض مكتوف اليدين والقدمين، وعلى فمه لاصق، نظر إلى ثيابه ليجدها مليئة بالدم، ثم خدروه مرة أخرى فعاد للغيبوبة، ولم يصح إلا وهو داخل الزنزانة في دمشق، ثم نقلوه إلى سجن المزة ليمكث فيه اثنتين وعشرين سنة فقط!! دون محاكمة أو تحقيق أو سؤال أو جواب.

إن ما لاقاه حاكم الفايز الذي ينتمي إلى إحدى العشائر الأردنية حدث لرفقائه أعضاء القيادة القومية مثل: ضافي جمعان، ومجلي نصراوين، وحسن الخطيب، ويوسف البرجي، وسليمان عبد الله، ومحمود بيضون، وهم من العراق والأردن وفلسطين ولبنان، ولدى

كل واحد منهم قصة لا تقل فظاعة عما لقيه السيد حاكم الفايز من محنة على أيدي الفئة المجرمة في دمشق.

ب - أما مأساة المواطن اللبناني فهي أدهى وأمر، فمنذ أطلقت أمريكا يد السلطة في لبنان كما جاء في الجزء الثالث من مذكرات كيسنجر التي نشرها، واللبنانيون يعانون أشد الويلات على أيدي أجهزة الأمن السورية التي تتحكم بمفاصل الحياة في لبنان، لقد أطلقت السلطة السورية سراح الشيخ هاشم منقارة من سجونها بعد إخفاء قسري استمر خمسة عشر عاماً بشكل غير قانوني، وكانت السلطات السورية واللبنانية -الخاضعة للأمن السوري- تنفيان وجوده في السجن، ثم دعت لجنة دعم المعتقلين والمنفيين إلى الإفراج عن جميع اللبنانيين المعتقلين في السجون السورية، مؤكدة أن مسلسل المعتقلين والمسجونين والمفقودين يشكل عقبة أساسية في طريق حل هذا الملف الشائك والمؤلم في تاريخ العلاقات اللبنانية السورية.

وفي نيسان/ أبريل ١٩٩٨ أفادت منظمات مدافعة عن حقوق الإنسان، من بينها منظمة العفو الدولية في لندن أن ٢٢٨ لبنانياً معظمهم من التنظيمات المسيحية ومن المسلمين الأصوليين لا يزالون معتقلين في سورية، جلهم من دون محاكمة، وبعضهم منذ أكثر من ١٥ سنة في عزلة تامة، بالرغم من مضي أكثر من عامين على مطالبة المنظمات المدافعة عن حقوق الإنسان، فإن ملف المخطوفين من لبنان، والقابعين في زنازين وأقبية المخابرات السورية ما يزال مفتوحاً، بل ويزداد تعقيداً وتأزماً.

٦ - كان ضمن الذين أفرج عنهم من أعضاء القيادة القومية لحزب البعث الذين مكثوا في زنازينهم ومعتقلاتهم ٢٢ سنة من ١٩٧٢ - ١٩٩٤ دون أن يسألهم أحد سؤالاً واحداً خلال هذه الفترة، العراقي سليمان عبد الله الذي قُدِّر لنا رؤيته والتقاؤه في بغداد، إذ تمت دعوته إلى مقر التحالف الوطني للمعارضة السورية في حي المنصور، فجلس في صالة المقر يحدث الحاضرين وعددهم يتراوح ما بين ١٠ و١٥ -وكنت منهم- عما يلاقيه المعتقلون من التعذيب الوحشي والمهانة والتنكيل الذي يطال جسد الإنسان وكرامته، وتحدث سليمان عبد الله عن أنواع من التعذيب لا تخطر على قلب بشر قبل رؤيته لها، ثم أردف قائلاً: لكن تعذيب أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، وقتلهم تحت التعذيب يفوق كل ما يعانيه المعتقلون الآخرون، ثم تحدث عن أمرين حدثا للإخوان، علم بهما في فترة سجنه، أما أحدهما: فقد جرى عندما صدر أمر بنقل أحد الذين يديرون شؤون السجن، يرجح أنه نائب مدير السجن في تدمر، فأراد أن يقدم عملاً بطولياً خارقاً بين أيدي الطغاة قبل أن يغادر السجن إلى مقر عمله الجديد، فطلب إحضار عشرة أطباء من معتقلي الإخوان، فتسابق الأطباء بتقديم أنفسهم، عندما ناداهم السجان، ظناً منهم أن إدارة السجن سوف تستخدمهم في الأعمال والخدمات الطبية، وكان مما يفرضه نظام السجن في تدمر، أن المعتقل إذا نودي عليه يحضر ورأسه منكس إلى الأرض، أو متجه إلى الخلف، كيلا تقع عينه على من يناديه أو يستجوبه، أو يحقق معه، وكان السجان المنقول مدرباً أو

مختصاً بالقتل عن طريق الخنق أو كسر الحنجرة والبلعوم (الجوزة) بيده، فدخل الأطباء واحداً بعد آخر، وكل من يصل إلى السجان رأسه وعنقه منحنيان إلى الخلف، ورقبته بارزة من الأمام، مد السجان يده إلى عنقه وكسر حنجرته وبلعومه (جوزة العنق) ليقع على الأرض، ثم يحمل بعيداً، ليرمى بعد ذلك في القبور أو الأخاديد الجماعية، وهكذا حتى انتهى من قتل الأطباء العشرة بهذه الطريقة الوحشية، فأصاب الجالسين الذهول والهلع والاشمئزاز وهم يستمعون إلى القيادي البعثي سليمان عبد الله عضو القيادة القومية، وهو يروي هذه الفاجعة، ثم ذكر حادثة أخرى في أسلوب قتل المعتقلين من أعضاء الإخوان، فقال في نفس الجلسة: كان سجن المزة مبنياً من طابقين، فإذا نزل السجين لسبب أو لآخر من الطابق الثاني منحدراً إلى الطابق الأول ورأسه إلى الخلف مع سجانه، وحبل المشنقة يتدلى من السقف فوق درجات السلم التي تلي الدرجة التي يقف عليها المعتقل، فيأمره السجان بتقديم رأسه إلى الأمام، ليضع حبل المشنقة حول عنقه، وهو فاقد الإرادة ولا حول له، فيدفعه السجان أو يرفسه ليصبح معلقاً في الهواء، وما هي إلا لحظات حتى يلفظ أنفاسه، وقد مارس السجان هذا الأسلوب أو الفعلة الشنيعة بعدد من السجناء، ولم أعد أذكر العدد الذي ذكره أو السجان الذي مارس هذا النوع من القتل هل هو الذي قتل الأطباء أم سجان آخر، إذ إنني لم ألتق السيد سليمان عبد الله بعد ذلك مرة أخرى، لمغادرتي العراق، كي أستوضح منه عن هذه التفاصيل الجزئية.

لقد أسندت هاتين الجريمتين لمن رواهما على عكس ما درجت

عليه من عدم ذكر الرواة خشية عليهم أو على أهلهم ومن يلوذ بهم، لفظاعتهما ووحشيتهما.

وإذا استغرب السامع أو القارئ مثل هذه الأحداث التي يقف العقل أمامها حائراً، والضمير حيالها مضطرباً، وساوره أي شك في حدوثها، فَلْيَلْقَنِي لأصِله ببعض من حضر الجلسة، واستمع إلى ما تحدث إليه ورواه سليمان عبد الله، وهو على صلة به، ليروي له ما سمعه أو يوصله به ليسمع منه مباشرة عن هذه المظالم التي رآها أو علم بها، عندما أمضى في معتقله ٢٢ سنة دون أن يوجه إليه سؤال واحد أو استفسار، وسوف يرى القارئ أن هذه الجرائم الرهيبة أقل وحشية من ألوان العذاب التي مورست على المعتقلين، ونقلتها منظمة العفو الدولية -امنيستي- ولاسيما ما جاء في تقريرها الذي نشرته عام ١٩٨٧ بعدد من اللغات، كانت العربية إحداها، ليرى القارئ ويقرأ ويسمع ما حدث من جرائم لم تخطر على باله ولا على بال أي إنسان مهما كان معتقده أو انتماؤه أو العرق الذي ينتسب إليه، وليس إدخال القضيب المحمي بالنار في مؤخرة الإنسان، أو إجلاسه على صاج محمي بالنار وهو عريان، يشم بأنفه رائحة شواء مقعده، إلا أمثلة سوف يأتي الحديث عنها مفصلاً وموثقاً عن غربيين يهود ومسيحيين ليس فيهم سوريون ولا عرب ولا مسلمون.

فأي نوع من البشر هؤلاء السفاحون؟ وأي حقد تفيض به قلوبهم ضد أبناء الوطن الذين أدخلوهم في الجيش، وقدموا لهم السلاح؟ لقد قرأنا عن حقد الصليبيين في حملاتهم على بلادنا، وعن كيد

الصهاينة في مكرهم ولؤمهم، وعن الوثنيين في شبه القارة الهندية وبعض الدول الآسيوية، ولكن الذي فعله الطائفيون اللؤماء بالمواطن السوري يفوق هذا كله، ويدلل على الحقد الدفين الذين تنطوي عليه صدورهم ضد العرب والعروبيين، وضد الإسلام والمسلمين.

غير أن عزاءنا وصبرنا واحتسابنا ما أصابنا عند الذي لا تخفى عليه خافية، والذي يبشر عباده الصابرين بالنعيم المقيم، ويتوعد عباده الفجار بنار الجحيم، وأنه جلت قدرته لهم ولأمثالهم بالمرصاد، وأنه سبحانه ليس بغافل عما فعله ويفعله السفاحون والظالمون، ولكن يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار.

ثالثاً: النهوض بالعمل الدعوي

رغم هذه المآسي التي جاء ذكر أمثلة عنها والتي سيأتي الحديث عنها مفصلاً، رغم ذلك، فإن أبناء الدعوة وجنودها وشباب الجماعة وشاباتها، وقيادييها والمسؤولين عن شؤونها وتسيير أعمالها، لم يتخلوا عن حمل الراية المحمدية، والاستمرار في أداء واجباتهم تجاهها، وتقديم كل ما تتطلبه رسالة الله من تفانٍ وتضحياتٍ للنهوض بها، والانتصار لها، لذا فإنهم عكفوا في هذه الفترة العصيبة على إصدار بيان الثورة الإسلامية ومنهاجها باسم الجماعة لتبشر به وبما انطوى عليه من مبادئ سامية، وأهداف نبيلة، وبرامج تسعد المواطنين كل المواطنين دون تمييز أو تفريق، فالناس كلهم عيال الله، وهم متساوون أمام الحق وعدالة السماء، أقول: نشرت الجماعة بيانها ومنهاجها، فكان بحق وحقيق، وشهادة كل من قرأه واطلع عليه،

قفزة نوعية، وسبقاً حضارياً، ومنعطفاً تاريخياً حاسماً في برنامج الإخوان المسلمين السياسي، مما يستدعي نشره وإيراده كما هو، للتدليل على السبق الذي أحرزه الإخوان في الحقلين: الايديولوجي والاجتماعي.

فالإخوان أصروا في منهاجهم على الديمقراطية والشورى بأوسع معانيها، وحذروا من التضييق عليها باسم الغيرة على المثل والقيم الرفيعة، وحذروا من تدخل السلطة التنفيذية بحرية الأحزاب والهيئات السياسية، ليبقى هذا الأمر رهن القضاء النزيه العادل، في الوقت الذي كان فيه السياسيون أو كثير منهم يسيرون في ركب الأنظمة الشمولية، والانقلابات العسكرية، وحكم الفرد، في معظم البلاد العربية، والعالم الإسلامي، حين صدور البيان والمنهاج، منذ حوالي ثلاثة عقود، في طبعته الأولى عام ١٩٨٠ .

١ - من المعروف لدى جميع أفراد الجماعة، ولدى المنصفين من خارج الجماعة، أن الذي أبدع نظريات العمل الإسلامي، وصاغ شعاراته، ووضع مناهجه ووسائله وطرق تنفيذه، وما يتطلبه من مراحل، للانتقال بالعرب والمسلمين من مجتمع أصابه الانحراف والوهن، وأبعده عن جوهر الإسلام وقيمه ومثله، إلى مجتمع مثالي صالح، أساسه الإيمان، ومبدأه الإسلام، وروحه مكارم الأخلاق، وسلوكه مستمد من منهج النبوة (الصادر عن سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام) بأسلوب التبليغ والدعوة والإقناع، وبالكلم الطيب والقدوة المثلى، إنما هو الإمام المجدد الشهيد حسن البنا

الذي كانت رسائله، طيب الله ثراه، بمثابة المتون للدعوة الإسلامية، وتبليغها للبشرية قاطبة بأسلوب واضح، وبيان مشرق، ولغة سهلة قريبة المتناول، وبمنطق العصر أو القرن العشرين، وبالمفاهيم السائدة والأساليب المألوفة في الحياة المعاصرة.

تلا هذه الرسائل، بعد وفي أثناء صدورها، وبتأثير كبير منها، ومن توجيه الإمام، بروز فئة من الباحثين والمفكرين والكتاب الكبار، تخرجوا في مدرسة الشهيد حسن البنا، من أمثال: عبد القادر عودة، الحقوقي والقانوني الكبير صاحب التشريع الجنائي الشهير، ومحمد الغزالي المفكر العملاق، وأحمد أنس الحجاجي، ومحمد عبد الله السمان وغيرهم في مجال الفكر والثقافة، والبهي الخولي في حقل التربية والسلوك والتزكية، وسيد سابق في تجديد وتنظيم أبواب الفقه وهو صاحب موسوعة فقه السنة بكل فروعه، وعبد العزيز كامل، ومحمد فرغلي، وعبد المعز عبد الستار، ويوسف القرضاوي، في مجال نشر الدعوة، والتعريف بمبادئ الإسلام، وتوضيح محاسنه وصلاحه لإنقاذ البشرية وإسعادها، وغيرهم وغيرهم حتى ملأوا المكتبة الإسلامية بتآليفهم وأفكارهم وإبداعهم، وتجديد الحركة الإسلامية على منهج إمامهم ومربيهم حسن البنا طيب الله ثراه، ثم لحق بهم الشهيد سيد قطب رفع الله مقامه ليثري المكتبة بتفسيره وكتبه وإبداعه، فكان رحمه الله أمة في حقل الدعوة إلى الله والتضحية في سبيله.

٢ - أعقب ذلك طرح منهج عملي للمجتمع الإسلامي والحكومة

الإسلاميـة، وأسُسِ الدولة، وبرامج السـلطة، تَقدَّم به تنـظيم الإخوان المسلمين السوريين -الذي التزم من أول أيامه بمنهج الإمام حسن البنا والذي أسس بُعَـيْدَ ميـلاد جماعة الإخـوان المسلـمين في مصـر بست سنوات. نشـأت النواة الأولى في حمـص عام ١٩٣٤ على يد الداعـية أبي الـسعـود عبـد السـلام- تحت عـنوان: منـهاج الـثورة الإسـلاميـة ومنهـاجها فـي سورية الذي نحـن بصدده، والذي عـقدت العـزم على نشره معتمـداً على عون الله وتوفيقه، ليطلع أبناؤنـا وأحفادنا وإخواننا وحلفاؤنا على أدبيات الجماعة، وعلـى ما أنجزته في مختلف الحقول والساحـات ومجالات الفكر والثـقافة والسيـاسة وغيرها، مـثل: خطة الجماعة (في التربـية والتكوين والتغيير) التي اختتم بـها المجلد الثالث من هذه الـسلسلـة، ومثل بـيان الثـورة الإسلامـية ومـنهاجـها، وكـذا إبداعات الـقائد الفـذ مصطفى الـسباعي، ورفـيق دربه المـفكر الكبـير محمد المبارك والأستاذ عصام العطار، والشيخ محمد أديب الصالح، والعارف الكـبير الشيـخ محمد الحـامد والشيخ عـبد الفتـاح أبو غدة، وأبنـائهم الـبررة أمـثال: الـشيـخ سعـيـد حوّى والأسـاتذة: عـبد الـله الطنطاوي، وإبراهيم عاصي، ومحمـد علي شاهين، وأحمد فرحات، وعمر عبيد حسنة، وعدنان زرزور، ومحمد الحسناوي وغيرهم الذين خلفـوا لنا ثروة متـنوعة، ما أشـد حاجة الأجـيال إليهـا، ليجـددوا بها فكرهم، ويـشحذوا بحـقائقـها الناصـعة عزائمـهم، لتسـتأنف الرسـالة الإسلامية مسيرتها في إنقاذ الشعوب والأمم، وهداية العالمين.

٣ - وممـا عجل في صدور بيـان الثورة الإسلامـية ومنهاجـها في

سورية: إلحاح أبناء التنظيم بوجوب إصدار برنامج لجماعة الإخوان المسلمين في دعوتهم الإسلامية، وبرنامجهم السياسي، حتى يعرف الناس هدفنا، ويدركوا غايتنا، ويطلعوا على منطلقاتنا، وعلى الأسباب التي كانت مبعث تحركنا، وتصدينا للظالمين، وكذا تساؤل المواطنين، وفي مقدمتهم رجال السياسة وقادة الأحزاب والمفكرون والمثقفون من يسار ويمين، وتعريفهم بأهداف جماعة الإخوان وبرامجهم ومقاصدهم، ومناهجهم في الإصلاح، وخططهم في الحكم، ومفاهيمهم في الجهاد والسياسة والعلاقات الدولية، ومواقفهم من مخالفيهم السياسيين والعلمانيين، وعن آرائهم في تشكيل الأحزاب، وفي دور المرأة، والمشاركة في الحكم، والنظرة إلى الأقليات، وطريقهم في الوصول إلى تحمل المسؤولية، وما إلى ذلك، فكان لزاماً على الجماعة أن تجيب على هذا كله، لأبنائها وحلفائها من جهة، ولمخالفيها وخصومها والمتربصين بها من جهة أخرى، فكان صدور هذا المنهاج الذي أثرى بيانه الشيخ محمود مشوح الكاتب الكبير مفتي الميادين طيب الله ثراه.

٤ً - لجأت إلى مدينة سيدي وقرة عيني وسويداء قلبي محمد بن عبد الله ورسوله ومصطفاه، وأقمت في جواره شهراً كاملاً، امتد من اليوم الأول لشهر رمضان المبارك عام ١٤٠١ من الهجرة النبوية الشريفة الموافق ١٩٨٠ من ميلاد السيد المسيح عليه السلام، في خلوة هيأها لي في منزل خصصه للضيافة المهندس الذي استشهد في حادث سير هو وعدد من أفراد أسرته، ألا وهو الأخ المعطاء، بديع

الشـقفـة طيب الله ثـراه، فلم أخـرج إلى الحرم إلا مـرة واحدة لـشدة الاشتـياق، فعرف الإخـوة بحضوري إلى الـمدينة المنـورة، فكان هذا مبـعث قلـق أن أنشغل عـن كتـابة المـشروع بالأحـباب والأصـحاب، فانسحبت ونأيت بنفسي عنهم فـي الشهر المبارك، وفي النفس غصة، واكتفـيت باستقبـال الوافدين من أمثـال الشيخ فيصل الـمولوي، وزين العابدين الركابي، وعدد قليل آخر.

عكفت على كتابة بيان الثـورة منذ اليوم الأول من رمضان المبارك وهو يوم وصولي إلى المدينة المنورة، وأداء واجب التحية لمن أرسله الله رحمة للعالمين مبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. ثم شرعت في الخلوة المباركة لإعداد المنهج والبيان.

لـم أر فـائدة أو حكمة فـي التعمـق والتفـرغ في هذا الإعداد كـيلا يحول المنهاج إلى كتاب، أو أطروحة أو سفـرٍ كبير مفعم بالمعلومات والتفصيلات، بل اكتفيت بما تحـتفظ به الذاكرة من مخزون وَعَتْه عبر ثلاثة عقود ونيف، وبما أفدته مـن إخوتي قادة الإخوان في مصر، من محاضراتهم وكتـبهم واللقاء بهم، واللجان المتخصـصة في تنظيمهم، ولاسـيمـا لجنة الـشبـاب المـسلم الـتي كان يـشرف علـيهـا ويضطـلع بمسوؤلية توجيهها الدكتور عبد العزيز كامل رحمه الله وغفر لنا وله.

لـم يأت اليـوم الأخير من رمضان الـمبارك، إلا وكان المنـهاج قد اكتمل، فنسخـنا عنه اثنتي عشرة نسخة في صـباح يوم العيد الأول من شوال، بعـثت بها إلى قـيادة الإخوان في سـورية المقـيمة في عـمان، وإلى الإخوة أعضاء مكتب الإرشاد، وإلى عدد من قادة الإخوان، قبل

طباعته، في العالم العربي، من أمثال حسن الترابي، وفتحي يكن قبل أن يصير حالهما إلى ما صار إليه، وإلى شخصيات كبيرة من خارج الجماعة، من أمثال السياسي المخضرم الأستاذ عبد الرحمن العظم، والاقتصادي الدكتور أنس الزرقا ابن أستاذنا وشيخنا العلامة مصطفى الزرقا رحمه الله، والعسكري عبد الحق شحادة، والبعثي اليساري المعارض حمود الشوفي وآخرين، فلم يعترض أعضاء مكتب الإرشاد بأي اعتراض، وكذا العظم وشحادة وأنس الزرقا، وكل ما سمعته من الدكتور الترابي، هدانا الله وإياه، ملحوظتان قال فيهما: لماذا تحظرون على أنفسكم رفض القروض، وتقيدون أنفسكم، اتركوا هذا الأمر للظروف، ولماذا لا تفسحون مجالاً للفن في منهاجكم؟ فأخذنا باقتراحه، وتحدثنا بجملٍ قليلة عن الأدب باعتباره فناً قولياً أداته الكلمة، كذلك تلقيت من حمود الشوفي ملحوظة ذكرها مشافهة هي: لماذا لم تذكروا شيئاً عن الدعوة إلى الإسلام؟ فقلت له: كل ما جاء في المنهاج مستمد من الإسلام، ويهدف إلى تحقيقه، فأجاب: هذا غير كاف، لأن العالم الإسلامي يدين بالقيادة للعرب الذين نزل القرآن عليهم وبلغتهم، ولهم فضل نشره وتبليغه إلى شعوب الأرض، وقد كنت سفيراً لسورية في أندونيسيا أكثر دول العالم الإسلامي سكاناً -ربع مليار الآن- ولمست ذلك، ورأيت كيف يحب الأندونيسيون العرب ويحترمونهم فأخذت بمقترح السياسي المحنك الأستاذ حمود الشوفي البعثي القديم وأمين قطري للحزب ويساري ودرزي، غير أن التجربة لديه، واتساع ثقافته الموسوعية كشفت له سر الإسلام وقوته وأثره في العالم، واستقطاب العالم الإسلامي ليشكلوا في قابل الأيام:

أكبر وأقوى كتلة اقتصادية وسياسية، أين منها حلف الناتو، وحلف وارسو من قبل، لأن مقومات الوحدة أو الأخوة الإسلامية ينفرد بها المسلمون، لتشمل وحدة اللغة -لغة القرآن- والتاريخ والنظام -شريعة الإسلام- والقوة الاقتصادية الهائلة، والعادات والتقاليد، وربع مساحة الكرة الأرضية، وكيف أعز الله العرب بالإسلام دون استعلاء أو تسلط أو استغلال لأي شعب من الشعوب، فالمؤمنون إخوة في عقيدة الإسلام الذي شرف الله العرب بحمله ونشر مبادئه وتبليغهم للعالمين.

اعترض أحد قادة الإخوان في سورية، واقترح إضافات على البيان، رأيت أنه إلغاء له وإطفاء لوهجه، فرفضت الاعتراض خوفاً على المولود الجديد أن يفارق الحياة قبل أن يرى النور، وعندما عرضنا الأمر على أعضاء القيادة الثمانية، أيدوه بالإجماع، ووافقوا على البيان والمنهاج جميعاً، فدفعت به إلى النشر والتوزيع على نطاق واسع، وتمت ترجمته إلى جميع اللغات الحية المعاصرة، الغربية منها (الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والإيطالية) والشرقية (الإندونيسية والماليزية والتركية والأردية).

٥ً - بعد أن حملت نسخة من البيان والمنهاج من أوربا بعد أن ساعدنا الأستاذ سالم عزام على طباعته، نشرناه في البلاد العربية والإسلامية، فلقي اهتماماً كبيراً لدى الحكومات وأجهزة الأمن ورجال السياسة والفكر، فقد قرر مسؤولون كبار في السودان واليمن الاستفادة منه في تجربة كل منهما في الحكم، وعكفت عليه أجهزة المخابرات

في الدول العـربية المجـاورة، فسأل مـدير المخابرات الـعراقي إذ ذاك (برزان التكريـتي) مديرَ المخابـرات في بلد مجاور عن هذا الـمنهاج، وهل هو صـورة عن الصرعـة الإيرانية الخـمينيـة حسب تعـبير الـسائل (لأن التحرك الشـعبي الإيراني والإخواني السوري جـاءا في عام واحد هو عام ١٩٧٩).

فأجابه: وهل قرأت منهاجهم لتعرف حقيقتهم، وتقوِّم حركاتهم؟

كما عقدت ندوات عديدة لمناقشة بيان الثورة الإسلامية في سورية ومنهاجـها، كان من أبرزها نـدوة عقدها المـفكر التونسي الجـنحاني، وشارك فيها عدد من رجال الفكر والسـياسة، انتهى بعدها إلى القول: وهل هذا فكر الإخـوان حقاً؟ أم هو للتـصدير والاستهـلاك الإعلامي؟ وكتب عنه غـربيون، كان في مقدمـتهم كاتب أمريكي مـن أصل لبناني يدعى حنا بطاطو، وكـتاب أمريكيون كثيرون، وعـدد آخر من الكتاب الغربيين.

هذه بعض الانطبـاعات عن بيان الثـورة الإسلامية ومنهـاجها الذي لم يعتـمد على أقوال فقـهية ضعيـفة، ولا على آراء شاذة، يلجـأ إليها البعض جـراء هزيمة نفسـية يعانون منهـا تألفاً للخـصوم، بل هي -أي نصوص المنهاج- مـن الأحكام المعتمدة، والفقـه السائد الذي يحظى بموافقـة الجمهور ليدرك الدعـاة وحاملو لوائه: أن التمـسك والصلابة في متطلبات الشريـعة ومقتضيات الفقه الذي أجمع عـليه الأئمة الكبار والمـجتهـدون من عظماء الـمسلمـين من أمثـال الأئمة الأربعـة، ومن يليـهم في الشـهرة، كالأوزاعـي وأبي ثور. .إلخ، هو الطـريق الأصح

لكسب القلوب، وإقناع العقول، بل الثبات على المبدأ والصلابة في الدفاع عن الإسلام، والغيرة على شرع الله، ونهج نبيه ومصطفاه، عليه السلام، هو الطريق الأمثل للنجاح في الدنيا والفوز في الأخرى، وهو الذي يكسب الداعية احترام الآخرين عندما يشعرون بصدقه فيما يحمله من أفكار، ويقدمه من علاج بعقل مستنير، وقلب تقي، وأسلوب بارع مؤلف في كسب المخالفين، وإقناع المناوئين.

وكذلك ليطلع أبناؤنا وأحفادنا على منجزات جماعة الإخوان المسلمين الذين تربوا في أكنافها، وبما قدمته من فكر سبقت به غيرها عقوداً، ولكي يستعيدوا ثقتهم بالجماعة، وليتحرروا من الإحباط الذي عانى منه معظمهم وما يزالون، إثر الظروف القاسية التي مرت بها جماعتهم الراشدة، جراء التآمر الدولي والضغوط السياسية، وخذلان اللاهثين وراء المكاسب الدنيوية العاجلة، وهذا من سنن الدعوات، فالابتلاء والاختبار جزء من مسيرتهم، ليستكملوا أسباب التكوين ومعاني الثبات والإخلاص والتجرد والتضحية، التماساً لمرضاة الله، واتباعاً لسنة نبيه ومجتباه.

لقد تراجع البعض من أبناء الجماعة الذين ضعفوا واستكانوا أمام العدو الذي ذبح أبناءهم، ويتّم أطفالهم، وأجاع أهلهم وأرحامهم، والأمل أن يستعيد هؤلاء وأمثالهم من أبناء الدعوة وبناتها، ورجالها وشيوخها ثقتهم بالله ثم بها، وليقرأوا سورة الأحزاب، وما أصاب المسلمين المحاصرين من إحباط، سرعان ما خرجوا منه مستأنفين سيرتهم الأولى في حمل الراية والجهاد في ذات الله وفي أنفسهم،

ومجتمعـهم، والدولة التي ينشدون، لعل الله تعالى بفـضله أن يكتبهم من الذيـن يدافعون عـن القدس في أكنـافه وأكناف المـسجد الأقـصى الذي بارك الله فيه وحوله.

٦ - أصررت على أن يصدر البـيان والمنهاج باسم شخصـية كبيرة معروفـة، وألححنا على شيخـنا عبد الفتاح أبـو غدة -أبو زاهد- الذي كان يأخـذ بنصائـح من حوله، فقـبل ذلك، ورضي بتـحمل مـؤونته، لكن الأسـتاذ عمـر بهاء الدين الأمـيري الذي كـان أبو زاهد يحتـرمه، ويعتـبره متقـدماً عليه في الـعمر وفي غيـره، أقنع الشيخ بـعدم الإقدام على هـذه الخطوة، فطلـبت من إخواني تـوقيع مجـموعة مـن الإخوة كالشـيخ سعيد حـوى رحمه الله، فتـمت الموافقة عـلى ذلك، وصدر البيان والمنهاج بتوقيع ثلاثة إخوة هم: سعيد حوى، وعلي البيانوني، وعـدنان سـعـد الدين، وعـندمـا حدث الـخلاف والـفـراق بالتـي هي أحسن، مع الاحتـفاظ بالود والاحترام المتبـادل، وحفظ الألسنة، من مقولات السـوء، لكل من انتمى لهذه الـدعوة الربانية، متضـرعين إلى الله عز وجل أن يغفر لنا ولهم، وأن يجـزيهم على ما قدموا من الخير في صحائف أعمالهم. أقول:

بعد هذا الفراق الذي انتهى فيما بـعد، صدرت الطبعة الثالثة باسم المراقب العـام عدنان سعد الدين عـن أحد الشطرين اللذين افـترقا ثم التـحمـا بفضل الـله ورحمـته، وذلك فـي ١-١-١٩٨٨، متكـلاً على اللـه، معـتمـداً على إخـوة كرام، فـي حمل عـبء أكبـر من طاقـتي، وأقوى من عزيمـتي، بيد أنني توكلت على الله الـقوي العزيز، ﴿ومن

يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيءٍ قدراً﴾(1).

لقد جاء البيان كمدخل للمنهاج، وتفسيراً للأحداث، والصراع الذي نشب بين أبناء الدعوة ومن والاهم من المؤيدين والمناصرين، ومن خالفهم من المعارضين، وبين سلطات الأقلية أو بعضها، التي فرضت نفسها وسلوكها وسياساتها على السوريين بقوة السلاح، فجاء البيان كأمواج هادئة، تنتهي كل موجة أو فقرة إلى التي تليها في الفكر والترابط وتسلسل الأحداث.

وهذا هو نص البيان الذي جاء مقدمة للمنهاج الذي اعتبره إخوة وأصدقاء من الأدب السياسي الرفيع الذي وفق الله إليه ببركة سيدي ومولاي محمد بن عبد الله ﷺ الذي كتبت في جواره والقرب من مسجده الشريف.

رابعاً: بيان الثورة الإسلامية ومنهاجها

جاء في المقدمة الثالثة منه: أن الأحداث في سورية يوم اندلعت عام ١٩٧٩ كانت الحركة الإسلامية قد بلغت أو أوشكت أن تبلغ سن الرشد، وتجاوزت عتبة الأربعين من عمرها الميمون، وخلال هذا العمر المديد، كانت مثالاً لكل ذي عينين في أسلوبها في العمل على أساس الحوار والإقناع، والدعوة إلى مبادئها، وإلى سبيل ربها بالتي هي أحسن، فلم يسجل التاريخ عليها في العصر الحديث ومنذ نشأتها

(١) سورة الطلاق الآية: ٣ .

أن لجأت إلى العنف مرة واحدة في تعاملها مع الآخرين، بل كان سبيلها وأسلوبها افتتاح مستوصف، وإنشاء مدرسة، يتعلم فيها العامل والفقير، وتشكيل الأندية الرياضية والفرق الكشفية، لإعداد الشباب نفسياً وخلقياً، ليكونوا مواطنين صالحين، ومشاركة جادة في حركات التحرر الوطني في إرسال أفواج المجاهدين إلى ربوع فلسطين، واشتراكاً فعلياً في الحياة السياسية بكل ما تتطلبه من إصدار الصحف، ودخول البرلمان والوزارات الائتلافية، والمعارضة السلمية، والنقد البناء.

استمرت الجماعة على هذه الحال عقوداً تجذب إلى رحابها وساحاتها أجيالاً من الشباب والطلاب والشابات والمثقفين دون أن تلجأ قط إلى أي مغامرة عسكرية، أو زج للجيش في الشؤون السياسية، بل كانت الجماعة تستهجن هذا الأسلوب المنافي للحريات وحقوق المواطنين، إلى أن جاءت الطامة الكبرى عندما سقطت سورية في براثن حكم غريب عن طبيعتها وانتمائها، يعادي عقائد أهلها وتقاليد شعبها، ويمسك بالرذائل من كل أطرافها، فهو حكم طائفي إجرامي قمعي، مزق سورية، وهدمها بمعاول الطائفية البغيضة، كما فعل في لبنان سواءً بسواء، واقترف من الجرائم ما لم تقدم عليه سلطة مستبدة في تاريخ أمتنا في القديم والحديث، من سفك الدماء، والاعتداء على الحرمات، ونهب الأموال، وإفساد الأخلاق، وترويع الآمنين، وهدم الأحياء، واجترح من الآثام ما يصعب عده وحصره في مثل هذا التقديم. وقد نال تنظيم الإخوان

المسلمين والحركات الإسلامية الأخرى أكثر مما وقع على غيرهم، رغم أن الكارثة قد عمت كل أبناء سورية دونما استثناء، بمن فيهم شريحة من أبناء الطائفة العلوية التي ينتمي إليها سفاح سورية حافظ أسد وعدد من المتنفذين في السلطة، فانتهت هذه السياسة الرعناء إلى ما يشبه الحرب الأهلية في سورية لسنوات، وإذا كان قتل الألوف واعتقال أضعافهم قد أسكت الشعب ردحاً من الزمن، فإن النار تحت الرماد، وفي التاريخ القديم والحديث أمثلة تستعصي على الحصر.

والآن

وبعد مضي أكثر من ثماني سنوات -يوم كتابة هذا التقديم- على الأحداث الدامية في سورية العزيزة، وبعد مراجعة شاملة للأوضاع في المنطقة العربية، سجل تنظيمنا على نظام حافظ أسد: إمعانه في الإجرام، بعد هدم مدينتين كبيرتين شهيرتين عريقتين هما: حماة أبي الفداء، وطرابلس الشام،والتنكيل بالشعب في لبنان، ولا سيما سكان شمالي طرابلس، وضواحيها والبقاع، وبيروت الغربية، وتماديه في الإجرام، وتعاونه مع أعداء العرب والمسلمين، وتكريسه للروح الطائفية في المنطقة كلها، وتنفيذ خطة مبرمجة في تجويع جماهير الشعب، والتضييق عليه في الحصول على الخبز والرغيف، كما يعلم جميع السوريين الذين عانوا من ذلك سنوات، وإذلال المواطنين، الأمر الذي رسخ القناعة لدى كل فرد في تنظيمنا من القمة إلى القاعدة، بصحة سيرنا في معارضة هكذا نظام، وصواب رأينا تجاه هذا العدو الذي لا تجدي معه مهادنة أو مفاوضة أو مصالحة، إذ هو

كالسرطان الذي يكمن علاجه في استئصاله، وأملنا بالله كبير، ثم بوعي شعبنا لمتابعة نضالنا، ومواصلة مسيرتنا الجهادية، حتى نطهر الوطن من رجسه، فتعود البسمة إلى ثغور أطفالنا، والعزة إلى مواطنينا، ويقولون: ﴿متى هو؟ قل عسى أن يكون قريباً﴾(١)، ﴿ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾(٢).

المراقب العام للإخوان المسلمين في سورية

عدنان سعد الدين

بتاريخ ١-١-١٩٨٨

خامساً: نصوص البيان ومفرداته

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين وقائد المجاهدين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها الإخوة المواطنون:

إن الثورة الإسلامية المعاصرة إذ تحمل على عاتقها عبء الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى، وتحكيم شريعته في الأرض، ضماناً لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وإذ تتحمل وطأة الهجمة الظالمة

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٥١ .

(٢) سورة الروم الآيتان: ٤ و٥ .

التي يشنها عليها أعداء الله، وأعداء الإنسان في الداخل والخارج، تجد من ثقتها بتحقيق موعود الله تعالى ما يدعوها إلى أن تبشرهم بأن المد الإسلامي المتصاعد في كل مكان، ماض في طريقه، حتى يتحقق النصر المؤزر لهذا الدين بعون الله على كل قوى الشر والظلام والجاهلية المقيتة.

١- ولينصرن الله من ينصره

ولكن الثورة الإسلامية المعاصرة ترى من واجبها -منعاً للقعود والتواكل- أن تذكر كل مواطن بحقيقة أولية، لا يجوز لأي مؤمن أن يتجاوزها، وهو يخوض غمرة الصراع ضد أعداء الله تعالى، وأعداء الإنسان، وهي أن سنة الله مضت في الماضين واللاحقين أن تتحقق مشيئته تعالى في المسيرة البشرية بواسطة الإنسان، من خلال ما يبذله من جهد يتحقق فعلاً في واقع الحياة ﴿وَعدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، ولَيُمكِّننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً..﴾. ﴿ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز، الذين إنْ مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور﴾. وهذا يوجب على كل مواطن أن يعيش أقصى حالات اليقظة والتنبه، وأن يجند كامل وقته وجهده لخدمة عقيدته وشعبه ووطنه.

٢- الانحراف وانعدام الثقة

وقد مضت حياة المسلمين في زمن نبيهم ﷺ، وفي زمن الخلافة

الراشدة على الجادة المستقيمة، وبذلك حققوا العجائب والمعجزات التي ما زالت وستظل المثل الكامل الذي يحدو السائرين في مدارج الكمال، حتى ذر قرن الفتنة، واشرأبت الجاهلية بالافتيات على حقوق الأمة، والعدوان على مصالحها، اتباعاً لشهوات الأنفس، وتدعيماً لمغانم السلطان، فترك هذا ظلاله الكئيبة في حياة المواطنين طوال عهود مديدة، أدت إلى انعدام الثقة بين الحاكمين والمحكومين، ونمت في المجتمع عصبيات جاهلية، وأفكار منحرفة وعوائد منافية لمناقب الإسلام.

فكان لا بد أن تتحول الوحدة الجامعة إلى فرقة مستحكمة، والشرعة الواحدة إلى طوائف متنابذة، والحماس الذي كان مندفعاً باتجاه الظفر والكمال إلى بدايات الانحسار، وإلى هجوم القوى المعادية لتثأر من الإسلام لنفسها، وقد أفلحت في ذلك إلى حد بعيد، فلقد حذرنا ربنا سبحانه مصارع الماضين، ودعانا إلى الاعتبار بآياته في الأنفس والآفاق. ولكن دوافع الهوى كانت أقوى وأنفذ، فغاب الإسلام عن الساحة العالمية غيبة طويلة، ووقع المسلمون أسرى الجهل والتخلف، وكفوا لفترة طويلة عن التأثير الصحيح والعطاء الخير، بعد أن تخلى عن الإسلام أهله وذووه وحملة رسالته.

٣- الإسلام عصي على التزييف

لكن الشيء الذي لا يعرفه العدو هو أن الإسلام شرعة الله في هذه الدنيا، ونظامه في هذا الكون، وأنه بطبيعته الربانية الخالدة عصي على التزييف والتطويع، فإما أن تحمله بأمانة ووفاء، وإما أن ينبذك

لتنطرح بعيداً غارقاً بذنوبك وأوزارك، ويبقى هو خالصاً بنقائه وطهارته: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾.

كان المسلمون الأوائل يدعون الناس لهذا الدين فكانت القلوب تفتح لهم قبل أن تفتح الحصون، ثم تنكرت الخلوف لهذا الإسلام العظيم، فذاقت وبال ما فعلت، وكان عاقبة أمرها خسراً، وانجلت غاشية الحرب العالمية الأولى عن تمزيق أوصال الوطن العربي والعالم الإسلامي ووقوعه تحت قهر الاستعمار المباشر البغيض.

لقد شهدت بدايات هذا القرن تيارين بارزين متمايزين:

تيار هالته الهزيمة المنكرة التي حلت بالمسلمين، فأقام منهجه على ضرورة وحدة المسلمين بالقوة المفقودة، وتيار جعل الدعوة إلى نشر العلم غاية مسعاه، أملاً في أن يبلغ المسلمون بالعلم مرحلة القوة التي تعيد إليهم مكانتهم.

٤- دعوة الإمام حسن البنا

لقد أثبت الاتجاهان قصورهما عن الوفاء باحتياجات الثورة الإسلامية المعاصرة، فكانت الحاجة ماسة إلى الحركة الكاملة التي ترى أن الإسلام لا يقبل التجزئة، كما لا يقبل التطعيم، كما لا يقبل -في غمرة العمل- إعمال جانب وإهمال جانب آخر، بل لا بد أن يتم التحرك على مستوى الإسلام الشامل سواء أكان هذا على صعيد السلوك والمناقب والفضائل، أم على صعيد الحياة المحكومة بشريعة الله التي عليها وحدها ترتكز حياة الناس، وذلك ما فعله الإمام

الشهيد حسن البنا رحمه الله مؤسس جماعة الإخوان المسلمين.

إن دعوة الإمام الشهيد -منذ بواكيرها الأولى- قد لفتت أنظار أعداء الأمة إلى حقيقة وحجم المخاطر التي سيتعرضون لها في المنطقة الإسلامية، وفي الوطن العربي بالذات إذا هي مضت في طريقها المرسوم.

وكان ما كان: الأسلوب المكشوف الذي نفذت به جريمة اغتيال الإمام الشهيد، وملء المعتقلات بالذين استجابوا لدعوته، ورأوا فيها سبيل الخلاص.

٥- روح تسري في نفوس المسلمين

بيد أن المعطيات الحالية على الساحة الإسلامية هي غير المعطيات التي كانت متوافرة خلال الخمسينيات من هذا القرن، لقد كانت ضربة قاسية في مكان ما في الوطن العربي والعالم الإسلامي كافية لإجهاض التحرك الثوري الإسلامي لمدة طويلة على امتداد الساحة الإسلامية، أما اليوم، فالإسلام يشهد نمواً وتصاعداً في كل زاوية من زوايا الأرض، بحيث أفزع الأعداء، كما أفزع أذنابهم وصنائعهم في الداخل.

ولما كانت الثورة الإسلامية تتحمل اليوم في القطر العربي السوري العبء الأكبر من واجب التصدي لأعداء الله وأعداء الإنسان، فإن هذه الثورة ترى واجباً عليها أن تتقدم إلى الأمة بهذا البيان الشامل والمنهاج المفصل، موضحة فيهما مسيرة الدعوة الإسلامية، أملاً في

أن تجد جماهير شعبنا النبيل فيهما ما يدفعها إلى الالتفاف حولها صفاً واحداً وقلباً واحداً، من أجل وقف التدهور والبدء في عملية النهوض والمسيرة الظافرة بعون الله وتوفيقه.

٦- الإسلام الذي ندعو إليه

تعرضت صورة الإسلام في العصور المتأخرة لتشويه مريع، ساعد على وجوده عاملان رئيسان:

أولهما: جهل المسلمين بحقيقة دينهم.

ثانيهما: العمل الدؤوب الذي كان يبذله أعداء هذا الدين لتشويه صورته وطمس محاسنه، وإلصاق التهم والمعايب فيه، وقد آن لهذه الحالة الكريهة أن تزول، وآن للحقيقة الناصعة أن تستعلن بكل صفائها ونقائها.

إن الإسلام حقيقة واضحة وضوح الحق والخير والعدل. وتجاوز لكل ركام الماضي وعقده وحساسياته، فالإسلام الذي ندعو إليه هو ما جاء في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وجماع ذلك ينحصر في تأكيد قضية التوحيد والتنزيه، بالبساطة التي عرضتها أصول الإسلام، وإقامة العبادة والدينونة لله تعالى، وتأكيد الكرامة البشرية التي كفلتها شريعة الإسلام، والحفاظ على التماسك الاجتماعي الذي شدد عليه الإسلام، وكفالة الضرورات التي هي أم دعائم الإسلام، وحياطة الفضائل التي لا يستقيم بغيرها الإسلام، وبناء الأمة التي يتمثل فيها هذا الإسلام، والعمل الذي لا ينقطع ولا يتوقف حتى

ينتصر الإسلام.

أما المسلمون الثائرون، فإنهم يؤمنون بالإسلام دعوة عالمية شاملة للحياة الإنسانية كلها، عازمين على تنفيذه في كل شعبة من شعب الحياة، ملتزمين بالكتاب والسنة، مستهدفين فلاح البشرية وسعادتها، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، تقضي دولتهم على كل مظهر من مظاهر الظلم، والاستغلال، والانحلال الخلقي، وتقيم العدل، وتخدم خلق الله تعالى، وتضمن لكل مواطن حاجاته الضرورية من الغذاء والكساء والدواء والمسكن والتعليم، وتفتح في وجه الجميع أبواب الكسب الحلال، وتنمي ثروة البلاد بكل الطرق المشروعة، وتسهر على توزيعها بالحق والعدل والقسطاس المستقيم.

٧- سورية تكافح الاستعمار

لقد وقع القطر العربي السوري -ككل الأقطار العربية الأخرى- ضحية الاستعمار المباشر، وضحية المؤامرة العالمية الضخمة الرامية إلى تفتيت هذه المنطقة من الوطن الكبير، من أجل إذلال شعوبها، واستثمار خيراتها، وقطع الخيوط التي تشد هذه الأمة إلى جذورها الأصيلة التي تكون السد الذي لا يمكن اختراقه في وجه المؤامرات المعادية، ولقد بذل هذا القطر كما بذلت الأقطار العربية الأخرى جهوداً كبيرة، وقدم كما قدمت تضحيات غالية، عبر معارك مشرفة أسفرت عن تحقيق الاستقلال الناجز.

لكن الاستعمار -حين جلا عن هذا القطر- خلَّفَ نظاماً ديمقراطياً زائفاً، وبذلك غابت عن الساحة العامة كفاءات كان يمكن أن تسهم

في تدعيم استقلال الوطن، وكسر القيود عن المواطن، وترسيخ التقاليد الديمقراطية التي تضع أمور الوطن بين أيدي المواطنين، وصولاً إلى إحباط خطط الأعداء في التجزئة والتخلف.

ومع بدايات الاستقلال دأبت الحركة الإسلامية على لفت الأنظار إلى ضرورة النظر بعلمية وجدية نحو مقاصد الاستعمار، وما يبيته لهذه الأمة، وإلى التفكير بعمق بما وراء الجشع الاقتصادي الذي كان الاستعمار نفسه يحرص على أن يجعله الدافع الأساسي من وراء الحركة الاستعمارية العالمية، كي يخفي أحقاده الدفينة على دين الله الذي تقع مسؤوليته على عاتق هذه الأمة، ومن المؤسف أن صنائع الاستعمار الذين رباهم على عينيه لينوبوا عنه في تنفيذ بقايا المخطط الرهيب، رفعوا هذا السلاح في المعركة ضد الاستعمار زاعمين أنهم اكتشفوا الخارقة التي يمكن أن تتكرر، مع أن هذا كان الهدف المعلن للاستعمار.

الهوة سحيقة بين الأمة والحكومات

إن الفقر والجهل والمرض والاستبداد جعل الكثرة الساحقة من هذه الأمة تقع ضحية لغسل دماغ مدروس، ومخطط له بكفاءة عالية، لأن الدوائر التي تقف وراءه ووراء الذين يمثلونه، تملك القدرات الهائلة على اختلاف أنواعها وأشكالها، بيد أن شعبنا بجماهيره الواسعة كان يحس في أعماقه بالريبة والشك حيال هؤلاء الناس، وأصبحت جماهير الأمة أبعد ما تكون عن الثقة بالفئات القائدة والزعامات التقليدية، والفئات المصلحية، التي كانت تهادن الإسلام

وتتملقه بمقدار ما تستخدمه لتدعيم سلطانها وخدمة أغراضها.

وكان ثمة، دعوات وأحزاب قومية عربية وغير عربية، تخوض صراعاً مكشوفاً مع الحركة الإسلامية، وتضع كل ثقلها وثقل ساداتها لإبعاد ممثلي الإسلام عن الساحة، وكانت الحركة الشيوعية تعمل بصمت وهدوء مستفيدة من جملة التناقضات التي يتخبط فيها رجال السلطة والسياسة، غير أن الحركة الشيوعية معادية بطبيعتها للإسلام، وهذا ما جعل الشيوعية في المنطقة العربية والعالم الإسلامي بلا مستقبل.

نتيجة لهذا الوضع غير السليم كان لا بد أن ينفجر النظام الديمقراطي، وأن تتوالى سلسلة الانقلابات العسكرية التي كانت في جملتها مشبوهة الدوافع والمقاصد والارتباطات.

تجربة الوحدة بين مصر وسورية

ثم كانت تجربة الوحدة بين مصر وسورية في ظل الجمهورية العربية المتحدة، والتي عبث بها الانتهازيون ومحترفو السياسة، وتسابقوا إلى استغلالها لمصالحهم الذاتية والحزبية، ثم انتهى الأمر بمدعيها والمتسلقين باسمها أن يتآمروا عليها عندما عجزوا عن الاستمرار في استثمارها، فباؤوا بعار هدمها وتحطيمها، من غير إغفال لجملة المظالم، وسوء الإدارة، ونظرة الاستعلاء، والعجز عن فهم تطلعات الشعب في هذا القطر، وهي الأسباب التي سهلت بمجموعها مهمة الأنانيين، ليقوموا بجريمة الانفصال التي كرسها الحزب الطائفي في سورية زهاء عشرين سنة، دون أن يخرج عليها أو

يتزحزح عنها قيد أنملة، لتصبح التجزئة وتمزيق الأمة عقيدته الصلبة ومبدأه الثابت.

٨- حزب البعث ينقض على السلطة

لم تدم فترة الانفصال أكثر من الوقت الذي سمح لحزب البعث السوري بتكثيف وجوده داخل الجيش والقوات المسلحة، ثم قام بانقضاض على السلطة الهزيلة التي كانت قائمة في ذلك الوقت، والتي بلغت من الهزال حداً جعلها تفزع من صفير الصافر، وتنهار أمام عدد من الدبابات لا تزيد كثيراً على عدد أصابع اليدين.

وعبر سلسلة متتالية من التصفيات المدروسة، آل حزب البعث إلى الوضع المأساوي الذي هو عليه الآن.

لقد استغل الحزب الطائفي في سورية قيمتين كبيرتين:

هما الحرية، وهي مهماز فعال بين شعب مقهور، والوحدة وهي أمل عزيز عند كل مواطن في هذا القطر وغيره من الأقطار العربية التي تعيش حالة التجزئة المصنوعة، وكشف الحزب عن ميله إلى الانتهازية وتكالبه على السلطة، يتجلى ذلك في الانقلابات العسكرية الأخيرة. وهذا يمنحنا القدرة على تفسير الجرائم التي ارتكبها الحزب الطائفي بحق نفسه، وبحق الأمة منذ تسلمه السلطة، تحت عامل غياب القيم والفضائل الإسلامية التي هي وحدها العاصم من الجنوح نحو هذه المنزلقات الخطيرة.

إن تجربة الحزب في السلطة كانت وما تزال كارثة كاملة، فعلى

الصعيد الداخلي، قام الحزب باغتيال الحرية بفظاظة لا يحسد عليها، وألغى الأحزاب وأمم الصحافة، وألقى بالأحرار في السجون، وعلق على أعواد المشانق شهداءَ أبراراً، كل جريمتهم أن رفعوا أصواتهم باستنكار الظلم والعدوان على مصالح الشعب.

كذلك عمد هذا الحزب -الذي تنكر لأبسط قيم العمل السياسي- إلى إقصاء المناضلين المخلصين وتقريب الأذناب، وضعاف النفوس، ممن وجدوا في العيش على حاشية النظام، والدوران في فلكه، وسيلة سهلة مريحة للكسب الحرام، والإثراء غير المشروع، فكان من نتيجة ذلك أن تحول الحزب إلى تجمع غريب لا يجمع بين عناصره إلا المصالح المتبادلة والولاء المشبوه، وزج بالجيش في السياسة، فأخرجه بذلك عن مهمته الأساسية حارساً للحدود، وعدة لاستعادة الحقوق المغصوبة، ليكون من حيث النتيجة حارساً للنظام، بعد أن عملت سلسلة الانقلابات على تفريغه من جميع الكفاءات العلمية والقتالية، وشوه الحزب صورة (الديمقراطية) تشويهاً ذريعاً، فالدستور أكذوبة، والاستفتاءات مهزلة، والمنظمات الشعبية شيء يدعو إلى الخجل.

٩- طائفية الحكم في سورية

ثم كانت العشرة التي لا تقال، رالتي كونت مقتل النظام ونعني: السقوط المريع في مستنقع الطائفية.

وحول هذه القضية الخطيرة، فإن الثورة الإسلامية تود أن تكون واضحة في موقفها، صادقة في حكمها وتحليلها، كما تود أن تواجه

هذه المشكلة بصراحة تامة، لأن الالتفاف من حولها، وتجاهل واقعها وآثارها المخيفة، سيزيد المشكلة تعقيداً والخطر تفاقماً، وسيكون السكوت على الممارسات الطائفية المفضوحة، والتي بلغت حد الإثارة والتحريض، خيانة للقضية لا تعدلها خيانة.

إن الثورة الإسلامية ترى في بروز الاتجاهات الطائفية منذ بواكيرها في التاريخ الإسلامي مؤشراً على السقوط والانهيار، ولذا فقد وضعت في حسابها منذ البداية أن تتجاوز هذه الاتجاهات الضارة ولا سيما أن أسبابها ودواعيها قد زالت منذ زمن بعيد.

ولكن الطائفية السياسية بأساليبها الملتوية استطاعت أن تطوع كوادر الحزب الهشة لخدمة أغراضها المعادية لصالح الجماهير العريضة من هذا الشعب، بعد أن أبعدت عن بنية الحزب جميع العناصر التي تتمتع بالقدرة على أن تقول: لا.

ومن المهازل أن هذه الطائفية رفعت إلى قمة السلطة وزير الدفاع المسؤول مباشرة عن هزيمة الخامس من حزيران، وهذه أغرب مكافأة عرفها تاريخ الإنسانية، والذي حصل بعد ذلك معروف ومكشوف.

إن الثنائي -حافظ ورفعت- ومن حنى الرأس لهما بمساندة من عناصر طائفية مختارة، تحكما بمفاصل السلطة، فأصبح لهم الأمر والنهي، فطغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، واتخذوا عباد الله خولاً، ومال المسلمين دولاً، وأماتوا الضمائر، وأفسدوا الذمم، وكلما استهلكوا طابوراً من المنتفعين والمرتزقة، ألقوه في زوايا النسيان، واستبدلوا به طائفة أخرى، يكون مصيرها مصير سابقتها..

وهكذا جراً وجرجرة بغير انتهاء.

وحولوا الحزب إلى مجرد واجهة قميئة لا تقدر على ستر عري النظام، وأنشؤوا (الانكشارية الحديثة) المتمثلة في سرايا الدفاع والصراع والوحدات الخاصة والمخابرات وأشباهها.

وزوروا إرادة الشعب بوضع دستور زائف، ومجالس شعب لا يقيم لها الشعب وزناً، واستفتاء على الرئاسة الأولى، شارك فيه حتى الأموات!

١٠- نداء إلى أبناء الطائفة

إن الثورة الإسلامية تود أن تصارح أبناء الطائفة العلوية بما هي أدرى به من سواها، أنتم تعلمون أننا لا نحمل حساسية ولا حقداً، وآية ذلك أن تاريخنا الحديث سجل سير هذا الشعب بمجموعه خلف قيادات من طوائف الشعب كله، وذلك لأنها كانت قيادات تحمل كثيراً من الأهلية والوفاء.

وبالرغم من أن أجهزة الإعلام المسخرة لتدعيم سلطة حافظ أسد والإشادة بكفاءاته العالية في الداخل!! والأجهزة الأخرى المشتراة في الخارج، عملت طوال أكثر من ثمانية عشر عاماً لتدعيم هذا الوهم، فإنها لم تزده في قلوب الناس إلا مقتاً، لأنها كانت تصرخ في واد، وتنفخ في رماد.

ونحن واثقون تماماً أن عقلاء الطائفة يشاركوننا الرأي في أننا وإياهم لسنا ملزمين بتدعيم إمبراطورية حافظ ورفعت أسد.

إن الممارسات الاستفزازية العدوانية التي ينفذها النظام الطائفي الفاشي كفيلة بأن تذهب بحلم الحليم، وأن تحيل الساحة إلى حرب أهلية ضروس، ومن الخطأ الفاحش أن يتصور أحد أن أجهزة الحكم هي التي منعت اندلاع مثل هذه الحرب الأهلية بضعة عشر عاماً، إن الذي أشعل فتيل الحرب الأهلية والصدامات الشعبية المسلحة إنما هي الممارسات الفظيعة التي كان من جملتها إزهاق الأنفس، ونهب الثروات، والعدوان على الكرامات، والتآمر على الوطن والمواطنين.

١١- إهابة بأبناء الطائفة والحزب

إننا نأمل من أبناء الطائفة العلوية التي ينتمي إليها هذا البلاء المسلط، حافظ أسد وشقيقه الماجن السفاح، أن تسهم بصورة إيجابية في منع المأساة أن تبلغ نهايتها.

كما نهيب بالعناصر الواعية في الحزب أن تراجع حساباتها، معلنين بغير مواربة ولا خداع أنه يسرنا أن تنفض عن نفسها وصاية العناصر الفاسدة التي قادتها إلى هذا المأزق الدقيق.

إننا مؤمنون إيماناً راسخاً أنه ليس من المحتم أن تحل المشاكل بالعنف، بل الوضع الطبيعي أن يجري حل هذه المشاكل بالحوار البناء، ولكن ما العمل إذا كان الطرف الآخر يصر على تجاهل الآخرين، ويرفض الحوار معهم إلا بلغة القوة؟!..

بناء على هذا، وإيماناً منا بأن النظام القائم بلغ مرحلة اللاعودة، وأصبحت المراجعة الجذرية بالنسبة إليه مستحيلة، فإننا لن نهادن،

وسنمضي في طريقنا غير عابئين بالعقبات والأخطار، حتى ينهار هذا النظام الغشوم، ويذهب إلى غير رجعة ﴿وكم أهلكنا من قريةٍ بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين﴾(١).

منهاج الثورة الإسلامية

من الخطأ الفادح أن تجري معالجة الأمور بناء على الواقع الراهن، لأن التغاير شديد بين واقع المسلمين اليوم والصورة التي رسمها الإسلام لحياة المسلمين، وتركهم عليها رسول الله ﷺ، ومن بعده خلفاؤه الراشدون.

ولا ينكر أحد أن الإسلام نزل على رسول الله إسلاماً موحداً، لا طوائف فيه ولا فرق، وعلى هذا فإن الثورة الإسلامية ترى أن معالجة الأمور ينبغي أن تؤسس على المنابع والأصول، وأن تستفيد مما أثبتت التجربة صلاحه وأهليته للبقاء، وبذلك يلتقي المواطنون جميعاً على كلمة سواء، تكون الركيزة الصالحة في بناء عالم جديد، يتجاوز الجاهليات المعاصرة جميعاً، وتزول فيه الحساسيات والعقد التي بذر بذورها الأعداء، وغذاها الاستعمار، وأخلى الجهل لها الطريق، وأملى لها تراخي الزمن.

ومن هذا المنطلق تتحرك الثورة الإسلامية في الحقلين الداخلي والخارجي، لتصوغ حياة الأمة، وتبني المجتمع وفق هذه الأصول في

---

(١) سورة القصص: ٥٨

المجالات الدستورية والقضائية والاقتصادية والعسكرية والفكرية والتربوية والاجتماعية والصحية، تعتمد على الله وحده، وتلتزم بشرعه ومنهاجه، وتستهدف إصلاح الأمة دون تفريق أو تمييز ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾[1].

في السياسية الداخلية

أولاً: الحياة الدستورية والقضائية

إن أولى دعائم الحياة في إنقاذ بلادنا، والنهوض بأمتنا -بعد اعتمادنا على الله سبحانه- اشتراك مجموع شعبنا من خلال طرح أفكارنا وتصوراتنا عن المستقبل المنشود، لكي يعرف هذا الشعب النبيل نياتنا وأهدافنا، ولكي نقطع الطريق على كل تشويش وتضليل، متيقنين أنه لا جدوى من محاورة النظام الثمل بخمرة السلطة، والغارق في الدماء الطاهرة والأموال المحرمة، والذي أذاق الناس من ألوان الشقاء والبلاء ما لا يعرف التاريخ له في ماضي الأمة وفي حاضرها مثيلاً.

إن أفدح مصاب نزل بشعبنا إقصاء الإسلام وغياب الحرية ومصادرتها، وحكم الشعب بكل فئاته بالقهر والاستبداد، والإصرار على تحويله إلى قطيع مسلوب الإرادة، مجرد عن كل مناعة في معتقداته وأخلاقياته وقدراته، ليجعل منه البغاة فريسة سهلة السقوط في أيدي العصابات الانكشارية في الداخل، وبراثن العدو المتحفز في

---

(١) سورة هود: ٨٨ .

الخارج، وكلاهما يكمل دور الآخر في قهر الوطن، وإذلال الشعب، والقضاء على رسالته وتدمير حضارته.

إن مصادرة الحريات، وحرمان شعبنا منها تحت أي ذريعة، إنما هي خيانة عظمى تستهدف استئصال الأمة من الجذور، وتسليمها للأعداء لقمة سائغة.

إن جماعة الإخوان تعلن بأعلى صوتها أن حاجة الأمة إلى استعادة حرياتها كحاجتها إلى الهواء والماء والغذاء، وكل ما ينال من هذه الحرية من دعاوى ومزاعم، أو يقلل من شأنها أو يحد منها، أو يضع القيود عليها، تحت أي شعار أو ستار، إنما هي دعاوى مشبوهة، ومزاعم مشكوك بنيات أصحابها، مهما ادعوا من سمو أفكارهم وقداسة معتقداتهم.

إن جماعتنا لتعلن على الملأ لكل المواطنين، وللناس أجمعين المبادئ الدستورية التالية:

أ- المساواة بين المواطنين

الناس كلهم عيال الله، فأحبهم إليه أنفعهم لعياله، والناس كلهم لآدم، لافضل لإنسان على غير بماله أو نسبه أو جاهه، فالناس يتفاضلون أمام الله تعالى بالتقوى والعمل الصالح، وهم جميعاً متساوون أمام القانون، لا يستثنى من ذلك أحد مهما بلغت منزلته؟.

ب- حماية المواطنين

من أوائل واجبات الدولة حماية المواطنين من الاستبداد والاستعباد والقوانين الجائرة والأحكام العرفية والممارسات البوليسية

والاستغلال الاقتصادي والكبت السياسي والضغط الإداري والتسلط الحزبي والطبقي والطائفي، ومن أي شكل من أشكال الهيمنة الظالمة في المجتمع.

جـ- الحفاظ على كرامة المواطنين

ضمان حماية المواطن -أياً كان جنسه ومعتقده- من التعذيب الجسدي والنفسي، ومن كل ألوان الأذى الذي يمس كرامة الإنسان وشرفه وآدميته، واعتبار أي لون من ألوان التعذيب، جريمة يحظرها الدستور، ويعاقب عليها القانون.

د- إلغاء السجون السياسية

إلغاء السجون السياسية التي أضحت تنافس المدارس في عددها، وإغلاق المعتقلات الانفرادية والجماعية التي قارب عددها عدد الثكنات العسكرية كثرة وضخامة، وحظر ذلك حظراً قاطعاً، وإحالة القضايا السياسية كلها إلى القضاء المختص.

هـ- نظام الشورى

حدد القرآن الكريم للمؤمنين صفات يتميز بها مجتمعهم، ويعرفون بها من بين سائر الشعوب، وجعل الشورى واحدة من أبرز هذه الصفات، فقال جل وعلا في كتابه العزيز: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[1]. كما أمر الله سبحانه النبي ﷺ أن يتلطف بأمته، وأن يستشيرهم في الأمر، تثبيتاً لقاعدة الشورى في الحكم، وفي بناء

---

(١) سورة الشورة الآية: ٣٨

المجتمع، فقال سبحانه: ﴿فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لهم، ولو كنتَ فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم، واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين﴾[1].

لقد كان رسول الله ﷺ يستشير أصحابه في كبير الأمور وصغيرها، يستشير الرجال والنساء، في السلم والحرب على حد سواء، ففي المعارك الكبرى الثلاث التي خاضها وقادها في بدر وأحد والأحزاب، استشار الجند من أصحابه، ونزل على رأيهم راضياً حيناً، كما حدث في بدر، وكارهاً حيناً كما حدث في أحد، ولو شاء لأمضى ما يريد، فهو رسول الله، يتلقى الوحي، ولا ينطق عن الهوى، ولكنه عليه الصلاة والسلام يعلم أمته مبادئ الشورى، ويربيهم على التزامها، ويؤكد عليها حتى في أشد الأوقات حرجاً، وكان يقول (لأبي بكر وعمر): «لو اجتمعتما في مشورة، ما خالفتكما»[2].

الشورى أساس الحكم الصالح من الوجهة الإسلامية، وقد أثبتت تجارب الأمم صحة هذا المبدأ، وأنه قارب النجاة من الأمواج العاتية والعواصف الهوج، والعاصم من الدكتاتورية السياسية والعسكرية ومن الطموحات الفردية والطغيان الحزبي أو الطائفي.

إن جماعتنا في سورية تعلن استمساكها بالشورى، وتأكيدها على

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٥٩ .

(٢) رواه أحمد، ورجاله ثقات .

إطلاق الحريات السياسية للمواطنين جميعاً، وإلغاء المسوغات التي يتخذ منها المستبدون والطغاة ذريعة باسم شعارات خادعة للجنوح بالحكم إلى التسلط والطغيان.

لا حياة لأمة بدون الحرية والشورى وحفظ كرامة الإنسان، يقول رسول الله ﷺ: «إذا رأيت أمتي تهاب الظالم: أن تقول إنك ظالم، فقد تُوُدِّعَ منها»[1].

٢- الفصل بين السلطات

ومن الأصول الراسخة في الحكم الشوري الذي يحفظ الحقوق، ويصون الحريات: مبدأ الفصل بين السلطات الثلاث، التشريعية والتنفيذية والقضائية، فقد أصل الإسلام منذ البداية هذا الأمر، فقد نزل التشريع بكلياته وكثير من تفصيلاته قرآناً كريماً، وجاءت السنة الشريفة لتفسيره وشرحه وبيانه، وكان على السلطة التنفيذية أن تعمل ضمن الثابت من النصوص دون أن تخالفها، وكان للسلطة القضائية صلاحية مساءلة الخلفاء والولاة وقادة الجيوش. وكم من حكم صدر من القضاء ضد خليفة المسلمين أو أحد الولاة لمصلحة مواطن أو غير مواطن من المسلمين أو المسيحيين أو غيرهما، وأقدم الخليفة أو الوالي على تنفيذه دون تردد أو تلكؤ.

أ- حرية تأليف الأحزاب السياسية

ومن الحقوق الأساسية للمواطنين تأليف الأحزاب السياسية، إذا لم تخالف الأمة في عقيدتها، ولم ترتبط بدولة أجنبية في ولائها،

(١) رواه أحمد في المسند عن عمور بن العاص. وقال الحاكم: حديث صحيح.

والفصل في ذلك أو في أي اتهام يوجه لحزب من الأحزاب من حق القضاء المختص، كيلا تتحكم السلطة التنفيذية في هذا الحق، وفي الحريات السياسية الأخرى، للتخلص من المنافسين، والانفراد بالسلطة دون الآخرين.

إن جماعتنا في ضوء ما تقدم، تعلن أنه ليس لديها تحفظ على أي حزب، منطلقة في ذلك من قناعتها الراسخة أن الغلبة للحق والعاقبة للتقوى، وضمن مناخات الحرية الكاملة، فإن جماعة الإخوان تسقط مسوغات وجودها إذا كانت تخشى على الإسلام من منافسة الأحزاب الأخرى.

ب- الانتخاب المباشر

نعلن التزامنا بمبدأ الانتخاب المباشر على جميع مستويات التمثيل مؤكدين على ما يلي:

- تضييق الدوائر الانتخابية بحيث يكون ميسوراً أن يعرف الناس بعضهم بعضاً، ضماناً لحسن الاختيار المؤسس على الخبرة والرؤية الواضحة.

- عدم وضع أي قيد على المرشح ما لم يكن محكوماً عليه بجرم شائن.

ج - حرية التفكير والتعبير

تصان حرية التفكير والتعبير والنشر وإبداء الرأي المخالف، وإصدار الصحف، مهما يكن اتجاهها ما لم يثبت ارتباطها بجهة

أجنبيـة، أو تخرج على مبادئ الدسـتور وعقيدة الأمة، ولا قـيمة لأي اتهام قبل إحـالة المتهم على القـضاء المختص وصدور حـكم قضائي مبرم.

د- الحريات النقابية

إعادة الاعتبار إلى النقابات العماليـة والعلمية والحرفية، وتحريرها من طغـيان السـلطة والحـزب الواحد، وفك ارتـباطهـا بالدولة تكـويناً وتمويلاً، وعـدم إلزام عمال صناعة واحـدة على الانضمام جمـيعاً إلى اتحاد بعينه.

هـ- حقوق الأقليات جميعاً

الحـقوق المـدنية والـقانونـية لجـميع الأقـليات الـعرقيـة والدينـية مصـونة، وحرياتـهـم الشخـصية مكـفولة، والدولة مـسؤولة عن حـفظ أنفسهم وأموالهم وكراماتهم.

وليست هـذه الحقوق صادرة عن رأي شـخص، أو اجتهاد فـقهي طارئ، أو مـوقف تكتيـكي، أو قرار حكـومي، وإنما هي مـن أحكام الإسلام الأساسية التي أثبتتها النصوص، وطبقها الرسول الكريم، وأي مساس بها أو تساهل فيها، إنما هو خروج على قواعد إسلامية ثابتة.

انطلاقاً من هذه الـمبادئ الأساسية في الـحريات السياسيـة والحياة الدستـورية: نرفض استـبداد الحاكـم الفرد كمـا نرفض مقولـة الحزب الواحد، لأن هـذه المقولـة في أبسط معـطياتهـا تمثل فـئة صغـيرة من الشعـب، ولا تمثل الشعـب بمجموعـه، وترفض الاعتراف بـالآخرين

والتحاور معهم، إلا إذا كان هذا الحوار يصب في المحصلة النهائية في خانة الحزب الحاكم، وبسبب هذه الطبيعة الملازمة لحكم الحزب الواحد تتولد تلقائياً ظاهرة العنف والعنف المضاد.

٣- السلطة القضائية

كان القضاء في سورية دعامة المجتمع ومفخرة الأمة في ترفعه ونزاهته ومستوى رجاله الخلقي والعلمي، وكان ملاذاً للضعيف لينصفه، والمظلوم ليأخذ له ظلامته من أي معتد، سواء أكان فرداً، أم جماعة، أم حكومة بصرف النظر عن القوانين النافذة آنذاك، ولكن هذه المؤسسة العتيدة النزيهة فسدت كما فسد غيرها من المؤسسات في ظل هذا الحكم الطائفي الغاشم، فزالت حصانة القضاء والقضاة، وأضحى هذا الموئل بؤرة للطامعين والمرتشين، من أشباه الرجال وأنصاف المتعلمين، وعرف الناس أن الدعاوى لا يمكن تحريكها أو النظر فيها إلا بدفع المبالغ بمقدار أهمية الدعوى، وهكذا تحول الحامي إلى حرامي، والمؤتمن إلى سارق، بانهدام آخر معقل في بلادنا الصابرة، يلوذ به الخائف والمظلوم والمعتدى عليه، وذلك ما يوجب إعادة النظر في بنية هذه المؤسسة، لتطهيرها من الوباء الذي تفشى فيها، وإعادة الحصانة إليها، واختيار الأكفياء لها من رجال القانون والفقه من ذوي النزاهة والأخلاق الرفيعة، ووجوب استقلال السلطة القضائية عن السلطتين التنفيذية والتشريعية، وإقامة بنيانها على قواعد راسخة وأصول ثابتة، منها:

- لا جريمة بغير نص، ولا يجوز توقيف أحد إلا بموجب مذكرة

قضائية.

- إلغاء جميع المحاكم الاستثنائية، وحصر حق التقاضي بالقضاء العادي.

- إنشاء محكمة عليا مهمتها النظر في دستورية القوانين، ومنحها الصلاحيات الكاملة في ممارسة هذا الواجب، كيلا يبقى هذا الأمر صورياً، كما هو الواقع في ظل الفئة التي لا تعرف للقانون حرمة.

- لا حصانة لأحد أمام القضاء رئيساً كان أو مرؤوساً، فالقانون هو السيد، والناس جميعاً متساوون أمامه، وهذا ما كان سارياً وسائداً يوم كان حكم الإسلام قائماً.

- وضع شروط دقيقة في اختيار القضاة كي توضع قضايا الناس وحقوقهم بأيد نزيهة وأمينة.

- رفع الضرائب القضائية عن المشتكي إذا أثبت القضاء أنه كان محقاً في دعواه، كيلا تحول الرسوم بين المظلومين وبين تقديم الدعوى إلى القضاء.

- الخلاص من التعقيد والروتين في عرض الشكوى وتأجيلها شهوراً وسنوات. مما يضطر الكثيرين إلى التنازل عن حقوقهم ضيقاً ويأساً.

ثانياً: الأوضاع الاقتصادية

يتضح من الأصول الإسلامية الثابتة قيام الأوضاع الدستورية والاجتماعية والسياسية والتربوية على أسس إيمانية وقيم أخلاقية ثابتة،

وضمن ذلك وفي مقدمته الأحكام المالية والنظم الاقتصادية التي أولاها الإسلام كبير الاهتمام، وأحلها مكانها اللائق بها في دين الله وشرعه القويم، حتى لم يعد خافياً على أحد أن للإسلام نظامه الاقتصادي الكامل المؤسس على الاعتراف بالحوافز الفطرية التي لا يمكن تجاهلها، وليس خافياً كذلك أن الشواهد التاريخية أثبتت بما لا يدع مجالاً للمماراة أن نظام الإسلام الاقتصادي استطاع مع رعاية حسن التطبيق - أن يحقق في المجتمع الإسلامي توازناً مثالياً قائماً على الدافع الإيماني والالتزام الأخلاقي، فضلاً عن الضوابط القانونية الهادفة إلى تحقيق العدالة في هذه الأرض.

وبالرغم من قناعتنا الراسخة أن ردم الهوة بين الغني والفقير لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال الدولة الواحدة نظراً لانعدام التكامل الاقتصادي في ظل التجزئة المصطنعة فإن جماعة الإخوان ترى أن تخفيف آثار هذه الظاهرة ينبغي أن يحدث وينفذ إلى أبعد حدوده الممكنة، وترى أن تصحيح هذا الوضع الشاذ المنذر بالخطر الماحق يتوقف على تحكيم شريعة الله في باب الاقتصاد كما في سائر مرافق الحياة الأخرى.

إن النظام الاقتصادي الذي يسود سورية في الوقت الحاضر هو نظام ظالم من فرق رأسه إلى أخمص قدمه، لأنه استجمع في أحضانه مفاسد الحياة الغربية، وويلات الأنظمة الاشتراكية، إن السياسة التي ندعو إليها في عالم المال والاقتصاد ترتكز في جملتها على الأسس التالية:

أ- التوزيع العادل للثروة، وعدم تكديسها في أيد قليلة.

ب- القضاء على جميع أشكال النهب والاستغلال.

جـ- توفير الفرص المتكافئة لجميع المواطنين.

د- تحرير الاقتصاد من التسلط الداخلي والتبعية الأجنبية.

هـ- القضاء على الفقر والحاجة، وتأمين كل مواطن في المعيشة والتعليم والعلاج والزواج والمسكن وغيرها.

وفيما يلي تفصيل ما يمكن تفصيله في برنامجنا لنخاطب به شعبنا الصامد وأمتنا الواحدة والناس أجمعين:

١- حق التملك والقطاع الخاص

أ- حماية الملكية الفردية، وتشجيع رأس المال الخاص على الإسهام الفعال في رفع وتائر الاقتصاد الوطني، بحمايته من المصادرة، ما دام قائماً بوظيفته، مؤدياً لواجباته، لا يلحق ضرراً أو أذى بالوطن وبالمواطنين.

ب- الحرية الاقتصادية في التصنيع والتصدير والاستيراد، ضمن خطة مدروسة موزونة مصدق عليها من المجلس الشوري (البرلمان).

جـ- ومع أن في بعض التجار طمعاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، وميلاً إلى الاحتكار فإننا نرى أن الدولة تخفق في تحقيق ما تهدف إليه حين تجنح أن تكون تاجراً، وهذا لا يعني إلغاء الرقابة الصارمة على الأسواق التجارية، والتدخل بقصد التوازن التجاري كلما دعت الحاجة.

٢- الثروات العامة (القطاع العام)

أ- الثروات العامة كالنفط والغاز والمعادن على تنوعها ملكية عامة

للأمة، ولكل فرد حقه الثابت من هذه الثروة.

ب- ينبغي الحفاظ على القطاع العام، بعد إصلاحه وتطهيره من المفسدين والناهبين، ومن الكسالى والخاملين.

جـ- تشجيع القطاع الاقتصادي المشترك الذي تساهم فيه الدولة، ويشارك فيه الشعب.

د- ثمة مصالح لا بد أن تكون في يد الدولة، وتحت هيمنتها الكاملة، نظراً لطبيعتها التخصصية، أو وضعها الأمني، أو ضخامة حجمها، أو ارتباط ملكيتها بمجموع أفراد الأمة.

٣- الفلاح والأرض

طالب الإمام البنا بتحديد الملكية الزراعية في عام ١٩٤٨ قال الإمام:

(توجب علينا روح الإسلام الحنيف، وقواعده الأساسية في الاقتصاد القومي أن نعيد النظر في الملكيات الكبيرة، فتختصر الملكيات الكبيرة، وتشجع الملكيات الصغيرة حتى يشعر الفقراء والمعدمون بأنه قد أصبح لهم في هذا الوطن ما يعنيهم أمره، ويهمهم شأنه، وأن توزع أملاك الحكومة حالاً على هؤلاء الصغار حتى يكبروا)اهـ.

إن تمليك الأرض الموات لمن يحييها ويعمل فيها من الأمور المسلمة، ومن الأحكام المنصوص عليها في شريعة الإسلام وفقهه. وإذا كانت بعض الحكومات قد قامت بتوزيع الأرض على الفلاحين

بطرق وأساليب نبدي عليها كثيراً من التحفظات، فإن الذي ننادي به ونؤكد عليه إنما هو تمكين الفلاح من ملكية الأرض، وإطلاق يده في العمل فيها ليقطف ثمرات جهده، وتحريره من القيود الثقيلة التي أرهقته واستهلكته، ومن الوسطاء والأوصياء والمتنفذين الذين يمتصون عرق جبينه وكد يمينه، باسم الدولة والحزب والاشتراكية، وتخليصه من الأسعار المنخفضة والمجحفة التي تفرضها عليه السلطات الجائرة.

إن النهوض الزراعي -من الوجهتين الاقتصادية والاجتماعية- يقتضي الإقدام الشجاع على إجراءات حاسمة أشبه ما تكون بالثورة الزراعية، من أهمها:

أ- استغلال جميع الأراضي القابلة للزراعة، وإحياؤها وتمليكها لمن أحياها، بعد الأخذ بالأسباب الجادة لهذا الإحياء مالياً وفنياً.

ب- الاستفادة على أوسع مدى من الوسائل الحديثة والتقنية في الري والزراعة وحراثة الأرض، واستخدامها في الأرض الزراعية كلها، وتحرير الفلاح والمزارع من الوسائل التقليدية البالية.

جـ- حماية الحقول والمزارع والمروج والغابات من الحشرات والطفيليات التي تضعف الإنتاج وتهبط مستواه.

د- توزيع أراضي الدولة الزراعية على الفلاحين، وإعطاء الأولوية في التوزيع لساكنيها وسكان الأراضي المتاخمة، وإمدادهم بالقروض والأسمدة والآلات والخبرات الفنية، حتى يستطيعوا إضافة هذه البقاع

إلى الأراضي الزراعية المنتجة.

هـ- حماية الفلاحين والمزارعين من الوسطاء والأوصياء، كيلا يخطفوا من إنتاجهم شيئاً، لينالوا القيمة الكاملة لإنتاجهم ومحصولهم.

و- تحرير القروض التي تقدمها الدولة للفلاحين والمزارعين من الربا.

ز- وقاية الغابات والأحراج بشكل جدي من الآفات البشرية والطبيعية، وتوسيعها واستغلالها، وتشجير الجبال والهضاب الجرداء، والاعتناء بالشجرة، وعدم السماح بتحويل البساتين والمزارع إلى أحياء سكنية ومناطق صناعية، كما حدث في جميع المدن والأرياف، مما جعل هذه البساتين تتقلص بصورة مفزعة، وتتحول من غابات الأشجار المثمرة إلى غابات من الإسمنت، بالرغم من وجود مساحات واسعة غير مزروعة وقابلة للبناء والتوسع العمراني، وصالحة للمناطق الصناعية، أملاً في أن تعود سورية إلى ما كانت عليه في العصور الإسلامية الزاهية، يوم كان المسافر من دمشق إلى بغداد لا يحتاج إلى حمل الزاد، لكثرة ما يرى من الثمار والخضر والفاكهة في طول البلاد وعرضها.

ح- حماية المزارعين الذين يملكون أرضاً زراعية يقومون على زراعتها من التسلط تحت أي شعار كان، ليأمن المواطنون جميعاً على إنتاجهم وحريتهم وكرامتهم.

ط- تحقيق التوازن بين الإنتاج الزراعي وحركة التصنيع، وبعبارة أخرى: بين المحصولات التجارية والصناعية من جهة، وبين المحصولات الغذائية من جهة أخرى.

ي- إطلاق المبادرات، وتشجيع المزارعين في الريف والبادية لتعميم المحطات والحظائر والمداجن وخلايا النحل، لتربية الأبقار المنتجة والأغنام والدجاج والطيور، وإغراق الأسواق المحلية باللحوم والإنتاج الحيواني، ليكتفي الشعب ويجد غذاءه وافراً رخيص الثمن، ولتوفير الملايين التي نستورد بها اللحوم المثلجة وغيرها من الخارج لبلد كسورية يمكنه أن يصبح من بلدان الدرجة الأولى في التصدير لهذا الإنتاج، لو صح العزم، وأطلقت حريات المواطنين من الفلاحين والمزارعين وأبناء الريف وسكان البادية.

ك- الاهتمام بالثروة السمكية في الشواطئ والأنهار والبحيرات، والعمل على إكثارها بالطرق الفنية الحديثة، وعلى إقامة أحواض خاصة بتربية السمك، وتنشيط الصيد، ودعم هذه الحرفة كي يصبح السمك غذاءً شعبياً في متناول كل الناس.

وأخيراً.. فإن الاهتمام بالقطاع الزراعي ينبغي أن يأخذ مداه، لما يترتب على ذلك من نتائج بالغة الخطورة، فبالزراعة تجمل البلاد، ويتحسن المناخ، ويكتفي الناس، ويتحرر الشعب من الحاجة إلى الغذاء، في عالم يشكو من قلة الغذاء، وتنتشر فيه المجاعات، وتقع بعض الدول وفيها الكبرى كروسيا تحت وطأة هذه الحاجة أمام أعدائها، فيهددونها في كل مناسبة بوقف تصدير الأغذية إليها..

وبازدهار الزراعة تنشط التجارة، وتجد الصناعة حاجتها من الإنتاج والمواد الخام.

لهذا كله يجب تشجيع الزراعة ودعمها، وحشد جميع الطاقات والإمكانات لانتشارها وازدهارها، وتقوية الحوافز في الأوساط الريفية والزراعية لوقف الهجرة من الريف إلى المدينة، كالتمليك والإقراض والتوجيه، وجني المحصول كاملاً، وتسليم الثمن الذي هو ثمرة العمل والكسب الحلال دون اقتطاع أي نسبة منه.

إن ما حدث في سورية سار في الخط المعاكس لمصالح الفئات الكادحة عامة، والقطاع الزراعي بشكل خاص، فالإصلاح الزراعي نفذ بصورة أدت إلى إهمال أراضي الدولة الصالحة وهي كثيرة، وإلى هبوط الإنتاج في أخصب الأراضي إلى النصف، وأحياناً إلى الثلث، وتحولت جنات في بلادنا إلى خرائب، وهذه حقائق يعلمها جميع الموظفين المختصين. وبهذا سار الإصلاح الزراعي بعكس طبيعة الأشياء، وضد فطرة الناس.

ومن قبل حدث في روسيا مثل هذا، فقد كانت روسيا من قبل تصدر الحبوب والمواد الغذائية، ثم هبط الإنتاج في ظل النظام الماركسي والجمعيات القسرية، لتظل الزراعة في الاتحاد السوفياتي هي القطاع الأضعف في الاقتصاد السوفياتي، بل ظلت عقدة الزراعة السوفياتية سوطاً يلاحق الحكومات المتعاقبة في هذا النظام، وعلى الأخص في أيام خروتشوف الذي ظلت لعنة الزراعة السوفياتية تلاحقه حتى قضت عليه.

وفي الأشهر التي سبقت عزله اضطر خروتشوف لأول مرة في تاريخ روسيا القيصرية والشيوعية إلى شراء القمح ومنتجات الدواجن والزبدة واللحوم المجمدة من كندا وأستراليا وألمانيا الغربية وفرنسا والولايات المتحدة والصين، ولتأمين العملة النادرة اضطر السوفيات إلى شحن قسم من مخزونهم الذهبي لبيعه في سوق الذهب بلندن.

واستمر السوفيات في استيراد المواد الغذائية من الخارج منذ عام ١٩٦٤م، بالرغم من أن الاتحاد السوفياتي يشتمل على أكبر مساحة صالحة للزراعة في العالم، ورغم أن الإمكانات الطبيعية لتطوير الزراعة لا تقل فيه عن أي بلد آخر، وهذا يؤكد أن عقدة الزراعة في الاتحاد السوفياتي تدخل في مجال التنظيم الاقتصادي والاجتماعي أكثر مما هي ناتجة عن عوامل طبيعية، والفائض الهائل الذي يشتريه السوفيات من أسواق العالم الغذائية يؤدي إلى ارتفاع أسعار القمح وغيره، ويقلص الكميات المتاحة للدول الفقيرة التي تصاب بالجفاف في آسيا وإفريقيا وغيرهما.

وبالرغم من اضطهاد السوفيات للزراعة الخاصة، فما تزال هي أرفع إنتاجية من المزارع الجماعية، حتى إن قطع الأرض الصغيرة الخاصة تؤمن ٥٠٪ من إنتاج البطاطا، و٤٠٪ من الدجاج، ونسبة عالية من الفاكهة والخضر، وهذا ما اضطر الدولة السوفياتية في مطلع السبعينيات إلى مضاعفة حجم القطع الزراعية الخاصة، بعد أن كانت تعمل على تقليصها والتضييق ضريبياً عليها في الستينيات.

إن جماعة الإخوان في سورية مصممة على النهوض بالقطاع

الزراعي، وإحلاله المقام الأول في سلم الإصلاح العاجل، لتعود بلادنا كما كانت مروجاً خضراء بإذن الله، وليعم الرخاء الغذائي، ولتصبح المواد الغذائية بكل مشتقاتها فائضة ووافرة ودانية من الشعب كله، ولتحرر الزراعة من الكوارث التي حلت بها في ظل الحاقدين.

٤- العامل والصناعة

ظهر الإسلام، والعرب يكرهون العمل في حرفة أو صناعة، ويعدون ذلك منقصة ينزهون أنفسهم عنها، فحرر الإسلام العرب من هذا الفهم، وجاء القرآن الكريم مشيداً بالعمل وبالعاملين، وتكلم القرآن عن أنبياء الله تعالى، وعن إتقانهم لبعض الحرف والصناعات، وقد وردت في ذلك آيات كريمات مثل ﴿وألنَّا له الحديدَ، أنِ اعملْ سابغاتٍ وقدِّرْ في السرد﴾[1] و﴿وعلمناه صنعةَ لبوسٍ لكم لتحصنكم من بأسكم﴾[2] أما رسول الله عليه الصلاة والسلام فقد أحل العمل مكاناً عظيماً، ورفع شأنه ودفع بالناس إليه، وكان عليه الصلاة والسلام، مثالاً يقتدى في قوله وفعله، فقد رعى الغنم، وزاول التجارة، وحض على الاحتراف والصنعة والعمل اليدوي، وله عليه الصلاة والسلام في ذلك توجيهات كريمة من مثل قوله: من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له، إن الله يحب العبد المحترف... إلخ، فكان من ثمرة هذه التعاليم أن اتجه العرب

---

(١) سورة سبأ: ١٠ .

(٢) سورة الأنبياء: ٨٠ .

والمسلمون إلى الحرف والعمل اليدوي، فلم تمض عليهم فترة قصيرة حتى أبدعوا في هذا المجال، وسبقوا غيرهم، وصارت أمتهم في العهد العباسي من أرقى الأمم التي عاصروها في الحرف والأعمال الصناعية.

فلا عجب والحالة هذه أن تعد جماعة الإخوان في سورية برنامج عمل يدفع بالبلاد والعباد إلى صناعة متقنة، تسد حاجة الوطن، وتحرر الأمة من التبعية الصناعية والاستيراد الدائم، والارتباط الاقتصادي بالدول الأجنبية، ومن أبرز نقاط هذا البرنامج:

أ- دفع عجلة الصناعة إلى الأمام، وخاصة فيما أتقنه السوريون وعرفوا به وسبقوا في مضماره، وتوفرت لديهم مادته وخاماته، لتعود سورية إلى سيرتها الأولى يوم كانت تغزو بضائعها الأسواق العربية والعالمية، وتنافس البضائع الأجنبية في أسواق روما وباريس، بالمهارة والمتانة والسعر والذوق الرفيع، وذلك قبل أن تمتد إليها يد التخريب والعبث.

ب- تشجيع الصناعات اليدوية والمنزلية على أنواعها، لتعود على البيوت بالربح، وتملأ فراغ الكثيرات، وتنقذ قطاعاً كبيراً من بؤس الحاجة، وتزيد على المدى الطويل في دخل البلاد.

جـ- إنشاء الصناعات البتروكيميائية والثقيلة الممكنة، بالتعاون مع الدول الشقيقة لسد حاجة البلاد من السيارات والجرارات وسواها.

د- تطوير صناعة السلاح، وإقامة المصانع لإنتاجها مهما بلغت

الأعباء، كي نتحرر من الاعتماد على الدول الكبرى في تسليح جيشنا، واستيراد الذخيرة وقطع الغيار التي تجعل منها الدول المصدرة لها سيفاً مسلطاً على رقابنا، لتملي شروطها وتفرض على الأمة ظلها الثقيل. وعندما يستطيع العراق أن يخطو في طريق امتلاك السلاح النووي خطوات حاسمة، وتستطيع باكستان أن تفعل ذلك، فإن مجموع الدول العربية والإسلامية تستطيع بيسر أن تملك أضخم المصانع وأخطر الأسلحة لو كانت جادة ومتعاونة في هذا السبيل.

هـ- الصناعات التي تكون ذات أهمية رئيسية في حياة البلاد، تدخل ضمن القطاع العام بقرار من المجلس النيابي طبقاً للأصول الشرعية والدستورية.

إن إقامة الصناعات التي لا تستغني البلاد عنها، واللحاق بالأمم المتقدمة صناعياً، والقضاء على التخلف في هذا الشأن من فروض الكفاية كما نص الفقهاء، كيلا تقع الأمة تحت وطأة الحاجة لغيرها، فيؤدي ذلك إلى ضعفها وتسلط الأقوياء عليها. ولكن حدوث مثل هذه النهضة الصناعية سيظل بعيد المنال مهما بذل من الجهد وأنفق من المال، ما لم يكن العمال والصناع في وضع يطمئنون فيه على غدهم، وعلى مستقبل أبنائهم، وينالون في ظله جميع حقوقهم، ويتحررون فيه من الشعور بالظلم والحيف وضياع الجهد، فيجنون ثمرة كفاحهم، وهذا ما يوجب حل المسألة العمالية من الجذور، والقضاء على عوامل القلق والصراع والاستغلال التي تتعرض لها وتعيش تحت وطأتها جماهير العمال والكادحين.

و- إن أخطر ما أفرزته النهضة الصناعية في المجتمعات الرأسمالية هذا التناقض بين جشع الرأسماليين وهدر حقوق العمال، فكان صاحب المصنع يطمع أن يمتص ما يستطيع من جهد العامل بأقل ما يمكن أن يؤديه له من أجر، فإذا ما نال العامل حقوقه أو بعضها كان ذلك على حساب الأرباح الفاحشة التي يعمل الرأسمالي على زيادتها بكل الوسائل، وليس على نقصانها، مما أدى إلى صراع بين هاتين الفئتين. وإلى كفاح انتهى بهزيمة الرأسمالية وانتصار الاشتراكية في بقاع كثيرة من العالم.

ز- فحلت الدولة محل ذوي رأس المال، فواجه العامل سلطاناً أشد وأقسى من سطوة رأس المال، لأن الدولة تزعم أنها تحكم باسم الطبقة العاملة، وأن العمال هم المالكون الحقيقيون للمصانع ولأدوات الإنتاج ومن ثم فلم يعد بمقدور العمال أن يحتجوا للحصول على حقوقهم، أو رفع الظلم عنهم كما كانوا يفعلون من قبل، بل إن احتجاجهم يقابل في ظل ملكية الدولة بالشدة والقسوة البالغة كما حدث في المجر من قبل، وفي بولندا بعد ذلك، وفي عدد من البلدان الاشتراكية التي نمت فيها طبقة ثالثة تحكم باسم العمال، وتعيش على حسابهم معيشة أقرب ما تكون إلى حياة الأباطرة، وتسوم العمال سوء العذاب.

ح- وهكذا استمر هذا التناقض، بين العمال من جهة، والمتسلطين من جهة أخرى.

لقد كان المتسلط بالأمس على العمال هم الرأسماليين، وأصبح

المتسلطون اليوم هم الاشتراكيين الذين تربعوا على كراسي الحكم، وأصبحوا قياصرة العصر باسم الحزب والاشتراكية والصراع الطبقي وملكية العمال لأدوات الإنتاج، وليس للعامل أن يتفوه بكلمة أو أن يقول: لا، فالعامل الذي تحرر من سياط الرأسماليين، وقع في جحيم الاشتراكيين الذين يملكون كل أسباب التسلط وجميع وسائل القهر، وسطوة الحزب وجهاز المخابرات.

إن حل المسألة العمالية في رأينا يكمن في إزالة هذا التناقض، وإنهاء هذه الوصاية على العمل، أياً كان شكلها، وأياً كانت التسمية التي يحملها هؤلاء الأوصياء، وهذا لا يكون إلا بتمليك العمال لجهدهم وعملهم بإحدى الطرق التالية:

أ- تحويل ملكية المصانع والمؤسسات الصناعية التي تملكها الدولة إلى العمال، مقابل أقساط تسترد من تعويضاتهم، وتقتطع من مرتباتهم على فترات طويلة دون أن يؤثر ذلك على معيشة أسرهم.

ب- تنشئ الدولة مصانع، وتوزع أسهمها على العمال، ثم تسترد ثمنها على غرار ما ورد في الفقرة السابقة.

بذلك يملك العمال المصنع، ويشاركون في مجلس إدارته، ويبذلون قصارى جهدهم في العمل، فيزداد الإنتاج، وتتحسن نوعيته، ويزول التناقض، وينطفئ لظى الحقد، وتزدهر الصناعة، ويلغى دور الأوصياء والمستغلين.

يستثنى من ذلك المصانع ذات الطابع الأمني كمصانع السلاح، أو الفني كالنظائر المشعة وأضرابها، فإنها تبقى ملك الدولة وتحت

إشرافها المباشر.

وأما المصانع التي يملكها أصحابها في القطاع الخاص، فينبغي تحديد الصلة بين أصحابها وبين العمال بشكل دقيق وصورة واضحة، بحيث لا يضيع على العامل من ثمرات جهده شيء، ولا يفرط العامل كذلك في إتقانه لعمله وقيامه بواجبه وتحسينه لأدائه بشيء، كما يحدث في بعض الأحيان، عندما يفهم بعض العمال أن لهم الحق في كل شيء، وليس لغيرهم أن يطالبهم بشيء، فتتحول بعض المصانع والمؤسسات إلى تكايا يملؤها الكسالى والقاعدون، وهذه ظاهرة خطيرة شاعت في بلادنا، وأدت إلى نتائج خطيرة وعواقب وخيمة.

بالإضافة إلى ما تقدم فإن ما ينبغي أن يراعى في محيط العمل، ويأخذ صيغة التشريع الواضح أمور منها:

- تشديد النكير على تشغيل الأطفال الذين لا تتجاوز أعمارهم سناً معينة يحددها القانون.

- لا يزيد أسبوع العمل على ٤٢ ساعة، ليكون لدى العامل وقت لتثقيف نفسه ورعاية أهله وأداء واجباته. قال رسول الله ﷺ: إن لربك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، فأعط كل ذي حقٍ حقه.

- الاهتمام بوضع المصانع من النواحي الصحية والعلمية والثقافية، بحيث يطمئن العامل فيه على صحته من حيث التهوية والإضاءة والحرارة، وحتى يجد المسجد الذي يؤدي فيه العبادة، والمكتبة التي يملأ فيها ما لديه من فراغ في المطالعة والمشاهدة والاستماع.

- التأهيل المهني الدوري للعمال والمستخدمين، ليبقى تقدمهم المهني دائماً، وتطورهم الفني مستمراً، فإن توقف الإنسان عند حدود معينة، وعدم تجاوزه لها: إيذان بتخلفه وتراجعه وارتداده إلى الأمية، كما حدث لكثير من المثقفين والفنيين.

- يتمتع جميع العمال -شأن بقية الموظفين- بالإجازات الأسبوعية والسنوية، ويجبرون على الحصول عليها كيلا يشغلوها بالعمل الإضافي، فيكون ذلك على حساب راحة العامل واستقراره النفسي والأسري.

- ضمان العمال وعائلاتهم صحياً بالعلاج والدواء، ومالياً في حال العجز والمرض والإصابة والشيخوخة في راتب تقاعدي شأن بقية الموظفين سواء بسواء.

بمثل هذه الإجراءات التي هي معالم على طريق الإصلاح العمالي في برنامج جماعتنا، يطمئن العامل على غده، وعلى مستقبل أهله وولده، وتسود المحبة أبناء الوطن، ويزول التناقض بين مصالح فئة وأخرى، وينصرف الكل إلى الارتقاء بالإنتاج نوعاً وكماً، وإلى تحسين أحوال البلاد من خلال السعي إلى تحسين أحوالهم والنهوض بها إلى حياة فضلى، في ظل شريعة عادلة تطبق العدل والمساواة بين جميع المواطنين.

٥- النظام الضريبي

عندما سأل الخليفة عمر بن الخطاب عامله أبا هريرة في البحرين على الصدقة، أجاب العامل إجابة تفيض بالثقة والوضوح فقال:

وليتني عليهم، فذهبت إليهم، وأخذت فضول أموال أغنيائهم، ورددتها على فقرائهم، وعدت إليك كما ذهبت عنك، أتعلمني ديناً جديداً، وهكذا كان الفهم واضحاً لدى الخاصة والعامة من المسلمين، ومؤداه أن الضريبة تؤخذ من الأغنياء، وترد إلى ذويها ومستحقيها من الضعفاء، ليظل التوازن الاقتصادي والاجتماعي في الأمة مستمراً.

أ- بهذا المقياس نرى النظام الضريبي في سورية ظالماً جائراً يأخذ من الفقير كما يأخذ من الغني، ويساوي بينهما في التكاليف، فالذي يملك بيتاً لسكناه يدفع عنه ضريبة بالرغم من أنه لا يؤجره ولا يستثمره، كذلك فإن الضريبة غير المباشرة -وهي الضريبة السائدة- تسوي بين أغنى الأغنياء وأفقر الفقراء، بل وربما كان عبء الفقير منها أثقل منه على الغني، لأن الفقير أكثر استهلاكاً للمادة الأساسية كالسكر مثلاً وغيره، من الغني الذي يجد في غيرها عوضاً أو رديفاً.

ب- لذا لا بد من إعادة النظر كلياً في النظام المالي، والضريبي خاصة -والمساهمة الفعالة من الأغنياء، وإعادة التوازن في المجتمع، كيلا يكون المال دولة بين الأغنياء دون الآخرين، ولتطويق هذا التكديس الهائل من الثروات الأسطورية التي ملأت خزائن أصحابها، وغمرت بنوك الدول الأجنبية تحت الحسابات السرية التي ينميها سدنة النظام السوري الجائر في أوروبا وأمريكا في شراء الأسهم والعقارات وفي تجارة الذهب والمخدرات، والتي أصبح الكثير من أرقامها وأسرارها مكشوفاً ومفضوحاً.

كذلك لا بد من تطبيق نظام ضريبي يقوم على قواعد ومبادئ من أهمها:

جـ- القضاء على الهدر الضريبي المتمثل بالمحاباة وإهمال المحاسبة وعدم اعتماد الضوابط العلمية التي تؤدي إلى حصر مقادير الدخول، حتى يكون طرح الضريبة عادلاً.

د- إعادة النظر في النظام الضريبي أو على الأخص الضرائب غير المباشرة التي تسوي بين الأغنياء والفقراء.

هـ- مراعاة العدالة بين المناطق في جباية الضرائب وفي إنفاقها، حتى يكون الازدهار للوطن كله، وليس للمدينة على حساب الريف، أو الريف على حساب البادية، أو الجبل على حساب المناطق الأخرى.

إن جولة سريعة في المناطق الشمالية والشرقية من سورية كفيلة بإظهار الفارق الكبير في الرقي والإصلاح ما بين منطقة وأخرى، فالريف السوري في الجزيرة والرقة والفرات وحلب وحماة وحمص وحوران ما يزال في تخلف معيب، وكل ما ادعاه الطغاة من دعاوى الإصلاح والتقدم وإنصاف الريف دعاوى كاذبة، فسورية قد تأخرت عشرات السنين في ظل هذا الحكم البغيض، والطبقة الوسطى في تقلص، وأفراد الطبقة الجديدة لم يعد يكفي الواحد منهم مائة مليون أو مائتان يحصل عليها من طريق الرشاوى والعمولات والسلب المكشوف، فلا بد أن يجاري أغنى أغنياء العالم في ثروته الطائلة، وحساباته السرية والجارية، وطوابير الشعب تلهث وراء الخبز والوقود

والمواصلات وكل الحاجيات الأساسية!

و- لا بد من فرض ضرائب تصاعدية على المال والربح قياساً على فريضة الزكاة، تجبى من الأغنياء، ويعفى منها الفقراء أسوة بما فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عندما كان يفرض الضرائب الثقيلة على العنب، والضرائب الرمزية على التمر لأنه طعام الفقراء.

٦- الأعمال المصرفية

النظام المصرفي الذي يسود بلادنا وحياتنا المالية منبثق عن النظام الرأسمالي بكل عيوبه ومآسيه، والزعم بتطبيق الاشتراكية يثير السخرية والشفقة معاً، فالقصد من شعار الاشتراكية هو الابتزاز والتسلط وسحق المعارضين، والنظامان الاشتراكي والرأسمالي كلاهما أقل سوءاً من الأوضاع الاقتصادية التي تسود بلادنا، فالنظام المفروض على سورية -إن صحت تسميته بالنظام- أخذ من النظم الاقتصادية أسوأ ما فيها، وترك النافع منها والمفيد فيها، مما يوجب إعادة النظر فيه من ألفه إلى يائه، وبناءه على أسس شرعية عادلة نذكر منها:

أ- إعادة الثقة إلى رؤوس الأموال العربية والإسلامية، وسحب جميع الأرصدة العربية والإسلامية لتوظيفها في بلادنا، لأن إبقاءها على هيئة ودائع في الخارج يؤدي إلى عدة أمور، ما منها واحد إلا وهو ضار بالأمة حاضراً ومستقبلاً:

- إنها تبقي شريان الاقتصاد المعادي متدفقاً بالحياة.
- تستخدم لإنتاج أدوات الفتك التي توجه إلى صدورنا.

- يجري امتصاصها عن طريق التضخم المصطنع.

- وأخيراً -وليس آخراً- هي عرضة للتجميد في كل وقت، مما يجعلها عبئاً على أصحابها، وليست امتيازاً لهم.

ب- محاربة التضخم، والعودة إلى قاعدة التغطية الذهبية مدعومة بوفرة وتحسين الإنتاج، إنقاذاً لعملتنا المتدهورة بصورة دائمة، من جراء طبع النقد بكثرة دون رصيد، وبسبب عمليات التهريب التي يقوم بها المتنفذون والمتسلطون.

جـ- الاعتماد على رأس المال الوطني في بناء الاقتصاد وتشييد المشروعات.

د- استبدال وظيفة البنوك والمصارف المرتكزة في جوهرها على الفوائد والربا، واعتماد نظام المشاركة والاستثمار الاقتصادي المباشر والإقراض الحسن، طبقاً للقوانين واللوائح التي تنظم هذه الأمور، وتحريم الربا بكل أشكاله وصوره، وما يلحق به من الاحتكار والغبن والغش والربح الفاحش، فالربا في أقل حالاته سوءاً رفع سعر السلعة عندما تضاف الفائدة على رأس المال والربح ليذفعها المستهلك، وفي أسوأ حالاته سلب طعام الفقير من فمه وأفواه أطفاله، لقد ألف الناس أن يقرؤوا مسرحية تاجر البندقية لشكسبير دون أن يقفوا على آثارها المروعة في عالم الاقتصاد، وما يجره الربا على البشرية من ويلات.

هـ- إن كل ما ورد في الإسلام من تشريعات، عظيم، ومن أعظم ما فيه: تحريمه للربا؛ لتحرير وإنقاذ الضعفاء والفقراء من براثن المرابين والمستغلين.

لقد أدرك العالم أضرار الربا، واعتبره كبار العلماء والاقتصاديين من أمثال كينز مصدر الأزمات الاقتصادية، وساد في عالم اليوم أن ارتفاع معدل الفائدة دليل على سوء الأوضاع الاقتصادية، وبمقدار ما ينخفض سعر الفائدة تتحسن هذه الأوضاع.

لقد آن للناس جميعاً -والاقتصاديين منهم خاصة- أن يدركوا أهداف الإسلام من تحريمه القاطع للربا، بعد أن ثبتت أضراره الفاحشة وأوضاره في تأريث الحقد بين الناس، وتكريس الانقسام الطبقي في المجتمع، وإفراز طبقة من المستغلين لا تنتج شيئاً، وتحكم رأس المال بأقدار الناس، بدلاً من تحكم الناس بالمال وتسخيره لهم كما أراد الله تعالى لخلقه ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾(١).

لقد آن للناس أن يدركوا مقاصد شرعهم الحكيم، ومعنى قول الله سبحانه وتعالى ﴿يمحق الله الربا، ويربي الصدقات﴾(٢) وقوله ﴿وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المُضْعِفون﴾(٣).

٧- الزكاة والوقف

اقترنت كلمة الزكاة في أذهان الكثيرين بمعنى التفضل والتسول، على غير ما أراد الله تعالى لهذه الفريضة، فقد وردت نصوص الكتاب

---

(١) سورة الجاثية: ١٣ .

(٢) سورة البقرة: ٢٧٦ .

(٣) سورة الروم: ٣٩ .

والسنة من أن الزكاة حق معلوم تقوم الدولة على جبايته وتسليمه لذويه شأن الضرائب المشروعة، كما تصرف الرواتب لأصحابها، وتزيد الزكاة على ذلك أنها تزكية للنفوس، وتطهير لها من الأثرة والشح ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾(١) وإن مثوبتها عرضة للبطلان إذا رافق دفعها منة أو أذى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُبطلوا صدقاتكم بالمَنِّ والأذى﴾(٢).

الزكاة تأمين اجتماعي شامل، لم يحظ مجتمع بشري بمثله خلا المجتمع الإسلامي عندما كان تطبيق الإسلام كاملاً. وعندما نقارن فريضة الزكاة بأي نظام تأميني آخر نجد الفرق واسعاً والبون شاسعاً، فالتأمينات تؤخذ من الجميع فقراء وأغنياء، وتعطى للمصاب ولو كان غنياً، أما الزكاة فإنها لا تؤخذ إلا من الأغنياء، ولا تصرف إلا على الفقراء، شأن مبادئ الاقتصاد الإسلامي الذي يجانب المصادفة في كل أحكامه.

إن للزكاة خصائص جدير بالناس أن يعلموا حقيقتها، ليكونوا على بينة من هذا الركن الثالث من أركان الإسلام:

أ- الزكاة فريضة وليست ضريبة، وذلك يعني أن ليس بمقدور أي حكومة أن تلغيها أو تستبدل بها غيرها، أو تعدل من نصابها.

ب- تؤخذ الزكاة من رأس المال ومن الربح جميعاً، أي من مجموع ثروة الأمة، وليس من الأرباح فقط، وبذلك يكون مردودها هائلاً، وتغطيتها لحاجات المستحقين كاملة.

---

(١) سورة التوبة: ١٠٣ .

(٢) سورة البقرة: ٢٦٤ .

جـ- تصرف في المناطق التي تجبى منها، ولا يجوز نقل شيء منها إلى منطقة أخرى -باستثناء بعض الحالات- إلا بعد اكتفاء جميع المستحقين من أبناء المنطقة.

د- حدد الإسلام مقدارها وأنواعها ومن تجب عليه، ومن يستحقها بتفصيل لا يترك مجالاً لأي تغيير أو تزوير.

هـ- رفع الإسلام نسبة الزكاة على بعض المزروعات مراعاة لمصلحة المستحقين، حتى بلغت ١٠٪ في القمح مثلاً إذا كانت الأرض تسقى بماء السماء.

و- لا تؤلف الزكاة ميزانية الدولة كما يتوهم البعض، وإنما هي ميزانية مستقلة لا تختلط بغيرها، لها أجهزتها وموظفوها والقائمون عليها، ولا يحق للحكومة أن تنفق منها على غير مصارف الزكاة الشرعية مهما كانت أهميته -ولو كان مسجداً- لتبقى حقوق الفقراء محفوظة، لا تطغى عليها قرارات الحكومات ولا احتياجاتها التي لا تنتهي، وبذلك يصرع الفقر ويزول الحرمان.

ز- أما الذين يوسعون معنى في (سبيل الله) من آية الزكاة لتشمل الكثير من المشروعات الاجتماعية ويخالفون الآراء والأحكام الفقهية المعتمدة من قصر هذا الباب على المجاهدين وطلاب العلم، فإنهم يخطئون خطأً كبيراً، ويفتحون باباً واسعاً للطامعين والعابثين، ليتصرفوا بأموال الزكاة حسب ما يشتهون، بتأويلات بعيدة عن روح الإسلام وأحكام الشريعة، فيكون ذلك على حساب الفقراء والمساكين والغارمين والمحرومين.

لهذا وغيره كانت فريضة الزكاة في الإسلام من الركائز الأساسية في الاقتصاد الإسلامي، وفي بناء المجتمع، تقضي بها الدولة على الشقاء والبؤس، وتعيد بها التوازن إلى المجتمع، وهي جزء لا يتجزأ من نظامها الاقتصادي الشامل.

ح- أما الوقف فقد عم نظامه في المجتمع الإسلامي منذ فجر الإسلام، وكان مصدر خيرٍ وبركة على جميع المسلمين، كما كان عاملاً قوياً في بناء حضارة عتيدة، ففي كل العصور كان الأغنياء يوقفون الدور والحقول والبساتين للمشروعات الخيرية الكثيرة، فانتشرت الأوقاف وأضحى لكل مرفق ولكل مشروع خيري أوقاف ينفق دخلها عليه، فكانت الأوقاف للمساجد والمدارس والمشافي والرفق بالحيوان، ولإصلاح ذات البين، ولإطعام الدواب في حال عجزها حتى يدركها الموت، ولتقديم الدور الواسعة لأعراس الفقراء يشغلونها فترة محددة، وغير ذلك كثير.

ط- استمر نظام الأوقاف في إمداد المجتمع وإسعافه بكل ما يحتاجه من منافع يجلبها، ومن مفاسد يدرؤها، حتى امتدت يد العبث إلى هذا الخير لتصادر أملاكه، وتبدد أمواله وتسطو عليه.

إن الواجب يقضي بإنقاذ هذه الثروة وانتشالها ووضعها حيث وضعها واقفوها لإصلاح المجتمع وإسعاد أفراده.

٨- حظر التبذير والاستغلال

لقد استفحل داء الترف والبذخ، ولم يعد للأموال العامة حرمة،

وشجع المتسلطون، بما سلكوه من سلب ونهب، غيرهم في وظائف الدولة والمؤسسات العامة على الرشوة والفساد والتزوير والنهب والسلب إلى درجة خطيرة، جعلت سورية في مقدمة الدول المصابة بهذه الأمراض، بعد أن كانت من أفضل الدول في العالم الثالث على الأقل كما تقول تقارير الأمم المتحدة، فازداد تبعاً لذلك عدد المسرفين والمترفين الذين لا تعنيهم إلا مصالحهم، ولو أدى ذلك إلى خراب البلاد وإفقار العباد.

لا مناص -والحالة هذه- من الضرب بشدة على أيدي هؤلاء المسرفين، وتخليص الأمة من شرورهم ومفاسدهم، فقد أهلكوا الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد، إنه لا بد من اتخاذ إجراءات حاسمة، من أهمها:

أ- حظر السرف والترف، فقد أصبحت روائح أثرياء العرب في بلدنا وفي الوطن العربي كله تزكم الأنوف، ومهازلهم في عواصم اللهو والمجون سبة وعاراً على العرب والمسلمين، وفي هذا المجال لا بد أن يطبق حكم الله على هؤلاء بتعريضهم للعقوبات القانونية الصارمة.

ب- تلغى جميع الامتيازات التي نشأت بسبب استغلال السلطة، وتستأصل شأفة التكديس الغاشم للثروة بسبب معاطاة الطرق المحظورة غير الجائزة، ويحاسب جميع الأفراد الذين تكدست لديهم الثروة بصورة غير مشروعة لاسترداد الأموال المكتسبة عن طريق الحرام.

جـ- يلغى الربا -حسب خطة مدروسة- والقمار والاحتكار والبيوع الفاسدة والاستغلال بكل صوره وأشكاله لتحرير المواطن منه.

د- استئصال أسباب الغلاء، والقضاء على جميع الحيل لافتعاله واستغلال الجماهير بالأسعار الباهظة.

هـ- عدم التوسع في أجهزة الدولة، وقصرها على ما تدعو الحاجة إليه، وذلك بعد هذا الحشد الهائل من الموظفين في الدوائر والمؤسسات بهدف السيطرة على الناس، والتحكم في موارد رزقهم، والانتهاء بهم إلى الإذعان لسلطان الحكومة التي يتقاضون أجورهم منها، وحرمان الأمة من إنتاج هذا الجيش من الموظفين في مجالات العمل الحر والمبادرات الطموحة. علماً بأن هذه الكثرة في كل دائرة أدت إلى مردود ضعيف، وإلى شيوع التواكل في أوساط بعض الموظفين.

و- منع الحفلات الماجنة والترف والإسراف الفاسد الذي درجت بعض الحكومات عليه.

ز- حظر التمايز الصارخ في المعاملة بين منطقة وأخرى من أجزاء الوطن بدافع العصبية أو الطائفية أو أي مرض آخر، فلقد فشا في ظل هذه الفترة القاتمة من تاريخ سورية المعاصر توجيه الصرف والإنفاق على مناطق بعينها، وإهمال ما عداها.

ومن الأمثلة على هذا الانحراف: أن شركة الطرق -رودكو- التي أحدثت في عام ١٩٧٦م كرس نطاق عملها الأساسي لمناطق بعينها

دون سواها.

إن البرنامج الاقتصادي لجماعة الإخوان مستمد من مبادئ الإسلام القائمة على الحق والعدل والمساواة بين جميع الناس، وإعطاء كل ذي حق حقه، وتوظيف طاقات الأمة كلها في الإنتاج والإنجاز والتقدم، وتأمين حاجات المواطن في الغذاء والكساء والدواء والتعليم والمسكن والزواج، وهو مرفوع الرأس موفور الكرامة.

ثالثاً: الشؤون العسكرية

فرض الله الجهاد على المسلمين، وجعله فريضة محكمة ماضية إلى يوم القيامة، وما ترك المسلمون الجهاد إلا ذلوا وتسلط العدو عليهم، فألبسهم ثوب المهانة والمسكنة. لقد نص الفقهاء على أن الجهاد فرض عين على الرجال والنساء إذا داهم العدو أرضنا وغزا بلادنا، وإذا اعتدى الغزاة على امرأة في المشرق وجب على أهل المغرب أن يهبوا جميعهم لنجدتها.

لقد كان جيشنا في الحقب الزاهية من تاريخنا يتألف من مجموع شعبنا، فكان كل فرد يحمل سلاحه، وينفر في سبيل الله متى سمع نداء الجهاد، أما اليوم فالجيش أصبح على الناس عبئاً ثقيلاً، يسيطر قادته على سياسة البلاد، ويتحكمون في شؤون العباد، ويلهثون وراء المكاسب والمناصب، لأنفسهم ولمن يلوذ بهم، فتشغلهم هذه المغانم عن مواجهة العدو ورد المعتدين، وهو الأمر الذي جعل الهوة سحيقة بين الشعب والجيش. بعد أن كانت الأمة كلها ترمق جيشها بعين الحب والتقدير والإكبار.

ومن جراء هذه السياسة الرعناء أضحت الجندية الواجبة بغيضة على نفس المواطن، يعمل على التخلص منها بكل سبيل، لما يلحق بالمجندين من القسوة والمهانة على أيدي العلوج والحاقدين، وكيلا يضيع مستقبل المجند بعد أن صار المسؤولون في الجيش يمسكون بالمجندين ثلاث سنين متصلة وخمس سنين وربما استمرت الخدمة في الجيش سبع سنين، فينسى هذا المجند علمه وتخصصه الذي سلخ السنوات الطوال في دراسته، ويفوته الوقت في بناء حياته العائلية، ويقرع كل يوم، سمعه السباب والشتائم التي تخدش الحياء وتمس الكرامة، رغم ما تنفقه الأمة على هذا الجيش من مبالغ ضخمة، تستغرق قسماً كبيراً من ميزانية الدولة، يدفعها المكلف السوري ضرائب باهظة، يتحمل عبئها الفقراء قبل الميسورين.

إن حالة الجيش بحاجة إلى مراجعة شاملة لتعود الثقة به كما كانت، وحتى يستطيع القيام بواجبه كاملاً بعد تحريره من الطغاة المتحكمين فيه، لا بد من أمور، أهمها ما يلي:

١- عقيدة الجيش القتالية

ينبغي أن يدرك كل جندي وقائد في جيش الأمة أنه في رباط وجهاد، يقاتل في سبيل الله، دفاعاً عن الأرض والشعب لتكون كلمة الله هي العليا، كما كان جيش أبي عبيدة وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص، جيش عقيدة وجهاد، يسير النصر في ركابه أنى سار، وتحرسه عناية الله، وتحيطه الأمة بتقديرها وبعميق حبها.

٢- التأهيل العسكري

يجب إعداد الجيش إعداداً كاملاً، وتأهيله تأهيلاً تاماً من النواحي

الفكرية والبدنية والفنية، حتى يكون على مستوى العصر ومتطلباته ومستجداته، ولن يتأتى له ذلك إذا شغل في غير مهماته، ودفع به إلى ساحة الصراع الداخلي، وإلى ميدان الجدل السياسي، وإلى التدخل في شؤون الناس، وفي إغرائه بالمكاسب والابتزاز، كما أراد الحاقدون لجيش سورية العتيد.

٣- الأمن العسكري

يُجعل الأمن العسكري للجيش في سورية بأيدٍ أمينةٍ كتومة، تحفظ سره وتصون عتاده وتغار عليه، ويخلص الجيش من الفئات الطاغية التي تملأ الضغينة قلوبها، ويدفع بها حقد دفين لتمزيق الجيش، والتنكيل به، والانتقام من قادته، وتصفية بعضهم وإبعاد آخرين إلى أعمال لا تمت إلى تخصصهم بصلة.

٤- الحرص على الكفاءات

لقد دأب الطغاة على تصفية جيشنا الباسل من جميع القيادات القوية، وتفريغه من كل الكفاءات العالية، وهذا ما يوجب العمل على إعادة هذه الكفاءات العسكرية إلى مواقعها، لتعود للجيش كفاءاته وقدراته عندما كان في طليعة جيوش المنطقة شجاعة وتدريباً وتنظيماً وانضباطاً عسكرياً.

٥- الصناعات الحربية

لقد سبقنا من العالم الثالث دول -كالهند- في صناعة الطائرات، كما سبقنا العدو إلى هذه الصناعة، وإلى الحصول على السلاح

المتطور، ونحن سادرون مشغولون بالتصفيات، وفي إعدام ضباطنا وجنودنا البواسل، وفي إغراق المؤيدين بالسفاسف من الأمور، فلقد أنفق الشطر الأكبر من ثروتنا خلال أربعين عاماً على التسليح، وكان يجب التفكير بإنشاء المصانع الحربية للسلاح الثقيل بالتعاون مع البلاد العربية الجادة في هذا السبيل، فالعرب يملكون أضخم الثروات، ويستطيعون إقامة أكبر المصانع للسلاح الثقيل، وعندئذٍ يتحررون من تحكم الدول الكبيرة في تجارة السلاح وفي قطع الغيار والذخيرة، ويوفرون الثروات الضخمة التي يدفعونها ثمناً لأسلحة نشتريها من الغرب تارة ومن الشرق تارة أخرى.

٦- تنظيم الخدمة العسكرية

يعتمد النظام الذي عرفته أمتنا في الماضي، وأخذت به دول كثيرة في الحاضر، ألا وهو تدريب الشعب كله، واستدعاء المجندين لمدة شهر في كل عام، لتدريبهم على ما يجد من الفنون العسكرية، وتهيئة البلاد للتعبئة العامة خلال ساعات قصيرة، فيوفر على الناس وقتهم، وعلى الوطن ثروته وينصرف الشعب إلى الإنتاج في كل المرافق والقطاعات، وإذا ما دعا داعي الجهاد، وأعلن النفير العام التحق كل مواطن بموقعه المحدد له في الجيش المتحفز لخوض المعركة واقتحام خطوط القتال.

٧- تحرير الجيش من الحزبية والطائفية

يحرر الجيش والقوات المسلحة من ربقة الحزبية والتركيب الطائفي في هذا القطاع، ليتسنى لهذه المؤسسة العتيدة أن تتفرغ

للمهام السامية في حماية الوطن ورد المعتدين، وتحرير المقدسات، فيكون جيش الجميع وموضع حب الجميع وتقديرهم.

رابعاً: الوضع الفكري والتربوي

وفي الوضع الفكري والمجال التربوي نرى في الإسلام نظاماً تعليمياً كاملاً، وفلسفة تربوية شاملة، ليس في مجال البحث وحيز النظر فحسب، وإنما في التطبيق العملي والواقع التاريخي والتراث الضخم الذي حفلت به آيات الكتاب الكريم وأحاديث النبي العظيم، وخلفه لنا العلماء المسلمون من أمثال الغزالي والقابسي وابن جماعة وابن الجوزي وابن خلدون ومئات من كبار المفكرين والمربين.

والتربية الإسلامية حددت "الأيديولوجية" والمبادئ الأساسية والأهداف العامة والوسائل والمراحل ومراعاة الفروق الفردية والميول والاستعداد الفطري، لتنشئة وتكوين الإنسان الصالح من كل نواحيه الروحية والعقلية والفكرية والجسمية، بحيث لا يهمل جانب منها، ولا يطغى جانب على آخر.

١- لقد أقبل المسلمون الأوائل على العلم والمعرفة إقبالهم على العبادة، وأخذوا بإلزامية التعليم، ونشره في كل فئات الأمة فيما يسمى اليوم بديمقراطية التعليم، فنبغ العلماء في كل المجالات والاختصاصات، وتسابق المعلمون على تربية الأبناء وتعليمهم جيلاً فجيلاً، وتورعوا عن تقاضي الأجر، وعندئذٍ تحولت المساجد والجوامع الكبيرة إلى مدارس ومعاهد وجامعات في جميع أنحاء العالم الإسلامي، نتيجة للتعاليم النبوية في أقوال وأفعال المصطفى

ﷺ، مثل قوله: طلب العلم فريضة على كل مسلم. وقوله: من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة. وقوله: يوزن دم الشهداء بمداد العلماء.

فكان من جراء ذلك أن خلف لنا السلف حضارة زاهية حفظت للبشرية تراثها، وأظلت العالم بخيراتها وآثارها، ومهدت للنهضة الحديثة التي تعيشها البشرية اليوم.

٢- لقد كان الضعف في نظامنا التعليمي الحديث بادياً في المجال الروحي والخلقي، وكان الاهتمام منصباً على الجانب العلمي، لحمل الشهادة التي تفتح لحاملها أبواب الوظائف الحكومية، وكنا نأمل أن تستكمل السياسة التعليمية هذا النقص، وتسد ذلك الخلل، وإذا بالمرض يصيب الجوانب الأخرى في حياتنا التعليمية، ويدب الضعف في أعضاء الجسم كله، فيعمل الطغيان الطائفي على تجهيل الأمة، وسد نوافذ المعرفة أمامها، وتنشئة الجيل على تقديس الفرد والحزب والفكر السقيم، وتجريد هذا الجيل من كل مناعة خلقية أو روحية، وإغراقه بالمباذل والمفاسد، وباللهو والضياع، فهبط المستوى التعليمي، وتفشت الأمية والعامية، وحمل الشهادات أناس عاجزون عن الكتابة الصحيحة والتفكير السليم، حتى أضحى من الأمور العاجلة إعادة النظر في السياسة التعليمية والأصول التربوية والمناهج المدرسية، والمستويات الفكرية والثقافية ضمن إجراءات كثيرة وحاسمة، من أهمها:

أ- إنقاذ الجيل من الموجة الانحلالية التي هيأ الحكم الطائفي لها

كل الأسباب، لتخريج جيل من الموظفين، لا يقوى على حمل الأمانة، وتحمل المسؤولية وحماية البلاد وصد المعتدين.

ب- الاهتمام بالتنشئة الخلقية والعسكرية للأجيال الناهضة، من خلال مناهج مطورة مدروسة، تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتعمل على إعداد وتكوين الإنسان الصالح.

جـ- توجيه المناهج وجهة علمية لتخريج الفنيين والمتخصصين، وتنقيتها من الحشو واللغو، وإفساح المجال لتأخذ المهارات العلمية والعملية والتطبيقية حيزاً كافياً في مناهجنا، كما فعلت دول كثيرة معاصرة ومتقدمة كاليابان وغيرها.

د- انتشال اللغة العربية من الهوة التي تردت فيها، لتعود كما كانت في عهودها الزاهية، وفي مطلع عصر النهضة الحديثة.

هـ- إحياء التراث الذي تملأ مخطوطاته مكتبات الشرق والغرب، لتستفيد منها أجيالنا والعالم أجمع.

و- إطلاق طاقات المواطنين -والموهوبين منهم خاصة- والتشجيع على الإبداع والاختراع في كل ميدان، ورعاية المواهب، وترغيب العلماء والأدباء والشعراء والمفكرين والكتاب بالعودة إلى وطنهم بعد أن هربوا من البطش والاضطهاد.

٣- تهيئة الأسباب لترغيب الناس بالقراءة والمطالعة، وبالإقبال على البحث والدرس والكتاب، بعد تحريرهم من ربقة الحاجة، ومن وطأة الاستبداد. فالإسلام شجع على التفكير والتدبر والتأمل

والاستقصاء في مئات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأول كلمة بدأ بها القرآن كلمة (اقرأ) مع تحديد وسيلة التعليم في آية (اقرأ) نفسها ألا وهي القلم فقال تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾[1]. لتعود أمتنا أمة قارئة مثقفة.

أ- وإذا كانت الماركسية جوهر التعليم في البلاد الاشتراكية وكانت البراغماتية أو النفعية أساس التعليم في البلاد الرأسمالية، فإن الإسلام (عقيدة وعبادة وخلقاً وشريعة) هو محور العملية التعليمية في المجتمع الإسلامي، تدور في فلكه وتصب في جدوله، وتقاس بمقياسه، وتوزن بميزانه.

ب- إن مهمة التربية هي التمكين للعقيدة، والقيام على خدمتها، أما إذا انحرفت التربية عنها، وسارت في طريق تشويهها، أو التشكيك فيها. فإنما هي تربية خائنة كما قال المفكر الأستاذ الندوي أحد كبار رجال التربية المعاصرين.

خامساً: الحالة الاجتماعية

١- في الحالة الاجتماعية ومجال الإصلاح لمجتمعاتنا ترى جماعة الإخوان أن المجتمع الإسلامي هو المجتمع المثالي الذي تنشده الإنسانية، لتظفر بما تحلم به من استقرار وسعادة. وتحدد ثورتنا قواعد الإصلاح الاجتماعي التي يقوم بناء المجتمع عليه بما يلي:

أ- إعلان الأخوة بين الناس، إذ لا فضل لإنسان على آخر بماله

---

(١) سورة اقرأ: ١-٥ .

ونوعه وعرقه وجاهه، فالناس كلهم لآدم، وآدم من تراب، وقد طبق هذا المبدأ بصورة تامة من أربعة عشر قرناً في ظل الإسلام، والإنسان ما زال في ظل الحضارة المادية من التفرقة العنصرية في أمريكا وأفريقيا وغيرهما من بلاد الله الواسعة.

ب- النهوض بالرجل والمرأة جميعاً، وإعلان التكامل والمساواة في الحقوق، وللمرأة حق التملك والعمل والمشاركة بالنهوض في المجتمع في حدود ما سنه الإسلام، على ألا يطغى ذلك على واجب المرأة تجاه بيتها وزوجها وبنيها، فالنساء شقائق الرجال كما قال رسول الله ﷺ.

والله سبحانه يقول: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾(١).

جـ- حماية الطفولة ورعايتها في التنشئة والتغذية والتربية النفسية والجسمية والتوجيه والتعليم، وحظر استخدام الأطفال في أعمال تلحق بهم الأذى، ومنع تشغيلهم قبل بلوغهم السن القانوني.

د- رعاية اليتيم وكفالته وحسن تربيته وكأنه يعيش في أحضان والديه، كيلا يخلف اليتم آثاراً سيئةً تنعكس على نفسه وعلى المجتمع.

هـ- تشجيع الزواج ودعمه، وتذليل كل ما يعترضه من أسباب مالية وغيرها، والقضاء على البغاء والفاحشة بكل صورها وأشكالها.

و- حماية الأسرة وإحاطتها بالرعاية والاعتناء بها، فلقد أقام

---

(١) سورة التوبة: ٧١ .

الإسلام نظام الأسرة على قواعد محكمة، فأرشد إلى حسن الاختيار، وبين أفضل الطرائق للارتباط، وحدد الحقوق والواجبات، وعالج ما يعترض الحياة الزوجية من مشكلات، واختط في كل ذلك طريقاً وسطاً لا تفريط فيه ولا إفراط.

ز- توفير الحاجات الأساسية في حياة الناس، كالغذاء والكساء والدواء والكهرباء والمواصلات التي استعصت مشكلتها، ولم يعد ثمة مناص من وضع برنامج كامل لها.

ح- تأمين العلاج للمواطنين، والقضاء على الأمراض المتفشية، وذلك باستئصال أسبابها الطبيعية والخلقية، وإعطاء الأولوية في سلم الإصلاح لهذا الأمر، فدرء المفاسد مقدم على جلب المنافع في شريعة الله، مع الإبقاء على المبادرات الشخصية في العلاج والطبابة.

٢- لكل مواطن الحق في مسكن يؤويه، وغذاء يكفيه وزواج يعفه، وكفالة في حالة العجز أو الشيخوخة، أو ضعف المورد أو تراكم الدين، فالضمان الاجتماعي الذي هو في عرف الاقتصاديين مشروع استهلاكي، هو في نظر الإسلام واجب يتحتم على الدولة قضاؤه، والمواطن يأخذ حقه منه دون أن يعرق جبينه أو يمسه المن والأذى.

أ- توفير العمل لكل القادرين، فالعمل حق وشرف، ما أمكن ذلك، فقد كان نبي الله داود يأكل من عمل يده.

ب- محو الأمية والقضاء عليها طبقاً لخطة موضوعة، تحدد الفترة

الزمنية، والميزانية الكافية، وجميع وسائل التنفيذ، لتخليص البلاد من الأمية، وما تجره على الشعب من كوارث في كل ميادين الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

جـ- تكافح الجريمة، وتستأصل جذورها بالقضاء على أسبابها ودوافعها، وتمنع الخمور منعاً قاطعاً، وتلغي أندية القمار، وتسهر الدولة على حماية الأخلاق العامة.

على هذه الأسس وما يقاس عليها يقوم مجتمع متوازن، لا يطغى فيه الفرد على المجتمع، ولا يهمل المجتمع حقوق الفرد، ولا تتصارع فيه الطبقات والفئات، فالأمة كلها طبقة واحدة، يتساوى الجميع في هذا المجتمع، لا يجوع فيه المواطن ولا يعرى، ويجد في ظله العلاج والمأوى، وليس بمؤمن من شبع وجاره جائع، يقول ﷺ: «ما آمن بي ساعة من نهار، من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم». وليس بمسلم من لم يسلم الآخرون من لسانه وعدوانه، المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص تماسكاً، وكالجسد الواحد تعاطفاً.

سادساً: الصحة العامة

فالعقل السليم في الجسم السليم، والجسم مطية لصاحبه يحقق به مبتغاه، ويؤدي به كل الواجبات التي تحفظ له دينه ودنياه، ولهذا كان الحفاظ عليه والاعتناء به من أوائل مقاصد الشريعة الغراء، فالأحكام الشرعية نصت على حرمته وحرمة كل جزء منه في الحياة وبعد الموت.

١- إن رسول الله ﷺ كان مثلاً أعلى في كمال الجسم وقوة البدن، وكذا كان الصحابة الكرام، وقد أوصى عليه الصلاة والسلام المؤمنين بأن يكونوا أقوياء في أبدانهم وأرواحهم فقال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير». كما أوصى النبي ﷺ الناس بالمعالجة والمداواة في حال المرض والاعتلال فقال: «يا عباد الله تداووا، فإن الله ما أنزل من داء إلا وأنزل له دواء».

والعناية بصحة الأبدان من حق الفرد وواجب الجماعة، والدولة مسؤولة عن مكافحة الأمراض وعن علاج المرضى تتخذ لذلك كل الأسباب والتدابير، ومن ذلك:

أ- تأمين الدواء للجميع، فالشعب في سورية يعاني من نقص الدواء، وفقدان أنواع كثيرة منه، يبحث عنها في البلدان المجاورة، ويشكو من ارتفاع سعر الدواء، وكثيراً ما يطلب المريض من الطبيب، أن يغير له الدواء، ويصف له دواء أقل كلفة، حتى يستطيع شراءه.

ب- تأمين الدواء يستدعي إقامة صناعة الأدوية على نطاق واسع، واستدعاء علمائنا وأطبائنا، وإطلاق أيديهم في تشييد هذه الصناعة، ليعيشوا في وطنهم، ويؤدوا الخدمة لشعبهم، ويوفروا حاجة المواطنين من الدواء.

جـ- اتخاذ التدابير الجادة في القضاء على مصادر المرض، وخاصة في الأرياف، كتعميم المجارير وتجفيف المستنقعات، وتأمين الغذاء الأساسي كالحليب وغيره، وتقديمه بأسعار رخيصة ليكون في

متناول الجميع، تقوية للأبدان ولإعطائها المناعة في مواجهة المرض والتغلب عليه.

د- إدخال المعلومات الأساسية في الصحة الوقائية والإسعاف الطبي والتمريض ومكافحة الأوبئة في مواد الدراسة والمناهج، وعلى الأخص في المرحلتين الإعدادية والثانوية، وأن يكون لهذا الأمر طابعه الجدي كيلا يظل صورياً فلا يؤدي إلى تحقيق الهدف.

هـ- النهوض بمستوى العاملين في المستوصفات والمشافي، وتأهيلهم لينهضوا بالمهام الإنسانية النبيلة الملقاة عليهم في معاملة المرضى وخدمتهم والتلطف بهم، والسهر على راحتهم، حتى يشعر المريض أنه بين أهله وذويه، وأن اليد التي تعالجه يد حانية رحيمة، فيزداد طمأنينة، ويحس بالراحة النفسية التي تساعد على الشفاء، وتعجل به بإذن الله.

و- النهوض بمهنة التمريض من الوجهة الخلقية -علاوة على الناحية الفنية والتخصصية- ليسود الاحتشام والوقار والآداب الإسلامية والمعاني الإنسانية الرفيعة أوساط الممرضات والعاملات.

ز- إذا استعصى علاج المرض العضال الذي يعاني منه المواطن المريض، وعجز مالياً عن المعالجة في الخارج وجب على الدولة أن تتحمل نفقات سفره وعلاجه، كيلا تبقى هذه الخاصية وقفاً على المتنفذين وحواشي الحاكمين وكبار الموظفين.

٢- في ختام هذا البرنامج في السياسة الداخلية لذوي الاتجاهات

الإسلامية، نؤكد أن تطلعاتنا في هذا المجال أن تعم السعادة بلادنا العزيزة، وأن يأمن المواطن على دينه وماله وعرضه، وأن يعبد الله خالياً ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾(١) حتى يتحقق ما بشر به المصطفى ﷺ: «والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراعي من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه. ولكنكم قوم تستعجلون».

في السياسة الخارجية

أولاً: الوحدة العربية

لم يكن يخطرعلى بال أحد من قادة الحركة الإسلامية الحديثة، أن الزمن سيتمخض عن تمزيق هذا العالم الواحد بعد الحرب العالمية الأولى، إلى ما صار إليه واستقر عليه، إلا أن إرادة الأعداء المتربصين كانت أقوى من آمال المخلصين. ومن المحزن أن دهاقنة الاستعمار قد وجدوا من ذوي النفوس المريضة، وأصحاب المطامع الرخيصة من يدوس مصالح الوطن الكبير، من أجل زعامة تافهة وغرض خسيس، وهكذا وجدت الحدود المصطنعة بين أجزاء الوطن العربي من جهة، وبين شعوب الأمة الواحدة من جهة أخرى.

١- مرض التجزئة

ومنذ ذلك التاريخ كان التوجه الأساسي لدى المخلصين من قادة هذه الأمة يتمثل في إزالة حاجز التجزئة، وإعادة الوطن العربي الممزق إلى وحدته الكاملة تمهيداً لاتحاد المسلمين، شعوراً منهم أن

(١) سورة قريش: ٣ و٤ .

هذه الأمة لا يمكن أن تؤدي واجبها تجاه ذاتها، وتجاه الإسلام، وتجاه الإنسانية إلا من خلال الوحدة الشاملة، وفي إطار الدولة الواحدة، لأن هذا هو الحل الذي يسمح بالتوظيف الأمثل للطاقات البشرية والمادية بصورة متكاملة ومتوازنة.

لكن الوجود المادي للاستعمار في مرحلته المباشرة، والوجود غير المرئي لهذا الاستعمار في مرحلته الجديدة غير المباشرة حال -عن طريق صنائعه والمرتبطين به- دون تحقيق أمل في الوحدة الشاملة، وعمل بكل الوسائل على إذكاء نوازع الفرقة وبذر بذور الشقاق، وبعث العصبيات الجاهلية، عرقيةً ولغويةً وطائفيةً. فشهدت بدايات عهد الاستقلال هجمة هي أشد مكراً من سابقتها، وأكثر تنوعاً، وأفتك أسلحة، وأغزر جنداً. وتحت تأثير هذين العاملين: الاستعمار وعملائه الممسكين بزمام الحكم، شهد النصف الثاني من هذا القرن مزيداً من الانقسام والتمزق، وإمعاناً في التباعد والافتراق.

جماعة الإخوان في سورية تعتبر بداية الانفصال في دولة الوحدة بين مصر وسورية -مع كل البواعث الأليمة التي أدت إلى هذا المآل- نهاية التوجهات الحقيقية نحو الوحدة، وبداية التدعيم الكثيف للنزعات العرقية والطائفية والإقليمية والقطرية، وشفاء لما ينطوي عليه صدر العدو من حقد دفين على هذه الأمة الماجدة، وعلى هذا الدين الكريم، وتثبيتاً للوجود الصهيوني الغريب الذي سيظل عامل امتصاص وتدمير لكل مجهود يمكن تجنيده لخدمة المصلحة العليا في هذه الأمة.

إن من العار الذي ما بعده عار على شعب يتكلم لغة واحدة، ويدين بعقيدة واحدة، ويعبد رباً واحداً، أن يعتبر أبناؤه في بعض الأقطار العربية غرباء، في الوقت الذي يسرح فيه الغرباء الحقيقيون في هذه الأقطار، يعبثون ويفسدون ويتجسسون على هذا الشعب، ويطلعون على أسراره دون حسيب أو رقيب.

إن أمتنا كلها وبمجموع أفرادها تبوء بإثم التمزق والانقسام ما لم يعملوا على استئصال أسبابه، والقضاء على بواعثه، والعودة بالأمة إلى سابق وحدتها وغابر مجدها.

٢- مقومات الأمة

تختلف الأمم في أصول نشوئها وعوامل تكوينها، فالأمة السويسرية ترتكز على وحدة الأرض، وإيطاليا على وحدة التاريخ واللغة، وروسيا تستند إلى النظرية والفكرة ووحدة النظام، والعدو الصهيوني يقيم كيانه على عقيدته الدينية المتمثلة في التوراة والتلمود.

أما الأمة التي ننتسب إليها فإنها تملك من مقومات الوحدة ما تفتقر إليه الأمم الأخرى قاطبة، ومن أبرز هذه المقومات:

أ- وحدة العقيدة المتمثلة في توحيد الله والعبودية الخالصة له سبحانه، والتحرر من كل عبودية لسواه.

ب- وحدة النظام الذي كفلته الشريعة الغراء. والتي تشمل كل جوانب الحياة الدنيوية والأخروية على مستوى الفرد والأسرة والأمة والدولة.

جـ- وحدة اللغة: فالعربية لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، ولسان العبادة وسجل علوم المسلمين وتراثهم.

د- وحدة التاريخ بكل أمجاده وبطولاته وحضارته وقادته وأحداثه وسيرة الأسلاف والغابرين.

هـ- وحدة الوطن بكل أجزائه وبقاعه، والأرض التي تعيش عليها الأمة، وتحمي حماها وتصون حدودها وتستعيد ما سلبه العدو منها.

و- العادات والتقاليد التي حددت السنة الشريفة كل تفاصيلها في المأكل والمشرب والملبس والسلوك الشخصي، والآداب العامة، والأخلاق الاجتماعية والعلاقات الإنسانية. ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾[1]. فهل يجوز بعد هذا أن تصبح أمتنا أمماً؟ وأن تظل أشتاتاً ومزقاً!!؟

٣- الطريق إلى الوحدة الشاملة

إذا بقي شعبنا مقسماً ووطننا مجزءاً وأمتنا متفرقة، فسوف نظل وراء الشعوب وخلف الأمم نعيش على هامش الحياة الدولية، يطمع بنا العدو، ويستمر في تحديه لنا، واحتلاله لأقدس بقاعنا، كما سنظل عاجزين عن تحقيق آمالنا في جيش قوي، وصناعة ثقيلة، وتكامل اقتصادي، وعن إحياء مجدنا وبناء مستقبلنا، وعن توظيف طاقاتنا وقدراتنا، وفرض مهابتنا في عالم تسوده شريعة الغاب.

---

(١) سورة الأنبياء: ٩٢ .

لقـد بات محتـماً، بل واجـباً ملحـاً قيـام الوحدة العـربية كـخطوة أساسية على طريق تماسك المسلـمين واتحادهم، وإحباط المخططات الراميـة إلى تمزيقـهم والسيطرة عـليهم. إن قيـام هذه الوحدة يقـتضي وجوب السير الحثيث والعنيد بخطى موزونة وثابتة، تتجاوز المهاترات والمصـالح واختلاف وجهـات النظر، لتمـضي بالأمة إلى كيـان موحد في منـاهج التـعليم والنـقد والجـيش والسـياسـة الخارجـية والتـمثـيل السيـاسي، فتشـهد الدنيـا ولادة الكيان الذي يـفرض مهابـة هذه الأمة ويحمي أبناءها وأرضها، ويعيدها إلى ما أراده الله لها أمة واحدة ذات عقيدة ورسالة، تنقذ بهما البشرية جمعاء.

ثانياً: القضية الفلسطينية

إنه لَمِمَّا يذكر بالعـرفان للخلافة العثمانية أنهـا رفضت مبدأ البحث في الهجرة لبعـض الصهاينة إلى فلسطين، وحتى بعـد استقلال العرب وسقـوط الخلافـة، وتنكر الأتراك الاتحـاديين للإسـلام. فإنه مـا كان للمشكلة الفلسطينية أن تنشأ لو لم يـتم تمزيق العالم العربي، كي يتهيأ المناخ الملائم، لزرع الكيان الصـهيوني في قلب هذا الوطن، وهذا ما حدث.

١- الإسلام والقضية الفلسطينية

إن القضـية الفلسطـينية من الوجـهة الإسلاميـة ليست قضـية أرض مسلوبة بقدر ما هي قضية دين وعقيدة، وإن كل ذي عينين يدرك جيداً أنه لا يوجـد على وجـه الأرض عربي مـخلص، ومـسلم صـادق نقي الإيمان، يخطر على باله مجرد القـول بالدولة الإسرائيلية بعد أن سمع

قول الله تعالى: ﴿لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهودَ والذين أشركوا﴾(1).

إن قضية فلسطين قضية عربية إسلامية، وهي تعني العرب والمسلمين ولا تعني سواهم، وإنها حق مغصوب يجب أن يعود إلى أصحابه، وإن عملية السلب هذه تمت بعناصر يهودية غريبة، تقاطرت على المنطقة من شتى بقاع الأرض، ولن تتم إعادة هذا الحق المغتصب إلى ذويه، إلا بعد أن يعود هؤلاء الغاصبون من حيث أتوا طائعين أو داخرين.

عندما بدأت خيوط المؤامرة الاستعمارية الصهيونية لاغتصاب فلسطين، وإقامة دولة صهيونية على أرضها، أدرك قادة الحركة الإسلامية وأبناؤها أن الجهاد هو الحل الأوحد للإبقاء على فلسطين، وإنقاذها من براثن الصهيونية والاستعمار، فكانت الدماء المسلمة أول دماء تراق على بطاح فلسطين.

لقد لفتت الجدية في طلب الشهادة أنظار الدوائر الاستعمارية في العالم بشدة، فأوعزت إلى صنائعها في المنطقة أن تعمل على لجم هذه الظاهرة، فاستشهد الإمام حسن البنا، وحُلَّتْ جماعة الإخوان المسلمين، واستشهد ثلة من رجالها والسابقين في تأسيسها، فكانت هذه أول نكبة حلت بهذه الجماعة الرائدة في القرن العشرين، من أجل بيت المقدس وفلسطين، والحفاظ على أرضها.

---

(1) سورة المائدة: ٨٢ .

٢- كيف عولجت القضية

قام الكيان الصهيوني، وملأنا الدنيا صراخاً وعويلاً، ونثرنا التهديد والوعيد في الخافقين، وبرزت على الساحة العربية شعارات وآراء كان أصحابها يرون أنها تضع الأمة على طريق الحل. فماذا كانت النتيجة؟ لقد أخفقت تماماً مقولات وحدة الهدف ووحدة الصف العربي والتضامن العربي وعلاقات حسن الجوار، إلى آخر هذه الشعارات الهزيلة، وعلى ذلك فالواجب وضع القضية في إطارها الصحيح وانتزاعها من أيدي العابثين، لترجع إلى موضعها، إلى العرب والمسلمين.

لقد كان لمعظم الأنظمة ممارسات خطيرة بحق القضية والمقاومة. وكان النظام الطائفي في سورية أشد هذه الأنظمة إيغالاً في الجريمة، وذلك بضربه المقاومة ضربات موجعة ومتلاحقة، لتطويعها وتدجينها ومنعها من ممارسة نشاطها ضد العدو الصهيوني من الأرض السورية، وبتصفية فصائل منها في لبنان، وتمكين عدوها منها، ووضع البوليس الدولي على الحدود سداً منيعاً في وجه المقاومة، كيلا تتمكن من الدخول إلى فلسطين، والتنسيق مع الدول الكبرى لتحجيم المقاومة شمال الليطاني، وتمكين العدو من ضربها جنوبي النهر دون أن تحرك سورية ساكناً مكتفية بأن تكون في صف المشاهدين حيناً والعدو الصهيوني حيناً آخر.

وعندما أعلنت سورية عن عزمها على الانسحاب من منطقة بيروت، أعربت الولايات المتحدة عن قلقها من هذا القرار، وطلب سفيرها في دمشق من الخدام أن تعيد حكومته النظر في هذا الأمر،

وأن تبقى في لبنان، لإكمال الدور الذي قامت به في هذا القطر الشقيق من تأريث النزاع الطائفي، وقتل الأبرياء، وتحجيم المقاومة وكبح جماح الحركة الوطنية اللبنانية بقتل أو اعتقال قادتها وزعمائها، وتمكين إسرائيل من التحكم في الجنوب، والتقائها مع أنصارها من الانعزاليين في خندق واحد.

إن على المقاومة الفلسطينية أن تبني حساباتها على أساس أن معظم دول المنطقة، تقر بالوجود الصهيوني على أرض فلسطين، وتكتفي مطالبها بإعادة الأرض التي احتلت في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧، واعتبار قضية فلسطين قضية لاجئين يوجه الخطاب بشأنها إلى الضمير العالمي!!

٣- فلسطين وجماعة الإخوان المسلمين

ترى جماعة الإخوان المسلمين في تشجيع المقاومة الفلسطينية على ولوج دهاليز السياسة الدولية إقداماً على أبشع جرم يرتكب بحق هذه الأمة، وأن الأنظمة التي تشجع على هذا السلوك تتهرب من مواجهة المشكلة، وتتحلل من تبعاتها.

وإذا كانت بعض الجهات الدولية الآن تحاول أن تعدل في صيغة القرارات المتعلقة بهذا الشأن، فما ذلك إلا لفتح الطريق أمام المقاومة، لتدخل في حوار مباشر أو غير مباشر مع الكيان الصهيوني، قصاراه أن يعطى الفلسطينيون قطاع غزة، وبعضاً من الضفة الغربية.

وإذا كانت فلسطين تخص جميع العرب وكل المسلمين، فمعنى ذلك أنه لا يوجد عربي واحد، ولا مسلم واحد فلسطينياً أو غير فلسطيني،

يملك القدرة على التنازل عن ذرة واحدة من تراب هذا الوطن.

وحول المقاومة الفلسطينية، ثمة سلبيات يجب أن تزول، وأخطاء ينبغي أن تصحح، يجب أن تتحرر المقاومة الفلسطينية من هيمنة الأنظمة التي تهدف إلى تطويعها واحتوائها، وأن تحل الوحدة الكاملة الصف الفلسطيني كله، ولن يجدينا شيئاً أن تتمركس بعض الفصائل، وأن يتغرب بعضها الآخر، بل الذي يجدي حقاً أن تتحرر الأسس والمنطلقات، وأن توضع القضية في إطارها الصحيح.

ونحسب أنه بات واضحاً أن الشرق والغرب على سواء، متفقان على حماية الوجود الصهيوني، وأن الشرق والغرب كليهما قد أفهما كل الزعماء العرب، ومن ضمنهم قادة المقاومة هذا الاتجاه المشترك.

إن الثورة الإسلامية -فيما يخص المشكلة الفلسطينية- ترى أن الحل الجذري يكمن فيما يلي:

أ- إعلان إسلامية القضية، واستنفار الطاقات العربية والإسلامية كافة، ووضعها في خدمة القضية الفلسطينية.

ب- رفض جميع المقررات الظالمة الصادرة عن الأمم المتحدة، والمحافل الدولية الأخرى، المتعلقة بالقضية.

جـ- الإعلان الواضح الصريح عن الرفض الجازم للكيان الصهيوني جملةً وتفصيلاً.

د- العودة إلى ربى القدس وربوع فلسطين تحت راية الجهاد، ليدخل الإسلام المعركة بعد أن أقصي عنها طوال أربعين عاماً،

فالنصر لن يكون بغير الإسلام والجهاد في سبيل الله. يقول رسول الله ﷺ: «لن تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود».

٥- تعلن الثورة الإسلامية أن معركتها مع النظام الطائفي في سورية، إنما هي تمهيد لهذه المعركة الحاسمة، فالنظام السوري قد جيء به كواجهة تعمل على شغل الشعب في سورية عن معركته الحقيقية مع الصهاينة، وهذا ما جعله يحظى بتأييد الشرق والغرب على حد سواء.

إن شعار ثورتنا المباركة هو ما كان في معركة الأحزاب، يوم أعلن الرسول ﷺ بعد انتصاره على الأحزاب سائلاً: هل وضعتم أسلحتكم؟ إن جبريل لم يضع بعد سلاحه، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، وهذا ما يفسر قلق الحكومة الإسرائيلية من اشتعال الثورة في سورية، وتصريحات مناحيم بيجن بين فينة وأخرى حول الوضع في سورية، وتعهده في الدفاع عن الطوائف إذا بلغت حد التعرض للخطر، وتخوفه من انتصار الثورة الإسلامية في سورية، وإنه لن يرضى بوصول العناصر المتعصبة -على حد تعبيره- إلى حكم سورية.

إن شعار ثورتنا الإسلامية: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يصلين الفجر إلا في ربوع القدس، وعلى مشارف يافا وحيفا وعكا وصفد وطبريا وبيسان ومدينة الخليل.

هذا هو الطريق الإسلامي الصحيح لحل هذه القضية، وهذا هو المعيار الدقيق لمعرفة مدى وطنية أي فرد أو حزب أو جماعة.

ثالثاً: العالم الإسلامي

إن المحاولات العالمية الدؤوبة الـرامية إلى تطويق المد الإسلامي واحتوائه بطريق القوة الشرسة والدعاوة المضللة تقع في وهم خطير إن هي تصورت أنها قادرة على تطويع الإسلام وتسخيره لخدمة مصالحها وأطماعها، لأنها تكشف عن جهل ذريع بحقيقة النفس المسلمة، التي قد يصرفها عن هدفها بعض مـا يصرف الناس عن ذلك، ولكنها دائماً تسلك الطريق الصحيح في النهاية، كما يسلكه الرجال الصادقون.

١- الأخوة الإسلامية

إن فريضـة الدين في قانون الأخوة الإسـلامية، ودواعي المـصلحة المشتركة، وكـثافة الأعداء، ومضاء أسلحتهم ونفـوذهم داخل المنطقة الإسلامـية، كـل ذلك يحـتم اعتـماد صيغـه اتحاديـة، تضمـن وحدة الحركات الإسلامية في وجه الأعداء.

إن الطاقة الهـائلة التي يملكها المسـلمون -عقيدة وشريعـة وموقعاً وثروة وكثافة سكانـية. . .- لو وظفت توظيفاً صحيحـاً لخدمة الهدف الإسلامـي الكبـير، لقـلبت مـوازين القـوى، وغيـرت صورة العـالم، وذلك لا بد كائن بإذن الله.

إن أوجاع أي مسلم هي أوجاع لكل المسلمين، وذلك هو الفرض على كل مسـلم، انسجاماً مع هذه النـعمة التي لا يقام شكرهـا، نعمة الأخوة الإسـلاميـة ﴿هو الذي أيـدك بنصـره وبالمـؤمنين، وألـف بين قلوبهم، لو أنفقـت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بـين قلوبهم، ولكن

الله ألف بينهم﴾[1].

﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾[2].

٢- العدوان على أفغانستان

وجماعة الإخوان -انطلاقاً من هذه الشعبة من شعب الإيمان- ترى في الغزو السوفياتي لأفغانستان المسلمة، تهديداً حقيقياً للعالم الإسلامي برمته، وتهيب بالمسلمين جميعاً أن يهبوا لنجدة إخوانهم الأفغان، لقد أوجب الإسلام على المسلمين كافة أن يهبوا لنجدة امرأة واحدة إذا اعتدي عليها، ولو أتى ذلك على أموالهم جميعاً، فكيف وقد ديست حرمات الملايين من المسلمين من رجال ونساء، شيباً وشباباً وأطفالاً.

إننا إذ ندين بحزم احتلال السوفيات لأفغانستان، ونشير إلى أن التباكي الأمريكي على الإسلام والمسلمين باطل بطلان دعوى الروس في غزو أفغانستان، نعلن أن حرمة الأرض الإسلامية واحدة، تستوي في القيمة أجزاؤها جميعاً، وليس من الوطنية في شيء، أن تبارك بعض النظم المشبوهة احتلال الروس لأفغانستان، بحجة أولوية القضية الفلسطينية. فهذا مسلك العملاء لا مسلك المخلصين، إن

---

(١) سورة الأنفال: ٦٣ .

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣ .

الوطنية الصحيحة هي التي تقول: إن هذا باطل وهذا باطل، ولا مخايرة بين ألوان الباطل.

٣- جماعتنا والعالم الإسلامي

إن الجماعة ترى في صدد علاقتها بالمسلمين -ودون إخلال بالهدف النهائي للمسلمين في وحدتهم- أن يتم لقاء الثورة الإسلامية في سورية مع شعوب العالم الإسلامي من خلال الأسس التالية:

أ- الاعتراف بأن الشيء الملزم لكل مسلم ومسلمة هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما سوى ذلك فهي اجتهادات لها طابعها، دون أن يعني ذلك اطراحها وإهمالها، فلا بد من استثمار الصالح منها.

ب- أن نجعل نشر اللغة العربية في العالم الإسلامي كله هدفاً يتقدم كل ما عداه، وهذا أصل من أصول الإيمان والإسلام، وبدونه لن تتحقق وحدة المسلمين.

جـ- التعاون مع الشعوب الإسلامية في شتى المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية، وفي الشؤون الدولية.

د- تبليغ دعوة الله إلى الناس كافة لإنقاذ البشرية من الضلال إلى الهدى ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾[1].

هـ- مساندة الأقليات الإسلامية المضطهدة والأخذ بيدها، والنهوض بها مما تعانيه من قهر واضطهاد. إن العالم الإسلامي يرنو

---

(١) سورة سبأ: ٢٨ .

إلى بناء عالم جديد، تسوده المحبة، وترفرف فوقه أعلام السلام الإسلامي العالي، تنتهي فيه دواعي الصراع والاقتتال، لا ينحاز إلى شرق ولا إلى غرب، وإنما ينحاز إلى دعوة الله، كما ينحاز إلى فئة المسلمين.

رابعاً: العلاقات الخارجية

إن ما يميز دولتنا التي نجاهد من أجل قيامها: هو التزامها بالعقيدة، وارتباطها بالشريعة المنبثقة منها، والفكرة التي هي جزء منها، والقيم الأخلاقية التي تحكم سلوك الناس وتصرفاتهم.

والعلاقات الخارجية لهذه الدولة محكومة بهذه المبادئ، متميزة من التكتلات والمعسكرات والأحلاف، منفتحة على كل الشعوب، لتبليغها دعوة الله تعالى بالتي هي أحسن، وتشرح لسكان هذا الكوكب قضاياها، وتمد يد الصداقة والتعاون إلى جميع الأمم، بلا خوف ولا وجل، دون أن يكون ذلك على حساب مبادئها أو مصالحها، أو أن يمس حريتها واستقلالها ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾(١).

١- إن تطور العلاقات ودعمها وتحسنها مع الدول الأخرى يتوقف على موقف هذه الدول من قضايانا العادلة، وحقوقنا التي نجاهد من أجلها -وخاصة القضية الفلسطينية- وقضايا الشعوب العربية والإسلامية

---

(١) سورة الممتحنة: ٨ .

التي تكافح لتحرير بلادها وتطهيرهـا من الغاصبين، كما هي الحال في أفغانستان وأرتيريا والصومال وفطاني والفلبين وغيرها.

وفي نطاق علاقتنا الخارجية سوف نعمل على الاستفادة من تجارب الأمم ومن تقدمها التقني والعلمي سواء أكانت في الشرق أم في الغرب ما دام ذلك لا يؤثر على عقيدتنا وعلى مصالح أمتنا، فمن تقاليدنا الأصيلة وأفكارنا الراسخة منذ أمد بعيد، اطلب العلم ولو بالصين، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها.

٢- عندما ظهر الإسلام لأول مرة، تبدَّى للناس أنه ثورة بأشمل معاني الثورة وأعمقها، فقد كان ثورة الذات على الذات قبل كل شيء، فلقد أدى فساد النظم، وانتشار الجور، وشيوع الفساد، إلى تخريب بعيد المدى في النفس الإنسانية، لذلك كانت مهمة هذه الثورة شاقة، وتكاليفها ثقيلة.

لكن الله تعالى أحاط رسوله ﷺ برجال سكن الإيمان بهذا الدين قلوبهم، فمنحوه أنفسهم كاملة، معتقدين أن من تمام إيمانهم، ومن صميم واجبهم أن يعيدوا التوازن إلى حياة الناس، وأن يكونوا لهم منقذين، وأن السبيل إلى هذا التغيير في حياة الناس يتمثل في تحرير بعضهم من بعض وتعبيدهم جميعاً لله رب العالمين، بعد أن أعلى الله تعالى شأن الإنسان وكرمه، واستخلفه في الأرض، وفضله على كثير من مخلوقاته تفضيلاً، من أجل ذلك كان قائلهم يقول: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

إن جماعة الإخوان المسلمين اليوم تقول للناس ما قاله لهم أسلافها من قبل، وتعلن على رؤوس الأشهاد أن الواقع الإنساني شديد الفساد، بالغ الخطورة على مستقبل الجنس البشري، وأن الأرض قد أصبحت مسبعة يأكل القوي فيها الضعيف، وأن القيم العالية والمثل الرفيعة والإنسانية المهذبة قد أخلت مكانها للقوة العمياء.

الإسلام والوضع الدولي

وأن الإسلام بعقيدته وشريعته ونظامه وآدابه يمثل السبيل الوحيد لإنقاذ البشرية وتلك هي رسالة الإسلام ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾(١).

٣- إن الهدف النهائي لجماعتنا هو إحلال سلام الإسلام الدائم في الأرض، بتغيير معالم الصورة البشرية الراهنة تغييراً يتناولها من الجذور، فكل إنسان في عالم اليوم ينام ويصحو ويده على قلبه، إشفاقاً على مصير البشرية، ولكن الكل لا يعرف أين هو الطريق الصحيح.

لقد أصبح العالم يعيش في حالة استقطاب حاد بين قوتين هائلتين لم يعرف لهما التاريخ نظيراً، ولقد أفزع هذا الاستقطاب ناساً كثيرين، فتنادوا إلى وضع الحلول التي من شأنها أن تلغي هذا الاستقطاب أو تخفف من آثاره، فكانت منظمة الأمم المتحدة بمؤسساتها العديدة، ولكن هذه المنظمة عاجزة عن فعل أي شيء بسبب الخلل في تركيبها، فكانت منظمة دول عدم الانحياز، ولكنها انتهت إلى أن

---

(١) سورة الصف: ٩ .

تكون منحازة كلها ذات اليمين وذات الشمال، وكانت المنظمات الإقليمية التي استهدفت توفير الحماية الضرورية للشعوب، ثم تبين جلياً أن القيم الإنسانية لا مكان لها في عالم الأقوياء، لقد أخفقت كل هذه التجارب إخفاقاً محزناً، وسقط الإنسان في هاوية الرعب الدائم واليأس الرهيب.

لقد آن للمسلمين أن يتصدوا لحل المعضلة المستعصية بجملة حلول من بينها:

أ- إعادة النظر في بنية المنظمات الدولية، بحيث يلغى حق النقض، وتؤخذ القرارات بالأكثرية.

ب- ترشيد الاقتصاد العالمي، وإلغاء استثمار الإنسان لأخيه الإنسان، وتسخير الطاقات الهائلة إلى زيادة الإنتاج وتحسينه وتنويعه، ليجد كل إنسان في هذا العالم حاجته، عوضاً عن تسخيرها لحُمَّى التسلح وجنون التسابق إلى القوة المدمرة، وإنفاق معظم ما يملكه الإنسان عليها.

جـ- فتح باب الحوار أمام مختلف الآراء كي تتلاحم وتتفاعل بحرية، بعيداً عن وسائل القهر والتزييف.

د- إعادة الثقة المفقودة بالإنسان، بالإعلان الصريح أن الإنسان ليس في حاجة إلى الوصاية عليه من أحد.

إن جماعتنا -وإن كانت تعتقد أن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة- ترى أن الجهاد بصورته المادية العنيفة، هو آخر الدواء، وليس أوله

ولا وسطه، فإذا تكافأت حقوق التحاور الحر بين دول العالم وشعوبه، وإذا خلي بيننا وبين عقول الناس وقلوبهم، كنا واثقين بنصر الله لدينه الحق وشرعه القويم، لأنه دين العقل والفطرة السليمة ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾(١).

الخاتمة

هذا هو برنامجنا لأمتنا وللناس أجمعين، وهذا بياننا لشعبنا ومنهاجنا إلى الخلق يعرفون من خلاله ماذا نريد بعيداً عن دعوة الأعداء وتغرض المغرضين. متيقنين أن ما ندعوهم إليه هو مطلب الناس كلهم، وليس مطلب المسلمين وحدهم، لأنه الخير المحض، والحق الصريح، والعدالة الكاملة، وإلى أبناء شعبنا نسوق هذا الحديث:

لقد عمت الخديعة طويلاً، أما وقد سقطت الأقنعة، وانكشفت السوءات فنحن ندعوكم إلى طريقكم.. إلى حقيقتكم.. إلى دينكم.

وإن قال لكم قائلون: نريد أن نحقق لكم الوحدة العربية، تأسيساً على فهمهم للقومية، مجردة من أي إضافة أو مضمون حياتي يخصُّ قوماً دون قوم، فقد رأيتم ما الذي آلت إليه هذه الدعوة، على الصعيد القومي: تفتت لا يؤذن بانتهاء، وفي المحتوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي: استعارة وترقيع.

أما نحن فندعوكم إلى العروبة الصافية التي هي اللسان. بعيداً عن

---

(١) سورة الروم: ٣٠ .

خرافة التمايز العرقي بين الشعوب والأجناس، لقد كان من صنع الله تعالى أن حمى مهد الرسالة الإسلامية من الجبابرة والفراعين والقياصرة والأكاسرة، فلم يذلهم جبار، ولم يتعبدهم قاهر، وهذا ما رشحهم ليكونوا حملة دين الله، ولتكون لغتهم هي التي نزل بها كتاب الله الذي افترض تعلمه على كل مسلم، لتسير العربية مع الإسلام أنى سار.

لقد ربط الله تعالى شرف العرب بالإسلام، وجعلهم مسؤولين عن حمله وتبليغه، فقال سبحانه: ﴿وإنه لَذِكْرٌ لكَ ولقومك، وسوف تُسألون﴾[1].

وقالوا لكم: نحن نريد أن نحقق الاشتراكية التي تعمم الرخاء على الناس، وأنتم يا قومنا أدرى بأن الاشتراكية المدعاة تكشفت عن لصوص، سرقوا مال الشعب، واحتكروا خيرات الوطن، وألقوا إلى المرتزقة والعبيد بالفتات، أما الشعب المحروم فلم يعرف الاشتراكية إلا من زاوية الفاقة والاستبداد.

أما قولنا: فهو أن الله حكم بأن تكون خيرات الأرض مائدة ممدودة للناس جميعاً، حقهم منها في الاكتفاء ثابت ومضمون بنصوص الإسلام، وهو حق: المِنَّةُ فيه لله والشكر له وحده.

وقالوا: سنمنحكم الحرية، فكانت حريتهم على الإنسان عاراً، واسألوا سكان القبور، ونزلاء السجون، والمعذبين والمشوهين، ماذا

---

(١) سورة الزخرف: ٤٤ .

فعلت بهم حريتهم؟

ونحن نذكركم بقول المصطفى ﷺ: ظَهْرُ المؤمن حِمى، وما قاله الخليفة الثاني عمر بن الخطاب: متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.

أو لم يتضح الطريق بعد؟ بلى وربنا، فتعالوا إلى كلمة سواء أنْ لا نعبد إلا الله، وأن لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، وأن نتصدى جميعاً للهدف الكبير بهمة العظام وصبر الكرام. ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، إنهم لهم المنصورون، وإن جندنا لهم الغالبون﴾.

١٤٠٨هـ -١٩٨٨م قيادة الثورة الإسلامية في سورية

عدنان سعد الدين

جاء البيان كمدخل للمنهاج، وتفسيراً للأحداث والصراع الذي نشب بين أبناء الدعوة وحلفائهم من الإسلاميين والمعارضين، وبين الأقلية أو بعضها، التي فرضت نفسها وسلوكها وسياساتها على السوريين بقوة السلاح، فجاء البيان كأمواج هادئة متلاحقة، تنتهي كل واحدة منها إلى التي تليها في الفكر وتسلسل الأحداث، لقد نص البيان الذي كان للعلامة الشيخ محمود مشوح مفتي الميادين رحمه الله، بصمات في العديد من عباراته التي لا تخفى على من يعرف أسلوبه في أدبه الرفيع وكتاباته التي تبلغ بصاحبها أن يكون في عداد كبار الأدباء والمفكرين رحمه الله.

❋ ❋ ❋

الفترة السادسة

المآسي والنكبات الكبرى
من عام ١٩٨١ وحتى عام ١٩٨٣

بينما كان تنظيم الجماعة منشغلاً، بل ومستغرقاً فيما أعده ويعده من برامج ومناهج وخطط في الحكم والسياسة والاقتصاد والتربية والشؤون الأخرى، لتنظيم أمور المجتمع والنهوض به، وتلبية طموحاته وتطلعاته، ليستدرك ما تعانيه بلادنا من تخلف عن الركب الحضاري، (مما جاء بعضه في بيان الثورة الإسلامية ومنهاجها)، كانت العصابات الأمنية الحاكمة تمعن في القتل والاغتيال وسفك الدماء، والمجازر الجماعية وحمامات الدم التي عمت جميع المحافظات السورية، حتى أضحى المواطن السوري مسكوناً بالخوف والرعب على عرضه وكرامته ودمه وماله وحرياته الخاصة والعامة، فلم يبق مواطن في سورية يجرؤ على المعارضة، أو الإنكار على ما يحدث أو حتى على تقديم النصح بله الاعتراض.

هكذا كان عام ١٩٨٠ منذ ألقى رفعت أسد خطابه في المؤتمر القطري السابع في ٦-١-١٩٨٠م عام القتل والخطف وتمزيق حجاب المرأة في شوارع العاصمة السورية دمشق، في ٢٩-٩-١٩٨٠ وكان

كذلك عام التسلط على التجار، وحتى الصغار منهم، يسلبهم، ويفرض الأتاوات والرشا عليهم، بل وبدأت تظهر في الشارع السوري وفي المعتقلات والبيوت حوادث اغتصاب، لم تحدث من قبل في العهود الماضية بما فيها عهد الانتداب الفرنسي.

وعندما اطمأنت سلطة الأقلية الباغية على سيطرتها المطلقة على الشعب في جميع أنحاء الوطن، ولم يعد ثمة أي مواطن يرفع صوته بالرفض، أو حتى بالشكوى الجهرية، ولم تعد تجد أي إنكار لجرائمها من الحكومات الأجنبية ومن أكثر الحكومات العربية، أو من المنظمات الدولية، أو من هيئات الدفاع عن حقوق الإنسان بما يكفي، انتقلت في اقتراف الجرائم إلى مرحلة أخرى من داخل سورية إلى خارجها، وقررت تصفية خصومها فيما وراء الحدود، وإسكات كل صوت أنكر عليها سفك الدماء، وإزهاق الأرواح وسحق المواطنين.

تفرغ ضباط سرايا الدفاع وأمثالهم من عصابات القمع إلى وضع الخطط لتنفيذ الاغتيالات في البلاد المجاورة، وفي عدد من الدول الأوروبية، وانتدبوا لهذه المهمة (النبيلة)!!! مجموعات دربوها وسلحوها ومولوها، وفرغوها، ليس لحرب إسرائيل واستعادة الأرض المحتلة في الجبهة السورية وما حولها، والتي سلموها دون قتال، مقابل استمرارهم في السلطة عقوداً أخرى، وكان رفعت، كما هو حاله وشأنه، المشرف على تنفيذ هذه الخطط، وتنفيذ الاغتيالات، بما بشر به في خطابه الدموي في المؤتمر القطري السابع، وبما أعده

من مـال وسلاح وعـناصر اخـتارهـا من سرايـاه ومن بعض الـمرتزقـة والمنتفعين كما رأينا من قبل.

أولاً: محاولة اغتيال مضر بدران

كـان السيـد مضـر بدران رئـيس وزراء الأردن هدفاً رئـيسـياً لهـذه الشبكة الإجـرامية، وهو السياسـي المحنك والوطني الغـيور الذي كان محسوباً على العراق فيما كان يتعرض له من حصار ودماء، كما شغل من قـبل منصب رئـيس المخـابرات الأردنية ردحـاً من الزمـان، وكان معروفاً بتوجهاته في بناء الوحـدة الوطنية التي تضم كل عناصر الشعب وفئاته، من وطنيين وقوميين وإسلاميين، وكان عدد كبير من السوريين قد هـرب من حر الـقتل والـمطاردة إلى الدول الـمجـاورة، في تركـيا والعراق ولبـنان، وكان للأردن النصـيب الأوفر في عدد النـازحين من سورية إليه، فاستضاف من دخل أرضه، ومنحهم الأمان والاطمئنان، وفرص العمل، فعاش الألوف من السوريين حياة رغيدة أو مستورة لا ينسون فضل الأردن في تأمينها لهم.

١- شـرع ضبـاط سرايـا الدفـاع في الـتـحرك والـتنقـل بين دمـشق وعمان للاستـطلاع، وتهيئة الأسباب لـتـنفيذ اغتيال الـسيد مضر بدران رئيس الـوزراء، من استـئجـار بيوت، وتـهريب الـسلاح وإدخـاله إلى عـمان، وتـأميـن الـسيارات، وصـرف المـبالـغ بالعـملـتيـن الـسـورية والأردنية.

بتوجيه مباشر من رفعت أسد، وإشراف من أحد ضباطه هو الرائد سليـمان جديد، الذي رعى الـتمويل والتـدريب وتسليم الـسـلاح على

مدى شهرين.

في مطلع ١٩٨١، بدأ التحرك النشط ما بين دمشق وعمان، إلا أن رجال الأمن الأردني كانوا يقظين، ويرصدون كل تحركاتهم، يوماً بيوم، وساعة بساعة، فألقوا القبض عليهم، قبيل الشروع بالتنفيذ، وعرضوا على شاشة التلفزيون الأردني اعترافات أفرادها، وأذاعوا تفصيلاتها وأسرارها على العالم أجمع، ثم أصدرت وزارة الإعلام الأردنية كتاباً باللغتين العربية والإنكليزية، ضمنته أسماء المشاركين بالجريمة، وصورهم واعترافاتهم المذهلة، وكان من قدر الله أن اثنين من عناصر سرايا الدفاع، مشاركان في مجزرة تدمر، وقد اعترفا تفصيلاً بأحداثها، وكانت ما زالت مجهولة بتعتيم النظام السوري على مأساتها، ولأهمية هذا الحديث، ولأنه يكشف عن طبيعة النظام في الإرهاب، واحتراف عمليات القتل للشخصيات السياسية والفكرية والإعلامية في المنطقة، (نورد خلاصة لما تضمنّه كتاب الوثائق الأردنية) من أمثال صلاح البيطار رئيس الوزراء السوري السابق في باريس، والسيد سليم اللوزي صاحب مجلة الحوادث الأسبوعية أشهر المجلات في وقتها، والداعية الإسلامي الأستاذ نزار الصباغ في إسبانيا، والطالب السوري في يوغوسلافيا: الشهيد عبد القادر ودعة، ومحاولة تفجير محلات يا مال الشام في دبي لصاحبها أسامة أسعد رحمه الله، وتفجير جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت، كما مر معنا بعض منها، وعرض عدد من أحداثها.

٢- بدأ كتاب الوثائق الأردنية بتقديم ذي أهمية بالغة نورد بعضاً

من فقراته للاطلاع المفيد، منها:

منذ عام ونيف بدأت زمرة الحكم الفئوي الطائفي المتسلطة على الشعب العربي في سورية، تنفث سموم الحقد والكراهية، وهي تذرف دموع التماسيح، متباكية على القضية العربية، وتزعم الدفاع عن القضية الفلسطينية، وتدعي الحفاظ على التضامن العربي، ولكن سرعان ما تكشفت نوايا حكام دمشق علانية في محاولاتهم المتتالية لمنع عقد مؤتمر القمة العربي الحادي عشر، إلا أن انعقاد المؤتمر في مكانه وزمانه المحددين، كانا الضربة التي أفقدتهم صوابهم، فخرجوا عن الطور، ولجأوا إلى حشد القوات السورية على الحدود الأردنية، بعد أن جدّدوا لقوات الطوارئ الدولية، وأمنوا خط التماس الأحمر مع إسرائيل في الجولان، ومع إسرائيل في لبنان.

لم يرتدع حكام دمشق أيضاً، فبدأوا يلوحون بأساليب هدم وتخريب أخرى غير أسلوب الحشد على الحدود، وخرج الرئيس حافظ أسد نفسه محدداً هذه الوسائل وتسميتها بالوسائل الفنية، وقال بالحرف الواحد، في تصريحه الذي نشرته جريدة الرأي العام الكويتية بتاريخ ١٦-١٢-١٩٨٠:

قد لا يكون من الأهمية بمكان أن نتطرق إلى مثل هذه الأمور ذات الطابع الفني!! ثم توالت التصريحات عن المسؤولين السوريين في تأكيد هذه النوايا الخبيثة المبيتة ضد أمن واستقرار الأردن.

بعد إلقاء القبض على عصابة الإرهاب التي بعث بها حكام دمشق بإشراف رفعت أسد شقيق الرئيس السوري حافظ أسد، وقائد سرايا

الدفاع للتخريب في الأردن، وقبل الإعلان عن ذلك صرح وزير إعلام النظام الطائفي في دمشق أحمد اسكندر أحمد إلى صحيفة الواشنطن بوست بتاريخ ١٦-٢-١٩٨١: إن سياسة سورية ترمي إلى معاقبة الزعماء الأردنيين، وخاصة رئيس الوزراء مضر بدران، وفي الوقت الذي أعلنت فيه الأردن أنها ستقوم بإذاعة اعترافات عصابة الإرهاب التي بعث بها رفعت، وقبل أن تتم إذاعة هذه الاعترافات، بادرت أجهزة القمع في سورية إلى نشر اعترافها بهذه العملية، إذ أذاعت بياناً صادراً عن مصدر أمني في دمشق يوم ٢٤-٢-١٩٨١، أعطت لنفسها الحق في مثل هذه العمليات، ومتابعة إرسال المزيد منها -على حد قول المصدر الأمني- في الوقت المناسب، لمعاقبة الزعماء الأردنيين. وفي اليوم التالي لإذاعة اعترافات عصابة الإجرام والإرهاب، أذاع راديو دمشق تعليقاً أعلن فيه: أن يد سورية طويلة، ويمكن أن تمتد في كل زمان ومكان إلى الأردن.

فبماذا يمكن أن نصف تلك الفئة الحاكمة في دمشق بأكثر من أنها عصابة امتهنت القتل والإجرام والإرهاب، تمارسه يومياً بعمليات قتل جماعية، وجرائم يندى لها الجبين ضد الشعب السوري، والتي تتنافى مع أبسط قواعد الأخلاق العربية، وتأباها الأعراف الإنسانية، وتمجها القوانين الدولية[1].

٣- عندما اكتشف الشعب العربي في سورية حقيقة النظام الفئوي

---

(١) الوثائق الأردنية ١٩٨١ في ٢٥-٢-١٩٨١ ص ٦، وزارة الإعلام، دائرة المطبوعات والنشر - عمان.

الطائفي المتسلط عليه، وفضح زيف الشعارات القومية التي تتستر بها، وحين بدأ النظام القائم على تحكم فئة من الطائفة العلوية، لجأ إلى سياسة البطش والقمع والإرهاب في الداخل والخارج فاغتال صلاح الدين البيطار رئيس وزراء سورية الأسبق البعثي في باريس، وكمال جنبلاط الزعيم الدرزي ورئيس التكتل الوطني الذي كان يضم سليم اللوزي صاحب مجلة الحوادث ذات الشهرة الواسعة في تلك الفترة، وقتل السيدة بنان الطنطاوي زوجة الأستاذ عصام العطار في ألمانيا، وقتل كثيرين غيرهم في لبنان وسورية ومن الفلسطينيين، دون أن يفرق بين رجل وامرأة، وبين شاب وشيخ، ولم تسلم من حقده الأسود الطائفة العلوية نفسها التي زجها واستخدمها في الصراع الطائفي غير المألوف في سورية، إذ عمل على تصفية بعض قادة الطائفة العلوية، ممن خالفوه في الرأي، وفي مقدمتهم اللواء محمد عمران رئيس اللجنة العسكرية السورية والذي يتقدم عليه في الرتبة العسكرية، فأرسل إليه من صفاه جسدياً في مدينة طرابلس شمالي لبنان[1].

واليوم نقدم للمواطنين -كما قالت الوثائق الأردنية- وللأمة العربية جمعاء، وإلى جميع الدوائر الإنسانية والحضارية في العالم، تفاصيل مؤامرة حاكها النظام الفئوي الطائفي في سورية، للاعتداء على حياة رئيس الوزراء في الأردن السيد مضر بدران.

أ- في أواسط كانون الأول عام ١٩٨٠ أصدر العقيد رفعت الأسد

---

(١) المرجع السابق: ٧ .

قائد سرايا الدفاع أوامره إلى الرائد العلوي سليمان جديد ضابط أمن سرايا الدفاع في دمشق، لوضع خطة تنفذها عناصر عسكرية من سرايا الدفاع لاغتيال رئيس الوزراء الأردني مضر بدران.

وبتاريخ ٢٣-١٢-١٩٨٠ دخلت المجموعة الأولى من عناصر العملية للأردن عن طريق حدود الرمثا بقصد علميات الاستطلاع لتحركات السيد رئيس الوزراء تمهيداً لتأمين التسهيلات المادية اللازمة لعناصر تنفيذ العملية، وكانت هذه المجموعة مؤلفة من: تاج الدين علي محمد سوري علوي، يعمل في أمن سرايا الدفاع.

ب- وبتاريخ ٣٠-١٢-١٩٨٠ دفعت سورية من نقطة الحدود الأردنية السورية مجموعة مكونة من أربعة عناصر من سرايا الدفاع على دفعتين، تتألف الأولى من: تاج الدين محمد، والرقيب أحمد ماجد أبو شلحة، علوي من سرايا الدفاع، بينما تتألف الدفعة الثانية من طه محمد الحدار، ومعه عنصران من سرايا الدفاع، وهذه المجموعة مكلفة باستكمال مهمة الاستطلاع حول أماكن وجود السيد رئيس الوزراء، واستئجار منزل لإيواء عناصر العملية.

جـ- بتاريخ ٦-١-١٩٨١ دخلت الأردن مجموعة ثالثة من سرايا الدفاع مؤلفة من أربعة عناصر هم: تاج الدين محمد، وطه محمد الحدار، والرقيب أحمد ماجد أبو شلحة، والملازم أول سعد صباح علوي من سرايا الدفاع، دخل الحدود بهوية مزورة باسم خالد أحمد حسون.

في هذه الفترة التي كانت هذه المجموعة في الأردن، كانت توجد

في عمان مجموعة من عنصرين من سرايا الدفاع هما: الرقيب عيسى إبراهيم فياض علوي يحمل هوية سورية باسم عبد المنعم محمد فياض، والعريف نزيه كاسر بلول علوي، يحمل هوية مزورة باسم نزيه تامر بيضون، وقد قام طه محمد الحدار هذه المرة بنقل رشاشتين نوع كلاشنكوف، وستة مخازن محشوة بالعتاد، مخبأة في سيارته التي تحمل لوحة سورية.

د- وبتاريخ ١٥-١-١٩٨١ قام طه محمد الحدار وتاج الدين محمد باستئجار منزل في منطقة صويلح لاستعماله لتنفيذ العملية، وفي هذه الفترة كانت المجموعات التي تدخل الأردن تعود إلى دمشق لتناقش نتائج الاستطلاع الأولى، ومخططات التنفيذ مع الرائد سليمان جديد، كما كان يشارك في الإشراف على خطة التنفيذ، في قيادة سرايا الدفاع: الرائد معين ناصيف قائد اللواء أربعين من سرايا الدفاع، وهو زوج ابنة العقيد رفعت الأسد، كما كان الرائد سليمان جديد ضابط أمن سرايا الدفاع يقوم بإطلاع العقيد رفعت أسد على نتائج سير العملية أولاً بأول.

هـ- بتاريخ ٢١-١-١٩٨١ دخل الأردن العقيد الركن عدنان بركات من سرايا الدفاع، بعد أن وقع اختيار العقيد رفعت الأسد عليه لقيادة العملية، والإشراف على تنفيذها، وقد رافقه تاج الدين محمد، حيث قاما بالاتصال بالعناصر الموجودة في الأردن، وباستطلاع منطقة رئاسة الوزراء مشياً على الأقدام، ليومين متتاليين بقصد حصر فترة مغادرة السيد رئيس الوزراء مبنى الرئاسة، ثم عاد إلى دمشق لمناقشة

التفاصيل النهائية لخطة تنفيذ العملية في ضوء الاستطلاع المكثف الذي أجراه العقيد عدنان بركات في تلك الفترة[1].

٤- بعد مناقشة التفاصيل أصدر رفعت أسد أمره النهائي بتنفيذ العملية، بعد عودة السيد مضر بدران من مؤتمر القمة الإسلامي بالطائف، وقد اتفق بشكل نهائي أن يكون مكان التنفيذ ملتقى الطريق الممتد من مبنى رئاسة الوزراء، مع الشارع الممتد إلى الهوليدي إن، من الدوار الثالث، عند موقع الإشارة الضوئية، أما وقت التنفيذ، فقد اتفق على أن يكون موعد مغادرة السيد رئيس الوزراء مبنى الرئاسة في نهاية الدوام الرسمي المعتاد، كما اتفق على أن يتم تنفيذ العملية بقيادة عنصرين من سرايا الدفاع بمهاجمة الموكب عند المكان المحدد بالرشاشات والقنابل اليدوية على سيارة السيد مضر بدران، بدءاً بسيارات الحرس، لشلهم وإرباكهم، ومن ثم التوجه بالرشاشات والقنابل على سيارة الرئيس، وفق الخطة التي سيقوم الرقيب عيسى إبراهيم فياض، والعريف أكرم بيشاني بعملية الهجوم، وهما من عناصر سرايا الدفاع التي قامت -شاركت- بتنفيذ مجزرة تدمر في حزيران عام ١٩٨٠، بينما يقوم بالإشراف ومراقبة التنفيذ قائد العملية العقيد عدنان كامل بركات.

أ- بتاريخ ٣١-١-١٩٨١ دخل العقيد بركات إلى الأردن مرة ثانية بهوية مزورة باسم خالد محمود بزازة للتنفيذ، فألقي القبض عليه في مركز حدود الرمثا، وفي نفس اليوم ألقي القبض في الحدود على

(١) المرجع السابق: ٧-١١ .

السائق جورج عبده بيطار، مع السيارة المعدة لتنفيذ العملية، وهي من نوع مرسيدس ٢٨٠ تحمل لوحة سعودية رقم ٣٩١١، وضبط بداخلها مخبأ سري فيه أربع قنابل، كانت ستستخدم في تنفيذ عملية الاغتيال، كما تم في نفس اليوم إلقاء القبض على عنصر التنفيذ: الرقيب عيسى إبراهيم فياض، والعريف أكرم بيشاني، والمدعو طه الحدار في البيت المستأجر في بلدة صويلح، فأحبطت بذلك أجهزة الأمن الأردنية، المؤامرة التي دبرتها وخططت لها قيادة سرايا الدفاع الموكل إليها مهمة حماية النظام القائم في سورية، وتم القبض على جميع عناصر تنفيذ العملية، كما صودرت الأسلحة، وأدوات تنفيذ الجريمة.

خلاصة إفادة طه الخالدي: اسمي طه محمد الحدار الخالدي من مواليد ١٩٥٠ في بادية حمص، متزوج، وأعمل في التجارة، قال لي صديق لي يدعى: تاج الدين محمد من محافظة حمص في قرية القصابية (وكنت قد ذكرت له أن ثماني سيارات لي مهربة، صادرتها الجمارك، وعليها غرامات مالية كثيرة): المشكلة بسيطة، وليس لها إلا ضابط من سرايا الدفاع، يستطيع أن يحل المشكلة كلها، وكان صديقي تاج الدين يعمل في المخابرات العسكرية، فعرفني بالرائد سليمان جديد ضابط أمن سرايا الدفاع الذي طلب مني، بعد ترددي عليه خلال ثلاثة أشهر، أن أتعاون معه في مجال أمن البلاد، في كل ما يخل بأمن الدولة، وبالفعل اتصل بمديرية الجمارك، وأوقفت الغرامات، والمسؤولية المترتبة على السيارات المهربة، وأمر بمعالجة ابنتي المصابة بالشلل النصفي في مدينة الحسين الطبية في عمان،

وكان ذلك في ٢٣-١٢-١٩٨٠، فسافرنا إلى عمان، ونزلنا في فندق سلطان، وبعد ثلاثة أيام عدت إلى دمشق، فطلبني الرائد سليمان، وكلفني بالسفر إلى عمان، لاستئجار منزل، فعدنا إلى الأردن في ٣٠-١٢-١٩٨٠ في سيارة يسوقها أحمد ماجد أبو شلحة بتكليف من الرائد سليمان جديد، وبعد عودتنا إلى دمشق، طلب الرائد سيارتي بالذات في ٦-١-١٩٨١، ثم أصاب سيارتي عطل بعد عودتي إلى عمان فتركتها في كراج العاصمة، ورجعت أنا وأبو شلحة بسيارته إلى دمشق، وقابلنا الرائد سليمان، ثم عدنا إلى عمان، ومررنا بفندق سلطان، فقابل أبو شلحة اثنين لا أعرفهما، ورجعنا إلى دمشق بسيارة أبو شلحة مع الاثنين اللذين عادا معنا، وطلب الرائد سليمان عمل صيانة لسيارتي حتى اكتملت، فكلفني الرائد بالعودة إلى عمان، قائلاً: تاج وأبو شلحة ينتظرونك في كراج أمانة العاصمة، وذكر اسم أحد الاثنين، واسمه عبد المنعم وهو أحد الذين اشتركوا في مجزرة تدمر، وأنه كان ضمن من نقلتهم طائرات الهليوكبتر إلى جوار السجن، وحدثنا أنه أحد الذين دخلوا على المساجين وقتلوهم جميعاً بعبارة -روحناهم كلهم- وكان رفيقه الثاني يؤازره في الكلام، وقد كان عدد الذين تم قتلهم بـ : ٧٠٠ سجين أو أكثر، ثم جاءت جرافات بسيارات قلاب، فحملوا الجثث إلى وادي يقع شرق تدمر، ودفنوها هناك.

أكمل المتهم طه محمد الحدار قائلاً: وصلنا الشام، وقابلنا الرائد سليمان، فوجدنا عنده تاج الدين وآخرين لا أعرفهم، فطلب منا

السفر إلى عمان واستئجار منزل، والعودة إلى دمشق. جاءني أبو شلحة ليساعدني في تصليح السيارة لأنه مختص بذلك، فقال لي: في سيارتك سلاح، فتفاجأت بذلك، فأخرج كلاشنكوف عدد ٢، وستة مخازن مليئة بالذخيرة روسيات الصنع، فوضعنا السلاح في المنزل، وعدنا إلى دمشق، واجتمعنا بعد يومين بالرائد سليمان، ورأينا في مكتبه ستة أشخاص، كان أحدهم العقيد عدنان بركات، كما عرفت ذلك فيما بعد، فطلب مني السفر إلى عمان، لأقابل تاج والعقيد في صويلح، وبعد عودتنا إلى دمشق، والاجتماع بالرائد سليمان، قال تاج: رتبنا كل شيء، وعرفنا كل شيء.

في ٣١-١-١٩٨١ طلب مني الرائد الذهاب إلى عمان، وطلب لوحات لبنانية للسيارات من أحد العناصر، ودفعها لي لاستعمالها في سيارات التنفيذ، وعندما عدت إلى البيت مساءً، فتحت المنزل، وإذا بالأمن الأردني يعتقلني.

جـ- أما السائق جورج بيطار فقد أفاد أنه من قرية المشيرفة في محافظة حمص، وأنه من مواليد ١٩٥٣، وقد حضر إلى الأردن بتاريخ ١-٢-١٩٨١، وقال: تم اعتقالي في الرمثا على الحدود الأردنية، وكان سبب مجيئي أن تاج الدين المحمد عرض علي توصيل سيارة من سورية إلى عمان مقابل ٥٠٠ ل.س، وبعد العودة إلى دمشق ونزولنا في فندق التل، سلمني السيارة التي تحمل نمرة سعودية، وقال: تروح فيها إلى عمان، وإذا صادفت أي عقبة فستجد شخصاً اسمه جابر الأحمد، وعند وصولك إلى عمان، اترك السيارة

في الكراج دون أن يحدد لي اسم الشخص الذي سيستلمها، لأن الذي اشتراها لديه نسخة أخرى من مفاتيح السيارة، فسافرت بها بعد إنجاز الوكالة القانونية عند كاتب العدل، وعند وصولي إلى الرمثا اعتقلني رجال الأمن الأردنيون.

د- كانت إفادة أكرم بيشاني من أهم الإفادات، لأنه عنصر التنفيذ في الاغتيال، ولأنه قتل حسب اعترافاته عدداً من معتقلي سجن تدمر بيده الأثيمة.

قال أكرم: أنا أكرم علي جميل بيشاني من محافظة طرطوس، قرية يحمور، ومن مواليد ١٩٦٢، أعزب، شهادتي الصف السادس الابتدائي، أبي علي، وأمي حليمة، وأنا عريف في سرايا الدفاع.

في ٢٣-٣-١٩٧٩ التحقت بسرايا الدفاع، ونقلت إلى معسكر التدريب في القابون قرب دمشق، والتحقت بدورتين، الأولى دورة لغة، والثانية دورة الصاعقة، ثم نقلت إلى كتيبة مدفعية رقمها ١٤٩ من اللواء ٤٠ في سرايا الدفاع في الشهر الخامس عام ١٩٨٠، ثم نقلت ضمن مجموعة الحراسة في بيت الرائد معين ناصيف ضمن مجموعة مكونة من ٢٥ عنصراً، ثم كلفت بمهمتين: الأولى مهاجمة سجن تدمر، والثانية: اغتيال مضر بدران في عمان.

شرع البيشاني يشرح عملية سجن تدمر من أولها، حينما ركبوا طائرات الهليوكبتر إلى أن تمت تصفية السجناء بحمام دم مرعب، ثم عادوا بالطائرات نفسها، ليتقاضوا مكافأة قدرها ٢٠٠ ل.س لكل من شارك في ذبح المعتقلين، ويتلقوا كلمة شكر على قتلهم للمعتقلين من

الرائد معين ناصيف زوج تماضر ابنة العقيد رفعت أسد.

ذكر المجرم البيشاني عدداً من أسماء العناصر التي غمست أيديها الآثمة في دماء المعتقلين من أهل أخدود أو أخاديد تدمر، فكان منهم كما ذكر: العريف ناصر عبد اللطيف علوي من قضاء طرطوس، والعريف غسان شحادة علوي من قضاء اللاذقية، والرقيب طلال أحمد علوي من اللاذقية، والرقيب نزيه بلول علوي من قضاء حمص، والعريف حسن عيسى، علوي من قضاء حمص، والرقيب همام أحمد علوي من اللاذقية، كما ذكر البيشاني عدداً من أسماء الضباط الذي غمسوا أيديهم في دماء الأسرى المعتقلين مثل: الملازم رئيف عبد الله من كتيبة المشاة التابعة للواء ٤٠ من سرايا الدفاع، وهو علوي من قضاء اللاذقية، والملازم منير درويش، وهو علوي من نفس الكتيبة، والملازم أول ياسر باكير من اللواء ٤٠ وهو علوي من قضاء حماة، ثم تابع يقول:

في ١٨-١-١٩٨١ طلبني الرائد سليمان جديد، وهو علوي من قضاء اللاذقية قائلاً: تأتي إلى مكتبي باللباس المدني الساعة الثالثة، فقابلني في غرفة النوم الملحقة بمكتبه، وقال: هل تعرف الرقيب عيسى فياض؟ قلت: نعم، فقال: تأتي أنت وهو إلى مكتبي غداً في الصباح، حضرنا وقابلنا في غرفة النوم، فطلب صوراً لتزويدنا بهويات مزورة، وصار يمتدحنا، ويصفنا بالشجاعة والبطولة، وقال: نحن نريد أن نكلفكم بمهمة في الأردن، وهي عبارة عن اغتيال إحدى الشخصيات البارزة في عمان، قال لي الرائد سليمان: إذا سألنا

موظفو الحدود الأردنية -ليش جاي لعمان- فقل لهم: أبوي مريض، وأريد أن أحضر له دواءً، وقال لزميلي: نفس الكلام، ويجيب الموظف في الجمارك بأن عنده مدجنة، ويريد أن يحضر لها دواءً للمكافحة.

أخذ الرائد مني الهوية العسكرية، وسلمني الهوية المدنية، وأعطاني قائمة تحتوي على خمسة أنواع من الأدوية، وقدم لي ١٥٠٠ ل.س، و ٧٠ ديناراً أردنياً، وهذا ما فعله مع زميلي عيسى فياض، وعندما سألنا عن الشخص الذي قرروا اغتياله، قال العقيد عدنان بركات وكان هناك: سنقول لكم اسمه في صويلح.

خرجنا من دمشق أنا والعقيد عدنان بركات وعيسى فياض وتاج الدين محمد، وأنا أحمل الهوية المدنية المزورة باسم: أكرم محمد قاسم، وزميلي عيسى فياض يحمل هوية مدنية مزورة باسم عبد المنعم فياض.

قال لنا تاج الدين: اذهبوا إلى عمان، وسنلتقي في الساعة الثانية عشرة أمام فندق السلطان، وعندما التقينا، سلمنا نسخة مفاتيح الشقة في صويلح قائلاً: تطلعوا على البيت ليلاً، فذهبنا إلى البيت، وحضر تاج وعدنان إلى المنزل في ساعة متأخرة من الليل.

عدنا إلى دمشق أنا وعيسى فياض وقابلنا الرائد سليمان في اليوم التالي، فأخذ منا الهويات المدنية، وأعاد إلينا الهويات العسكرية، وقال: نعطيكم إجازة ثلاثة أيام، وسلم كل واحد منا ٣٠٠ ل.س.

في ٣١-١-١٩٨١ ذهبنا إلى مكتب الرائد فوجدنا في مكتبه العقيد

عدنان بركات، والشيخ طه، وتاج الدين محمد، فأخذ العقيد يتحدث نفس الكلام الذي كنا نسمعه منه عن الشجاعة والرجولة والبسالة، وأشار إلى أن العملية تستهدف شخصية بارزة، ستكون ضمن موكب مؤلف من ثلاث سيارات، فواحد منكم يركز إطلاق النار على السيارة الأولى، وواحد يطلق على السيارة الثانية، وبعد شل الحركة تركزان أنتما الاثنين على السيارة الهدف التي هي بين السيارتين، وإذا لزم الأمر تستعملون القنابل، وقبل ذلك عليكما ترك الهويات في البيت، حتى لا يكشفوا أنكما سوريان، وإذا حاولت السلطة الأردنية إلقاء القبض عليكم بعد تنفيذ العملية تطلقون النار على أنفسكم -نطخ أنفسنا-.

بعد أن أنهى العقيد بركات كلامه، قال الرائد سليمان جديد: باستطاعتكم الآن أن تمشوا، ثم أخذ الهويات العسكرية وأعطانا الهويات المدنية، فتوجهت وزميلي عيسى إلى مكتب الكراجات الموحد، وطلعنا بسيارة تكسي عمومي، فوصلنا إلى عمان حوالي الثالثة والنصف بعد الظهر، وذهبنا إلى المنزل، ونمنا فيه حتى الصباح، فطلب زميلي عيسى أن نحضر فطوراً إلى البيت في الساعة التاسعة، وعند العودة، وقبل الوصول إلى المنزل، ألقى رجال الأمن الأردني القبض عليَّ وعلى زميلي عيسى فياض[1].

هـ - كذلك كانت إفادة عيسى إبراهيم فياض خطيرة باعتبار صاحبها كان العنصر الأساسي الثاني في التنفيذ، وهو من مواليد

---

(١) المرجع السابق: خلاصة ما ورد في الصفحات من ١٢ إلى ٤٠ .

١٩٦٠، وأن والده هو إبراهيم حامد فياض، وأمه جميلة صقر، وأنه ترك المدرسة قبل أن يحمل الثانوية، ليعمل مع والده في الزراعة، ثم ليلتحق بسرايا الدفاع في ١٠-٣-١٩٧٩، وهو الآن برتبة رقيب، وذكر أنه التحق بمعسكر القابون في دورة مدتها ٤٥ يوماً، ثم التحق بدورة صاعقة، مدتها ثلاثة أشهر، عاد بعدها إلى معسكر القابون، ليتلقى تدريباً على المظلات لمدة شهر، وأخيراً، التحق باللواء ٤٠ الذي يقوده معين ناصيف صهر رفعت أسد، وكلف أخيراً بحراسة رفعت ضمن المجموعة المؤلفة من ٢٥ عنصراً، كلهم، كما قال عيسى في إفادته، من العلويين، وعندما سئل عن المهمات التي قام بها، ذكر أنه شارك في مذبحة تدمر في ٢٦-٦-١٩٨٠، وسرد تفصيلاتها على غرار ما ذكره زميله أكرم بيشاني من قبل في إفادته، بما في ذلك أسماء المشاركين والضباط الذين ذكرهم البيشاني.

لقد قدر عدد الذين قتلهم في تدمر بخمسة عشر معتقلاً، وذكر أنهم كانوا يجهزون على الجرحى، وقال: لقد استغرقت عملية قتل الإخوان حوالي نصف ساعة في مجزرة تدمر، ثم عدنا إلى دمشق، فشكرنا الرائد معين ناصيف، وحذرنا من إفشاء سر ما حدث في تدمر.

أما المهمة الثانية فهي التي كلفنا بها الرائد سليمان جديد، الذي أعطاني هوية مزورة باسم عبد المنعم فياض، كما أعطى زميلي نزيه بلول هوية باسم نزيه بيضون، وطلب مني أن أقول لرجال الأمن الأردنيين: إنني ذاهب إلى عمان للحصول على دواء للدجاج، لأن

أبي يعمل في مدجنة للدواجن، كما أوصى نزيه أن يقول بأنه يود شراء قطع غيار.

اتجهنا أنا وتاج والشيخ طه ونزيه بسيارة واحدة إلى عمان يوم ٧-١-١٩٨١، ونزلنا في فندق صلاح الدين، ثم انتقلنا إلى فندق سلطان، ثم رجعنا إلى سورية، والتقينا الرائد سليمان، فسأل عن الحدود الأردنية، فقلنا له: ماشي الحال.

وفي يوم ٢٠-١-١٩٨١ طلبني الرائد سليمان، وأمرني أن أرتدي لباساً مدنياً، فلبست، ورجعت إليه، لأجد عنده العقيد عدنان بركات، وتاج الدين، والشيخ طه وأكرم بيشاني، فأعطاني تعليمات بالذي ينبغي قوله على الحدود الأردنية، ثم ذهبنا إلى عمان، ونزلنا في البيت المستأجر بصويلح، والذي حضرت إليه لأول مرة، ثم ذهب عدد من العناصر للاستطلاع، وعادوا إلى المنزل ليلاً.

في صباح ٢١-١-١٩٨١ طلب نزيه نزولنا إلى عمان، ومقابلته في الرابعة بعد الظهر أمام فندق السلطان، فأعطانا نسختين من مفتاح المنزل، وقال: اذهبوا حالاً إلى البيت، وفي اليوم التالي قال لنا: سافروا إلى سورية، واذهبوا إلى الرائد سليمان، فذهبت أنا وأكرم وتاج الدين والعقيد بركات، فالتقيناه في الساعة التاسعة صباحاً يوم ٢٣-١-١٩٨١، فسألت الرائد عن العملية التي سنكلف بها، فقال: بعدين بتعرف، أما العقيد عدنان، فقد ذكر أن العملية هي اغتيال شخص في الأردن دون أن يذكر لنا اسمه، ثم صار يعطينا تعليمات ويقول: أنت معك ١٢٠ طلقة مش لازم تروح سدى، لازم يكون

الرمي دقيقاً، والانسحاب كيفي، والهويات تبقى في المنزل، ثم قال: اذهب إلى المنزل أنت وأكرم في صويلح، فوصلنا البيت حوالي الساعة الثامنة، ثم نزلنا إلى عمان، وعدنا أنا وأكرم إلى البيت، ونمنا فيه، ثم نزل أكرم حتى يجلب لنا فطوراً ودخاناً، فإذا بالمخابرات الأردنية بعد خمس دقائق تلقي القبض علينا وتعتقلنا[1].

ثم تحدث عن المبالغ التي استلمها من سليمان جديد، وذكر اسم الرقيب علي موسى من حراسة معين ناصيف، وأحد الذين رافقوا عبد الحليم خدام وزير الخارجية عندما ذهب إلى مؤتمر القمة في عمان، ثم ذكر أسماء عدد من الذين شاركوا في مجزرة تدمر مثل: الرقيب علي موسى، علوي من حمص، والرقيب همام أحمد من منطقة جبلة، والرقيب علي منصور من منطقة مصياف، والعريف عبد الرحمن هدلان، والعريف نزيه بلول، وبشير قلو، وعلي الموسى، وكلهم قد شاركوا في مذبحة تدمر، وعندما سأل المحقق الأردني عيسى إبراهيم الفياض قائلاً: هؤلاء كلهم شاركوا في مذبحة تدمر، ورافقوا السيد عبد الحليم خدام إلى عمان؟ أجاب: نعم[2].

و - كان دور العقيد عدنان بركات خطيراً، فقد اختاره رفعت من ذوي الرتب المتقدمة، وكلفه بالتخطيط للمهمة الإجرامية والإشراف عليها، وتنفيذها، فكان مع الرائد سليمان جديد يخططان للعناصر المنفذة، ويصدران إليهم التوجيهات، وزاد بركات على ذلك

(١) المرجع السابق: موجز من ص٤٠ وحتى ٥١ .

(٢) المرجع السابق: ٥١-٥٢ .

بالإشراف المباشر في عمان، واصطحاب بعضهم للاستطلاع، وجمع المعلومات التي تساعد وتمهد لعملية الاغتيال في وسط عمان، لشخصية كبيرة مثل السيد مضر بدران رئيس مجلس الوزراء الأردني.

في إفادته التي أدلى بها العقيد عدنان بركات بعد إلقاء القبض عليه، ذكر أنه عقيد ركن من مرتبات سرايا الدفاع، وأنه علوي من مواليد ١٩٤٥ في بلدة القرداحة، وأنه متزوج وله ولدان، ويسكن في دمشق.

يقول العقيد عدنان بركات، إنه انتسب للجيش عام ١٩٦٣، وتخرج من الكلية العسكرية عام ١٩٦٥ برتبة ملازم، وترفع إلى ملازم أول عام ١٩٦٧، ثم إلى رتبة نقيب عام ١٩٧٠، بعد انتقاله إلى سرايا الدفاع، ثم التحق بدورة قائد كتيبة مدفعية، ثم ترفع إلى رتبة رائد عام ١٩٧٣، ثم إلى رتبة مقدم عام ١٩٧٦، والتحق بدورة أركان، وتنقل ما بين الفوج ٦٥ وبين سرايا الدفاع إلى عام ١٩٧٩، إذ عينه رفعت أسد قائداً لقطاع الهرمل في لبنان ضمن قوات الردع العربية، وبعد ستة أشهر عاد إلى سرايا الدفاع قائداً للكتيبة ٤٠٤ التي تتبع حالياً للواء الرائد معين ناصيف. وقال:

جلست في المنزل بدون عمل حوالي ستة أشهر، وإذا بزوجتي تخبرني بعد عودتي إلى المنزل ظهراً بتاريخ ١٩-١-١٩٨١ أن الرائد سليمان جديد سأل عنك، فتحدثت معه بالهاتف، فقال: تعال إلى المكتب الساعة السابعة مساءً لأبلغك تعليمات من القائد رفعت خاصة بك، قلت وما هي؟ قال: سفرك إلى الأردن لاغتيال شخصية مهمة

في عمان هي شخصية مضر بدران.

في صباح اليوم التالي، وفي تمام الساعة التاسعة صباحاً في ٢٠-١-١٩٨١ حضرت ثانية إلى مكتب الرائد في المزة لأجد عنده شخصاً ذكر أنه الدليل، وأنه أحد العناصر في المهمة واسمه تاج، وبعد قليل حضر المقدم سليمان عيسى، وهو ضابط علوي، في قيادة سرايا الدفاع، فقال الرائد سليمان: إن المقدم سليمان عيسى ذهب إلى الأردن قبلك واستطلع، ولديه مخطط مرسوم عليه منطقة سكن رئيس الوزراء الأردني في الشميساني، والطريق المؤدية إلى منطقة رئاسة مجلس الوزراء، ومنطقة رئاسة المجلس، ومداخل المنزل والسيارات التي ترافقه، وأن أنسب الأماكن لتنفيذ عملية الاغتيال هي منطقة رئاسة المجلس.

طلب مني الرائد صوراً لإصدار هوية مدنية مزورة باسم: خالد منصور بزازة، وخلال ساعة جاءت الهوية، وكان في مكتبه شخصان عرفني عليهما قائلاً: هذا أكرم وهذا عبد المنعم، اللذان سينفذان العملية، وهما مدربان، وكان الرائد يعطي التعليمات التي تلقاها من العقيد رفعت، وقد أوضح لي أن الشيخ طه هذا العنصر المدني الثاني استأجر بيتاً في منطقة صويلح، وتم نقل بارودتين وستة مخازن، وسوف يلحق بكم طه اليوم أو غداً، ثم أعطاني ثلاثة آلاف ليرة سورية، ومئتي دينار أردني، وأعطى لكل واحد من العناصر مبلغاً من المال، وزودهم بتوجيهات خاصة باجتياز الحدود، والأسباب التي جاءت بهم إلى عمان، فذهبنا إلى عمان بسيارة أجرة، لنصلها في

حدود الساعة الخامسة والنصف مساءً، فتوجهنا في الحال إلى المنزل في صويلح حيث كان لدى تاج مفتاح للمنزل، وبعد ساعة قمنا بجولة استطلاعية تشمل منزل رئيس مجلس الوزراء، ومنطقة رئاسة المجلس.

في اليوم التالي ٢١-١-١٩٨١ نسخنا عدة مفاتيح للمنزل، وسلمنا كل عنصر مفتاحاً وشاهدنا إحدى سيارات المرافقة تسير باتجاه المجلس، وبعد دقائق قليلة مر موكب رئيس الوزراء المؤلف من خمس أو ست سيارات، فقلت لزملائي: الحماية قوية، وقدراتنا ضعيفة، والعملية انتحارية كما أرى، فأجاب تاج: هذا ما قلته للرائد سليمان.

انتظرنا إرسال تعليمات لنا من رفعت عن طريق الرائد سليمان، ووصول سيارة نستعملها في تنفيذ العملية، فقررنا العودة إلى دمشق، لعدم وصول أحد، ظناً منا أن العملية قد ألغيت في أجواء المصالحة التي نوهت عنها الصحف عبر مؤتمر القمة، وبعد أن تجاوزنا درعا، شاهد تاج زميلنا طه في سيارة متجهاً إلى الأردن، فركبنا معاً، وعدنا أدراجنا إلى عمان، وفي الطريق أخبرنا طه بوجوب بقائنا في الأردن، فطلبنا منه العودة إلى دمشق بسيارته في ٢٢-١-١٩٨١، للتباحث مع الرائد فيما إذا كان قد جرى تعديل أو إلغاء على ضوء أخبار القمة، وعندما التقيناه قال لنا: لم يحدث أي تعديل، وما الذي لديكم حول هذا الموضوع؟ فقلت -أي العقيد عدنان بركات-: والله هذه العملية انتحارية، فأجاب: هل تريدون عناصر إضافية طالما أن العملية

بعنصرين مستحيلة أو عسيرة كما تقولون؟ وينبغي أن يكون القائد رفعت بالصورة.

ذهبت إلى بيتي، ومكثت فيه أسبوعاً بانتظار توجيهات جديدة، لاسيما أن رئيس الوزراء الأردني مضر بدران سيسافر مع الملك إلى الطائف لحضور مؤتمر القمة.

في التاسعة من صباح السبت الموافق ٣١-١-١٩٨١ ذهبنا إلى مكتب الرائد، فقال لنا: جهزنا لكم السيارة بنمرة سعودية، وفيها أربع قنابل، اثنتان دفاعيتان، واثنتان هجوميتان. سبقنا طه في ٣١-١-١٩٨١ إلى عمان ومعه سائق يقود السيارة، ثم يعود، أما أنا -يقول عدنان- فقد أجلت سفري لحضور والدتي من اللاذقية وتوجهت صباح الأحد في ١-٢-١٩٨١ إلى مكتب الرائد سليمان، فذكر لي التعليمات النهائية لتنفيذ العملية، وقال: في صويلح تغيرون اللوحات السعودية بأخرى لبنانية، ويتم تجهيز الرشاشات مع المخازن، وإخراج القنابل من مخبئها، وفي اليوم التالي تقوم بعملية استطلاع ما بين الثانية عشرة والواحدة، ثم يحضر طه العناصر إلى مكان التنفيذ عند تقاطع الشارع الرئيسي بالشارع الفرعي النازل من مجلس الوزراء قبل الإشارة الضوئية. ثم تحدث الرائد سليمان مع العقيد عدنان عن تفصيلات العملية التي تشمل المراقبة والتحرك، وإخراج الرشاشات ساعة وصول الموكب، والشروع بإطلاق النار على موكب الرئيس لاغتياله، ثم يترك القتلة السيارة والرشاشات، ويتوجهون بانسحاب كيفي باتجاه المنزل في صويلح.

يقول العقيد بركات: بعدما استعرضنا التعليمات النهائية لتنفيذ الخطة، وبعد أن سلمني ٣ آلاف ليرة سورية، توجهت باتجاه درعا بسيارة أجرة إلى الحدود الأردنية السورية حيث ألقى القبض عليَّ رجال الأمن الأردني، وبجيبي هوية مدنية باسم خالد محمود بزازة[١].

٦ - لم يكد الأردنيون يعلمون بنبأ المؤامرة الخسيسة التي استهدفت رئيس وزرائهم حتى عمت موجة عارمة من الغضب المجتمع الأردني الذي تحول إلى ما يشبه البركان من الكره والمقت ضد العصابة التي تمسك بخناق سورية والسوريين، فشرع الكتاب والإعلاميون أقلامهم، لتسيل سماً زعافاً ضد الوحوش الكاسرة المتسلطة على قلب العروبة دمشق، والتي أهلكت الحرث والنسل، واستباحت الوطن بكل ما فيه من دماء أهله وأرواحهم وحرماتهم وأموالهم وكل ما يملكون، فكانت أول ردة فعل من الرأي العام ما صدر عن مجلس المنظمات الإسلامية في الأردن، مناشداً الشعوب العربية أن يعملوا على وقف المذابح في سورية، ووضع حد لمأساتها. ثم نشرت جريدة الرأي الأردنية البيان الحكومي في ٨-٣-١٩٨١ الموافق ٢ جمادى الأولى ١٤٠١هـ. والذي جاء فيه: لقد كنا نسمع أخباراً مفزعة تتحدث عما يجري للسوريين من اعتقال، ومطاردة، وهدم منازل، ومصادرة أموال، وتجويع المواطنين، وهتك

---

(١) المرجع السابق، موجز من ص٥١ وحتى ص٦٧ .

أعراض، وإعدام شباب، فكان بعضنا يقول: هذه روايات مبالغ فيها، ولا نظن أن إنساناً يملك ذرة إيمان بالله، أو خلق أو ضمير يفعلها مهما تسعَّرت فيه نزعة الإجرام ووحشية التصرف، حتى إذا سمعنا ما سمع الناس من اعتراف، أدركنا أنه يوجد على ظهر الأرض رجال ليسوا من البشر، وإن كانوا يحملون صورة البشر، وأن الناس مهما استنكروا هذه المجزرة، وبأي صورة أعربوا عن مشاعرهم تجاهها، فسوف تظل مذبحة تدمر أقسى من الاستنكار، وسوف تبقى وصمة عار تتداول قصتها الأجيال المتعاقبة إلى يوم الساعة، وسوف يضمها التاريخ إلى مذابح الصليبيين والتتار، وإلى مذابح دير ياسين وكفر قاسم وغيرها.

إننا نناشد الملوك والرؤساء العرب أن يتخذوا موقفاً يفرضه عليهم إيمانهم بالله ورسوله واليوم الآخر، لوقف المذابح في سورية، ووضع حد للتآمر والتخريب ضد الأردن ورجاله، ونذكرهم بحديث رسول الله ﷺ: من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، كما وجهت المعارضة السورية إلى الأردن عبر المجلس الوطني الاستشاري -البرلمان- تحية إعزاز وإكبار من شعب سورية الأبي عبر المجلس الوطني الاستشاري في الأردن الشقيق إلى الشعب الأردني الذي نجاه الله من كيد السفلة المجرمين.

٧ - تتابعت المقالات التي ملأت أعمدة الصحف تترى، وتسيل فيها الأقلام دمعاً ودماً، على ما يحدث للسوريين والأردنيين والفلسطينيين واللبنانيين من مآس تقشعر منها جلود من يسمع عنها أو

اطلع على أحداثها وتفاصيلها، وكان ضمن من كتبوا وتكلموا:

أ - الأستاذ عبد المجيد شريدة كتب مقالاً قال فيه: إن مياه الفرات، وأمطار السماء، ومخزون الأرض لا يكون في مقدورها، غسل اليد المجرمة من دماء الشهداء من أبناء سورية في حمص وحماة وحلب.. إلخ. إن مجزرة دير ياسين كانت أقل عنفاً وحقداً من مذبحة سجن تدمر، إن الأولى كانت من فعل بيغن الصهيوني، فمن يكون فاعل الثانية؟ الله أكبر، الله أكبر، كان هذا النداء هو سلاح الشهداء في سجن تدمر، واجهوا به وحوش الأرض، وهم يحصدونهم بالمدافع والقنابل.

ب - وقال الأستاذ عبد الرؤوف الروابدة الذي أسند له منصب رئيس الوزراء فيما بعد، قال دولته: ما أقساها على النفس لحظات، يقف الإنسان فيها ينعى الرجولة حين تلجأ سلطة عربية مسؤولة إلى الجريمة المنظمة، وسيلة لإسكات الرجال الذين يأبون أن يناموا على ضيم، ويرفضون أن يسلكوا سبل العمالة المستأجرة.

ج - أما الأستاذ خالد الفياض فكتب يقول: هل حقاً يوجد في سورية دولة أو عصابة؟ هل يوجد في سورية رئيس وزراء، ووزراء، ومجلس شعب، وقيادة قطرية، وقيادة قومية؟ أم أن سورية محكومة بسرايا الدفاع من العصابة العلوية الانعزالية؟ وناشد الفياض القيادات العربية شجب الممارسات السورية مهما كان مصدرها.

د - وقال السيد شمس الدين طاش: إن ما سمعناه وشاهدناه من اعترافات أفراد العصابة التي كلفت باغتيال الرئيس بدران، وما تحدث

به أفراد العصابة عن المجازر التي ترتكب في سورية، يجعلنا نقول: كان الله في عون إخواننا في سورية، فهم مغلوبون على أمرهم، لكن الله تعالى بحوله، لن يترك ظلام ليلهم يطول، إنها جولة الباطل التي سوف تسحقها جولة الحق.

وأردف الأستاذ شمس الدين قائلاً: ضابط صغير، ولأنه زوج ابنة رفعت شقيق حافظ أسد، يتولى حبك المؤامرة وإعطاء الأوامر، وتوزيع الأدوار على أفراد العصابة، مع أن فيهم ضابطاً أعلى منه رتبة، لكن رتبهم لا تخولهم حق مناقشة خطة المؤامرة، بل يسكتهم الضابط، أي يسكت الرائد منهم العقيد، قائلاً: هذه أوامر القائد، ثم يقول هذا الضابط للعصابة: اقتلوا رئيس وزراء الأردن، وانشروا الرعب والذعر في شوارع عمان، بالرشاشات والقنابل كما فعلتم في سجن تدمر.

هـ - أما الدكتور إسحاق مرقة رئيس نقابة الأطباء في الأردن، فقد أنذر الأمة جمعاء قائلاً: إن عمان اليوم تطلق صيحة النذير حول الخطر الذي يتهدد الأمة في فلسطينها ومكتها، في دينها وكرامتها، خطر لا كالخطر اليهودي المكشوف، إنما خطر يحيق بالعالمين العربي والإسلامي، ويلبس مسوح الوطنية، ورداء القومية، وإذ أستنكر، ليس محاولة الاعتداء على حياة السيد مضر بدران، وإنما الاعتداء على كل طفل، وكل أم في هذا العدوان، والذي لا يقف في وجهه وتجاه مخططاته إلا عقيدة قوية، وإيمان صادق، ودين سمح، ومن واجب هذه الأمة حكاماً ومحكومين أن يعلنوا ويبرزوا الهوية

الواضحة لأمتنا في إطار البناء والعطاء.

و - وناشد الدكتور يعقوب أبو عيسى الأمة العربية أن تنظر في الأعمال التي تقوم بها الطُغمة الحاكمة في دمشق، لكي يظهر لها جلياً أن هذه الأعمال، إنما هي عمالة لخدمة العدو الذي أصبح الجميع بفضلهم -بإجرامهم- عنه لاهين، حيث هيأ نظام الحكم السوري جنوبي لبنان ليكون مسرحاً لشن الهجمات العسكرية الصهيونية، وقال الدكتور يعقوب: لقد أرسلوا تلك الطغمة المجرمة لتقوم بأعمالها الإجرامية التي خططت لها رؤوس عفنة، وأدمغة مأجورة، وكان همهم الاعتداء اللئيم على حياة دولة الرئيس، ونحمد الله أن سخر لنا في بلدنا جهازاً ساهراً على أمنه، فكشف هذه المؤامرة وغيرها، ثم قال الدكتور يعقوب: سحقاً للرؤوس الخفاشية التي دبرت في الظلام، كما دبرت ونفذت القتل بخسة وجبن فيما يقرب من الألف سجين أعزل في سجن تدمر، بأقل من نصف ساعة.

ز - وخاطب السيد جمعة حماد المواطنين في الأردن قائلاً: أيها الإخوة: منذ زمن بعيد خاطب المعري حكام سورية بهذه الكلمات:

مُلَّ المقام، فكم أعاشر أمة   أمرت بغير صلاحها أمراؤها

ظلموا العشيرة واستباحوا كيدها   وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

ترى؟ ماذا يقول المعري لو بُعث حياً هذه الأيام؟ ماذا يمكن أن يقول عما يحدث في بلدته ومسقط رأسه -معرة النعمان- ومدينة تدمر، وأخواتهما في حلب وحمص وحماة ودرّة العروبة دمشق

الفيحاء؟ ماذا يمكن أن يقول أبو العلاء لو قدِّر له أن يفلت من التصفية الجسدية؟ ماذا يمكن أن يقول أكثر من أن الظلم الذي ذكره في كلماته قد تبلور في المذابح الجماعية، وفي هدم البيوت على رؤوس أصحابها، وفي تحويل الأوطان إلى سجون كبيرة بالأساليب ذاتها؟ وبنفس الأساليب القديمة التي مارسها القرامطة؟ ولكن بأسلحة العقد الأخير من القرن العشرين.

إنني أعتقد بأن الأمر في غاية الجد، ولا عذر فيه لغافل أو متخاذل، ولا مكان فيه لمثلنا العربي القديم: انجُ سعد فقد هلك سعيد، لأن نجاة سعد هي في ثباته وصموده وأخذه العبرة من هلاك أخيه، فهذه المجموعة التي ينتهي إليها أمر الناس في دمشق، قد دمت واستدمت، ولن يكفوا عن تدمير حتى يُدمروا(١).

٨ - استمر المجتمع الدولي المتمثل بالقارتين الأوربية والأمريكية في الدرجة الأولى بالتستر على جرائم النظام القمعي لحكومة الأقلية في سورية، فلم يصدر عن أمريكا أو فرنسا أو إنكلترا أي شجب أو إنكار، بل كانت كلها، ضمناً، راضية بما يحدث، طالما أن هكذا سياسة هي في سحق للعرب وللمسلمين، وهذا ما شجع النظام القمعي على الاستمرار في اقترافه الجرائم والإمعان في القتل وفي حمامات الدم، والتطاول على الحكومات المجاورة، وعلى المنظمات والهيئات في خارج الوطن، ومن ذلك:

---

(١) مجلة النذير العدد ٣١ ص٣٠ - ٣٢ .

القنبلة التي وضعها عملاء النظام السوري في مقر جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت، وكان مقدراً لها أن تقتل العشرات لولا لطف الله تعالى الذي أحبط كيدهم، وأبطل مسعاهم، فاكتشفت القنبلة قبل الانفجار، وقد لفت نظر المتتبعين للقضية اشتراك أعضاء السفارة السورية في الكويت، بالتخطيط للعملية وتنفيذها، مستغلين الصفة الدبلوماسية التي يتسترون بها، ويحتمون بما يفعلونه من جرائمها بحصانتها، فأحالت السلطات الكويتية على محكمة أمن الدولة المتهم الأول: فواز فرحان العلاوي الذي ذكر أنه غيّر مهنته من فراش مدرسة إلى إمام مسجد في جواز سفره في السفارة السورية، عن طريق موظف السفارة عزيز ديوب، وقد كشفت المحكمة أو ضابط المباحث للمحكمة عن تحرك محمد يوسف درغام الذي يتحرك بسيارة دبلوماسية، ولديه علاقات مع ضباط أمن السفارة، عزيز ديوب ومحمد أحمد الخطيب، وأنه يجمع المعلومات عن المعارضة السورية، وكذلك فإن المدعو فواز فرحان العلاوي الملقب بالشيخ عطية له علاقة بالضابطين المذكورين، وهو يجمع معلومات عن الإخوان المسلمين في الكويت، وعن جمعية الإصلاح، ويقدمها إلى عزيز ديوب ومحمد أحمد الخطيب، أفاد المتهم فواز بأن الخطيب عرض عليه تأمين المعيشة وشراء منزل في سورية مقابل وضع القنبلة في الجمعية، وأن محمد الخطيب رافقهم بالسيارة، وسلمهم القنبلة من الصندوق الخلفي، وهو الذي يتمتع بالحصانة الدبلوماسية، ولا يجوز تفتيش سيارته أو منزله وزعم المتهم أنه رفض المهمة في

البداية، ولكن الخطيب ودرغام شهرا سلاحهما في وجهه، وهدداه بالتصفية إن توقف عن التنفيذ.

٩ - تتابعت بيانات الاستنكار ضد جرائم النظام السوري ضد المواطنين، وضد الإمعان بعمليات القتل والاغتيال، فأصدر اتحاد المنظمات الإسلامية في أوربا بياناً مطولاً جاء فيه: إن اتحاد المنظمات الإسلامية في أوربا الذي يراقب باهتمام بالغ تدهور أوضاع المسلمين وتفاقم رزاياهم في البلد العربي الإسلامي العريق سورية، ليؤلمه هذا السكوت المعيب من جانب إخوانهم المسلمين، فلا يكاد ينقضي يوم إلا ونسمع عن مزيد من الأبرياء قتلوا، ومزيد من الأعراض استبيحت، ومزيد من الحرمات انتهكت، ومزيد من الأيامى، ومزيد من الثكالى، ومزيد من الظلم والتنكيل والتمشيط والتدمير والتصفية الجسدية، لأبناء الشعب المسلم على يد حافظ أسد وأخيه قائد سرايا الدفاع، وأعوانهما الطائفيين المتسلطين على رقاب المسلمين في سورية.

إن نظام حافظ أسد قد جرّ على المسلمين في سورية، وفي المنطقة كلها من الخطوب ما يطول الحديث عنه، فالجميع يذكر بيعه وتسليمه لمنطقة وجبهة الجولان الحصينة لأعداء الله والمسلمين عام ١٩٦٧، وتسليمه للعدو الصهيوني مزيداً من الأرض والقرى عام ١٩٧٣

إن المتتبع لتاريخ هذا الطاغية السفاح يدرك تماماً الدور الذي يقوم به في إقصاء الإسلام من الساحة في هذه المنطقة الحساسة، أما حزبه

أو من شـايعه من حـزبه الذين بـاعوا أنفـسهم بثـمن بخس ومـكاسب عاجلة، فما يزال يتفنن في إشاعة الفساد والتهتك بين شباب المسلمين وذلك بإجـبار الشبـاب والفتيـات على الاختـلاط في المخيـمات ذات النشاطات المتحللة.

إن الذي يحز في نفوس المسلمين ليس هذا التأييد الذي يحظى به حافظ أسد من أعـداء الإسلام، وإنما هذا الدعم المـادي الهائل الذي يتلقاه من حكومات بعض الشعوب العربية والإسلامية.

إننـا ندين بشـدة تقـديم أي دعم لـحكومـة حافـظ أسد من أمـوال العرب والمسلمين(١).

لقد أدت سـياسة حافظ أسـد الهدمية والـقمعية إلـى بث الخوف، وانتشار الرعب بين المواطنين، الأمر الذي أدى إلى نزوح أعداد كبيرة من العلماء والمثقفين إلى خـارج الوطن، وانتشارهم في البلاد العربية والإسلامية، وفي الـقارتين الأوربية والأمريكية حتـى إن جريدة البعث الرسمية نشرت بتـاريخ ١٧-٣-١٩٨٠: أن ١٤٠٠٠ خريج جامعي قد غادر سورية خلال السبعينيات وأن ٥٦٦٨ طبيباً ومهندساً وعالم طبيعة وعالـم اجتمـاع تركـوا سورية إلى أمـريكا من عـام ١٩٧٠ وحتـى عام ١٩٧٥، أي في الـسنوات الخـمس الأولـى من حكم الـطاغـية حـافظ أسد(٢).

---

(١) مجلة النذير العدد ٣٤ ص٢٦ -٢٨.

(٢) مجلة النذير العدد ١٤ ص٣١.

ترى؟ هل ترك حافظ أسد أمراً يؤذي المسلمين ولم يقدم عليه؟ فعندما احتل السوفيات أفغانستان، أنكر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها هذا الاحتلال، ومدوا أيدي المساعدة للشعب الأفغاني، وطالب المؤتمر الإسلامي باسم أكثر من خمسين حكومة برحيل السوفيات، إلا حافظ أسد فإنه اعتبر أفغانستان بلداً شيوعياً، وجزءاً من السوفيات، وقال: من وجهة نظرنا فإن أفغانستان ليست بلداً إسلامياً، بل هي بلد شيوعي، وإذا كنتم لا تقرون بهذا الأمر، فأولى بنا أن لا نقر بالجمهوريات الإسلامية الموجودة داخل الاتحاد السوفياتي.

إن هذه الفقرة مجتزأة من خطاب حافظ أسد أمام مؤتمر الحزب الحاكم الثالث عشر(١).

إن سكوت العرب عن جرائم حافظ أسد، وإمداد بعض دول الخليج بالأموال للطاغية، وكأنها مكافأة له على ذبح دعاة الإسلام، وتستر دول العالم على جرائمه، بما في ذلك عدد من المنظمات التي تزعم أنها معنية بالدفاع عن حقوق الإنسان، جعل الطاغية يتمادى في طغيانه، ويصعد من جرائمه، ويمعن في قتل دعاة الإسلام بكل الأساليب داخل السجون وخارجها، حتى بلغت مأساة السوريين المنتهى بمذبحة حماة الكبرى وهدم شطر كبير من المدينة وإحراقها، كما فعل نيرون في روما، عندما أشعل فيها النار، وأحرقها، ليتمتع بمرأى ألسنة النيران في منازل روما وأحيائها، مع فارق واحد، بين

---

(١) مجلة النذير العدد ٣٠ ص٤٢ . .

نيرون والأسد، وهو أن نيرون أحرق روما بعدما أخرج منها أو خرج منها أهلها، أما الطاغية حافظ أسد ابن العلقمي الثاني فقد أحرقها بسكانها، وهدم أبنيتها على رؤوس سكانها.

ثانياً: نكبة حماة الكبرى

من المفيد إن لم يكن من الواجب التعريف بمدينة حماة وتاريخها وجغرافيتها بإيجاز قبل أن تحل بساحتها هذه الكارثة الماحقة أو النكبة التاريخية الكبرى، ليدرك القارئ، وتعلم الأجيال، ولاسيما أبناء المدينة، عظم الكارثة التي ألحقت بمدينة أبي الفداء، وكم كان حجم نكبتها، وحجم الأحقاد التي حملت الطغاة على هدم هذا الصرح التاريخي العتيد.

أ - تقع مدينة حماة في وسط سورية، وتبعد عن دمشق حوالي ٢٠٠كم نحو الجنوب، وعن حمص ٤٧كم جنوبي حماة، و١٣٥كم عن حلب، باتجاه الشمال، وعن بانياس ٩٧كم باتجاه الغرب، ويمر بها نهر العاصي، وتحيط بها سلسلة من التلال في الشرق والشمال والجنوب، وتقوم في وسطها قلعتها التاريخية العتيدة.

حماة مدينة أثرية، يعتبرها بعض علماء الآثار من أقدم مدن العالم، فيها الكثير من المساجد والكنائس والقصور والحمامات والزوايا والتكايا للعباد والزهاد، وفيها الخانات والأسواق المسقوفة والمكتبات، والنواعير، حتى إن المدينة اشتهرت بمدينة النواعير.

لقد عثرت البعثة الأثرية الدانماركية عام ١٩٣٨ على مكتشفات في

حماة تعود إلى العصر الحجري في الألف الخامس قبل الميلاد، ويقال إن اسمها مأخوذ من اسم النبي حام المدفون في حماة، مع تفسيرات أخرى لاسم المدينة.

أ - حكمها الأموريون عام ٢٦٠٠ ق.م، ثم توالى على حكمها السومريون فالأكاديون، وفي عام ٢٠٠٠ ق.م ملكها الحثيون، فازدهرت في عهدهم، ثم اجتاحها الهكسوس عام ١٧٥٠ق.م، فحكموها حتى استولى عليها الآراميون عام ١١٠٠ ق.م.

في عام ٨٥٤ ق.م غزا الآشوريون حماة، ثم جاءها الكلدانيون فالفراعنة عام ٦٠٧ ق.م، كما حكمها نبوخذ نصر ثم قورش الفارسي الذي أحرقها، ثم خضعت للإسكندر المقدوني عام ١٣٣ ق.م، ثم لخلفائه من السلوقيين، فاستعادت في ظلهم ازدهارها ورقيها الزراعي، بابتكار النواعير، فصارت النواعير سمة المدينة وعنوانها.

وفي عام ٦٤ ق.م وقعت حماة تحت الحكم الروماني الذي استمر في حكمها حتى عام ٦٣٨م - ١٧هـ - حيث انضوت تحت الحكم العربي الإسلامي صلحاً مع الفاتح الجليل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فقد توجه جيش الرسالة الإسلامية إلى سورية عام ١٥هـ بقيادة أبي عبيدة، ومعه قادة الفتح، وفي مقدمتهم أبو سليمان خالد بن الوليد، فخاضوا معارك كثيرة في سورية بدءاً من دمشق التي دخلوها صلحاً من إحدى جهاتها، وحرباً من جهة أخرى، ثم دخل أبو عبيدة حمص فتحاً، ودخل حماة صلحاً في عام ١٧هـ،

ومما يسترعي الانتباه أن جميع المدن السورية الكبيرة قاومت المسلمين ولاسيما مدينة حلب ذات القلعة الشهيرة الحصينة، إلا حماة فقد فتحت للجيش الإسلامي أبوابها وقلوب أبنائها دونما قتال أو مقاومة، وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإن حماة كانت شديدة الوطأة على الغزاة والمحتلين في كل عهودها، فقد قاومت الصليبيين، وهزمت جيوشهم، وتصدت للمغول في العصر الوسيط، وانقضت على الفرنسيين في العصر الحديث، وكسرت شوكتهم في معارك الاستقلال عام ١٩٤٥، ولم يستطع الصليبيون دخولها على مدى ٤٢٠ سنة (ابتدأت الحرب الصليبية عام ١٠٨٩ وانتهت عام ١٥٢٢م في رودس التي كانت آخر معارك الصليبيين).

ب - ما الذي جعل حماة لينة وديعة مع المسلمين، وصلبة شديدة المراس على الأعداء الطامعين؟

بعد الهجرات العربية من الجزيرة إلى العراق وبلاد الشام استقرت قبيلة قيس في حماة، وغلبت في أعدادها وطابعها على سكانها، فأهل حماة يعودون في أصولهم إلى القيسية، وقد جاء في مجمع الزوائد ما رواه الطبراني في الكبير والأوسط عن رجال ثقات، وما جاء في المعجم الوسيط والمعجم الكبير عن غالب بن عبد الله بن أبجر أن الرسول ﷺ قال: إن قيساً فرسان الله في الأرض، إنما قيس بيضة أهل البيت، إن قيساً ضراء الله -يعني أسد الله- أهـ[1] أو كما قال

(١) مملكة حماه الأيوبية للمؤلف ١٦-١٧ .

ﷺ الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة، فالخير في أمة محمد ﷺ في بلاد الشام كلها، وفي مصر والجزيرة والعراق، من العرب ومن المسلمين في كل بقاع الأرض، فسوف تظل منهم طائفة ظاهرة على الحق إلى يوم القيامة، بمشيئة الله تعالى وعونه.

وفي فترة الحروب الصليبية وقفت حماة سداً منيعاً في وجوه الغزاة -كما رأينا- فلم يتمكنوا من دخولها، وارتدت جيوشهم في المعركة التي دارت رحاها خارج أسوار المدينة عند قرية -الرقيطة- غربي المدينة.

ج - وعندما استفحل خطر الباطنية أو الحشاشين، وخطر حركات التمرد ضد الدولة الأيوبية حيناً، وضد دولة المماليك حيناً آخر، كان للمدينة موقف إيجابي ساهم في وأد حركات التمرد والنزاعات الداخلية.

ففي التاسع من رجب سنة ٦٦٩هـ حاصر السلطان الظاهر بيبرس قلعة الحصن، فالتحق به صاحب حماة في هذا الحصار، ثم استولى السلطان على حصن القليعة من حصون الإسماعيلية، وأبرم اتفاقاً مع صارم الدين الذي سرعان ما نقضه بعد عودة الظاهر إلى القاهرة، وطرد نائب السلطان عز الدين العديمي من مصياف، فأرسل السلطان بيبرس معالي بن قدوس على خيل البريد، ومعه نجم الدين الكنجي إلى حماة يحمل أمراً بالتوجه إلى مصياف، فخرج ملك حماة المنصور الثاني على رأس قواته ومعه عز الدين العديمي، فغادرها صارم الدين إلى القليعة، فاستلم المنصور مصياف، وأعاد عز الدين

والياً عليها، ثم اعتقل المنصور صارم الدين بأمر من السلطان، وبعث به إلى القاهرة.

توفي الملك الظاهر عام ٦٧٧هـ فانتقل الحكم إلى ولي عهده السعيد بن ظاهر، فقام للتو بالهجوم على بلاد السيس، وبصحبته المنصور صاحب حماة والأمير سيف الدين قلاوون الصالحي، غير أن قلاوون قائد الجيش أبعد السعيد ونصّب أخاه بدر الدين، ثم استلم السلطة وسمى نفسه بالملك المنصور تيمناً بالمنصور ملك حماة، كما ذكر قلاوون نفسه للمنصور، وعندما أعلن سنقر العصيان في دمشق، قمع قلاوون حركته بسرعة فهرب إلى الرحبة مستنجداً بأبغا بن هولاكو، لكن قلاوون أصلح ما بينه وبين سنقر، ليتفرغ لملاقاة أبغا ابن هولاكو الذي شنّ هجوماً على الشام، فتصدى له قلاوون ومعه المنصور صاحب حماة، وسنقر الأشقر، ونشب قتال بين الطرفين فكان النصر حليف المسلمين(١).

د - كثيراً ما شهدت بلاد الشام خلافات بين منطقة وأخرى، وبين قبيلة وقبيلة، بل وفي داخل البيت الواحد، كما حدث بين الأيوبيين أنفسهم، حتى إن بعضهم سلم القدس للفرنجة دون قتال جراء المنازعات، كما فعل السلطان الكامل الذي سلم القدس عام ٦٢٦هـ - ١٢٢٨م، لتبقى في أيدي الصليبيين إحدى عشرة سنة، ثم استعادها منهم الملك الناصر داود ملك الكرك، ثم أعاد السلطان الصالح ملك

(١) المرجع السابق: ٣٦-٣٧ .

دمشق إسماعيل بن العادل تسليم القدس عام ٦٤١هـ بعد أن أقاموا فيها عاماً واحداً، والشيء نفسه حدث بين الأمراء المماليك، فكثيراً ما انضم بعض الولاة إلى الأعداء أو أعلنوا التمرد، أو أحدثوا انقسامات في السلطة شجعت العدو على الهجوم أو التحالف مع طرف ضد آخرين. وعلى العكس من ذلك، فلم يحدثنا المؤرخون في كل المصادر الموثوقة والمعتمدة أن مملكة حماة الأيوبية قد دخلت صراعاً فيما بين أمرائها، أو فيما بين الممالك الإسلامية في بلاد الشام، أو في مصر، وعندما كان يحدث خلاف كانوا يعالجونه بالصبر والأناة تجنباً للصدام والاقتتال، كالذي حدث بين الملك المنصور وبين أخيه الذي وضع يده على الحكم في غياب أخيه المنصور ولي العهد، إذ انتظر تسع سنين حتى استرد السلطة دون صدام، لتعود المياه إلى مجاريها بين الأخوين، والشيء نفسه جرى مع أبي الفداء الذي صبر وصابر على قسوة بعض الولاة الأربعة الذين حكموا المملكة إحدى عشرة سنة حيث كان يقيم في دمشق، تجنباً للفتنة حتى عاد الأمر إلى نصابه[1].

هـ - والخلاصة أن هذه المملكة التي وصفها سلاطين الأيوبيين وسلاطين المماليك بالمباركة، كانت عامل استقرار في بلاد الشام وفي السطلة كلها، أمضت تاريخها في رباط دائم، واستنفار مستمر، ومطاردة للأعداء، والاشتراك بكل المعارك الحاسمة طيلة أيام الحملات الصليبية (مثل معركة عكا ومدن الساحل وطرابلس وحطين

---

(١) المرجع السابق: ٣٧-٣٨ .

وعين جالوت والمنصورة في مصر) وتحرير المدن والأقاليم من براثن الصليبيين، ونأت بنفسها عن النزاعات فيما بين أمرائها وبين الآخرين، واعتمدت سياسة دائمة لم تحِد عنها، وهي وحدة مصر وسورية، سواء أكان الحكم فيها للأيوبيين أم المماليك، وساهمت بجدية وجدارة وحزم بقمع حركات التمرد والانقسام، مما كان له أكبر الأثر في التصدي للأعداء، وعلى كل الجبهات من صليبيين ومغول وأرمن، وفي أخطر مراحل التاريخ العربي والإسلامي، وإحراز أعظم الانتصارات، وتحرير البلاد، وإنقاذ العباد من رجسهم وظلمهم.

والقصد من نشر هذا التعريف بمدينة أبي الفداء، وبهذه الصحائف الغر، هو تفسير ما حدث لحماة من هدم، وانصبَّ عليها من ضغينة وحقد، انتقاماً منها للصليبيين وللحشاشين والغزاة الآخرين من جهة، ولتطلع الأجيال الصاعدة على ما سطره الأجداد من بطولات وأمجاد في صراعهم مع الغرب الذي رمى البلاد العربية والإسلامية بكل دوله (فرنسا وإنكلترا وأسبانيا وألمانيا وإيطاليا والنمسا وغيرها) عن قوس واحدة، ومع الشرق المغولي فقد زحف المغول على بلادنا كالجراد المنتشر، فواجه الأجداد هذا كله، بالإيمان المطلق بالله، والتسليم لمشيئته، والاعتماد على قوته وقدرته، وبالاستعداد الكامل للمواجهة، وإحياء شعيرة الجهاد التي بها نكون أعز الأمم، وبالتخلي عنها وطي رايتها نكون أضحوكة الأمم وأذلها، وألعوبة بأيدي طغاتها، وبالوحدة بين شعوب الأمة الإسلامية وبين أقطارها، ولاسيما بين مصر وسورية، ومعهما العراق والجزيرة العربية وشمالي إفريقيا وبقية أرض

الإسلام، فهل يعيد التاريخ نفسه، بالنسبة لأمتنا انتصاراً، كما يعيده بالنسبة لأعدائنا خذلاناً[1]؟ وصدق الله العظيم : ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض، إلا تفعلوه (تجتمعوا على الحق كما يجتمعون على الباطل) تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾[2].

٢ً - استهلت حماة تاريخها الحديث بانتفاضات شعبية ضد الفرنسيين، وقدمت مواكب الشهداء من فلذات كبدها وخيرة رجالها على مدى ربع قرن، ولاسيما في عام ١٩٢٥ يوم شاركت بالثورة السورية بجانب غوطة دمشق وجبل العرب، وشمالي سورية، وفي معظم المدن السورية، فقصفها الفرنسيون بالطائرات، وفرضوا عليها الغرامات، ولكنها ثارت من الاستعمار الفرنسي عام ١٩٤٥ حين أرهقت قوات الاحتلال، وأنزلت بها خسائر كبيرة حتى قال قائد الجيش البريطاني الثامن سبيرس عندما دخل سورية ليوقف العدوان الفرنسي: لقد أنقذنا المدن السورية من بطش الفرنسيين، وأنقذنا الفرنسيين من سكان حماة المجاهدين، وقد أورد هذه الرواية عدد من المصادر التاريخية ومنها مذكرات أكرم الحوراني في مجلداته الأربعة عن مشاهداته وذكرياته. كما أوردها عدد من الساسة السوريين الوطنيين المخضرمين، وكان منهم الأستاذ رئيف الملقي فقد سمعته يذكر ذلك على رؤوس الأشهاد في احتفالاته العامة الانتخابية.

ثم كان استقلال سورية في ١٧-٤-١٩٤٦ بداية لعهد جديد

(١) المرجع السابق: ٣٨-٤٠ .

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٧ .

ومحصلة لكفاح مرير أثمر استقلالاً ناجزاً غير مشروط، وحرية تامة في حياة سورية السياسية في العصر الحديث، والانعتاق من كل أنواع التبعية الفكرية والاقتصادية والسياسية، فظل هذا الجهاد في تصاعد حتى انتهى إلى قمة الصراع مع الطاغية حافظ أسد، ذلك السفاح الذي أمر بإحراق مدينة أبي الفداء وتدميرها على رؤوس ساكنيها، كما فعل من قبل الطاغية الفارسي قورش، والطاغية المغولي هولاكو، غير أن ما فعله السفاح حافظ أسد في سورية، ولاسيما في مدينة حماة، فاق جرائم قورش وهولاكو، بما أنزله بها من دمار وخراب وسفك دماء المواطنين، وتمثيل بأجسامهم وبأبنائهم بصورة تقشعر من هولها الأبدان كما سيأتي ذلك في سياقه.

أ - في عهد الانتداب الفرنسي ظلت حماة شوكة في حلق الفرنسيين، واستمرت تصارعهم مع شقيقاتها المدن السورية وتقاومهم، فعاقبت فرنسا حماة، وحرمتها من كل أسباب التطور والتنمية، وتركتها مدينة ريفية زراعية، ومنعت عنها بناء المصانع والمؤسسات الصناعية، وبعض الدوائر ذات الصلة بخدمات المواطنين، لذلك لم يكن غريباً أن يجد نظام الأقلية الأسدية في حماة عقبة أمامه، وقد أدرك الغربيون ذلك، ومنهم كوبلاند عضو المخابرات المركزية الأمريكية، وصاحب كتاب: (لعبة الأمم) الذي قال: إن سورية تشكل مصدر تعب للإمبراطورية الأمريكية، إذ كانت ترفض المساعدات والدخول في الأحلاف مثل حلف بغداد، والحلف المركزي، وسورية الكبرى، والهلال الخصيب، ومبدأ أيزنهاور،

والنقطة الرابعة. . إلخ وتناصر الشعوب الضعيفة، وتقدم المساعدات للأشقاء، لينالوا استقلالهم، فحاول الأمريكان والإنكليز: على ما بينهما من تنافس، تعطيل دور سورية، مجربين كل الوسائل، وفي مقدمتها الانقلابات العسكرية، فلم يحققوا ما يريدون، حتى وقعوا على ضالتهم بالاعتماد على إثارة النزاعات والصراعات الطائفية، فجاؤوا بهذا الحكم الطائفي، لينهوا به دور سورية الوطني والعروبي والإسلامي الذي عرفت به على مدار السنين.

ب - ولما كانت حماة تشكل عقبة في وجه هذا المخطط الرهيب، كان متوقعاً ما قالته التقارير المتسربة عن مؤسسات النظام السوري، من أن حافظ وطغمته، يبيتون شراً لهذه المدينة، وسوف يطالع القارئ في هذه الأوراق مضمون القرار الإداري الذي أصدره مجلس الأمن الأعلى، قبل تنفيذ مأساة حماة بشهرين، والقاضي بإطلاق يد رفعت شقيق حافظ وشريكه، وأن يكون مسؤولاً عن الحكم العرفي، وتسليمه ١٢ ألف عنصر من سرايا الدفاع لشن حملة على مدن الشمال، وتطهيرها من المعارضين، واعتبار مدينة حماة منطقة عمليات أولى. كما فوضه المجلس أو الحكام البغاة بقتل خمسة آلاف مواطن حموي من دون الرجوع إلى موافقة مسبقة، وسمّوا له مئة أسرة يستطيع إبادتها، وسمحوا له بالقتل الكيفي والعشوائي الذي لم يكن غريباً عن مسلك حافظ أسد ومن معه من البغاة، ولكنه في هذه المرة يستند إلى قرار صادر عن قيادة السلطة الطاغية.

لقد أسفرت النيات الخبيثة عن وجهها الكالح عبر عمليات التمشيط التي هي اسم مخفف لانتهاك حرمات المدن والبيوت والأسر الكريمة.

وسوف تتضح المؤامرة الدنيئة حين يطالع القارئ حجم قوات الجيش والأمن التي كانت مرابطة في المدينة، من مخابرات عسكرية، ومخابرات أمن الدولة، والشعبة السياسية.. إلخ وإقامة اللواء ٤٧ المدرع في ضاحية المدينة، وترك اللواء ٢١ الميكانيكي ثالث أيام الأحداث، للتدخل في هدم المدينة، وقتل سكانها، وهذا اللواء جزء من الفرقة الثالثة التي مشطت مدينة حلب، وعاثت فيها فساداً عام ١٩٨٠.

كان البيت الواحد في حماة يفتش أكثر من عشر مرات، لا يكاد يخرج جنود هولاكو حتى يدخلوا إليه مرة أخرى.

تضامنت المدن الأخرى مع حماة في مأساتها، فحاولت مدينة حلب أن تعلن عن إضرابها، فهددتها السلطة بالقصف والهدم على لسان قاضيها نهاد القاضي. وكذلك حاولت دمشق الإضراب تضامناً مع مدينة حماة، فاستدعى الطاغية إلى القصر الجمهوري أعضاء غرف التجارة، وهدد كل من يغلق دكانه بالمصير نفسه، علماً بأن المحتل الأجنبي لم يكن يجرؤ على مثل هذا الإرهاب.

وبعد هدم المدينة وقتل عشرات الألوف من سكانها، ساقت السلطة أبناء القرى العلوية في تظاهرة تأييد لحافظ أسد، فيما أحدثه من إجرام، ودخلوا المدينة يرقصون على جراح شعبها، ووقف ممثل

الطاغية يقول: هـؤلاء أبناء حماة، يحتفلون بهدم مديـنتهم، ويرقصون على جثث أبنائهم، فهل عرف التاريخ مثل هذا الصنف من البشر، أو مثل هذه الصفاقة؟!!

لقـد ذكر المراسـلون الأجانب أن حـماة أضـحت كأنقـاض بعض المدن الألمانية عقب الحرب العالمية الثانية.

ج - بعد أن اغتصب الطاغية حافظ أسد الحكم كما رأينا بانقلاب عـسكري فـي تشريـن الثـاني عـام ١٩٧٠، واستـولى علـى السلـطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وأجرى استفتاءً صورياً، وعين (مجلساً للشعـب) وقدم لهذا المجلـس دستوراً مفصـلاً على مقاسه، أبقـى فيه السـلطـات الثـلاث بـيده، وصـار بـمـوجب هـكذا دسـتـور، رئيـساً للجمهوريـة، يعين الوزراء ورئيسهم، ويقيلهم، وهـو في الوقت نفسه رئيس لمجلس القضاء الأعلى.

لم يبـق أمام المـفكرين والـمثقـفين فـي ظل هذا الحـكم القمـعي الشمولي مجـال لطرح أفكارهم، وفضح الممارسات الخـاطئة من قبل الأجهـزة الأمنية والـجيوش الطـفيليـة، كالوحـدات الخاصة، وسـرايا الدفاع، وسرايا الصراع، والميليشيات المسلحة التي أطلقوا عليها اسم الكتـائب العماليـة، والكتائب الطـلابية، وفتيـان علي، وفتيـات علي، والفـرسان الحمـر، وفرق المـظليات، وجـمعيـة المرتـضى، والألوف المؤلفة من عناصر المخابرات، وعملائهم المخبرين.. لم يبق لرجال الفكـر وعلماء الـدين من مكان يطـلقون منـه صوت النذيـر سوى دور العبادة والندوات لدى نقابات المهن العلمـية، ليطالبوا منها برفع حالة

الطوارئ، وإلغاء المحاكم الاستثنائية، وإعادة صلاحيات التقاضي إلى القضاء المدني، واستقلال السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية، واحترام مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وإجراء انتخابات حرة.

واجه النظام هذه المطالب العادلة من كل النقابات، باعتقال أعضائها، كما اعتقل عدداً كبيراً من الأكاديميين والمحامين والأطباء والصيادلة والمدرسين والعلماء، وألوفاً من طلاب الجامعات، وشرع في قتل المئات، وإلقاء جثثهم في الشوارع، كالذي حدث للشهيد الدكتور أدهم سفاف الأستاذ في كلية الزراعة بحلب، والمربي الفاضل الشهيد عبد القادر الخطيب مدرس الرياضيات في ثانويات حلب، وأغلق عدداً من دور العبادة، ودمر قسماً منها، وصار الجنود يدخلون المساجد بأحذيتهم، ويطلقون النار على المصلين، ويمزقون الكتب والمصاحف، ليشهد المواطنون عهداً من الإرهاب دونه عهود محاكم التفتيش، وارتكب النظام الأسدي جرائم غير مسبوقة، ولا عهد لأبناء أمتنا بها، كالذي مر معنا من قبل في صفحات سابقة.

ابتدع نظام الأسد الثوري التقدمي أسلوباً للإرهاب هو الاعتداء على حرمة البيوت، واختطاف النساء والفتيات، والسطو على الأموال والممتلكات، وقتل الأزواج، والتمثيل بهم أمام زوجاتهم وأبنائهم وبناتهم تحت اسم: تمشيط المدن والقرى، يستبيحون خلالها كل شيء، من سرقة ونهب وتدمير واعتداء على الحرمات، وقتل كل من يفتح فمه باحتجاج، متهمين إياه أنه من الإخوان المسلمين، وكثيراً ما

أبادوا أسراً بكاملها، وقطعوا الأيادي والأصابع للسطو على الأساور والخواتم الذهبية، وكانوا يسحلون من يقتلون بالدبابات والسيارات لنشر الرعب والإرهاب في قلوب المواطنين، ولم تخل مدينة أو قرية إلا وتعرضت للتمشيط، فمدينة حلب مُشطت مرتين، ومدينة حماة، مشطت تسع مرات، وهكذا سائر المدن والقرى في سورية الممتحنة والمنكوبة.

ولقد رأينا من قبل ما حدث من مجازر في جسر الشغور، وجبل الزاوية، وتدمر، وسوق الأحد في حلب، وسرمدا في محافظة إدلب، وحي المشارقة في حلب، وبستان القصر في حلب، كذلك، ومجازر حماة الثالثة قبل النكبة الكبرى التي سيأتي ذكرها مفصلاً بعد قليل.

د - كانت حماة تعيش أقسى أيامها منذ ١١-١١-١٩٨١، وإذ كان السفلة من الجنود يفتشون المواطن والمسدسات مسلطة على رأسه، أو يقومون بضربه وشتمه أمام أهليه وأطفاله، وكانوا يخرجون السكان من بيوتهم لإذلالهم وامتهان كرامتهم، واختيار أعداد منهم لحلق نصف شعر الرأس لبعضهم، أو حلق طرف الشارب للبعض الآخر.

طلب السفهاء من أحد الرجال المسنين في حي البارودية -وهو في السبعين من عمره- أن يرقص تحت التهديد، فعاد إلى بيته ولم يخرج منه حتى مات كمداً بعد شهر، ومن أنواع الاضطهاد للمواطنين إرغام المارة على الاستلقاء أرضاً، ورفع الأرجل، ليتلقى وابلاً من العصي والكرابيج، أما إذا اتهم أحد باستقبال أو إيواء أحد

الملاحقين، فإنهم يمسكونه من يديه ورجليه، ويلوحون به في الهواء، ويقذفونه من سطح المنزل إلى الشارع، كما كانوا يطلبون من البعض الركوع لحافظ أسد، وعندما رفض أحد المواطنين أن يذعن لذلك، فقأوا عينه، ولما أصر على الرفض فقأوا عينه الثانية، أما إذا استجاب تحت التهديد والسلاح، وهتف لحافظ أسد، قهقه ضباط الوحدات وسرايا الدفاع قائلين: لقد أحب أهل حماة حافظ أسد غصباً عنهم.

لقد شرعوا في هدم عشرات المنازل لشخصيات وعائلات معروفة، وقتلوا وجهاء لهم شهرتهم واحترامهم، وحشدوا قوات عسكرية من الوحدات الخاصة، وسرايا الدفاع، والمخابرات العسكرية، والمخابرات العامة، والشعبة السياسية والكتائب الحزبية واللواء ٤٧ واللواء ٢١، تمهيداً لليوم المشؤوم والفجيعة الكبرى.

هـ - انتهت التحضيرات لهدم المدينة على ثلاث مراحل، انتهت الأولى في بداية تشرين الأول عام ١٩٨١، بتشكيل قيادة أمنية من: أمين فرع الحزب في حماة أحمد الأسعد، ومحافظ حماة خالد حربة، ورئيس فرع المخابرات العسكرية، ورئيس الشعبة السياسية المقدم وليد أباظة، ورئيس أمن الدولة راغب حمدون، وكانت الكلمة العليا في هذه القيادة للعقيد يحيى زيدان.

في المرحلة الثانية في نهاية تشرين الأول، انتدب المقدم مصطفى أيوب، وهو من شيعة جنوبي لبنان -متاولة- من مدينة بنت جبيل، وكان قد هاجر إلى درعا مع عائلته، فرعى أمره العميد العلوي محمد

الخولي، فتولى مخابرات أمن الدولة بدلاً من راغب حمدون، لأن حمدون هذا من أبناء مدينة حماة، وجمعوا له وأسندوا إليه فرعي المخابرات العامة في كل من حمص وحماة، كما استعان بالكتائب الحزبية المسلحة، تمهيداً لحدوث الكارثة الكبرى لمدينة حماة.

في المرحلة الثالثة، فُوِّض المقدم علي ديب، وأطلقت يده في حماة، فاحتل ما يزيد على عشرين موقعاً استراتيجياً من مبانيها، ومن مؤسساتها، وما يزيد على عشرة مواقع في منطقة الحاضر، وأقام عشرة حواجز ثابتة، وسيّر دوريات مكثفة، وذكرت التقارير التي تسربت عن اجتماعات المجلس الأمني الأعلى في أيلول ١٩٨١م أن المجلس أصدر أمراً إدارياً برقم ١٨٤ بتعيين اللواء رفعت أسد آمراً عرفياً لمناطق حماة وحلب ودمشق، وتسمية حماة منطقة عمليات أولى خاضعة لأوامر الحاكم العرفي، وانتقال ١٢ ألف عنصر من سرايا الدفاع إلى حماة، والإذن لعناصر السرايا بالقتل العشوائي، ومضايقة أسر المطلوبين ليسلموا أبنائهم، كما رفع مرسوم جمهوري إلى مجلس الشعب يقضي بمصادرة أموال كل من تثبت عليه تهمة الانتماء إلى الإخوان المسلمين، وفُوّض رفعت أسد وسراياه بعمل ما يراه مناسباً في تلك المناطق، دون العودة إلى المجلس الأمني، لأخذ موافقته أو استشارته!!

كان المقدم العلوي علي ديب قائد سرايا الدفاع في حماة، ونائباً لرفعت أسد، يطلع رئيسه على سير العمل أولاً بأول، حتى إذا ما تفجر الوضع العام في المدينة، حضر رفعت إلى حماة ليدير عمليات

التدمير والقتل والإبادة بنفسه، فقد ذكر جندي أسير أن رفعت موجود في ثكنة الشرفة المطلة على حماة عموماً، وعلى القلعة بخاصة من جهة الغرب، وهي أعلى الهضاب المحيطة بالمدينة.

و - أما أهم تطور في أحداث شباط ١٩٨٢، فهو أن نظام أسد قرر استباحة مدينة حماة بأسرها، في سابقة لا مثيل لها، إذ لم توفر الأبرياء ولا العناصر الحزبية المنتشرة بين المواطنين، كما سيأتي لاحقاً.

إن الخطة التي نفذها أسد في تدمير حماة يمكن تسميتها بالوأد الجماعي، فقد حوصرت المدينة من كل الجهات بثلاثة أطواق، استدعيت لها قوات كثيفة من لبنان ومن الجنوب -من الجبهة- بحيث لا يستطيع طائر أن يخترقها دخولاً أوخروجاً، ثم شرعت قوات البغي بقصف المدينة بالمدفعية الثقيلة قصفاً عشوائياً تمهيداً لاقتحامها بالدبابات والآليات، في الوقت الذي تخوض فيه عناصر سرايا الدفاع والوحدات الخاصة حرب الشوارع والمنازل ضد المواطنين، يرافق ذلك كله تعتيم إعلامي في الداخل والخارج، لتخفي ما يجري عن أبناء المدن الأخرى، مع أن المعلومات تؤكد أن الأقمار الصناعية صورت كل ما حدث بالتفصيل، ولاسيما لدى الأمريكان، وما تزال أمريكا، حتى كتابة هذه السطور، تخفيها وتحتفظ بها، دعماً للنظام القمعي حتى يكمل مهماته في إبادة السوريين ولاسيما المعارضون منهم، ومن يشايعهم ويتعاطف معهم من العرب، ومن المسلمين.

٣ - بدأت مجزرة حماة مساء الثلاثاء في ٢-٢-١٩٨٢، وهيأت

لها السلطة كل أسباب التدمير والإبادة، وقد استمرت المجزرة شهراً كاملاً، ذاق فيها أبناء المدينة (من معارضين ومسالمين، ومن حزبيين وإسلاميين، ومن مسلمين ومسيحيين) نيران الحرب وزمهريرها، كانوا ينامون على مذبحة، ويستيقظون على أخرى. استخدم فيها أبطال الجولان (كانت سرايا الدفاع أول الهاربين والعائدين من الجولان إلى دمشق) الذين هربوا أمام الصهاينة دون قتال، وانسحبوا انسحاباً كيفياً، (تنفيذاً لمؤامرة خسيسة قرأنا تفصيلاتها في أوراق سابقة من هذه الموسوعة)، لا تستطيع طيوب الهند أن تطغى على نتنها، ولا يستطيع أي كاتب إنسان منصف أن يكتب فصولها دون أن ترتجف أصابعه، وتذرف دموعه. والذي يظن أن في هذا الكلام مبالغة أو تهويلاً، فليقرأ أو يستمع إلى يوميات المذبحة الكبرى التي تغذيها وتؤججها أحقاد دفينة قديمة تكفي ليس لتدمير حماة أو سورية، بل لتدمير العرب جميعاً كما قال البعثي المخضرم سامي الجندي، وسوف نجمل هذه اليوميات بثلاث فقرات، كل واحدة تتحدث عن مذابح عشرة أيام، أو ثلث شهر شباط، شهر المجزرة الحزينة الدامية للعام ١٩٨٢ .

أ - في منتصف ليلة الثلاثاء، داهمت عناصر السلطة الباغية بأعداد كبيرة عدداً من البيوت والمخابئ التي يختبئ بها الملاحقون، ثم وسَّع المعتدون دائرة عدوانهم، فبدأوا في الصباح الباكر بتعزيز السلطة لقواتها، بنقل أعداد كبيرة من الوحدات الخاصة، والكتائب الحزبية المسلحة، عبر مطار حماة، وبتوجيه اللواء ٤٧ المدرع إلى

مدينة حماة.

وفي المساء قامت قوة عسكرية من سرايا الدفاع والمخابرات العسكرية، بتطويق حي البارودية تدعمها ٢٠ سيارة اقتحام مصفحة في مكان لا يبعد أكثر من ٣٥٠ متراً عن دار الحكومة في وسط المدينة، مستخدمة بعض البيوت والمخابئ التي يفر إليها الملاحقون والمواطنون، وقد ساعدت مجموعة من الكتائب الحزبية المسلحة، سرايا الدفاع، ودعمتها في هجومها على حي البارودية.

انتقلت قوات السلطة إلى هجوم أوسع، طبقاً لخططها المرسومة التي تقضي بإرسال نجدات سريعة لمواقعها المنتشرة داخل المدينة، وبزج قوات جديدة من خارج المدينة لحسم المواقف بسرعة وعنف، ولتحقيق هذين الهدفين، قامت السلطة بالفعاليات التالية طوال نهار اليوم الأول، والجدير بالذكر: أن قوات الوحدات الخاصة كانت تعسكر بجانب (سد محردة) منذ عام ١٩٨٠م (غربي المدينة)، أي أنها تستعد لمثل هذا اليوم لتشن هجومها، وتنفث حقدها وكيدها، وفي ضحى هذا اليوم في العاشرة صباحاً، أقلعت ١٣ طائرة عسكرية من مطار المزة العسكري، متوجهة إلى مطار حماة، كما رجح ذلك المراقبون، وكان أهل المدينة قد لاحظوا وصول ٣ طائرات نقل عسكرية ضخمة إلى المطار الذي يقع في غربي المدينة.

أنزلت السلطة مجموعات من الوحدات في شرقي المدينة عند الحميدية شرقاً، وخلف مدرسة عثمان الحوراني شمالاً، وقريباً من المستشفى الوطني القديم في حي الحاضر، ثم جاء رتل من الدبابات

عن طريق كورنيش البشريات -الأربع نواعير- كان قد وجهها وبعث بها اللواء المدرع ٤٧ .

ومما لفت الانتباه تركيز البغاة على تهديم المساجد، وعلى الأخص قصف المآذن، مثل المسجد الشرقي في حي الشرقية، وزاوية الشراباتي في حي جورة حوا، ومسجد الشيخ إبراهيم في حي الدباغة، ومسجد الأفندي في سوق برهان التجاري بالحاضر، ومسجد سوق الشجرة، وجامع الشيخ علوان في حي العليليات، ومسجد حي الشريعة، ومسجد الشيخ زين في حي الشمالية، ومسجد حي الحميدية، ومسجد عمر بن الخطاب في حي السخانة، ومسجد حي المناخ، ومسجد المسعود في حي المحالبة، ومسجد حي كرم الحوراني، ومسجد الشيخ محمد الحامد في المحطة، ومسجد الحراكي في حي بين الحيرين، ومسجد صلاح الدين في جنوب الملعب البلدي -جنوبي المدينة على طريق حمص- ومسجد الشهداء في حي الصابونية، ومسجد الإيمان في حي الشريعة، ومسجد الأربعين في حي الأميرية، والجامع الكبير في حي المدينة -غربي حماة- ومسجد سعد بن معاذ في حي الفرَّاية، ومسجد الهدى في حي طريق حلب -شمالي المدينة- ومسجد رستم بك في حي المحالبة، ومسجد الهدى في طريق حلب، وزاوية الشيخ حسن الكيلاني في حي الكيلانية، ومسجد الشيخ إبراهيم في حي الزنبقي، ومسجد الدرابزون في حي العصيدة، ومسجد السرجاوي في حي الجراجمة.

في هذه الفترة عينت السلطة قائداً للواء ٤٧ هو العقيد العلوي

نديم عباس، وقامت بتصفية الضباط التي تشك في ولائهم، أو لأنهم ينتمون إلى الأكثرية السورية من أهل السنة والجماعة (تسريحاً أو إبعاداً) وأمرت اللواء ٤٧ بالتوجه إلى حماة، لإخماد الزخم الشعبي، وتفويض التصفيات للحاقدين من اللواء.

قام اللواء ٤٧ بثلاث مهمات، الأولى: إرسال دبابات متفرقة على وجه السرعة، تتمركز في عدد من المواقع، مثل منطقة المحطة، ودوار محردة -غربي المدينة- والثانية: محاصرة المدينة بإغلاق محاورها الأربعة، ثم الشروع بقصف المدينة عشوائياً، إذ وجهت السلطة ١٨ دبابة إلى طريق حلب في شمالي المدينة (مركز الشعبة السياسية-، كما وضعت ٩ دبابات في مقبرة باب البلد -الجنوب الغربي من المدينة- وقامت بالقصف باتجاه حي البياض، ومنطقة المحطة، وحي الشيخ عنبر، وحي سوق الشجرة، وحي الحوارنة، وعلى مدى خمسة أيام -في الوسط والغرب- ثم تحول القصف إلى منطقة الحاضر الذي كان حقد البغاة عليه بالغاً، وكانت المهمة الثالثة اقتحام قلب المدينة عبر الخط الممتد من المحور الجنوبي في بداية شارع العلمين في الجنوب على طريق حمص، إلى المحور الشمالي في نهاية شارع سعيد العاص على طريق حلب، وهذان الشارعان المتصلان يخترقان المدينة من شمالها إلى جنوبها.

تقدمت ٣١ دبابة باتجاه دار الحكومة -وسط المدينة- وهي تقصف دون هوادة، لتدخل منها إلى شارع سعيد العاص في حي الحاضر، حيث كانت مقاومة السكان فيها شديدة أقرب ما تكون إلى

الأعمال الفدائية والاستشهادية.

ب - في العاشرة من صباح الأربعاء ٣ شباط -يوم المجزرة الثاني- حاصرت مجموعة من المواطنين مركز الجيش الشعبي بالقرب من البئر الارتوازي، واستطاعوا السيطرة عليه دونما قتال، فغنموا كمية ضخمة من البنادق الروسية والمسدسات وصناديق الذخيرة. وفي حي الصابونية جنوبي المدينة دخلت عناصر الوحدات الخاصة وصادرت كل ما وجدته من سيارات المواطنين الشاحنة والصغيرة والمتوسكلات في مناطق الوادي، وسوق الشجرة، والشيخ عنبر، والمحالبة، والحوراني، والباب القبلي، وتل الدباغة.

اقتحمت قوات السلطة هذه المناطق من أربع جهات، وارتكبت فيها عمليات وحشية حاقدة، إذ قدمت أرتال الدبابات من الثكنة في منطقة الشرفة المطلة على القلعة، فتصدى لها أهالي المنطقة بالأحجار، فكانت كالقذائف على رؤوس المهاجمين. ثم تقدمت الدبابات من شارع المرابط إلى شارع ٨ آذار، بدعم من الطيران المروحي الذي كان يقصف من ارتفاع عالٍ خوفاً من مقاومة المواطنين.

استأنفت السلطة محاولتها للسيطرة على شارع ٨ آذار لاقتحام الأحياء الشعبية التي تقع حواليه والفتك بها، فلجأ المواطنون إلى صناعة قنابل المولوتوف، وأعطبوا بها ثلاث دبابات.

تقدمت الدبابات عبر منطقة البياض في الغرب إلى منطقة طلعة الرأس وإلى حي المحالبة، بغطاء من القصف المدفعي الهمجي،

وقذف الراجمات الصاروخية، مما خلّف هدماً واسعاً على السكان القابعين في منازلهم، والجدير بالذكر أن البغاة نشروا عدداً كبيراً من راجمات الصواريخ على الأماكن المرتفعة في معظم أنحاء المدينة، فوضعت أربعة منها فوق مبنى دار الحكومة، واثنان على مبنى المركز الثقافي، وأخرى على بناية الصحن في دوار المحطة، وعلى بناية الحلفاوي شرقي جامع الشيخ محمد الحامد، وفوق كلية الطب البيطري في كورنيش العاصي، كما نصبوا راجمات خلف المستشفى الأهلي في شمالي المدينة تشرف على أحياء الحاضر، وفوق مساكن مرتفعة على طريق حلب، وفوق المستشفى الوطني الجديد على طريق حمص، وداخل المشتل الزراعي قريباً منها، وفي جنوبي الملعب البلدي فوق بناية تتألف من سبعة طوابق، لتكون الراجمات محيطة في المدينة، وفي الأماكن الستراتيجية من داخلها ومن كل أقطارها.

ج - زجّت السلطة في يوم الخميس بلواء ميكانيكي هو اللواء المدرع ٢١ في الحرب التي تشنها على سكان المدينة، فكان لهذا اللواء المدرع دور كبير في اجتياح المدينة، وتنفيذ خطة تدميرها وانتهاكها كما فعل اللواء ٤٧ من قبل.

كانت تعليمات شفيق فياض لقائد اللواء ٢١ العقيد فؤاد إسماعيل تقضي بالقتل الجماعي لكل من يسكن في حماة، ولو كان من عناصر الحزب الحاكم.

دفعت سلطة الطغاة بـ ٢٠ دبابة لاحتلال شارع سعيد العاص، فشرعت تصبُّ حُممها على الأبنية من جهتي الشارع، فضلاً عن

قصفها الأبنيـة المجاورة. أصابت القذائف الكثيفة بنـاءً سكنياً ضخماً، فاحترق الـمبنى جميعه، وأطـلقت إحدى الدبابات قذائفهـا على جامع الأربعيـن في وسط شارع سعـيد العاص فـتهدم، وعـندما وجد البـغاة صعـوبة في دخـول الأحياء القـديمة والأزقـة الضيـقة بدأت المـدفعـية الثـقيلـة من ثكـنة الـشرفـة تقـصـف هذه الأحـيـاء عشـوائيـاً فـي كل الاتجاهات، وعززت دباباتها بدبـابات أخرى عن طريق حلب - حماة الجديـد، ثم تمركزت دبـابات عند جسر الـهوى في حي باب الجـسر القـريب من طريـق حلب في شـمالـي المديـنة، وفي مـرمى مدفـعيـة الشرفة.

بالرغم من أن الحي الواقع جنوبـي الملعب ظل هادئاً، وفي منأى من الأحداث التي اجتاحت المدينة، فـإن السلطة بيتت لهذا الحي شراً مستطيـراً، بعد أن دخلـته دون مقـاومة، فأخـذت تنادي علـى الناس بمكبرات الصوت، ليجتمعوا في ساحة الحي، محذرين المواطنين من أي تحرك، والـتزام الهدوء، ثـم نادى البغـاة على الناس مـرة أخرى، موجهين إليهم تحذيراً أشد من مغبة الاشتراك في أي مقاومة، مما زاد السكـان اطمئنـاناً وهدوءاً، وقلل مـن عمليـات الاختفـاء، ثم دعتـهم السلـطة الغـادرة مرة ثالـثة، فاجـتمـع كثيـر من النـاس ومعظـم سكان الحي، فـبدأ المستـوحشون معـهم عمليـات تعذيب، وتوجيـه إهانات لهم، أعقـبها عمـليات قتل جـماعية بالـرشاشات، لم تبق مـنهم أحداً على قيد الحياة، ثم توجه البـغاة إلى المنازل في عمليات سلب ونهب وقـتل لمن بـقي في منـزله، حيـث كانوا يـخرجـون الأسرة أمـام باب

المنزل، فيقتلون أفرادها الواحد تلو الآخر، كانوا يرشون الأب أمام ولده، والولد أمام أخته وأمه، ثم يفتش المنزل، فيؤخذ منه كل غالٍ ونفيس، ويعتقلون من نجا من القتل، ليأخذوهم إلى مقبرة سريحين حيث يقتل أمام الخندق المعد لذلك، ويدفع بالضحية إلى داخله فوق من سبقه من القتلى الشهداء في هذا الأخدود الرعيب لأن الخطة كانت ترمي إلى إشاعة الإرهاب، سواء أكانت ثمة مقاومة أم لم تكن، فقد صرح اللواء محمد ناصيف - مسؤول الأمن الداخلي: كل حموي طائفي ويجب قتله، ولو كان أمين فرع الحزب في المدينة.

من الشواهد على التصميم والإصرار على القتل، أن المواطن شحود حسن شيحاوي البالغ من العمر ٢٨ سنة، اقتاده عناصر السلطة لقتله، فأبرز لهم هويته الحزبية، وأنه عضو عامل، وأنه متفرغ للحزب، وهذه سيارتي، وهذا مسدسي، فلم يشفع ذلك له، وما هي إلا لحظات حتى كان في عداد المقتولين.

من القلة التي نجت من مذبحة جنوبي الملعب البلدي، المواطن الجريح فايز عاجوقة الذي كانت إصابته في فخذه غير قاتلة، فحمل إلى المستشفى الوطني لإسعافه، فدخل إليه عناصر سرايا الدفاع في غرفة الإسعاف، واستل أحدهم سكيناً، وبقر بطنه، وتركه حتى فارق الحياة.

بعد هذه المجزرة الرهيبة عاود المجرمون تفتيش المنطقة لتصفية من بقي فيها، فقرعوا باب الرائد أحمد عبد العزيز عزيّز، وكان في إجازة، فخرج عليهم بلباسه العسكري، ومسدسه إلى جانبه، فسحبه

عسكري من كتفه الذي يحمل رتبته العسكرية ، وبدلاً من أن يؤدي له التحية أطلق عليه النار وقتله، والجدير ذكره أن والده عبد الحميد عزيّز هو رئيس اتحاد نقابات العمال في حماة، وقد هددته السلطة بالقتل إذا أفشى الحقيقة.

حمل الجثمان إلى حمص، وشيع باسم شهيد قتله المجاهدون، وأرسل مصطفى طلاس برقية عزاء لأهل الرائد القتيل، وهذه المأساة تلخص مأساة الجيش السوري لكل الضباط غير الطائفيين عندما يصلون إلى رتب عالية، يكون مصيرهم التسريح أو الاعتقال أو الإعدام.

د - يوم الجمعة الرابع من شباط ١٩٨٢ شرعت قوات البغي التي فرت من الجولان قبل أن ترى للعدو وجوداً، وتركت له الحصون والسلاح والوثائق و... إلخ شرعت في اقتحام الأحياء الشعبية، وبالتدمير الشامل لأبنيتها بالقصف وبالتفجير على من فيها من السكان المنكوبين.

ركزت السلطة على منطقتي العصيدة والزنبقي في هدم هاتين الحارتين من حي الحاضر، ومن المنازل التي دمرتها منازل الشهيد عبد الله خالد عدي، ومنزل الشهيد عمران صبري، ومنزل الشهيد حسان بكري الياسين، ومنزل الشهيد خالد الياسين، ومنزل الشهيد إبراهيم شيخو، ومنزل لآل الزعيم، ومنزل زياد باشوري، كأمثلة ونماذج على المنازل التي هدمها البغاة، وقتلوا أصحابها. كما أدى القصف إلى استشهاد عدد من المواطنين، ومنهم: منذر المصري،

وماهر دمر، وشهيد من آل حلبية، وكانت صيحات النساء وصرخات الشيوخ تسمع في أجواء الأحياء، وهي تهدم على رؤوسهم، وتعمل على دفنهم تحت الأنقاض.

اتصل العقيد العلوي ديب ضاهر قائد الوحدات الخاصة الذي قام بها، بالهجوم والقصف والهدم باللاسلكي بقيادته يخبرهم بالبطولات التي يقوم بها، وأن قواته تواجه بعض المقاومة، فقيل له: اضربوهم بالنابالم، ولا نريد أن نرى بيتاً لا يستسلم سكانه.

في يوم السبت الموافق ٦ شباط، قام البغاة بالإنزال الجوي فوق القلعة، وزجوا بمزيد من الدبابات، وبتسعير القصف بالراجمات، والإمعان في القتل والمجازر الدموية، والتركيز على حي الحاضر، الذي قاوم سكانه أكثر من سكان الأحياء الأخرى، فمنذ الساعة الثامنة من صباح السبت، وصلت قوات السلطة إلى حارة باب الجسر -شمالي حي الحاضر وشمالي المدينة- وازداد ضغط الدبابات التي واجهها السكان بزجاجات المولوتوف مما أدى إلى إعطاب أربع دبابات وإحراقها.

استطاعت القوات الحكومية إحكام الطوق على المناطق المحيطة بشارع سعيد العاص كلها، وقامت بإنزال جوي لعناصر الوحدات على طريق قرية الظاهرية - شمالي المدينة التي تبعد زهاء خمسة كيلو مترات أو أقل شمالي المدينة، والملاحقة للحي الذي يقع على طريق مدينة حلب، ثم دفعت السلطة بعدد من الدبابات للالتفاف حول المدينة من الجنوب إلى الشرق فالشمال، ودخلت عن طريق الجسر

الحديدي في شرقي المدينة -طريق سلمية- كما دفعت السلطة بدبابات أخرى عبر جسر العبسي في وسط المدينة تحت غطاء من القصف، ثم توجه العساكر المشاة خلف الدبابات التي شرعت بقصفٍ مركّز من منطقة حي الشريعة، باتجاه حي البارودية، الذي ازدحم فيه المطاردون في المخابئ، فأصابت بناء كبيراً، فتم تدميره على من فيه، وتابعت الدبابات والمدفعية والراجمات قصفها على حي البارودية وعلى امتداده حتى الجامع الشرقي، وعلى حي الحميدية القريب منه، وقامت السلطة بإنزال قوات جوية قرب غابة الثورة المجاور لحي الحميدية، وتمركزت في الغابة نفسها.

تمكن أهالي البارودية بزجاجات المولوتوف من إعطاب سبع دبابات، غير أن عناصر السلطة تقدمت واحتلت عدة بيوت في البارودية التحتانية، وأخرجت الرجال من بيوتهم وقتلتهم بالرش الفوري، فاستشهد عدد كبير، كان نصيب عائلة الصليعي من القتلى اثني عشر شهيداً.

اقتحمت قوات السلطة في ذات اليوم حي سوق الشجرة، وهدمت، حوالي خمسين منزلاً، وقتلت أعداداً كبيرة من سكان الحي، ثم أجبرت القوات الباغية، بعد اقتحامها الحي، السيد فواز الأحدب ليستطلع لهم الطريق، وعندما رأوا تمهله أطلقوا عليه النار، ثم قتلوا كل رجال الشارع -في حي سوق الشجرة- على الصفين، حتى وصلوا إلى مسجد الحي، فقتلوا على جداره ٧٥ مواطناً بين شاب وشيخ، وكانت مجموعات أخرى من القوة الباغية تمارس

القتل، فأعدمت ١٥ مواطناً في طاحونة سوق الشجرة، وتركتهم دون دفن ١٤ يوماً في العراء.

التجأ ٣٠ مواطناً إلى منزل سليمان كوجان، فقتلتهم قوات السلطة جميعاً، وفي حي الشيخ عنبر المجاور فجرت السلطة منزل آل علوان، فقتلت الأم آمنة وابنتها وابنها وحفيدها الطفل تحت الهدم.

نعود إلى منطقتي العصيدة والزنبقي لنرى أن المدفعية كثفت قصفها المدفعي الثقيل، وبراجمات الصواريخ من فوق سطح دار الحكومة التي يفصلها عن الحيين نهر العاصي فقط، فهدمت عدداً من البيوت، منها: منزل الشهيد عبد الرزاق أبو ربيعة، ومنزل الشهيد ممدوح عبد الرزاق، ومنزل الشهيد محمود كعيّد، وثلاثة منازل لآل عدي، ومنزل الشهيد إبراهيم المصري الذي اعتقل ولم يعرف مصيره، وبعد القصف استأنف العساكر الهجوم من جانب شعبة التجنيد في شارع سعيد العاص، فخسروا عشرة جنود أمام مقاومة الأهالي، وغنم السكان ٧ بنادق روسية ورشاشاً، وقاذف آر بي جي مع أربع قذائف له، ثم التحق عدد من سكان سوق الشجرة بحي العصيدة وحي الزنبقي، كما انضم قسم منهم إلى حي الدباغة، فخسر الطغاة في العصيدة والزنبقي ٦٥ قتيلاً، كان منهم عدد من عملاء السلطة الباغية.

تتوسط القلعة مدينة حماة، وتشرف على معظم أحياء المدينة، فزجت السلطة بقوات كبيرة من وحداتها الخاصة إلى القلعة عن طريق حي المدينة، ترافقها عملية إنزال جوية بالطيران العمودي، رافقتها

عمليات تمشيط بمدافع الهاون من موقع ثكنة الشرفة، وقد استمرت هذه العمليات العسكرية من صباح السبت إلى وقت الظهيرة، حتى تمكن الطيران من احتلال موطئ قدم على القلعة (التي كان يلجأ إليها ويحتمي بها عدد من المواطنين) عندما هبطت فوق القلعة ثلاث طائرات عمودية. وفي هذا اليوم وصلت قوات من السلطة إلى حي الشمالية من شارع سعيد العاص.

في هذا اليوم أيضاً جمعت قوات السلطة الرجال والنساء والأطفال الذين بلغ عددهم ٧٥ مواطناً، حشرتهم في دكان أحمد الحلبية، وأطلقت عليهم النار رشاً، ثم صبت عليهم الزيت من برميلين كانا في الدكان وأضرمت فيهم النار، وبعضهم كان لا يزال حياً.

وأمام مسجد الشيخ محمد الحامد في المحطة -غربي المدينة- وقفت أربع شاحنات محملة بالمعتقلين الذين جمعتهم السلطة من أبناء الحي، ولما غصت السيارات بالمعتقلين المكدسين، ولم تعد تتسع للمزيد منهم، قامت قوات البغي بقتل خمسين منهم، وألقوا بجثثهم في حوض كبير تتجمع فيه مخلفات جلي البلاط لمصنع تعود ملكيته للمواطن عبد الكريم الصغير، ثم ظهرت هذه الجثث بعد عشرة أيام من هذه الجريمة بعد أن جفَّت مخلفات الحوض.

هـ - ومما يلفت النظر في أحداث يوم الأحد السادس من شباط، تعاظم ضغوط السلطة، واستمرارها بسياسة المجازر، ولجوء عناصرها إلى التوسع في نهب الأشياء الثمينة والسطو عليها، في حي الدباغة تقدمت قوات السلطة ودباباتها إلى ساحة العاصي، وبسبب فقدان

الذخيرة لدى سكان البارودية، ابتكر المواطنون عبوات من الألغام يتم تفجيرها بوصل قطبي التفجير، مستفيدين من ظلام الليل للتسلل إلى خلف الآليات المعطوبة حيث تموه هذه العبوات في الشارع بعد انسحاب الدبابات ليلاً، وحين عودتها صباحاً تنفجر العبوات تحت الدبابات، مما أدى إلى إعطاب ست منها.

بينما كان أحد الضباط في السلطة يتقدم مع مجموعة من الدبابات إلى شارع سعيد العاص، هاجم السكان رتل الدبابات، ودمروا عدداً منها، فإذا بهذا الضابط الرائد يتصل بالعقيد ديب ضاهر قائد الوحدات الخاصة على اللاسلكي، ويدور بينهما هذا الحوار:

الضابط الرائد: سيدي ما ندري ما نفعل؟ الضرب يأتينا من الأرض والسماء.

العقيد ضاهر: دمروا الأرض والسماء، أحرق، اهدم، لا تبق شيئاً.

الرائد: ولكن يا سيدي لا نستطيع، لقد دمرت كل الدبابات التي معي، وقتل أكثر عناصري.

العقيد: تقدم أيها الجبان، تقدم، وإلا قتلتك.

الرائد: يا حقير، أنت جالس في مكانك، ونحن هنا نُقتل، تعال إلى مكاني وانظر، هل تبقى لحظات.

و - وفي يوم الاثنين الثامن من شباط تضاعفت سياسة المجازر أكثر من ذي قبل في هذا اليوم العصيب، إذ ارتكب السفاحون ما لا

يقل عن عشر مجازر، وقتلوا عدداً كبيراً من الحزبيين والعسكريين وعملاء السلطة على أيدي السلطة نفسها، لا شيء إلا لأنهم من أبناء حماة، كما توسع المجرمون بعمليات السلب والنهب، وقتل المواطنين من أجل جمع الثروات والأشياء الثمينة.

فمنذ صباح هذا اليوم شرعت السلطة الباغية في قصف حي الحميدية قصفاً عشوائياً تمهيداً لاقتحامه وبوتيرة واحدة حتى العصر، إذ اشتد القصف عنيفاً جداً على جبهة طولها ٥ر١كم يمتد من جامع الشفاء شمالاً إلى شاطئ العاصي جنوباً، مما أدى إلى تهديم عدد كبير من الأبنية المواجهة لغابة الثورة، ثم توقف القصف فجأة، وتقدم عدد كبير من قوات سرايا الدفاع والوحدات الخاصة بغطاءٍ من سحب الغبار والدخان، منطلقين من غابة الثورة إلى حي الحميدية، بهجوم كاسح على السكان العزل المنكوبين، وعلى الفور حضرت مجموعة من أهالي حي البارودية لمساعدة سكان الحميدية في صد الهجوم، فدارت معركة ضارية من شارع إلى شارع، فتراجع المهاجمون وفروا مذعورين، مخلفين أسلحة وقتلى، كما استطاع مقاومون التسلل إلى غابة الثورة للحصول على السلاح والذخيرة، ولم تعد السلطة تجرؤ على مهاجمة تلك المنطقة لعدة أيام، كما أخفقت في هجومين آخرين على الحي ذاته.

عندما خلت منطقة سوق الطويل من المدافعين شرعت السلطة الهمجية في القتل الجماعي، إذ قتلت من فورها ٣٠ شاباً على سطح سوق الطويل الممتد من حي الدباغة إلى حي المرابط، مروراً بحي

جورة حوا، ثـم قصدت منزل الشـيخ عبد الله الـحلاق رئيس جمـعية العلمـاء، وأحد مؤسـسي جمـاعة الإخوان المـسلمين الـتاريخيـين في حماة وأحـد رؤسائها لسنوات طويلـة، وكانت السلطة قبـل يوم تفتش عنه ولم تعثر عليه.

أنزل الشيـخ الشهيد عـبد الله الحلاق أبـو صالح من منزله بـثياب النوم، وقتل على باب بيـته رشاً، ثم نهب البغاة قسمـاً من أثاث بيته، وأحرقوا القسم الباقي. كما قتل السفاحون عدداً من شباب هذا الزقاق على مثلث مفرق جامع السلطان، ثم توجـهت مجموعات من العساكر لاحتلال سطح سوق الطويل.

طلب الضابط من عـناصره التوجه إلى دكان أحمـد سليم الأحدب المدهون باللون الأصفر لنهبه وإحراقه، لأن لصاحبه ثلاثة منظمين مع الإخوان، فقـتله البغاة، وقتلوا مـعه اثنين من إخوته عـام ١٩٨١، كما استشهـد من أبنائه: غسان ومخلص، وسجـن ولده الثالث طلال، ثم اتجهت المجمـوعة الباغية ونفذت أوامر الضابط بقـتل كل من تصادفه من المـواطنين، كـما أوصـاهم أن يحـضروا له بهـجت العظـم -أحد وجهاء المدينة- حيّاً.

جيء بـ ٣٥ مواطنـاً جمـعوا من بـيوتهـم إلى الضـابط ذي الرتبـة العالية، إذ كان الملازم الأول من الوحـدات الخاصة يؤدي له التحية، وقد عرف مـن الذين أحضروا: مـحمد سعيـد الأسود، ومحمـد أمين الأسود، وتوفيق الأسـود، وعلي المشنوق، والدكتور نـاجي المشنوق (وهو دكتور في الاقتصاد، ومن حزب السلطة، يدرّس في كلية الطب

البيطري، ومدير المصرف الزراعي) ومحمد مشنوق، ومعن أسود، ومصطفى أبو ربعيّة، وهنيدي أبو ربعية، وأخ ثالث لهما، وكمال ركبي، مدير المصرف التجاري ومن حزب السلطة، كما أحضر ٣١ رجلاً من على سطح السوق، ثم جيء بسبعة آخرين، فحشروا جميعاً في دكان عبد الرزاق الريس بائع أدوات منزلية، وطلب منهم جميعاً أن يقفوا صفين، ثم ينبطحوا على وجوههم إلى الأرض، ثم أمر الضابط عناصره بضرب كل واحد من المعتقلين طلقة في رأسه، بعد أن جمع منهم كل ما لديهم من نقود.

نادى كمال الركبي أنه من حزب السلطة، فعجل له الضابط برصاصة أردته قتيلاً، ثم أمر الضابط أن يصنع له إبريق شاي، ثم فتح العسكري خزانة الدكان وجمع المال منها بكلتا يديه، وتركوا أكوام الشهداء تغطي أرض الدكان التي كانت من أشهر المحلات التجارية للأدوات المنزلية في المدينة.

نفذت السلطة بعد ذلك عدداً من المجازر في الأحياء وفي الأسواق، كان منها:

- جمعت العساكر جمعاً غفيراً من أهالي حي الدباغة أمام دكان عبد المعين مفتاح، فقتلتهم مجموعات وأفراداً بعد نهب محتويات دكاكينهم، ومن ثم تكديس جثث الضحايا في الدكان -دكان عبد المعين مفتاح- وإشعال النار فيها. ثم قتلوا أمام الدكان عمر الزين الذي أصيب بمرض القلب، عندما سيق ولده للقتل، وقتل من آل الزين تحت التعذيب: زاكي، ومحمد، وعبد العزيز، ويحيى الزين.

قامت مجموعة من سرايا الدفاع باعتقال ٥٢ مواطناً من حي الدباغة وشارع ابن رشد، واقتادتهم إلى قبوٍ فيه منشرة للأخشاب يمكلها مواطن من آل بدر، وعندما دعي المواطن رئيف عبد القادر العبد للوقوف مع المجموعة هو وأولاده الأربعة، احتضن اثنين منهم في فروته، ليدفع الموت عنهما، إلا أن رصاص القتلة عاجل الجميع، فاستشهدوا رحمهم الله تعالى، ثم أحرق المجرمون المنشرة بما فيها من ضحايا وأخشاب، وقد عرف من هؤلاء الشهداء الأسماء التالية: عبد القادر حداد، وماهر بدر البدر، ومازن بدر البدر، ومسعف بدر البدر، وأحمد محمد الزين، وعدد من عائلة الحكواتي، ورئيف العبد، وسعيد رئيف العبد، ومسعف رئيف العبد، وغزوان رئيف العبد، أما الشهيد زياد عبد الرزاق القرن، فقد قتل مع زوجته وابنه البالغ من العمر سنتين، وقتل من آل عدي أب مع ثلاثة من أبنائه.

مرت مجموعة من قوات السلطة في حي الدباغة قرب منزل آل دبور، فقام أحد المخبرين بإرشادهم إلى بيوت الذين يعارضون السلطة، فقامت بإخراجهم وقتلهم، ومرت مجموعة أخرى من قوات القمع بآل الدبور الموجودين في بيوتهم، فأخرجتهم وقتلتهم، وقد عُرف منهم: نزار صبري دبور وزوجته، ومحمد حسام دبور -عضو كتائب حزبية مسلحة- وذكاء دبور، ووفاء دبور، ومحي الدين دبور وهو مظلي وعضو كتائب حزبية مسلحة، كما قتل العساكر: محمد خضر مغيزيل وأولاده الثلاثة، وهم من الكتائب الحزبية المسلحة، ثم

قام القتلة بنهب محلات حي الدباغة البالغ عددها مئتي حانوت، فسرقوا أموالها ومحتوياتها، ثم أحرقوها وهدموها.

أضحت القلعة ومنطقة الطوفرة وحي الباشورة الذي دخلوه بيتاً بيتاً، كلها بحوزة السلطة بعد هذه المجازر المريعة التي تقشعر من هولها وسماعها الأبدان، وفي هذا اليوم هدم البغاة مسجد السرجاوي في حي الجراجمة، وهدموا زاوية الشراباتي في حي جورة حوا، كما أحرقوا مستودعات الأوقاف، ومديرية الأوقاف في حي الدباغة.

ومن المجازر التي حدثت في هذا اليوم الاثنين ٨ شباط ١٩٨٢ مجزرة آل الدباغ منذ ساعات الصباح، إذ قتلوا الأستاذ فهمي الدباغ وكل أفراد عائلته الذين كانوا يختبئون في القبو، أو حسب رواية أخرى بيت -قن- الدجاج، فلم ينج منهم أحد، حيث قتلوا زوجته وابنته ظلال، وابنه وارف وابنه عامر، وابنه ماهر، وبناته، صفاء ورنا وقمر، وابنه ياسر وابنه أحمد. وبعد أن فرغ البغاة من قتل عائلة الدباغ عن آخرها، توجهوا إلى منزل السيدة حياة جميل الأمين، فقطعوا يديها ليأخذوا حليها، ثم قتلوها مع أولادها الثلاثة، ثم نهبوا كل ما هو ثمين في المنزل، ثم أضرموا النار فيه.

توجه القتلة إلى منازل آل موسى الأربعة المتجاورة، وجمعوهم في إحدى الشقق، وأمروهم بالوقوف متقاربين، وسلط الجنود بنادقهم عليهم، فتوسل أحد الآباء الذي كان يحمل طفله الرضيع، فدفعه جندي بكلتا يديه، والأب يقول: من أجل هذا الرضيع اتركونا، فجاء الجواب طلقات اخترقت جسد الطفل وجسد والده، بينما كانت

طلقات الجنود الآخرين تحصد أفراد عائلة الموسى جميعاً، وقد عرف من الواحد والعشرين شهيداً من آل الموسى: عبد السلام وأولاده: سمية وميساء ومهدي، وفلك محمود العقاد زوجة عبد الفتاح الموسى الذي كان غائباً، وأبناء عبد الرحيم: علي وملهم، ورانيا بنت محمود الموسى، ووليد البيطار، وهو ابن أخت العائلة، جاءهم ضيفاً، وكان، كما رأينا، معظم هؤلاء المقتولين من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم من عام واحد إلى عشرة أعوام.

ثم توجهت حملة القتل من عائلة الموسى بعد أن أبادت رجالهم ونساءهم وأطفالهم، إلى عائلة آل القياسة في شارع أبي الفداء من حي الباشورة، فقتلوا كل من وجدوه في المنزل وهم: غزوان وأمه وشقيقته، ثم تحول القتلة إلى منزل صبحي العظم أحد وجهاء المنطقة، فدخلوه، ونهبوا محتوياته من حلي وأثاث ومجوهرات نفيسة، وقتلوا زوجة صبحي العظم وهي في الثمانين من عمرها، وقتلوا ابنها، ثم أحرقوا المنزل، وتابع القتلة مهماتهم الوطنية!! فذهبوا إلى منزل الدكتور زهير مشنوق، وفي قبو المنزل تجمع ٣٩ امرأة وطفلاً -كما جاء ذكر ذلك من قبل- هرباً من القصف، فدخلوا عليهم، وانهالوا عليهم برصاص أسلحتهم، فاختلطت أصوات التكبير بصراخ الأطفال وأزيز الطلقات، ليقضي الجميع نحبهم، ولم ينج منهم إلا السيدة انتصار الصابوني التي لم تكن إصابتها قاتلة، فنقلت إلى المستشفى، فتعافت، وظلت على قيد الحياة.

ومن الأحداث الرهيبة والمرعبة في هذه المجزرة قصة طفل رضيع

عمره خمسة أشهر، وجد بعد ستة أيام من المذبحة حياً يرضع من صدر أمه الشهيدة دماً، فلم يفارق الحياة. وممن عرف من الشهداء: فاتن النمر، ومسرة الشقـقي، ووداد كيلاني القابلة القانونية، وميسر سمان، وأم ياسر بقدونسي زوجة نوري أورفلي، وضحى أورفلي الجدة، وضحى أورفلي الحفيدة، وأبناء نوري أورفلي: كثير وعماد وطفل عمره شهران، وزوجة خالد تركماني، وابن خالد تركماني، وطفل رضيع لانتصار صابوني، وزوجة محمود حلواني، ووفاء حلواني، ورهيف محمود علواني.

وجاء دور عائلة آل الصمصام في المصاب، فقد وصلت قوات القتل إلى دورهم في حي الباشورة بعد انتهائها من قتل عائلة آل القياسة، فجمعوا منهم ١٧ شخصاً في غرفة واحدة، وبعد سلب الساعات والحلي والأموال، أطلقوا النار عليهم وقتلوهم، ثم انطلقوا يحملون كل ثمين من عائلة ميسورة، وقد نجا من هذه المذبحة أربعة أفراد، كانوا في الوسط -وسط القتلى المضغوطين في غرفة واحدة- اثنان منهم جرحى، واثنان بلا إصابات، وهذه أسماء من عرف من شهداء آل الصمصام: عبد الرحمن الصمصام وزوجته وولداه، والشهيد محمد الصمصام وزوجته وأحد أبنائه، وياسر الصمصام وزوجته وطفله ياسر، وله من العمر عامان، وعمر الصمصام وولداه. وبعد أن فرغ القتلة المجرمون من قتلهم دخلوا صيدلية للعائلة في العمارة فأحرقوها، وانتقلوا إلى عائلة الكيلاني فقتلوا خالد الكيلاني وزوجته وطفليه، ثم تحول البغاة في الحي نفسه إلى جامع الخانكان،

حيث احتمى آل طيفور في المسجد، فقتلوهم دون رادع أو شفقة، وقد عرف من شهداء آل طيفور: ياسر طيفور، وصفوح طيفور، وزياد طيفور، وحسن طيفور، ووليد طيفور الذي قتل بالقصف المدفعي.

لم تطفئ هذه المجازر ظمأ البغاة للقتل، فتحولوا إلى أسرة المواطن أبو علي، فقتلوه، وقتلوا معه أبناءه الخمسة، ولم ينج منهم إلا طفل عمره خمس سنوات، ثم مال القتلة إلى عائلة التركماني في شقة مجاورة، فقتلوا عائدة العظم وابنها طارق تركماني، ثم دخل المجرمون منزل السيدة ميسون عياش، وبجانبها ولداها وحماتها فهمية لطفي، فسألوها عن زوجها، فقالت: إنه مهاجر إلى السعودية التماساً للرزق، فأطلقوا النار عليها، وعلى حماتها، ونجا الطفلان من القتل.

جمع البغاة ٣٠ مواطناً أمام الثانوية الشرعية في حي الدباغة، وأطلقوا النار عليهم، فاستشهدوا جميعاً، عرف منهم مجموعة من آل القباني، وبعضهم لم يكن قد تجاوز من العمر ستة عشر عاماً.

و - في اليوم الثامن من المجزرة الكبرى لحماة الشهيدة، بدأت الأخبار تتسرب إلى المدن الأخرى التي شهدت غليان المواطنين لما سمعوه من جرائم مرعبة، كذلك تحركت بعض الأحياء في داخل المدينة مثل حي سوق الشجرة بانتفاضة الجريح المكلوم، فشرع عساكر السلطة يقتلون، ويقتل بعضهم بعضاً سخطاً على السلطة وحنقاً على المجرمين مما كانوا يرون من حقدهم ووحشيتهم.

لم تتوقف الهجمات على حي البارودية، بل استؤنفت صباح

الثلاثاء الموافق ٩-٢-١٩٨٢، واستمرت إلى ما بين الظهر والعصر، تمهيداً لهجوم واسع أعدوا له على الحي العنيد الصامد، كما التفت البغاة إلى حي الشمالية، فشرعوا في قصفه، فقتل عدد من المواطنين، وانسحب آخرون من السكان المدافعين عن مبنى كبير كانوا قد لجأوا إليه، فاحتلته قوات السلطة، وأخرجت من بقي فيه، فصادف وجود المواطن محمد كنيفل فقتلته، ثم حاولت مجموعتان من الوحدات الخاصة احتلال أسطحة بيوت مجاورة في حي السخانة المجاور، فتصدى لهم السكان المدافعون عن الحي، وأرغموهم على التراجع، وحينما ألقى الجنود قنابل يدوية على قبو احتمت فيه النساء والأطفال، اعترض بعض الجنود على هذه الممارسات، وتصدى ضابط دمشقي برتبة نقيب دفاعاً عن شرف النساء، فقتلته عناصر السلطة بدعوى أنه انضم إلى المدافعين.

ز - في اليوم التاسع الأربعاء الموافق ١٠-٢-١٩٨٢ من المذبحة ازداد انحسار المدافعين عن منازلهم وأحيائهم وحرماتهم أمام القصف الشديد، واتساع دائرة الهدم لبيوت السكان، فتقدمت قوات البغي إلى المستشفى الوطني القديم الذي اتخذته قوات السلطة مقراً لقيادة اللواء، وأحاطته بالدبابات، فانتهت مقاومة حي الأميرية وحي المناخ، غير أن سكان حي السخانة دافعوا عن بيوتهم دفاع المستميت، فقررت السلطة لإنها القتال دك المنازل وتدميرها مجموعة بعد أخرى، ثم التي تليها، حتى أتت على الحي أو على معظم منازله، أما حي بين الحيرين المجاور لحي السخانة، فإن الدبابات لم تفلح في هجومها

عليه، بعد أن دمر السكان دبابة كان فيها ضابط برتبة رائد، أما المواطنون الذين تترست بهم عناصر السلطة، فقد حاولوا الهرب، فلاحقتهم الدبابات وسحقتهم هرساً على الجدران، وكان فيهم الشهيدان صالح عبد القادر الكيلاني وابنه فواز صالح الكيلاني.

زجت السلطة ٣٠٠ عنصر من قواتها في اقتحام حي السخانة، ففجر السكان لغماً مزروعاً في الشارع، فقتل من جنود البغي ٣٠ عنصراً، ثم انسحبوا من المبنى المحتمين به، والقريب من مدرسة غرناطة، فاستمرت السلطة في تدمير المساكن والمحلات التجارية والمساجد والمدارس في هذا الحي -حي بين الحيرين- وفي حي الشمالية.

في ساعات الفجر فوجئ أحد الحراس من السكان بتسلل جنديين من عناصر السلطة، فهتف مكبراً، وقتل أحدهما، وفر الآخر مثخناً بجراحه، يستنجد بمجموعته التي ولت هاربة، ولم تسعفه حتى فارق الحياة، وغنم سكان الحي سلاحهما، ثم حصل اشتباك بين حراس الحي المتحفزين للمواجهة، وبين عناصر السلطة، فقتلوا منهم عشرة جنود وفر الباقون، فغنم المدافعون أسلحتهم، وفي ساعات الضحى، فوجئ المدافعون بمجموعة من جنود السلطة، فواجهوهم بصدام سريع أدى إلى قتل ثلاثة جنود، غنم الأهالي أسلحتهم وفيها ٤ قذائف آر بي جي.

في اليوم العاشر من مجزرة حماة اللئيمة استمرت السلطة القمعية في القصف والتدمير، وإحراق بيوت الكيلانية الأثرية ومساجدها

وزواياها المشهورة، وفي هذا اليوم، واصلت مجموعة مؤلفة من ١٢ عنصراً من قوات السلطة طريقها في حي المناخ، وهم يعلقون بنادقهم على أكتافهم، فدخلت شمالي حي البارودية، ففاجأهم أحد السكان، وقتل منهم عشرة جنود على الفور، فاختبأ اثنان منهم في جانب من الزقاق، أما قائدهم فقد هرب زحفاً على الأرض ومسدسه بيده، حيث تلقاه مواطن آخر عبر النافذة، وقضى عليه، ولدى تفتيش جيوبه تبين أنه برتبة رائد، أما العنصران الهاربان فقد قتلا بعد مناوشة قصيرة.

ومما يخلف حرقة في أكباد الغيورين على دينهم أو أمتهم ووطنهم وميراث شعبهم ما فعلته السلطة الباغية في حي الكيلانية، بقذفها القنابل الحارقة على قصورها الأثرية ذات الشهرة العظيمة، لدى اليونيسكو، ولدى المؤرخين والباحثين، وفي مقدمتهم الداعية العلامة أبو الحسن الندوي رحمه الله بعد زيارته لها، وكتابته عنها في كتابه: مذكرات سائح في الشرق العربي.

ترى؟ ماذا جرى لسكان البلد المنكوب في هذه الأيام ومساجدهم، وقتل عدد كبير منهم في مجازر رأينا أمثلة عنها في يوميات هذه النكبة النكراء؟ كيف كان السكان يأكلون؟ وكيف كانوا يشربون؟ وكيف كانوا يداوون جرحاهم؟ ومن أين يأتون بالدواء وحليب الأطفال؟ وكيف عاشوا هذه الأيام العصيبة؟ وأي نوع من البشر هؤلاء السفاحون القتلة المجرمون؟ وكم يحملون من أحقاد لم نجد أو نسمع بمثلها لدى أية أمة، أو أي شعب، أو أي جنس، والتي

لو وزعت على سكان الهند والصين واليابان، بل وعلى شعوب الأرض لبقي لديها المزيد، كان الله في عون سكان وأبناء مدينة حماة، هذه المدينة المنكوبة بالتتار الجدد، وعوض الرحمن أهلها خيراً وأجراً وجنات لهم فيها نعيم مقيم.

٣ - انقضت الأيام العشر من شهر النكبة، والناس يصبحون على الحصار والقصف، ويمسون على الذبح وحمامات الدم والمجازر الجماعية للعشرات والمئات، ثم الألوف.

صعدت السلطة ممارساتها في القصف والهدم واقتراف المجازر الجماعية، وهدم المساجد والمؤسسات الدينية، وقد ركزت السلطة قصفها على بناية مظهر البارودي، ثم تمركز فيها عناصر سرايا الدفاع، ثم تمكن عناصر قوات البغي من التقدم في داخل الحاضر عند تقاطع سوق المدار وشارع سعيد العاص بالقرب من جامع الأربعين، وفي هذا اليوم أقدمت عناصر السلطة على هدم المدرسة الشرعية، وهدم مسجد الشيخ إبراهيم، ومسجد سعد بن معاذ، مع هدم ١٣ منزلاً في حي الفراية وعلى هدم مسجد الدرابزون، وزاوية الشيخ عبد القادر الكيلاني، وزاوية الشيخ حسين الكيلاني.

في ١٢-٢-١٩٨٢ دخلت قوات الإجرام على مجموعات، وأخذت مجموعة من سكان الحي من آل المصري، بلغ عددها أربعين مواطناً، فأطلقوا عليهم الرصاص، وأردوهم قتلى، ليلحقوا بالشهداء الأبرار من أمة سيد الأنام، عليه أفضل صلاة، وأزكى سلام، وفيما يلي بعض الأسماء ممن نالوا مقام الشهداء بفضل ربهم عليهم

وهم: عبيد المصري، وعبد العزيز المصري، ومنذر المصري، وأديب المصري، وأدهم المصري، وغازي المصري، ونصر المصري، وموفق المصري، وبشار المصري، وحياة المصري، ومحمد المصري، وجهاد المصري، ومهند المصري -٣٧ سنة- وعبد القادر المصري، وجهبذ المصري -٦٥ سنة- وطفل رضيع من آل المصري، وغسان المصري، وموفق الشقفة، وعلية البيطار، وسعد المصري، وماهر المصري، وبسام المصري.

اشتدت في اليوم الثاني عشر ممارسات السلطة في الانتقام، واقترفت عدداً من المجازر، كانت سبباً في انحياز بعض العسكريين ضد السلطة في الدفاع عن المواطنين، فبعد بقاء عدد قليل من سكان الشمالية على قيد الحياة قابعين في مساكنهم القليلة التي لم يشملها الهدم، قامت السلطة الظالمة بتمشيط الحي، فقتلت عبد الغني سليمان، وأخاه خالد سليمان، أما حي الحميدية فقد اجتاحته قوات اللواء المدرع ٢١ من جهة الشرق -طريق سلمية- كما وصلت إليه سرايا الدفاع من جهة الغرب -من ساحة حي الحاضر- وبدأوا في عمليات قتل واسعة، حيث كانوا يجمعون الرجال، ويأمرون كل واحد أن يدير وجهه إلى الجدار، ثم يطلقون عليه النار من فوق دباباتهم طلباً للسرعة في القتل وبث الإرهاب، ثم تأتي مجموعة ثانية، يؤمر أفرادها بتقليب جثث الضحايا، ووقوف كل واحد منهم في مواجهة ضحية مقتولة بحيث يكون وجه الضحية وصدره إلى السماء، ورجلاه أمام رجلي الضحية الجديدة وجهاً لوجه، تمهيداً لإطلاق النار عليهم

وقتلهم، فتعاطف بعض الجنود من الجيش مع المرشحين للقتل، ووقفوا بجانبهم، فاكتفى البغاة بالاعتقال، وثمة ترجيح بإنزال عقوبات بالجنود الذين تعاطفوا مع المواطنين، ولم يعرف أحد مصيرهم -مصير الجنود- ومن الجدير ذكره أن ٤٠٠٠ رجل وامرأة شردوا من حي الحميدية، فاعتقلت السلطة كل الرجال من أهل حي الحميدية.

أ - في هذا اليوم السبت في ١٣-٢-١٩٨٢، داهم الجنود منزل صبحي الصحن في حي الدباغة، وعندما خرج إليهم، سألوه: هل في المنزل شباب؟ فقال لهم: لا يوجد إلا هذا الشايب، فأجابوه بطلقات أنهت حياته، ودخلوا المنزل ليجدوا العائلة مختبئة في قبو المنزل، فقتلوا الجميع، ونهبوا موجودات المنزل قبل مغادرته، وقد عرف من شهداء آل الصحن: صبحي الصحن، وفرحان الصحن، ومنور صبحي الصحن، ومروان صبحي الصحن، وماجد صبحي الصحن، وأحمد سليم الصحن.

في يوم الأحد ١٤-٢-١٩٨٢ عادت قوات البغي لتفتيش حي الشمالية، فأخرجت البقية الباقية من سكانه، وقتلت عدداً غفيراً، من بينهم أحد العجزة، فقتلوه مع والده، وفي نفس الوقت كانت ثمة قوات أخرى تفتك بالقسم المجاور لحي الشمالية من سكان حي السخانة.

بعد ظهر هذا اليوم، تقدم خمسون عنصراً من الوحدات الخاصة باتجاه زقاق آل السبسبي، وكان عدد من المدافعين مختبئين في دارين لاحظوا تقدم العناصر بصمت، وبعد أن دخلوا صاح أحد الجنود:

اصعدوا فالمكان خالٍ من ساكنيه، وعندما همّ بعضهم بالصعود تلقاهم سكان الحي من المتوارين، وقتلوا منهم ستة، ولاذ من استطاع من الجند بالفرار، وصاح أحدهم، مخاطباً رئيسه الذي ألح عليه بالتقدم: يا سيدي هم مئة، ونحن خمسون، ولم يقترب وقت العصر حتى انسحبت عناصر السلطة بعد أن خلفت عشرين قتيلاً.

في حي طريق حلب اتخذت السلطة دار المواطن محمد عمري مقراً لإعدام المواطنين، عرف من قتلاها: محمد صابوني. وفي هذا اليوم نفذت السلطة إعدام ستة مواطنين على طريق سلمية -شرقي المدينة- عُرف منهم: الخباز ابن مرعي، وصالح محمد كربجها من حي الحميدية، وبعد أيام شوهدت أكوام من الجثث في هذه المنطقة.

في يوم الاثنين الرابع عشر من شهر شباط ١٩٨٢ اشتد القصف والحرق والنهب والمجازر التي اجتثت بعض العائلات فلم تبق منهم باقياً، كما استمات المواطنون وهم يرون الموت المحقق الزؤام في الدفاع عن أنفسهم وأبناء بلدهم، واغتنام الأسلحة من السلطة التي تمعن في ارتكاب المجازر، مثل مجزرة زقاق آل الكامل، وزقاق آل الزكار في حي الشمالية.

عادت سلطات البغي إلى دخول حي الشمالية، وقتلت مئات المواطنين الأبرياء العزل من الأطفال والرجال والنساء، فلم ينج من هذا الحي إلا من كان مسافراً، أو نجا بأعجوبة، وكان من أسوأ هذه المجازر، مجزرة آل الكامل، حيث تمكن البغاة من الوصول إلى هذا

الزقاق الذي ازدحم فيه عدد كبير من السكان فراراً بأرواحهم، وقد فتش الجنود البيوت، فوجدوا في بيت آل الزكار أعداداً كبيرة من السكان مختبئين في قبو الدار، فأخرجوهم من القبو، وأداروا وجوههم إلى الجدار، وقتلوهم جميعاً، عُرف منهم: محمد أحمد الكامل، وفاروق محمد الكامل، وعمر باكير الزكار، وخالد بدوي سليمان، وعبد الغني بدوي سليمان، والشيخ عبد القادر الورار، ويوسف محمد الورار، وحيدر عبد المجيد الورار، وديبو أحمد شنينة، وغسان ديبو شنينة وإبراهيم أحمد أصلان، ومصطفى عمر بصيلة، وعمر علي كويت، وصبري محمد خليف، ومحمد صبري خليف، وفيصل ياسين زلف، وحسن صطيف، ومحمد حامد محناية، ورحمو عبد الهادي حنيظل، وفيصل حنيظل، وغزوان عبد اللطيف أبو دمعة.

وفي زقاق آل الزكار، جمعت السلطة الباغية ٦٠ شخصاً، وحشرتهم في الزقاق الضيق، وحصدتهم بالرصاص حتى قضت عليهم: وقد عرف منهم: عبد القادر الزكار، وزوجته وطفلاه، ونزار غالب الزكار، وهندي محمد القطان، ومحمد رشيد القطان، ومنذر محمد شومل، وتوفيق سالمة، وعبد الغني سالمة، وراشد سالمة، وعبد العزيز الكامل، ومرهف محمد الكامل.

ب - في أيام الثلاثاء ١٦-٢-١٩٨٢، والأربعاء ١٧-٢-١٩٨٢، والخميس ١٨-٢-١٩٨٢، تابعت السلطة ممارساتها الوحشية على النساء والأطفال والمسنين، والإجهاز على الجرحى، وارتكاب

المجازر، ونهب المنازل وسلبها وإحراقها، دون أن تكف عن القصف العشوائي على حي البارودية بدعم الدبابات، واستخدام البلدوزرات لشق الطرق والأزقة الضيقة، وإزالة أكوام التراب والحجارة التي تسد الطرق.

كانت المدن السورية تغلي كالمرجل دون أن تستطيع فعل أي شيء لنجدة مدينة حماة، باستثناء ما حدث من انفجار ضخم في وزارة الإعلام في دمشق.

تقدمت الدبابات باتجاه حي الشرقية، وأخرج العسكر السكان من منازلهم، ثم جمعوا الأطفال، وأفرغوا الحي من سكانه، وجردوا الرجال من ملابسهم في الشتاء القارس، وأرغموهم على الهتاف لحافظ أسد، ثم حشروهم في الجامع الشرقي مسجد الحي، وفجروه بهم جميعاً ليلتحقوا بالشهداء الذين تجاوزت أعدادهم الألوف إلى عشرات الألوف من قتلى مدينة أبي الفداء.

في يوم الجمعة التاسع عشر من شهر شباط، الموافق يوم الثامن عشر من بدء مجزرة القرن عن بدء سحق مدينة حماة وهدمها، وقتل عشرات الآلاف من سكانها، وتهجير عشرات ألوف أخرى، وتصاعد عدد الضحايا في كل ساعة ويوم، أصاب ضباط وعساكر السلطة اضطراب نفسي، بدا في صور مختلفة، منها، أن قوات السلطة حاولت مراراً اقتحام زقاق الشيخ صالح السبسبي، فلم تفلح، وخسرت عشرين عنصراً من جنودها، وكان الضابط الذي قاد الهجوم برتبة رائد، وكان متحصناً بأحد الأبنية، فصرخ بالنقيب: تقدم أيها

الجبان، وكان المدافعون خمسة رجال من أبناء الحي، هيا اقتحم، وإلا فسوف أنفذ فيك حكم الإعدام، فأجابه يا سيدي: هم خمسون، ولم يبق معي سوى ثلاثين، أرسل لي خمسين بعددهم حتى نقتحم عليهم، ثم تقدم النقيب بإلحاح رئيسه الرائد، فلم يلبث أن قتل برصاص المقاومين، وعندما حاولت عناصر السلطة التقدم من جهة أخرى خلف البيوت، من دار بيت الخاني، دحرهم السكان، وكبدوهم ٢٠ قتيلاً، وسمع الأهالي أصواتاً من العناصر تصرخ وتقول: لماذا جئتم بنا إلى حماة، كي تقتلونا؟ على حساب من نموت؟ على حساب آل الأسد؟ وهم يسبون ويشتمون.

كانت السلطة بعد كل هجوم تبدل العناصر كيلا تنهار معنوياتهم، وهم يرون زملاءهم يقتلون، كما كانت السلطة تخلي مناطق المعارك من جثث ضحاياها حتى لا يُفَتَّ في عضد العناصر الجديدة.

ج - في هذا اليوم هدم البغاة مسجد الشيخ إبراهيم الكيلاني، بعد قصفه ثلاث مرات في حي الزنبقي، كما هدمت المسجد الشرقي الذي أمضينا طفولتنا في رحابه صلاة وذكراً، وهدمت المدرسة التي بنيت فوق أروقته وسطحه -المدرسة المحمدية الشرعية- التي تخرجنا منها، وحملنا الشهادة المتوسطة بعد دراستنا في صفوفها، وتلقينا الدروس الشرعية على أيدي أساتذتها الفحول، من أمثال الشيخ محمد الحامد في الفقه الحنفي، والشيخ محمود الشقفة في الفقه الشافعي، والشيخ محمد علي الشقفة في التوحيد والفرائض.. إلخ، كما هدموا مسجد البحصة الذي كان يدرس فيه أحد علماء حماة الكبار الشيخ

سعيد الجابي العالم السلفي الداعية الوطني وأحد زعماء الكتلة الوطنية في المدينة، رحمهم الله جميعاً، وأجزل لهم الأجر والمثوبة، ثم هدم الطغاة القسم الداخلي لطلاب معهد الروضة الهدائية الشرعي في حي الأميرية.

وفي يوم السبت ٢٠-٢-١٩٨٢ شرعت السلطة الهمجية في وضع العبوات الناسفة من مادة ت.ن.ت بكميات كبيرة تحت المنازل والأبنية لنسفها، فهاجمهم بعض السكان، فهربوا وتركوا وراءهم ٧٠كغ من المتفجرات، وعشرات الأمتار من الفتيل الصاعق، فغنمها الأهالي، وصنعوا منها عدداً من الألغام، ودمروا بها ٦ دبابات للسلطة، وكان اثنان من العساكر يحاولون سرقة أحد الحوانيت، فشاهدهما أحد المواطنين، فقتل أحدهما وفر الآخر، بعد إصابته مذعوراً.

انتهت العشر الثانية من شهر المجزرة، ومن استمرار القتل والقصف العشوائي، ونسف المنازل والعمارات، ونهب الذهب والحلي والأشياء الثمنية من الأسواق والبيوت، لأسأل مرة أخرى: كيف كان الذين بقوا على قيد الحياة يأكلون؟ وكيف كانوا يشربون؟ وكيف كانوا يداوون جرحاهم، وكيف يستطيعون إحضار طبيب يعالج؟ ومن أين كانوا يأتون بالدواء؟ وبالحليب لأطفالهم؟ وفي أي مستشفى كانت الحوامل يضعن مواليدهن؟ ويا للمأساة، ما أكبرها وما أشدها، وما أعظم آلامها؟ هل كانت جريمة السوريين أنهم صفحوا عن الذين كانوا جنداً للفرنسيين طيلة ربع قرن؟ وأنهم سلموهم

السلاح الذي اشتروه من أموال الضرائب التي دفعها المواطنون؟ هل جزاء الإحسان والصفح إبادة المدن الكبيرة وهدمها فوق سكانها، وقتل أبنائها بكل ضروب الذبح والحرق والقتل الجماعي؟ لا فرق بين شيخ طاعن في السن وطفل ما يزال يرضع ويحبو؟!!

ما أفدح المصاب في حماة، والعزاء كل العزاء، أن الله حرم الظلم على نفسه وعلى عباده، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه اطلع على ما أصاب حماة من ظلم، لا يعرف الناس له مثيلاً، وأن الله هو المنتقم الجبار، وأن الطغاة والبغاة والمفسدين في الأرض، سيعلمون أي منقلب ينقلبون.

٦ - دخل الثلث الأخير من شهر شباط عام ١٩٨٢ وأحداث المجزرة، ومقاومة المواطنين تلفظ أنفاسها أمام قوة عسكرية جبارة لم يستخدمها البغاة مع العدو منذ عام ١٩٦٣، إلا ليسلموه قطعاً ومناطق وقرى ومزارع غالية من أرض الوطن الحبيب إذ لم يعد لديهم غذاء، ولا دواء، ولا ذخيرة، وليس لديهم ما يقدمونه من قربان يفدون به دينهم ووطنهم إلا الدم الزكي المسفوح، والأرواح البريئة التي صعدت إلى بارئها تشكو ظلم الإنسان للإنسان، وقسوة الإنسان على الإنسان.

أ - ففي يوم الأحد الموافق ٢٠ من شهر المجزرة، شباط ١٩٨٢ سارعت السلطة بإنهاء المقاومة، وإسكات الأصوات الخافتة، بعد أن حولت المدينة التاريخية المجاهدة (التي كما وصفها دولة فارس الخوري: لها في مضامير الجهاد مفاخر) إلى مقبرة كبيرة ضمت في ثناياها وفي أحشائها عشرات الألوف الذين تتراوح أعمارهم ما بين

شهرين وستة أشهر إلى خمس سنوات وعشر سنوات وعشرين وثلاثين إلى ثمانين سنة.

أقـول: سارع البـغـاة في إسكات أي صـوت، والقـضاء عـلى أي حركة، فتوسـع الطغاة في هدم المساكن على بعض الأحـياء، وجعلها قاعاً صفصفاً وأنقاضاً.

وفي يـوم الاثنين الـموافق ٢٢ شـباط، اسـتـمر القـصف والنـهب والإجهـاز على الـجرحى، واعـتقـال كبـار علمـاء المديـنة ورجالاتـها ووجهائها، ونقلهم إلى جهة مجهولـة بعد تعذيبهم والتنكيل بهم، كما اعتقل البغاة في هذا اليوم ٣٠٠ مواطن من سكان حي الكيلانية، وفي المعتـقلات قرأ السفاحون أسـماء كل من له صلة بالدعـوة الإسلامية، وبالمـؤسسـات الإسلامـية، مثـل العلمـاء وموظفـي الأوقاف والإفـتاء والمساجـد ومدرسي التربية الإسلاميـة، فنقلوا إلى جهة غيـر معلومة، وقد شوهد لآخر مرة مـفتي مدينة حماة الشيخ بشيـر مراد، ومعه كبار علماء المـدينة، أثناء اعتقـالهم وسوقهم إلى جـهة مجهولـة، ولم يعد أحد يسـمع بهم، أو يسـمع لهم ذكـراً، لأنهم قتلـوا جميـعاً، دون أن يعلم أحد من حمـاة عن مصيرهم، وكيف قتلوا، أو كـيف تم قتلهم، رفع الله شأنهم، وأعلى قدرهم، وجعل الجنان مستقرهم ومأواهم.

في المعتقـل نادى الطغاة على كل من ينتمي إلى عـائلة المصري، فجـمعوهم في مـكان واحد، ثم سيـقوا إلى مقـبرة سريحـين الأخدود الأكبـر في مجـزرة حماة ومـا حولهـا من القـرى، وقتلوهم جـميـعاً، وكانوا من قـبل قد قتلـوا من هذه العائلة الـكريمة ٤٠ شهـيداً في حي

العصيدة كما رأينا من قبل.

في اليومين الثاني والعشرين، والثالث والعشرين من شهر المأساة المروعة، انطوت آخر رايات المقاومة الشعبية يوم الثلاثاء في حي البارودية، حيث شرع القتلة يطلقون قنابل ضوئية ليكشفوا عن القلة المختبئة بين الأنقاض للتخلص منهم، والإجهاز عليهم، فازدادت هجمات السلطة من مختلف الجهات، مما زاد في عدد الشهداء بين المواطنين، إذ فجر البغاة كل مكان يرجحون احتماء المواطنين والمقاومين فيه، وكان آخر قبو يختبئ فيه من بقي حياً من المقاومين عرضة للقصف والبلدوزر الذي دمره كلياً، وقبل أن تفجره عناصر من سرايا الدفاع، قام المقاومون بفتح ثغره فيه، وانسحبوا منه.

ب – اشتد التوتر في مدينة حمص، وهم يرون الأيتام والمشردين على أبواب المساجد، أو في داخلها، فخشي البغاة أن يحدث في حمص ما حدث في حماة، فتمركزت الدبابات في منطقة القلعة، وأنذرت المواطنين، وحذرتهم بمنشورات وزعتها على أحياء المدينة، تنذر أهل حمص من أي تحرك، وأن أي رصاصة تخرج من منزل سيدمر بالحال، لكن الريف شهد تحركاً معارضاً أخاف السلطة، ولاسيما في بلدة القريتين، حيث استخدمت السلطة طائرات الميغ لضرب الملاحقين بعد أن أسقطوا طيارتي هليوكبتر لقوات الحكومة.

وفي هذا اليوم جمع البغاة عدداً من عائلة الشيخ عثمان في حي الشرقية تزيد على ٢٥ شخصاً، وقتلتهم جميعاً، وسوف يأتي لاحقاً شرح لنكبة هذه العائلة موثقاً بشهادة من بقي حياً من أبناء هذه العائلة

على قيد الحياة، لأن كل ما مر معنا من مجازر في حماة، جاء ذكره موجزاً ومختصراً، مكتفياً بإيراد تفصيلات عن نكبة آل الشيخ عثمان كمثال عن فداحة النكبة في عائلات المدينة.

ج - في اليوم الخامس والعشرين لبدء مأساة العصر، وهو يوم الجمعة في ٢٦ شباط تابعت السلطة هدم المساجد كلياً، فهدمت مسجد سوق الشجرة، وقتلت ثلاثة مواطنين، أحدهم من آل الصمودي، وآخر من آل القضيماتي، وثالث كان طفلاً، ومع تفجير المسجد تهدم عدد من البيوت لعائلات حمدون وعيسى والنزهة، كما هدم البغاة الجامع الكبير في حي المدينة، وهو صرح أثري، يزيد عمره عن خمسة آلاف سنة، منذ العهود الوثنية، فالمسيحية، فالعهود الإسلامية، وهدمت جامع المسعود (الذي شهد نهضة دعوية كبرى، يوم كان الداعية مصطفى الصيرفي يتحدث يومياً عقب صلاة الفجر، ليزدحم على سماع مواعظه البليغة حوالي ألف وخمس مئة مصلٍ كل صباح) وجامع الحوراني، وجامع الشهداء في حي الصابونية، وجامع الإيمان في حي الشريعة، وجامع صلاح الدين في منطقة جنوبي الملعب على طريق حمص، وجامع رستم بك في حي المحالبة، وجامع الهدى فوق هضبة المصيطبة بجوار البئر الارتوازي ذي المياه المعدنية التي كان الناس من سورية وخارجها يقصدونها للاستشفاء، كما هدموا كنيسة السيدة العذراء للروم الأرثوذكس التي استغرق بناؤها وأعمال الزخرفة فيها ١٧ سنة مما جعل رجال الدين المسيحي في حماة يبكونها بدموع حرى بعد أن فشلت توسلاتهم في الإبقاء عليها.

كان هذا الهدم وقع بعد احتلال المدينة وإنهاء المقاومة، بل إن البغاة استأنفوا هدم المساجد بعد أن كانت مهدمة جزئياً ليأتوا عليها من القواعد، بعد أكثر من شهر من نكبة المدينة، فقاموا بهدم جامع المناخ، ومسجد الأربعين، ومسجد مروان حديد، وتوجوا ذلك بهدم مؤسستين دينيتين هما: معهد الروضة الهدائية الشرعي، وجمعية رعاية المساجد الإسلامية في حي الأميرية، ومما يجدر ذكره أن المعهد كان مدرسة، بدأ بناءها أبو الهدى الصيادي بأساس وأعمدة وأحجار ضخمة، ثم توفي أبو الهدى قبل إكماله، فجاء الشيخ محمود عبد الرحمن الشقفة، وجمع لها الأموال، وجعل منها بناءً عتيداً، أطلق عليه اسم الروضة الهدائية نسبة إلى أبي الهدى الصيادي رحمه الله، فحاول البغاة هدمه، فلم تنل منه المتفجرات ومادة الـ ت.ن.ت، فأصروا على هدمه ونسفه بأي وسيلة، فاستدعوا خبراء وكميات كبيرة من المتفجرات سريعة الانفجار، وكرروا محاولاتهم حتى نسفوه من قواعده.

د – في اليوم الخامس والعشرين من أيام المجزرة المفزعة، يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر شباط، اعتقلت السلطة ١٥٠٠ مواطن ساقتهم في شاحناتها، دون أن يعرف أي مواطن عنهم شيئاً، ولم يعد يعرف أهل المدينة عن مصيرهم وما آل إليه أمرهم، وإمعاناً في ترهيب المدينة، ساقت السلطة في هذا اليوم ١٦ مواطناً من حي الفراية الذي لم تخرج منه رصاصة واحدة، وأمرتهم بنقل الأمتعة والأثاث التي سرقوها من المنازل والحوانيت إلى الناقلات العسكرية،

لنقلها إلى القرى والمدن الأخرى لبيعها أو حملها إلى بيوت من سرقها، وكانت الشاحنات ترابط بجوار المسجد الجديد في سوق الطويل، وبعد أن انتهى المواطنون من عملية النقل، اقتادهم عناصر السلطة من أبطال السرايا والوحدات إلى حرم المسجد، ورشوهم بزخات من الرصاص أردتهم قتلى وشهداء، عُرف منهم: الدكتور محمد نصر سفاف، وعلي أحمد الحديدي، وإبراهيم عثمانلي، ومروان عمر مشيلح، وكان الشهيد العثمانلي قد طلب منهم السماح له أن يصلي ركعتين قبل أن يلقى وجه ربه، وعندما بدأ في الصلاة عاجلوه بإطلاق النار عليه، قبل أن يُكمل صلاته، ويفرغ من ركوعه وسجوده.

في اليوم السابع والعشرين من المجزرة، يوم الأحد ٢٨-٢-١٩٨٢ أي في آخر شهر المأساة، وبعد أن فرغوا من إسكات المدينة، بإبادة ثلثها إبادة تامة وكلية، وإصابة الثلث الثاني إصابات متفاوتة بين الهدم الكلي والجزئي، والنيل من الثلث الثالث، التفت البغاة إلى ريف المدينة، فتوجهوا إلى القرى التي يظنون أنها أفرزت مقاومين، أو آوت مطاردين، أو ساعدت منكوبين، فاختاروا قرية طيبة الإمام التي تبعد عن مدينة حماة ١٨ كم باتجاه الشمال الغربي، كان يقطنها عشرة آلاف ساكن، فقامت السلطة بشن هجوم عليها مستخدمة طائرات الهليوكبتر، وأنزلت مجموعات من الوحدات الخاصة على قمم الروابي والهضاب المحيطة بالقرية، ونصبوا عليها رشاشات الدوشكا، ودفعوا بعشر سيارات من المخابرات العسكرية

إلى داخل القرية، وشرعوا باعتقال أهالي القرية العزل الآمنين، عُرف منهم: أحمد مصطفى، ووليد العتر، ورياض خطاب، ومحمود الأبوعلي، وإسماعيل نبهان، ومحمد قناص، ومحمود عوض، وعبد اللطيف خطاب، ومحمد العتر، ومن الجدير ذكره أن البغاة نهبوا حانوته وحلي زوجته، كما أن مصير بعضهم ما زال مجهولاً، والأرجح أنهم قتلوا بعد أن مضى على غيابهم ٢٧ عاماً، وأن بعضهم شوهد في سجن المزة مع المعتقلين والمسجونين في هذا السجن الكئيب.

٧ – وأخيراً.. تغلب أبطال الجولان وفحول حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ على سكان مدينة حماة، وانتصروا على أبناء مدينة أبي الفداء، البالغ عددهم ٣٠٠ ألف مواطن، يضاف إليهم مثلهم أو قريباً منهم من ريف المحافظة، وقتل الفحول الأبطال ما يزيد على ثلاثين ألف مواطن، بل ومن الباحثين من يرفع هذا العدد إلى ٤٠ ألفاً، وآخرون إلى ٥٠ ألفاً كما سمعت ذلك من ممثل منظمة التحرير في دمشق إذ ذاك الأستاذ محمود عباس -أبو مازن- كما أخبره بذلك موظف مسؤول كبير في سلطة الأقلية.

انتصر عساكر سرايا الدفاع والوحدات الخاصة على شعب أعزل، قدرت السلطة السورية أن المعارضين في حماة لا يزيدون على ثلاث مئة مقاوم، وإذاً فما بال الـ ٣٠٠ ألف، لتستباح دماؤهم وحرماتهم، ويقتل أبناؤهم وأحفادهم، وتقطع أيديهم وأرجلهم، ويُحرقوا بالعشرات، بل وبالمئات في جميع أنحاء المدينة وأحيائها، وتحفر

لهم الأخاديد في ضواحي المدينة، كالذي فعلوه في قرية سريحين، ثم يدفنون فيها بعد قتلهم بالرشاشات والمدافع والقنابل، بل ويقتل المئات منهم في كل حي، من المسنين الذين لم يستطيعوا الهرب، ومن النساء اللواتي قطعت أيديهن وأصابعهن للحصول على الحلي والأسورة والخواتم!!

لقد توزع المنتصرون بطولاتهم، بسوق من بقي حياً إلى المعتقلات الجماعية في المدارس والثكنات والمصانع، مثل مدرسة الصناعة في المدينة، ومصنع البورسلان الذي يقع جنوبي المدينة على بعد ١٥ كم على طريق حمص، لتبدأ أنماط من التعذيب لم يُسمع بها وبمثيلها من قبل، فقد كان ينادى على المعتقل، ليعدم على الفور إذا كان من عائلة متهمة بالمعارضة، وإذا كان المعتقل طبيب عيون فقئت عيناه، وسملتا، أو قلعتا أمام ألوف المعتقلين، كما حدث للطبيب الإنساني المهذب حكمت الخاني، وهكذا مما لا ينتهي بنا الحديث عن الفظائع والوحشية التي مارسها فحول الجولان!!

تُرى من أي نوع من البشر هؤلاء الطائفيون؟ وإذا جاء ذكر الطائفيين فإن ذلك لا يعني بأي حال الطائفة العلوية أو الدرزية أو الإسماعيلية أو الأقلية المسيحية، لأن بعض أبنائها ذاقوا على أيدي الطائفيين ما لاقاه أبناء السنة من قتل وتنكيل، واعتقال دام لبعضهم أكثر من ربع قرن، كما حدث لعبد العزيز خير بك ولعشرات أمثاله من العلويين، وإنما المقصود هم رجال السلطة الذين غذوا الروح الطائفية المقيتة وعبأوا أبناء الأقليات بالكره والحقد على بعضهم، فاستجاب لدعواتهم المدمرة فريق من السذج ومن المنتفعين الذين

يفتشون عن الثراء والغنى الفاحش من أي مصدر، ومن أي سبيل، سواء أكان ذلك عن طريق الفرنسيين أيام الانتداب، أو عن طريق بعض الحكومات الفاسدة، ومن باب أولى عن طريق الطائفيين الذين سرقوا الحكم غدراً وخيانة، وبالسلاح الذي استلموه ليواجهوا به العدو، فوجهوه إلى صدور المواطنين العزل، وأقاموا مع العدو هدنة دائمة وشهر عسل امتد عقوداً!!

هل ينسى الشعب هذه الكوارث التي حلت بالمواطنين على نطاق واسع، بعدما سطا ضباط طائفيون على مقاليد السلطة؟

هل يقولون لهم: عفا الله عما سلف، وإنا وإياكم في خندق واحد؟

لا، وألف لا، سواء أكان الفجرة من العلويين أو الإسماعيليين أو الدروز أو المسيحيين، أو من السنيين الذين باعوا أو باع كثير منهم دينه وشرفه وانتماءه الوطني والعربي، وشارك في الإجرام كأمثاله، لابد أن ينال المجرمون العقاب، ولابد أن يثأر السوريون من البغاة والمجرمين دون أن يظلم بريء، أو يقتل طفل أو امرأة، أو أن يُثأر من قريب لظالم، فإنه حدث هذا فإن مدعاة لغضب الجبار الذي حرّم الظلم على نفسه، وجعله بين العباد محرماً، والذي أكد عليه جل شأنه في كتابه المجيد: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[1] ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[2]، وإذا خالف أهل الثأر هذه الأحكام الشرعية القاطعة، فإنهم يكونون مثل من قتل وذبح وأحرق أهل حماة سواء بسواء،

---

(١) سورة المدثر- الآية: ٣٨ .

(٢) سورة الزمر - الآية: ٧ .

ويكونون قد أغضبوا الجبار، وخسروا آخرتهم، كما خسروا دنياهم.

٨ - نعود في ختام مأساة حماة، لنعرج على ذكر الأسلحة التي حشدها الطغاة لسحق المدينة، وتحقيق أمنية القائد الفذ!! رفعت أسد عندما قال: سيذكر التاريخ أن مدينة كانت هنا، اسمها حماة!! وقد حقق اللؤماء ما حضهم قائدهم عليه، فسحقوا ثلث المدينة كلياً، وهدموا ثلثها الآخر جزئياً، وشوهوا وأضروا بالثلث الثالث.

لقد حشد البغاة عشرات الألوف من عساكرهم لهدم المدينة فوق رؤوس أصحابها، وضربوا من حولها ثلاثة أطواق بحيث لا يستطيع طائر أن يمر، ولا جرادة أن تدخل المدينة، أو أن تخرج منها، وحركوا لهذه الغاية الثورية النبيلة جداً ٢٤٨ دبابة و١٠٨ مدافع ميدان عيار ١٣٠مم مداه ٢٥كم ، و٤٨ مدفع هاون عيار ١٦٠مم، و٢٤٨ قاعدة إطلاق صواريخ، وعدداً من الحوامات المزودة بصواريخ م/ د جو أرض، وعدد من راجمات الصواريخ الكورية الملحقة بسرايا الدفاع، كما أن عدد الجنود والضباط بلغ ٢٥٠٠٠، شاركوا في المجزرة، هي مجموع اللواء ٤٧ دبابات، واللواء ٢١ ميكانيكي واللواء ١٢٤ دبابات من سرايا الدفاع، والفرقة الانتحارية ٢٢ التابعة لسرايا الدفاع، والفوج ١١٤ مدفعية ميدان.

شكل العلويون الضباط ٧٠٪ من اللواء ٤٧، وشكلوا ٨٠٪ من اللواء ٢١ أما القوات الخاصة فإن ٩٥٪ من ضباطها علويون، ويشكل الضباط والجنود العلويون من سرايا الدفاع ٨٠٪ من حجم السرايا كلها.

أ – من الأعمال الهمجية أن قوات السلطة تمكنت من فتح ثغرات في حي جنوبي الملعب البلدي في اليوم الثالث من يوم الحصار، فقامت سرايا الدفاع بجمع عشرة جرحى من المدنيين في المستشفى، وباشرت بفتح صدورهم، وتركها مفتوحة حتى تفيض أرواحهم إلى بارئها، وكان في عداد الضحايا المواطن فايز عاجوقة، وهذا ما تكرر بأعداد كثيرة في مقبرة سريحين شرقي مدينة حماة.

ومن التصرفات الوحشية أن امرأة من آل المصري خرجت من باب بيتها عندما دخل جنود البغي حي العصيدة، فقام الجنود بإطلاق النار عليها، وأردوها قتيلة في الحال، وعندما خرجت والدتها جزعاً على قتل ابنتها، قام الأشاوس بقتل الأم بجانب ابنتها.

إننا لم نسمع في تاريخ الإنسان أن قوات معادية قامت بقتل المدنيين على هذه الشاكلة، ولاسيما النساء والأطفال والمسنون.

ب – بعد أن استدمى الجنود الطائفيون، أقدم قادة اللواء ٤٧ على إعدام عدد من أفراد اللواء، بعد أن ارتابوا أن هؤلاء لم يكونوا راضين عما يحدث للمواطنين من تنكيل ومذابح، كما فعل الشيء نفسه قادة اللواء ٢١، فقتلوا عدداً من المجندين مثل محمد مهدي عثمان متهمة إياه أنه هرب أخويه من المعتقل.

لم تكن مقاومة السكان في المدينة بحقيقتها أعمالاً مخططة، ومعداً لها، ولم تكن انتفاضة شعبية مدروسة، بقدر ما هي دفاع عن النفس بعد أن جاءها الموت من فوقها ومن تحت أرجلها.

إن أهالي حماة لا يشكلون جيشاً نظامياً يملك السلاح المتوسط والثقيل كالدبابات والمدافع، ومن ثم فليسوا مؤهلين للدخول في معركة حقيقية مع السلطة، وإن مجزرة حماة لم تكن حرباً نظامية بين جيشين، كما لم تكن حرباً ثورية، تشنها المقاومة الشعبية ضدّ السلطة، بل لقد كانت شيئاً آخر، إنها حرب سلطة ضد شعب آمن، خُطط لها في ظرفٍ مسبق، ونفذت في الوقت المناسب للانتقام من مدينة أبي الفداء، ومن سكانها، ومن تاريخها وبالرغم من دفاع السكان عن أنفسهم وحرماتهم، فإن قوات البغي ما كان لها أن تجتاح حماة لولا النفص في الذخيرة، والذي لم يتم تعويضه واستكماله إبان المذبحة نتيجة للحصار القاسي، بالإضافة إلى نفاد الذخيرة وقطع الإمدادات والوقود والأدوية، وهذا ما سبب احتلال المدينة، والانتقام منها ومن أهلها.

ج - لم يكن في المدينة احتياط للأدوية سوى الموجود في بعض الصيدليات التي سلمت من القصف والهدم، والمستشفيات الموجودة في الأحياء التي لم تستطع السلطة احتلالها، فتمت أعمال الإسعاف البسيطة في مواقع القتل والقتال، أما الإصابات الكبيرة، فقد تم نقلها إلى ما يشبه المستشفيات الميدانية التي أقامها الأهالي في مدرسة زنوبيا في حي البارودية، ونادي الكاراتيه في حي الأميرية، وحمام الشيخ في حي الكيلانية، وجامع الهدى على طريق حلب في شمال حي الحاضر، وجامع المهنا في حي الشرقية، والجامع الشرقي في الحي نفسه، ليتضح لنا أن المواطنين من أبناء المدينة اتخذوا من

المدارس والمساجد والأندية وبعض المنازل الكبيرة مستشفيات لتقديم العلاج لـلمرضى والجرحـى، وكثيراً مـا كانوا يلجأون إلـى الكي رغم آلامه لعدم وجود الأدوية المطلوبة بما فيها البنج الذي يخفف من آلام الجرحى والمصابين، ومع ذلك، فقد تعرضت هذه الأماكن لهجومات شرسـة من البغـاة الذين قامـوا بقتل الأطبـاء والممرضـين، كالدكـتور محمد الشب، والدكتور حكمت الخاني، والممرضين مصطفى بكرو، وإبراهيم السنكري، بالإضافة إلى قصف المسـتشفيات والمستوصفات وتدميرها على من فيها.

إن هذا الفتك الذي يغذيه حقد يكفـي لإبادة الأمة العربية كما جاء على لسان سـامي الجندي في مكان سابق، إذ لم يـحدث أن قام نظام بتدميـر مدينة على أهلها، بما فـيها من رجال ونساء وأطفـال، مدنيين عزل ومـرضى، لم يفـعل ذلك نيـرون الذي أحـرق روما، ولكن بـعد إخراج أهلها منها، ولم يحدث مثل هذا لـدى الفرنسيين الذين قصفوا دمـشق في ٢٩-٥-١٩٤٥، لم نـسمع أن إنـساناً مـتـوحشـاً قام بهـدم المـستشـفيـات، ومنع الإمدادات الـطبيـة والأغذية ومـياه الشـرب عن شعب أعزل مـحاصر، كما فـعل نظام حافظ أسد، ولم يذكـر التاريخ الإنسانـي قيام سلـطة أو قوات غزو بـالاعتداء علـى أماكن العـبادة من مساجد وكنائس، فدمرها تدميراً، كما فعل حافظ أسد بيديه الآثمتين.

د – تفنـن البغـاة في سلطـة الأقلية بـضروب التنـكيل والاضطـهاد والإذلال لأبناء سـورية، وفي كل مـدنها الكـبيرة مـثل حلب وحـمص ودمشـق، فقـد نزلت في ٢٩-٩-١٩٨١ إلى شـوارع دمشق وأحـيائـها

مئات الفتيات المسلحات، تحرسها عصابات سرايا الدفاع، تتحرش بالنساء المواطنات، وتنزع عن رؤوسهن ونحورهن الحجاب بالعنف والقوة والإكراه دونما مناسبة، أو معارضة أو أي شيء يفسر هذا الصنيع، فكان البعض يفسر أن القصد من ذلك استثارة الغيرة الدينية والحمية لدى المواطنين في عاصمة الأمويين، واستفزازهم لجرهم إلى صدام غير متكافئ، تراق فيه الدماء على غرار ما حدث في حلب وفي حماة.

كان النظام يدرك أن لحماة طابعاً خاصاً، متوهماً أن إخضاع حماة يعني إخضاع الشعب كله في سورية، لذلك تنوعت أساليبه في قمع المدينة لاستثارة ردود الفعل لدى سكانها، لذلك كانت انتهاكات السلطة منصبة على القيم الدينية، كضرب المساجد، وانتهاك الحرمات، والعدوان على كبار السنّ الموقرين، وتحقير المواطنين، والمس بكراماتهم واعتباراتهم الشخصية.

لقد كانت القوات الباغية تقتل الأعزل كما تقتل المسلح، لأنها عازمة على القتل لسكان المدينة، مسلمين وغير مسلمين، فوجد أبناء حماة أنه من الأجدى والأجدر، أن يموتوا مقاتلين مدافعين، لقد جاء ذكر مجزرة جنوبي الملعب البلدي التي كان ضحاياها الألوف الذين كانوا بمنأى عن الأحداث والصدامات، فاضطر السكان إلى الدفاع عن أنفسهم كيلا يذبحوا كالنعاج، فبرزت أعمال مواطنين بطولية خارقة، اعترف بها منفذ المذبحة علي ديب منبهراً باستبسال أهل حماة وشجاعتهم، كما اعترف رئيس الوزراء -آنئذ- عبد الرؤوف الكسم

بأن السلطة كانت تعادي ثلاث مئة معارض، فأصبحت تعادي ثلاث مئة ألف مواطن.

لقد استمر حافظ أسد في استجرار شطر من أبناء الطائفة وتوريطهم بالممارسات الدموية بدعوى الدفاع عن الطائفة التي لم يمس واحد من أبنائها بسوء قبل حكم هذه الفئة المجرمة الضالة.

هـ - ثمة أمران لا مناص من ذكرهما والتاكيد عليهما:

أولهما: أنه لابد من عقاب المجرمين والسفاحين مهما طال الزمن، لابد من توقيع العقاب الصارم على من سفك الدماء، ونهش الأعراض، وقتل الألوف بحمامات دم جماعية، ونهب بيوت المواطنين، وسطا على كل ما يملكون من أثاث وحلي ومال.. إلخ، أياً كان انتماؤه، سواء أكان علوياً أم سنياً أم إسماعيلياً أم درزياً أم مسيحياً، فالعقاب ينبغي أن ينال كل من ارتكب بحق مواطن جرماً، وليس على انتمائه العرقي أو الديني أو الطائفي.

وثانيهما: أن كارثة حماة هي مأساة القرون، وليس القرن العشرين وحده، وهي من العمق والكارثية بحيث لا يمكن طيها بالتقادم أو النسيان، وإذا كان التاريخ لا يزال يذكّر الشعوب والأمم بإحراق نيرون لروما بالرغم من مرور حوالي ألفي عام على حدوثها، فإن ما أصاب حماة أفدح مما وقع لروما، وسوف يذكرها المؤرخون والباحثون على مدى عشرات القرون، ليقولوا إن فئة قليلة قفزت على السلطة، وهدمت الحياة الدستورية والمدنية والاجتماعية والقضائية، وحاربت القيم الأخلاقية والأعراف الراسخة التليدة، واستباحت دماء عشرات

الألوف، وأذلت وجهاء الناس وكرامهم، ثم انتهت -كما هو المأمول والمتوقع بإذن الله وقدرته- إلى غير رجعة، غير مأسوف عليها.

٩ً - لقد قتل من قتل تحت الهدم، أو في معارك الدفاع، أو في المجازر الجماعية، أو في المعتقلات والسجون. وإن تعداد سكان المدينة ٣٠٠ ألف نسمة، فأين هم؟ وماذا كان مصيرهم؟ بعد أن أبيدت أسر بكاملها في القتل وتحت الهدم والردم، لقد نزح عن المدينة حوالي ثلث السكان، هائمين على وجوههم، بعضهم كان حافياً، أو بلباس النوم، ومن كان معه بقية مال أو حلي، دفعه على حواجز الطرق إلى لصوص السلطة الذين لم يشبعوا من نهب البائسين، ومن المحال التجارية، ومن المؤسسات الشعبية والرسمية، ولاسيما المصارف، وسوق الصاغة الذي يملك معظمه المواطنون المسيحيون.

توجه النازحون عن حماة إلى القرى والمدن المجاورة، كما وصل مد هذا النزوح إلى معظم المدن السورية، وإلى الأقطار العربية، وبعض البلدان الأجنبية، وحتى نقترب من صورة المأساة، نذكر أن هذه المأساة حدثت في شهر شباط أحد أشهر سورية القارس، ومن خلال عزل السلطة للرجال والنساء والأطفال، حيث الرجال إلى المعتقلات فالمنافي والقبور، والنساء والأطفال إلى المجهول، فكان من نتائج ذلك ضياع أفراد الأسرة بعضها عن بعض، واضطرار النازحين إلى السكن في الشقق المبنية حديثاً بلا نوافذ ولا أبواب، أما في مدينة حمص، فقد أوى إلى جامع خالد بن الوليد ما بين ٣٠٠ إلى ٥٠٠ طفل بلا آباء، وبلا أمهات.

أ - للطاغية حافظ أسد تاريخ حافل في العداء للمساجد وهدمها منذ تسلط على مقدرات الأمور في سورية، فمنذ عام ١٩٦٤ هدمت السلطة مسجد السلطان أشهر مساجد مدينة حماة، ولما يمض على الحكم البعثي الطائفي عام واحد، وفي بداية السبعينيات استولى أسد على المدارس الشرعية التي كانت منتشرة في القطر، وسيطر على كل المؤسسات التابعة لها أو المستقلة عنها، وكانت هذه خطوته الأولى في محاربة المسجد ودوره الكبير في المجتمع تربوياً واجتماعياً، وكانت خطوته الثانية، تلك الأوامر الصادرة عن وزارة الأوقاف عام ١٩٧٨ التي تقضي بأن لا تفتح المساجد أبوابها إلا في أوقات الصلاة.

هكذا بدأت الحرب على المساجد تأخذ شكلاً أكثر حدة، وأشد تنكيلاً، ففي ٢-٦-١٩٨٠ قامت عناصر سرايا الدفاع والوحدات الخاصة بمداهمة مساجد دمشق ليلاً واحتلالها حتى طلوع الفجر، عندما بدأ المصلون يتواردون على المساجد لأداء صلاة الفجر، إذ تم اعتقالهم، ثم قامت عصابات سرايا الدفاع بنهب المساجد وتمزيق مكتباتها، كما مرّ في هذه الأوراق من قبل. وأعقب ذلك دعوة حافظ أسد لعلماء دمشق وتهديدهم بما ينتظرهم إن صدر عنهم ما يخالف سياسة الدولة، ولو كلف ذلك القضاء على ألوف المواطنين من المصلين.

في ١٧-٢-١٩٨٠ اقتحمت عصابات السلطة مسجد ثكنة هنانو في حلب، فمزقوا المصاحف، ثم أضرموا النار في المسجد.

وفي شهر نيسان من نفس العام اقتحمت عساكر السلطة ورجال

الأمن جامع أبي ذر، وأهانوا المصلين، ثم عادوا بعد أيام فنهبوا المسجد، وأغلقوه بالشمع الأحمر.

وفي نفس الشهر -نيسان ١٩٨٠- هاجمت عناصر البغي عدداً من مساجد حلب، بحجة تفتيشها، كان منها: مسجد الصالحين، ومسجد فاطمة الزهراء، ومسجد عباد الرحمن، ومسجد النور، وعاثوا فيها فساداً وتخريباً.

وفي هذا الشهر تعرض مسجد الشيخ علوان في حماة إلى هجوم غادر مُزقت فيه المصاحف والكتب الدينية، وأُتلفت فيه ما أتلف من محتويات المسجد.

وفي اللاذقية قامت عناصر من سرايا الدفاع بمهاجمة جامع العجان في المدينة خفية، وحاولوا زرع المتفجرات فيه، ولكن الله سلم، حيث اكتشف المصلون الأمر، فغادرت المخابرات على التو المسجد، ولاذت بالاختفاء.

ب - عندما دخل شهر شباط عام ١٩٨٢، أحدث فيه الظالمون أكبر المجازر في التاريخ كما رأينا، وصَمَ حافظ أسد نفسه وعائلته، وعشيرته، وأبناء منطقته، وأركان حكمه بوصمة عار ستلحقهم إلى يوم القيامة، فقد نفثوا في هذا الشهر كل ما تمتلئ به أفئدتهم من حقد دفين على الإسلام، فبدأوا أول ما بدأوا مجزرتهم اللعينة، بمآذن المساجد يقصفونها، ثم ثنوا بالمساجد نفسها يقصفونها ضمن قصفهم العشوائي على الشوارع والأحياء، ولم يكتفوا بذلك، بل نسفوا المساجد بالمتفجرات، بعد أن خيم الهدوء على المدينة، ثم أزالوا

أنقاضها بالبلدوزرات والجرافات.

من ذلك تفجير البغاة للجامع الكبير التاريخي حيث تهدم معه عدد من البيوت المحيطة بالجامع مثل دور آل الحافظ، وآل القوشجي، وآل أوضي باشي، وآل طاهر مصطفى، ومصنع الفاخورة الذي ينتج أواني الفخار العريقة، وهو المصنع الوحيد في مدينة حماة.

كذلك قام الطغاة بهدم قسم من مدرسة الراهبات المسيحية في الوقت نفسه.

ج - توقف الأذان في حماة مدينة الإيمان والغيرة على الإسلام لمدة ثلاثة أشهر منذ اليوم الأول لغزو المدينة بسبب قصف المآذن، أول ما بدأ الهجوم، وبسبب الخوف من طغاة السلطة وأشرارها، وقتل عدد من الأئمة والخطباء والمؤذنين. وبعد مضي أكثر من شهر على هذا الأمر المحزن، سعى من بقي في المدينة لترميم المساجد التي أصيبت جزئياً بما جمعوه خفية للإنفاق على هذه الترميمات.

ومن المفيد أو الواجب في رصد أحداث المجزرة: ذكر المساجد التي هدمت، أو أحرقت، أو نسفت بالمتفجرات مع ذكر الأحياء التي تقع فيها هذه المساجد التي سعى الظالمون في خرابها.

وبالرغم من مرورنا على أسماء كثير من المساجد التي هدمت وقصفت، نأتي على ذكرها بعد إحصائها وحصرها في نهاية الأحداث، وانتهاء البغاة من تدمير المدينة، واستقرار الوضع، وصمت من بقي حياً في المدينة، كما يصمت سكان القبور.

١- المسجد الشرقي هدم كلياً بالتفجير في حي الشرقية.

٢- زاوية الشرباتي: هدم كامل في حي جورة حوا.

٣- جامع الشيخ إبراهيم كيلاني، هدم كامل في حي الدباغة، بتفجيره بعد انتهاء الأحداث، ودخول الجيش النظامي بعدة أيام.

٤- جامع الأفندي في سوق برهان بحي الحاضر في ٧ نيسان ١٩٨٢ .

٥- جامع سوق الشجرة، هدم كامل بتاريخ ٢٥-٢-١٩٨٢ مع المنازل المجاورة.

٦- زاوية الشيخ علوان في حي العليليات، هدم كامل عن طريق التفجير.

٧- جامع الأربعين في حي العليليات، هدم جزئي، ثم هدم كامل بالجرافات.

٨- جامع البحصة في حي البارودية، هدم جزئي عن طريق القصف.

٩- جامع النوري في حي بستان السعادة، هدم القبة والمئذنة.

١٠- جامع أبي الفداء في حي باب الجسر، إصابات خفيفة، وقد حولته السلطة بعد ذلك إلى متحف.

١١- جامع الشريعة في حي الشريعة، هدم المئذنة وجزء من الحرم، مع أنه لم تحدث مقاومة أو صدام في هذا الحي.

١٢- جامع السلطان في حي الدباغة، هدم جزئي للرواق الشرقي، وهدم المئذنة.

١٣- جامع المدفن في ساحة العاصي، هدم المئذنة وهدم جزئي.

١٤- جامع علي بن أبي طالب في منطقة المزراب، هدم جزئي.

١٥- جامع الشيخ داخل في حي الباب القبلي، هدم المئذنة، وهدم جزئي.

١٦- جامع الإحسان في حي البياض، هدم المئذنة، وهدم جزئي.

١٧- جامع سعد بن أبي وقاص في حي الشيخ عنبر، هدم جزئي.

١٨- جامع الأشقر في سوق الطويل، هدم المئذنة وهدم جزئي.

١٩- جامع خان الصحن في سوق الطويل، هدم جزئي.

٢٠- جامع المحسنين في حي البياض، قصف وتفجير، وهدم المئذنة، وقصف الحرم.

٢١- جامع الشفاء في منطقة المصيطبة، هدم كامل.

٢٢- جامع أسامة بن زيد، في حارة السمك، قذيفة صاروخية.

٢٣- جامع الشيخ زين في حي الشمالية، هدم كامل.

٢٤- جامع الحميدية في حي الحميدية، هدم المئذنة، ثم تفجيره بعد أيام.

٢٥- جامع الإمام مسلم في حي باب طرابلس، هدم المئذنة، وتفجير جزء منه.

٢٦- جامع بلال بن رباح في حي البياض، هدم كامل.

٢٧- جامع الدنوك في حي الحوارنة، هدم جزئي.

٢٨- مسجد الأربعين في شارع العلمين، هدم جزئي.

٢٩- زاوية خان الجمرك في سوق الطويل، هدم جزئي.

٣٠- معهد الروضة الهدائية في حي الأميرية، تفجير وحرق، وهو معهد شرعي للذكور.

٣١- سكن طلاب الروضة الهدائية، هدم كامل.

٣٢- الثانوية الشرعية في حي سوق الدباغة، هدم كامل بعد انتهاء الأحداث.

٣٣- مركز جمعية العلماء في شارع العلمين، هدم كامل.

٣٤- مدرسة الشيخ محمد الحامد للبنات في منطقة المحطة -محطة القطار- هدم كامل.

٣٥- جمعية أرباب الشعائر الدينية ورعاية المساجد.

٣٦- مستودعات الأوقاف، أحرقت كلياً.

٣٧- جامع الشيخ علوان في حي العليليات، هدم كامل.

٣٨- جامع عمر بن الخطاب في حي شمالي طريق حلب، هُدم كلياً.

٣٩- جامع المناخ في حي الأميرية، هُدم كلياً.

٤٠- مسجد أبي عبيدة بن الجراح، هُدم كلياً.

٤١- جامع خالد بن الوليد على طريق مصياف، هُدم كلياً.

٤٢- زاوية الشيخ عبد القادر الكيلاني في حي الكيلانية، هُدم كلياً.

٤٣- جامع السرجاوي في حي الجراجمة، هدم كامل.

٤٤- مسجد سعد بن أبي وقاص، في حي الفراية، هُدم كلياً، وهدم معه ١٣ منزلاً من شدة الانفجار.

٤٥- مسجد رستم بك في حي المحالبة، تفجير كامل.

٤٦- جامع الشيخ مروان حديد في حي البارودية، هدم في أعقاب الأحداث في حي البارودية، في نهاية شهر آذار ١٩٨٢ .

٤٧- جامع الهدى، على طريق حلب شمالي حماة، هُدم كلياً.

٤٨- زاوية الشيخ حسن كيلاني في حي الكيلانية، هدم كامل.

٤٩- مسجد الشيخ إبراهيم في حي الزنبقي، هُدم كلياً.

٥٠- جامع الدرابزون في حي العصيدة، هُدم كلياً.

٥١- دار القرار، ومكتبتها في حي الحوارنة، هدم جزئي، هي عبارة عن مدرسة شرعية في حي الدنوك.

٥٢- جامع المسعود في حي المحالبة، هُدم كلياً، واستعملت أرضه مرآباً للسيارات.

٥٣- جامع الحوراني، في حي الحوارنة، هُدم كلياً.

٥٤- جامع الشيخ محمد الحامد في منطقة المحطة، فجروه ثلاث

مرات، حتى تمكنوا من هدمه.

٥٥- جامع الحراكي في حي بين الحيرين، هدم كامل.

٥٦- جامع الشهداء في حي الصابونية الملاصق لحي الشريعة، هُدم كلياً، وهدم معه منزل الشيخ كلال المراد، ومنزل مجاور آخر.

٥٧- جامع الإيمان في حي الشريعة، هُدم كلياً.

هذا ما أحصاه أبناء المدينة الذين نجوا من الموت، وقد رُمِّمَ العدد الأكبر من هذه المساجد والجوامع في مدينة حماة المنكوبة والصابرة، وثمة مساجد يربو عددها على العشرين لم يأت ذكرها، لأن الإحصاء الأولي لم يشملها.

د - في حماة ثروة آثارية رائعة وفريدة وثمينة، يقصدها السياح من أنحاء الوطن العربي، والعالم الإسلامي، والدول الأجنبية، وقد قال أبو الحسن الندوي طيب الله ثراه، عندما زار الزاوية القادرية في كتابه: مذكرات سائح: لو اتخذت غير الهند وطناً لاتخذت من هذا المكان وطناً لي أمضي فيه بقية عمري.

لقد سكن حفيد الإمام العارف الكبير بالله عبد القادر الكيلاني، الشيخ سيف الدين، في مدينة حماة، وبنى الزاوية القادرية، فأكمل ولده وأحفاده من بعده البناء وأجملوه، فأضحى تحفة فنية مدهشة وساحرة. ولا أود أن أستفيض بالحديث عن أقسام الزاوية وجمالها، فذلك حديث يطول على القارئ، والمصادر موجودة لمن أراد أن يطلع على تطور هذه التحفة الرائعة.

وإذن فهـذه العائلة الـكيلانيـة تنسب إلى الشـيخ سيف الـدين أحد أحفاد الإمام عبد القادر الكيلاني الـمتوفى في بغداد في القرن الخامس الهجري، ويرجع نـسب الشيخ عبد القادر إلى الإمـام الحسن بن علي رضي الله عنهم، وقد سكن سيف الدين مـدينة حماة، بعد عودته من الحج، وتوفي فـيها عام ٧٣٤هـ، وبدأ قـبل وفاته بناء الزاويـة القادرية بجـوار بيتـه عام ٦٩٠هـ الـموافق ١٢٩٠م، ثم تابع الـبناء ابنه شـمس الدين مـحمد وولده علاء الـدين، ثم طوّر الشيـخ ياسين بناءها، كـما أعلى الشـيخ ووسع حجـم الناعورة التـي تجاور المـسجد وترفـع إليه الماء.

ومن أشـهر قـصور الـكيلانـية قـصر -الطـيارة الحـمراء- وقـاعتـه الشهيرة، وقد ضمته وزارة السياحة إلى أملاكها، وجعلته متحفاً.

يعتبر قصر الطيارة الحمراء من أعظم القصور الأثرية التي بنيت في العهـد العثـماني، وقد قـام ببنائه الشـيخ ياسين عـام ١٧١٦م من أجل استقبـال الضيوف في رحابه، وهو مشـرف من جهته الغربيـة على نهر العاصي، وتركز أساساته ضمن مـياه النهر، وقد ازدانت جدران القصر بالزخارف والنقوش المدهشة بشكل يأخذ بالألباب، ويأسر القلوب.

إن الحديـث عن أقسام القـصر وأجنحتـه ورواقه وقاعاتـه وجدرانه المكسوة بالـخشب، والمطلية بالذهـب والألوان.. إلخ طويل في هذا السيـاق، ولذا أحيل القارئ على زيـارته أو قراءة أوصافه في مـظانها، كما ذكرت ذلك لدى الحديث عن الزاوية الكيلانية.

تضـم الكـيلانـية مـساجـد وقـصوراً ومـضـافـات وقنوات مـيـاه،

ومزارات، وثلاثة حمامات، ومرابض للخيول، وأقبية وسراديب، وهي تتألف من أربعة طوابق فوق بعضها، كانت تشرب سابقاً من النهر عن طريق الناعورة المسماة بناعورة الباز عبد القادر، وعندما زارها أحد أساتذة جامعة حلب الفرنسي قال عنها: إنها فينيسيا العرب.

تعتبر الكيلانية أحد رموز سورية السياحية الرسمية والشعبية لما تحويه من الفنون ومظاهر الإبداع، ولاسيما فنون الأيوبيين والمماليك والعثمانيين، وهي من ناحية أخرى تراث إسلامي عريق، فيها المساجد وبيوت العلم المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني، بالإضافة إلى أنها مركز ثقافي معترف به دولياً، فهي مسجلة في اليونيسكو التابع للأمم المتحدة.

لقد أسهبت بعض الشيء، وبالحدود التي لابد منها، لإظهار وحشية البغاة الذين عادوا الإنسان والفكر والثقافة والكتاب، وكل إبداع بشري بوحشية لم يفعلها هولاكو الذي دمر، ثم توقف، ثم جاء أحفاده وأسلموا، ونشروا الإسلام في العالم، ووصلوا سيبيريا، وأقاموا بها جمهورية إسلامية، كما ذكر ذلك الأستاذ الكبير محمد الغزالي في كتابه: الإسلام في وجه الزحف الأحمر، وبلغوا موسكو، واستمر حكمها فيها ٢٤٠ سنة كما ذكر الكاتب الفذ توماس في كتابه: الدعوة إلى الإسلام.

أقول: كان هولاكو أقل وحشية من هؤلاء البغاة الظالمين عندما جعلوا الكيلانية هدفاً أساسياً، فأمطروها بقذائف الدبابات والمدفعية وراجمات الصواريخ، وأتبعوا ذلك بعمليات النسف والتفجير

لتمسحها كلياً من الوجود، فوا أسفاه، واحزناه، واحر قلباه، إنها لتفري الأكباد، وتمزق نياط القلوب على ما وقع لحماة ورجالها ونسائها وأطفالها وقادتها وعلمائها وفقهائها وخطبائها، وآثارها، ولاسيما في حي الكيلانية، إلى الله المشتكى.

هـ - أما الأماكن الأثرية الأخرى والمقابر المدمرة، وأهم القصور التي حطمت وزالت، والمضافات والأقباء الأثرية فهي: الزاوية القادرية، وجامع الشيخ إبراهيم الكيلاني، وناعورة الباز عبد القادر الكيلاني، والحمام الأثري، ومقام الباز عبد القادر الكيلاني، مرقد الشيخ ياسين الكيلاني، ومقبرة سيف الدين يحيى، ومقبرة الشيخ حسن الكيلاني، ومقبرة الشيخ إبراهيم الكيلاني، وقاعة الطيارة الحمراء، وقصر بيت فايز العلي الكيلاني، وقصر بيت محمد رضا الكيلاني، وقصر سعيد العبد الله الكيلاني، وقصر بيت فارس الكيلاني، وقصر الحاج قدري الكيلاني، وقصر أحمد سروري الكيلاني، وقصر محمد نوري الكيلاني، وفيه كتابات مفضضة، وقصر نقيب الأشراف محمد مرتضى أفندي الكيلاني، وقصر سليم بديع الكيلاني، وقصر عبد المجيد العبد الله الكيلاني، وقصر منير عبد الحليم الكيلاني، وقصر ضياء الكيلاني، ومضافة قطب الدين الكيلاني، ومضافة بديع عبد الرزاق الكيلاني، ومضافة عبد الحميد العبد الله الكيلاني، ومضافة ظافر الكيلاني، ومضافة واصل الكيلاني، ومضافة رفيق الكيلاني، ومضافة مصطفى برهان الكيلاني، ومضافة راغب الكيلاني، ومضافة فايز برهان الكيلاني، ومضافة

الشيخ فريز الكيلاني، ومضافة الشيخ رضوان الكيلاني، ومضافة رشيد الكيلاني، وقبو الكيلانية، وقبو الطيارة، وقبو الشيخ الحسيني، وقبو الزاوية القادرية، وقبو حمام الشيخ، وقبو باب الخوجة، وقبو الشمالية، وقبو الشيخ فريز أفندي، وقبو برهان أفندي، وقبو السرجاوي، وقبو الأمين.

كل هذه الأماكن الأثرية العريقة قد تحطمت وزالت، وصارت قاعاً صفصفاً على أيدي الطغاة، وتتار القرن العشرين، وأعداء الإنسان، وحضارة الإنسان.

و - أما الأبنية السكنية الكبيرة والمؤسسات المدمرة، فأهمها: بناية البارودي ذات السبع طوابق و٤٨ شقة، وبناية المحاربين القدماء ذات الـ٢٠ شقة ومقهى و١٥ متجراً وعيادات ومكاتب، وبناية مؤسسات الأعلاف ذات الـ٢٠ شقة وبعض المتاجر، وبناية آل عبد الرزاق عدي ذات السبع طوابق والـ٢٠ شقة و٢٠ حانوتاً وقد أزيلت بعد قصفها، وبناية الأفندي ذات الأربعين شقة، وسوق تجارية تضم ٢٠ محلاً، كما تضم عيادات أطباء ومكاتب، ومبنى التجنيد الذي يضم شعبة تجنيد حماة، والجيش الشعبي، وفندق قصر الحمراء الكبير، وعيادة أطباء وسوقاً تجارية، وقد نسف المبنى بعد القصف، ثم جرف، وبناية الصحن ذات الـ٢٠ شقة سكنية، وحوالي ٣٠ حانوتاً تجارياً ومؤسسة استهلاكية، ومبنى الشمالية، ويضم ٣٠ شقة سكنية، وحوالي ٣٠ حانوتاً تجارياً، ومؤسسة استهلاكية، وبنايات كثيرة لآل العقاد، وآل قَبِّشْ، وآل كنيفد، وبناية رقية، وبناية الكجك، ومئات

المنازل التي قرأنا عن بعضها، بيد أن الحديث اقتصر على الشهيرات منها، فما أشد حقد هؤلاء البغاة على بني الإنسان.

ز - كان واضحاً منذ الساعات الأولى لاقتحام القوات الباغية لمدينة أبي الفداء، أن النية لدى المهاجمين مبيتة على نهب المدينة، وأن ثمة تشجيعاً على ذلك من قادة السرايا والوحدات الخاصة. لم تكد قوات النظام تسيطر على أي حي حتى تتوزع على شوارعه وعماراته، وهي تملأ جيوبها بما خف وزنه، وغلا ثمنه من نقود وحلي ومجوهرات وتحف ثمينة، كما كانوا يسرقون السيارات والشاحنات والدراجات النارية والهوائية، وأثاث البيوت والأجهزة الكهربائية، وسجاد المنازل، كما سرقوا المتاحف، وأولها وأهمها متحف حماة الوطني الذي لا تقدر موجوداته التي سرقت بثمن، وكانت أيدي الناهبين تمتد أول ما تمتد إلى سرقة محتويات الدروج التي كان معظمها مليئاً بالنقود، إذ كان أصحابها يحفظون أموالهم فيها، بعد أن كثرت المداهمات على البيوت، ولعل سوق الطويل مثال صارخ، وهو الذي يحتوي على ٣٨٠ دكاناً، نهب من محتوياتها ما ملأ ستين سيارة عسكرية من نوع زيل، ثم أشعلت النار فيها مدة ثلاثة أيام.

لقد تجلت في عمليات النهب والسرقة: القسوة الوحشية، بقطع إصبع أحد المواطنين في حي الحاضر عندما استعصى على المجرمين انتزاع خاتمه من يده، وقطع يد امرأة لانتزاع أساورها منها، كالذي حدث للسيدة حياة جميل أمين -في شارع أبي الفداء- ومثلها

كثيرات، في حماة المنكوبة بطغيان هؤلاء البغاة.

كما ظهر جشع العساكر وتكالبهم في سوق الصاغة الواقع في حي المرابط، حيث كانوا يقتادون الحدادين لفتح صناديق الحديد التي تحفظ فيها المصوغات الذهبية بالمقص الحراري، وقد قدرت منهوبات سوق الصاغة بعشرات الملايين من الليرات السورية من أصحابها الذين كانوا في أغلبهم، إن لم يكونوا جميعاً من المسيحيين، الذين كانوا على مدى القرون الماضية يتمتعون بالطمأنينة والأمان مع سكان المدينة الذين كانوا جميعاً من المسلمين.

حدث أن اللصوص من العسكر اختلفوا في السطو على هذه الكنوز، وقتل بعضهم بعضاً، حتى تجاوز عدد القتلى في الصراع على المسروقات ٢٥ جندياً في اشتباك واحد.

وما ينقل في هذا الصدد: أن رجال السرايا توجهوا إلى منزل آل الظريف، وطلبوا من صاحب المنزل -وهو من أثرياء الصاغة- أن يسلم كل ما لديه من المال والمصوغات، فأنكر، فهدده البغاة بانتهاك عرضه وعرض أخته، فبادر مكرهاً إلى إخراج ما لديه من ذهب مخبأ، ودفعه إليهم، وكان ثمنه ثلاثة ملايين ليرة هو حصيلة ما خبأه في حياته كلها.

كان جنود السرايا يفرضون ضريبة على كل من تريد مغادرة المدينة من النساء، وكانت الضريبة تسليم المرأة ما لديها من مصوغات ذهبية، ومن كانت ترفض يكون مصيرها القتل، فقد قتلوا المدرسة فهمية معطي البالغة من العمر ٦٢ سنة، كما قتلوا ميسون

عياش للسبب نفسه، وقتلوا الحاج عمر من حي طريق حلب، وهو في السبعين من عمره، بعد أن سرقوا منه أربعين ألف مارك ألماني، وعشرين ألف ليرة سورية، وقتلوا المواطن غسان حلبية، وهو في الرابعة والثلاثين، وهو مدير لمرآب الخط الغربي حين امتنع عليهم.

في حي الدباغة نهبت سرايا الدفاع الأموال الموجودة في المصرف التجاري السوري، والتي بلغت ثلاثة أكياس كبيرة ممتلئة بالنقود، وفي ٢٨-٢-١٩٨٢ باشر شقيق رئيس فرع الحزب في حماة، أحمد الأسعد بنهب مؤسسات الدولة الاستهلاكية، إذ ترك لأخيه عمليات السلب والنهب والأتاوات كيلا يكون في الواجهة، وكان معظم المسروقات من المواد التموينية التي أودعت جميعها في مستودعات قرب قرية معردس على مقربة من مدينة حماة في الشمال، وبعد نهاية الأحداث، نزلت هذه المواد إلى الأسواق، وبيعت بأسعار رخيصة، وعندما قدمت لجنة من دمشق مؤلفة من خمسة أشخاص للتحقيق في عمليات النهب، سارع أحمد الأسعد إلى دفع خمسين ألف ليرة لكل عضو من أعضاء اللجنة حتى لا ينكشف ستره، ويفتضح أمره، فشهدت اللجنة العتيدة النزيهة!! التي هي من صميم نظام فاسد أن أفراد الشعب هم الذين قاموا بنهب المؤسسات.

ح - لحافظ أسد تاريخ أسود ضد العلماء، فمنذ ١٩٧٣ زج كبارهم في السجن لاعتراضهم على الدستور الذي ألّه فيه حافظ أسد، نفسَه، والذي صاغه له الدكتور محمد الفاضل عميد كلية الحقوق، ومدير الجامعة فيما بعد، باعتباره منتمياً لطائفة الأسد، وكان من

العلـماء الذين زج بهـم حافظ أسـد في سجـونه، الشيخ سـعيـد حوى رحمه الله، أشهر عـلماء حماة، والشيخ محمد علي مـشعل أحد كبار علماء حمص.

في عـام ١٩٦٦ زج الطاغـية كـثيـراً من علـماء سـورية في سـجن تدمر، كيلا يـسمع أبناء سورية صوت معتـرض، أو عالم ناصح، كان منهم وفـي مقدمتـهم الشيخ عـبد الفتـاح أبو غدة من حلب، والـشيخ سعيـد حوى والشهيد المـجاهد مروان حديد من حمـاة، وعلاء الدين أكبازلي وغيره من دمشق.

وفي عـام ١٩٧٩ اعتقـل كلاً من العـلماء: مـحمد خـير زيتـوني، ومحمـد عثمان جمـال، والشيخ عبـد الرؤوف محمد، والشـيخ حسن حاج إبـراهيم من حلـب، فأودعـهم الطاغـية سجـن تدمر، ومـا يزال مصيرهم مجهولاً، والتقـدير أنهم أعدموا ضمن عشرات الألوف الذين قتلـهم السفاح فـي حمامات دم مـرعبة، ومـجازر جمـاعية في جـميع أنحاء القطر.

في مدينـة الباب استشـهد الشيخ فاضـل زكور، والشيخ إسمـاعيل السـباعي، ومـن اللاذقيـة اقتيـد الشـيخ ممـدوح جولحـة الدكتـور في الشريعـة الإسلامية من جامعـة الأزهر من منزله، ثم وجدت جـثته في اليوم التالي في أحد شوارع اللاذقية، ومـن بانياس اختطف الشيخ عبد الستـار عيروط، ثـم عذب حتى المـوت، وألقيت جـثته فـي الشارع، وفي حـماة استـشهد الشـيخ محـمود الشـقفة طعـناً بالسكيـن وهو في المعهد الهدائي الذي أسسه، وهو يـصلي، قتله الشقي أكرم طاقوجة،

كما قتلوا أحد وجهاء مدينة حماة الحاج علي خير الله، وهو في الثمانين من عمره، وقد حدث ذلك وأكثر منه من قتل العلماء والوجهاء تنفيذاً لسياسة حافظ أسد التي أعلنها في خطابه الذي ألقاه في مؤتمره القطري، وفي ثكنة الشرفة في حماة وهو يزورها عام ١٩٦٤، وجاء فيه: يجب تصفية الخصوم جسدياً، وإجراء عملية غسل دماء كما جاء على لسان شقيقه رفعت أسد، لكل من يحمل فكراً معادياً للثورة، وإرسالهم إلى معتقلات، لتنفيذ ذلك، كما مر معنا من قبل، وبالفعل فقد نفذ البغاة ذلك في أحداث حماة، فقتلوا الشيوخ وكل ذي مظهر إسلامي، علاوة على الذين ذكرناهم منذ قليل، فقتلوا الرجل الصالح الداعية الشيخ أديب الكيلاني، والشيخ عبد الله الحلاق رئيس جماعة الإخوان، ورئيس جمعية العلماء، وقتلوا الشيخ زهير أديب هزاع، والأستاذ عدنان الشب، والأستاذ عبد المجيد عرفة، والأستاذ عبد الرؤوف العلواني، والشيخ عبد الكريم حسن دبايا، والشيخ عبد المعين أصفر، والشيخ عمار الريس، والحاج بكري بكرو، والشيخ نزار عبد الوهاب كزكز، والطالب الشرعي محمد ميلص، والطالب الشرعي عبدو عبد الرؤوف العلواني، ومحمد عرعور مؤذن جامع السرجاوي، وطالب الشريعة طلال شكري، وإمام مسجد خالد حويكة، ومؤيد توفيق الأسود طالب شريعة، وأدهم الغباني طالب شريعة، وعبد المجيد الميع طالب شريعة، والحاج علي عكعك مؤذن مسجد، ومخلص أحدب طالب شريعة، وأحمد بوظان إمام وخطيب، والشيخ عبد الجليل الكيلاني إمام مسجد، والشيخ عبد السلام مغمومة مدرس ديني،

والشيخ وليد عدي مدرس مسجد، وخادم مسجد الشيخ إبراهيم عمر الزيد، ومدرس التربية الإسلامية الشيخ إبراهيم حداد، والطالب الشرعي عبد الحكيم طبشي، ومروان محمد قياسة الطالب الشرعي، والشيخ شكيب -الضرير- إمام مسجد الشيخ إبراهيم، والشيخ إبراهيم خرمة، خريج الروضة الهدائية، وعبد الكريم البنّي مؤذن مسجد السلطان، والشيخ هاشم الكيلاني خطيب وإمام مسجد الشيخ عبد القادر الكيلاني، وعبد الحليم محمد بكور الطالب الشرعي، وعبد الستار محمد بكور الطالب الشرعي، ومدرس التربية الإسلامية الشيخ سهيل الشعار، وزياد كلبون الطالب الشرعي.

هذا ما أمكن حصره باختصار شديد في تفصيلات كتابة الأسماء في المحلات وفي الأعمار.. إلخ، ومن حق القارئ أن يتساءل: هل أبقى السفاح عالماً أو إماماً أو مؤذناً أو خطيباً أو طالب علم شرعي لم يقتله، ولم يعدمه، حتى لا يبقى لشعبنا علماء وأئمة يعلمونهم أمور دينهم؟!!

ط - أما العلماء الذين اعتقلوا في شهر شباط ١٩٨٢، ولم يعرف عنهم ذكر، أو يلمس أحد عنهم أي أثر، فهم باختصار: الشيخ بشير المراد مفتي مدينة حماة، والشيخ كلال المراد إمام وخطيب، والشيخ ناجح مراد إمام وخطيب، والشيخ العالم أحمد مراد الذي جمعتني به سنوات الدراسة في صف واحد بمدرسة العلوم الشرعية التي أسسها الشيخ الشهيد محمود الشقفة تغمده الله برحمته ورضوانه، والشيخ خالد العتال مؤذن وإمام، وكان الشهيد رحمه الله ضريراً، والشيخ عبد الستار حداد إمام مسجد، وبسام خرسا طالب شريعة، وأحمد

البيات إمام مسجد، والشيخ مروان سراج موظف بالأوقاف، وعبد الودود مراد مدرس وخطيب مسجد الإحسان، ونبيل عياش طالب شرعي، والشيخ منير الحوراني عضو قيادة الجماعة في حماة منذ تأسيسها، وإمام مسجد الشيخ علوان، وقد اعتقل تسعة من شيوخ آل المراد العائلة الكريمة التي اشتهرت بكثرة علمائها، وقتل السفاحون معظم علمائهم إن لم يكونوا جميعاً.

أما الأطباء والمهندسون، فقد استمر القتل في صفوفهم، فشمل الخريجين، والذين لم يتخرجوا من طلاب كليات الطب، وأغلق أمام كثيرين منهم أبواب الطب لدراسته وهم يملكون شروط القبول، كما أغلقت في وجوههم أبواب كليات الهندسة والصيدلة، والوطن بأشد ما يكون احتياجاً لهم في برامج التنمية، وعمليات البناء!!

ي - كان القتل هو الأساس والأصل في هدم المدينة وتصفية خيرة سكانها، وكان الاعتقال وسيلة مساعدة للحصول على المعلومات من المعتقلين، ومن لم يجدوا فائدة من اعتقاله قتلوه، أو استشهد تحت التعذيب، إذ قتلوا ثلاث مئة مواطن شهيد، بالإضافة إلى الابتزاز المالي الذي يباشره البغاة من خلال شربة ماء لظامئ، أو لقمة طعام لجائع، أو إيقاف التعذيب فترة قصيرة عمن يصرخ من العذاب الأليم.

كانت الأوامر الصادرة إلى الجيش: المزيد من القتل، وكانت الأوامر الموجهة، إلى فروع المخابرات، وفي مقدمتها المخابرات العسكرية، هي: الاعتقال فالتحقيق فالقتل.

كانت السياسة الأسدية ترمي إلى التصفية السريعة لأبناء حماة لإعادة القوات العسكرية المستجلبة من لبنان، وإعادة الطائفيين الأتراك -العلويين- قبل انكشافهم، وهم حوالي ٦٠٠ عنصر، فالوقت لا يسمح للمزيد من التحقيقات.

لقد صدرت أوامر عن السفاح حافظ أسد يوم الخميس الموافق ٢٥-٢-١٩٨٢ برفع عدد القتلى إلى رقم محدد، وتنفيذاً لذلك بدئ بحملة اعتقالات واسعة، وتسليم المعتقلين إلى فروع المخابرات، التي ساقتهم إلى ساحات الموت بأعداد بلغت ١٥٠٠ شهيد، بعد انتهاء الصدام كلياً، وقيل إنهم دفنوهم في قرية براق غربي مدينة حماة، المجاورة لقضاء مصياف، وقيل في قرية على طريق ناحية محردة التي يسكنها مواطنون مسيحيون، حيث دفنوا في حفرة أو مقبرة جماعية، وعمت الاعتقالات الواسعة، وبذلت الأموال الطائلة لإخراج المعتقلين والإفراج عنهم، ولاسيما من يملك ذووه ثراءً يساعد على ذلك، فمن عائلات المعتقلين من دفع مئة ألف، ومنهم من دفع خمسين ألفاً.. إلخ حسب طاقته، وحسب موقف الجهة التي تعتقله.

ولكن كيف تحشر هذه الأعداد بالألوف، والسجون العادية غير كافية؟ ولذا استعملت المدارس والمعاهد والمحالج والمصانع وأبنية المخابرات، والثكنات، ومنها معتقل اللواء ٤٧ ومعتقل ثكنة الشرفة، ومعتقل المدرسة الصناعية، ومعتقل مدرسة غرناطة، ومعتقل مصنع البورسلان -وهو من أكبرها- على طريق حمص، ومعتقل أمن الدولة، ومعتقل الغزل، ومعتقل مصنع البلاط، ومعتقل مركز الدفاع المدني.

ففي مدرسة الصناعة اعتقل حوالي ١٥ ألف مواطن، ليكدسوا في غرف لا تتسع الواحدة منها لربع العدد الذي زُجَّ فيها، وكان المعتقلون يعانون من العطش والجوع والبرد الشديد في فصل الشتاء، أما التعذيب فلا يستطيع إنسان سماعه، بيد أنه لابد من تسجيله باختصار شديد، ليعرف الأبناء والأحفاد ماذا فعل الطغاة بالآباء وبالمواطنين الأبرياء في المجازر العديدة، ولاسيما في مجزرة حماة الرهيبة.

فمن وسائل التعذيب: التعذيب بالملزمة التي تمزق لحم المعتقل، وتحطم رأس البعض كما شهد بذلك من شاهدهم وكتبت له الحياة ومن هؤلاء الذين كسرت عظام رؤوسهم: مواطن من عائلة الوتار، وكان المكبس الحديدي من بين الأدوات في تهشيم عدد كبير من رؤوس المواطنين، ومن الأدوات كرسي سليمان كما سماه الجلادون، يوضع فوقه المعتقل حتى يسيل الدم من قفاه، ويضرب خلال ذلك بالعصي والأكبال الكهربائية حتى ينسلخ جلده، كما يعلق المعتقل من يديه ورجليه في السقف مع تجريح ظهره وبطنه بالسكين، ويترك حتى ينزف دمه، كما توضع أسلاك الكهرَباء في لسان المعتقل، ودُبُره وقُبُله، كما يوضع البعض على سخانة كهربائية مشتعلة حتى تفوح رائحة جلده، وكانت أسياخ الحديد تحمى في النار وتغرس في صدور المواطنين وبطونهم وظهورهم، وكان بعض المعتقلين يخنق بخرطوم يلتف على عنقه بشدة حتى يفارق الحياة، وكانت الدبابات تمر فوق أجساد بعض المعتقلين الأحياء، كما شاهد كثير من الناس جثثاً تنهشها الكلاب، وفي هذا الصدد، وبعد أن سمح البغاة

للسيارات أن تمر بحماة بعد خمسة عشر يوماً من منعها، وكانت تصل إلى حمص خلال الأحداث عن طريق سلمية، دخلت سيارة أرسان من حلب يسوقها مواطن مسيحي، وعندما دخلوا منطقة الحاضر وجدوا جثثاً متناثرة لأموات متروكة في العراء، وحول كل جثة يتحلق عدد من الكلاب يأكلون لحومها، وبعد أن غادرت السيارة المدينة، ووصلت قريباً من قبة الشيخ مهران والمشتل الزراعي، وقف السائق، وبدأ يجهش في البكاء، ورأسه في دوار يمنعه من متابعة السفر، واستمر على هذه الحال حتى استعاد تماسكه واستأنف السير.

وممن عرفت أسماؤهم، وقضوا في المعتقلات جراء ما رأينا قبل قليل لنماذج عدد قليل جداً لمن قضى نحبه في هذه المسالخ: رسلان حديد، وعبد السلام الجدع، وحمدو دويك، ومصطفى دهمان، وعبد الرزاق السفاف، وعاطف الفحام، وسليمان أحمد الشيخ، وعلي الشيخ علي، وعبد المجيد علوان مدللة، والحاج حسين الزعيم، والد الشهيد عبد الستار الزعيم، ومحمود حلاق، وخالد الفاعل، ومازن علواني، ومصطفى زيدان، وزهير هزاع، وآخرون من عائلات: زلف، وعسكر، وقراصية، وسقّاف، وجواش، وكعيّد وشقفة، وبرازي، وشققي، ووتار، وشامي، وزيدان، وطرقجي، وسراقبي، وسرّاج، وياسين، وجاجة، وطرقجي -حي الفراية- وعلواني.

ك - ومن الواجب المفيد ذكره، أسماء بعض المحققين من الظالمين الذين مارسوا التحقيق بالأساليب التي رأينا: الرائد إبراهيم

المحمود -أبو سامر- من بلدة الرستن، وعبد الله زينو، والرائد محمد الخطيب، ورائد من آل أيوب، وكان بجانبهم من يمارسون التعذيب، مثل: راكان الشوكي من بلدة إزرع في محافظة حوران، ودحام الخلف من دير الزور، وكان متخصصاً بالتعذيب، وعبد الواحد -أبو خالد-، أما محققو الشعبة السياسية، فمنهم: المقدم وليد أباظة رئيس الفرع، والمحقق إبراهيم المحمود الذي عمل في أمن الدولة وفي الشعبة السياسية، والمحقق العلوي محمد بدور من قرية الربيعة غرب حماة، فقد ذكر أنه قتل سبعة مواطنين تحت التعذيب، ومنهم محمود جليق من حي باب الجسر في حماة، والمحقق الرائد العلوي: محمد رأفت ناصيف، ونقيب بجانبه ويساعده من قرية الربيعة.

في عام ١٩٨٢، كانت الأوامر للمعتقلين هي الانبطاح على الأرض، إذا دخل أي ضابط مهما كانت رتبته، ومهما صغر شأنه، وعندما دخل ذات مرة المجرم علي حيدر قائد الوحدات الخاصة، هتف الخائفون الجياع في أحد المهاجع: عاش القائد علي حيدر، فأرضى ذلك غروره، فقال: أعطوهم طعاماً وبطانيات، وفعلاً كان ذلك خلال دقائق، ولكن المهجع كان تابعاً لسرايا الدفاع التي يقودها رفعت أسد، فساء هذا الهتاف أن يكون لغيره، فحضرت عناصر من سرايا الدفاع يحملون رشاشاتهم قائلين: لا قائد إلا الزعيم رفعت. ألا تعرفون من قائدنا؟ ثم فتحوا النيران على معتقلي المهجع، وكان عدد من فيه تسعين شخصاً، فسقط الجميع قتلى.

وفي اليوم الثاني والعشرين من شباط ١٩٨٢ أمر المجرم رفعت أسد، فنودي بمكبرات الصوت لإحضار جميع المشايخ، ومؤذني المساجد، وخدامها من المعتقلات، وكانوا حوالي ألف مُسِن وشيخ، وسيقوا إلى مكان مجهول، ولا يزال مصيرهم حتى اليوم مجهولاً.

يتبادر إلى الذهن هذه الأسئلة:

هل كان سكان حماة كلهم مناوئين للنظام؟

وهل كان الأطفال والشيوخ والنساء محاربين للسلطة؟

وهل كان المهندس الشيوعي إسماعيل نوفل منظماً مع الإخوان المسلمين؟

دخل مسيحي من مواطني حماة على العقيد علي ديب أحد المسؤولين عن المجزرة، وقال له:

- أنتم تبحثون عن الإخوان المسلمين، وأنا مسيحي.

فأجابه العقيد: إن مسيحيي حماة كلهم مع الإخوان المسلمين.

فهل كان قتل عدد كبير من المسيحيين في حماة لأنهم من الإخوان أو معهم؟!!

ل - لم تنج، كما رأينا، نساء المدينة من بطش قوات نظام الأقلية الهمجية، ولم تراع فيهن إلاً ولا ذمة، لقد لقين من الأذى والفتك ما لقيه الرجال والأطفال، فكان منهن شهيدات، قضين دفاعاً عن أبنائهن وكرامتهن، أو قتلن في بيوتهم دون صدام أو مقاومة.

لقد كان الانتقام دافعاً أساسياً لقتل مئات من النساء الآمنات، سواء عمليات القتل الفردية حين تكون المرأة زوجة لمعارض أو ابنته أو أخته أو والدته، ومن أمثلة ذلك: إطلاق النار على تسع وثلاثين امرأة كن قد لجأن إلى قبو عيادة الدكتور زهير مشنوق في حي الباشورة، وكان القتل مصير كل امرأة ترفض أو تتردد في تسليم مجوهراتها وأساورها، إذ تجاوزت السلطة الباغية كل معاني المروءة، واتبعت أخس الأساليب في عمليات التحقيق وانتزاع المعلومات، كالذي حدث للشهيدة مسرّة شقفة، من حارة الشرقية في حي الحاضر، إذ أخرجها الطغاة من بيتها، وبدأوا بضربها بالأيدي والأرجل حتى هوت على درج المنزل، واستشهدت رحمها الله، كما نتج عن ذلك تشويه عدد كبير من النساء، من أمثال لمياء حمدو الكجك التي قلعت عينها، وزوجة أحمد الجندي التي بترت ساقها، وأم فايز شقرة التي بترت قدمها، وجميعهن من حارة الشمالية في حي الحاضر، وعندما حاولت بعض النسوة تقديم أي خدمة إنسانية للمصابين، عاجلهن أفراد السلطة بالقتل، كما حدث لأم حسن دبش، وعائشة دبش، وخديجة دبش. كما أن براءة الأطفال لم تعد تثير في قلوب وحوش السلطة أي شعور بالرأفة، فلقي الألوف منهم الموت، بأساليب عديدة ما بين رميهم بالرصاص مع أسرهم في بيوتهم أو في الحي، أو تفجير المنازل، بل وصل التوحش بأحد مجرمي السلطة أن حمل طفلاً، هو ابن المواطن محمود فهيم لطفي، وعمره أربعون يوماً، وقذف به إلى الجدار بكل ما أوتي من عزم، ليقتل وكأنه مدهوس ويفارق الحياة.

نتج عن النقص في الطعام، وانتشار المجاعة التي لا يحتملها الكبار، بله الصغار، وعن هول القصف المتواصل في انقطاع حليب كثير من الأمهات، فحرم الأطفال حليب أمهاتهم، ولم يكن لديهم حليب مجفف بديل، مما أدى إلى موت الكثير من الأطفال الرضع، والكثير من المسنين جوعاً، كالذي حدث لمصطفى عزمي البالغ ٧٢ عاماً من حي باب الحيرين، حيث قتلت السلطة جميع أفراد أسرته، وكان كفيف البصر وعاجزاً، فلم يعد يجد من يحمل له الطعام إلى فراشه كما كان الحال من قبل، فمات جوعاً، كما مات طفل من آل الجنيد عمره خمسة أيام، إذ نضب حليب أمه التي خرجت تبحث له عن حليب مجفف، فلم تفلح، وعندما عادت وجدته قد فارق الحياة.

أما عدد المشوهين، فيصعب إحصاؤه، وحدث عنه ولا حرج، ويكفي الإنسان زيارة حماة، ليرى بعينه كثرة المشوهين والمعوقين.

لم تسلم المستشفيات الخاصة من حقد البغاة، حيث أقدموا على تفجير المستشفى العربي في شارع سعيد العاص، كما قصفوا مستشفى الحكمة في شارع ٨ آذار، وصادروا مستشفى آخر في شارع أبي الفداء، ليقطعوا الطريق على المرضى والمصابين، أن يعالجوا في المستشفيات الخاصة، كما فعلوا ذلك من قبل في مستشفيات الحكومة، وكذلك كان موقفهم من الصيدليات، حيث أقدموا على قتل الصيدلي رفعت الراس، والصيدلي بشار عبد الرزاق، ومساعدي الصيادلة أحمد شيخ منو، وأكرم حسن الجندلي، وقد نهبوا صيدليات

حماة البالغ عددها ٥٢ صيدلية، باستثناء صيدلية واحدة لبعدها عن أنظار عناصر السلطة، وقد أحرقوا كذلك عدداً من الصيدليات، منها صيدلة السبع، وصيدلية حور، مما أدى إلى حرق عدد من البيوت المجاورة.

ولكي تبلغ المأساة حداً فاق كل توقع أو تصور، منع عناصر وعساكر الثوريين التقدميين، المواطنين من دفن الموتى، فتركت أعداد كبيرة من الجثث على الأرصفة وفي الشوارع والأزقة والبيوت، حتى انتشرت رائحة الجثث في كل أرجاء المدينة. ومن الأمثلة على هذا السلوك المتوحش أن جثتي ولدي المواطن عبد المعين الأصفر في حي البياض تركتا تحت نافذة بيته في العراء أربعة عشر يوماً، وعندما حاول والدهما دفنهما، عاجلته عيارات نارية أردته قتيلاً بعد ولديه، وكذلك قتل زائر مغترب من آل الكيلاني حين كان يدفن ولده المقتول في حديقة بستان السعادة، كما تركت جثث ثلاثين شهيداً في طاحون سوق الشجرة لمدة خمسة عشر يوماً.

في نهاية هذه الأحداث المؤلمة عندما قامت عناصر السلطة بإخلاء المدينة من جثث الضحايا، وكانت هذه العناصر تقذف بالجثث من شرفات المنازل، أما الجثث المنتفخة، فقد أجبر المواطنون بقوة السلاح على حملها، فكانت أطرافها تنفصل عن الأجساد لدى حملها.

١٠- إذا كانت أحداث حماة في شهر شباط ١٩٨٢ مأساة كبرى من مآسي التاريخ القديم والمعاصر، فإنها بتفصيلاتها مجموعة لا تكاد

تحصى من المجازر والمآسي، تمثل كل واحدة منها نموذجاً غير أخلاقي وغير إنساني، فقتل النساء والأطفال، والمجازر الجماعية التي طالت المدنيين، وهدم المساجد والكنائس والقصور الأثرية، أي قتل الإنسانية وكل الحياة، وتدمير الحضارة، فكل هذه الأفعال تدفع إلى سؤال كبير حول معنى واضح: لماذا يقوم بعض عناصر البشر بمثل هذه الأفعال المشينة المتوحشة دفعة واحدة؟!! وهذا يدفع إلى الغوص بعيداً في أعماق أولئك الذين نفذوها، بل في وعيهم أو لا وعيهم الذي عبروا عنه بأفعال هي قتل للأحياء، وللحياة برمتها!!

ترى؟ كيف رُبِّيَ المجرمون والسفاحون من الوحدات الخاصة وسرايا الدفاع، وهم في أصلهم بشر كسائر الخلق حتى تجرؤوا على قتل امرأة وزوجها وأطفالها في قبو لجأوا إليه هرباً من القصف الجنوني، ومن حمم الموت المتساقطة عليهم كالصواعق!!

ترى؟ أي عمليات غسل دماغ أخضع لها ضباط وعناصر الوحدات الخاصة وسرايا الدفاع حتى استطاعت أيديهم الآثمة أن تطلق النار على سيدة تبلغ الثمانين من العمر مع ابنها الذي يبلغ الستين؟!!

ترى؟ أي مناهج مدروسة طبقت على عصابات الجند التي نفذت مجازر مقبرة سريحين حيث يؤتى بالمئات من سكان المدينة، يحضرونهم من المساجد في أثناء صلاة الجمعة والصلوات الأخرى، ومن الشوارع والمنازل، يؤتى بهم إلى خنادق طويلة حفرت لهم، ثم تطلق النيران عليهم، ويهال عليهم التراب، وبعضهم ما يزال حياً لم يفارق الحياة بعد، ثم يؤتى بالدفعة الثانية والثالثة وما بعدها، إلى أن

يفيض الخندق أو الأخدود بالجثث وبرك الدماء؟

لقد أوردنا تفصيلات عدد من المجازر، مما استطعنا معرفته في مواضعه من الأحداث، وسنكتفي بالحديث الموجز عن مقبرة سريحين التي لم نتعرض لها من قبل وأرجأنا التحدث عنها في هذا السياق عن الكوارث التي حلت بمدينة أبي الفداء في محنتها الكبرى.

أ- كانت مجزرة سريحين من أكثر المجازر دموية إذ تجاوزت العشرات والمئات وحشية وقسوة، وبالرغم من أن كثيراً من تفصيلاتها ظلت مجهولة، لأن القتل استمر بها، ولم ينج منها أو من هولها إلا عدد قليل لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، غير أن واحداً من هؤلاء الذين وعى هده الحادثة الأليمة، ووقف على تفاصيلها، شهد بما يلي:

كنت أحد الناجين من هذه المجازر، وكنت ضمن أعداد كبيرة ملأوا إحدى عشرة سيارة شاحنة، بكثافة كبيرة وازدحام شديد، حتى كادت تنقطع أنفاسنا.

سارت بنا السيارات نحو قرية سريحين حيث أمرنا بالنزول فنزلنا، وكان أول ما وقعت العين عليه مئات الأحذية المتناثرة على الأرض، فأدرك الجميع أنها تعني مقتل مئات المواطنين من أبناء بلدنا، وأننا على الموت مقبلون.

فتشنا القتلة بعد ذلك، وأخذوا الأموال القليلة التي كانت في جيوبنا، وجردونا من ساعاتنا، ثم أمرنا البغاة بالتقدم نحو الخندق العميق الذي يمتد أمامنا لمسافة طويلة، وأمروا قسماً آخر منا بالنزول

إلى خندق مجاور، وعندما تقدمت لموقعي أمام الخندق، رأيت الجثث المتراكمة على بعضها تلطخها الدماء، فكان مشهداً رهيباً لم أطق تحمله، فأغمضت عيني، وتحاملت على نفسي خشية الوقوع على الأرض، وحدث ما كان متوقعاً، إذ انهال الرصاص الغزير، فهوى الجميع إلى الخندق مضرجين بدمائهم، أما العدد الذي أنزل إلى الخندق الآخر فقد أطلقت النار عليه داخله.

كانت إصاباتي غير قاتلة، وقدر الله لي أن أنجو بأن صبرت حتى خلا المكان من السفاحين، فهربت متحاملاً على جراحي، وأنقذني الله من هذا المصير، حيث يموت الجريح تحت الجثث الأخرى.

ب- لقد جاء ذكر ما بين عشرين إلى ثلاثين مجزرة في حماة خلال شهر شباط ١٩٨٢، فقتل في بعضها ٣٥ ضحية في دكان عبد المعين مفتاح، وفي بعضها ٢١ ضحية من آل موسى، و٣٩ ضحية في بناية الدكتور زهير مشنوق، و١٣ ضحية من آل الصمصام، و٤٠ ضحية من آل المصري، و٦٠ ضحية من آل الصحن.. إلخ، وقد جاء ذكرها سريعاً، لأن التفصيلات تحتاج إلى سفر كبير، ولذا جاء الاختيار على واحدة منها كنموذج في ذكر التفصيلات التي سردها أحد الناجين من الموت وكتبت له الحياة، وأكمل دراسته ليصبح إنساناً مرموقاً في المجتمع، إنه من عائلة آل محي الدين بن محمد سعيد شيخ عثمان التي أبيد أكثر أفرادها في واحدة من مجازر حماة الكارثية.

خلال أحداث القصف والاجتياح التي قامت بها قوات الجيش

السوري وسرايا الدفاع، والوحدات الخاصة، وأجهزة المخابرات، وميليشيات الحزب، والكتائب العمالية، وأبناء الجبل الذي حضر بعضهم من تركيا، ليشاركوا في إبادة مدينة أبي الفداء.

اجتمع عدد من النساء والأطفال بلغ ثمانين شخصاً كان عدد الأطفال فيهم خمسين طفلاً من آل شيخ عثمان، واختبأوا في منزل الحاج محي الدين شيخ عثمان الواقع في محلة الشرقية. وبعد أن اشتد القصف، ونال من المنزل، انتقل الجميع إلى بيت مجاور لهم، هرباً بحياتهم من القصف، وكان جميعهم من النساء والأطفال.

في الأيام الأخيرة من شهر شباط، شهر هدم المدينة وذبح ما يربو على أربعين ألفاً من أبنائها، عدا المشردين والمعتقلين والهاربين والغائبين الذين زاد عددهم على ١٥٠ ألفاً، دخل الجنود على نساء وأطفال آل الشيخ عثمان، فطلبت إحدى النساء منهم المساعدة في نقل إحدى النساء التي كانت في حالة مخاض، وعلى وشك الولادة، فقال أحد الجنود أنا أساعدك، واقترب منها وبقر بطنها بحربة بندقية وهي حية، وأخرج الجنين الطفل وقتله أمام الجميع، ثم شرع الجنود بإطلاق الرصاص، وأبادوا الجميع، ولم يبقوا منهم باقياً من هذه العائلة المنكوبة، وذكر راوي الحادثة هذه، وهو ممن بقي من العائلة -لم يكن بين النساء والأطفال- أسماء من تذكر أسماءهم من الشهداء وهم: محي الدين شيخ عثمان، وكان في السبعين من عمره، وعمر، وإبراهيم، وراكان، وأسامة، وممدوح، وعدنان، وعبد المجيد، وعبيد، ومأمون، ودجانة، ومحي الدين (الحفيد)، وبسام، وخالد،

وعدد من البنات الصغيرات، والباقي من النساء والأطفال، ثم قتل معهم وبجانبهم عدد آخر من الجيران، هم من عائلات أخرى.

لقد اقتصرت على ذكر مذبحة واحدة بشيء من التفصيل، طالت عائلة واحدة، تلك التي فقدت نساءها وأطفالها ورجالها في داخل الدار التي لجأوا إليها وفي خارجها من الرجال كنموذج على عمق المأساة التي وقعت لسكان مدينة حماة.

جـ- إن أبناء سورية، ولا سيما أبناء حماة يشعرون أن ما كُتب عنهم وما نشر دون الحقيقة بكثير، ولذا يناشدون المعنيين عن حقوق الإنسان، وحماية الجنس البشري من الإبادة، ويهيبون بكل أحرار العالم إلى زيارة مدينة حماة، ومتابعة المجازر، والكشف عن الذي ما زال مكتوماً ومخفياً، والاتصال المباشر بمنكوبي المدينة، ومن تبقى على قيد الحياة من العائلات التي ذبحت، وللتعرف على الوقائع ميدانياً، ثم العمل على بذل كل جهد وما في الوسع لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من قيم العدل والحق والشفقة والرحمة وحياة الإنسان.

لقد استدعت عناصر البغي والظلم بعد مضي أسبوع على انتهاء استباحة المدينة، الفتوة من القرى والمناطق المحيطة بالمدينة، وأمرتهم أن يقوموا بغسل شوارعها وأرصفتها وأزقتها المغطاة بالدماء وجثث الضحايا التي كانت الكلاب تنهش لحومها، وتحمل أطرافها ورؤوسها وتتجول بها، كما شوهد ذلك في منطقة الشيخ مهران وغيرها من المناطق في أرجاء المدينة.

إن كثيراً من الدعاوى المقدمة للمحاكم في حماة يتم تأجيلها،

وذلك لعدم وجود المدعى عليه أو المدعي أو الشهود، إذ فقدوا خلال تلك الحرب الظالمة التي شنها الحاقدون الأوباش على مدينة حماة الباسلة، أو سيقوا إلى المعتقلات أو غياب القاضي، لأنه قضى نحبه، كما جرى للقاضي أحمد القناص من بلدة طيبة الإمام المجاورة لحماة، وهو قاضٍ في إدارة قضايا الدولة، ومثل المحامي تايه الجمعة الذي قضى نحبه.

لهذا ولأضعاف أضعاف ما أنزله البغاة الطائفيون بهذه المدينة الشهيدة، مما لا يمكن حصره في مثل هذا الكتاب، ولا في عشرات المجلدات.. نقول: إن ما نزل بحماة هو جريمة العصر، ومأساة القرن العشرين، ولن ينسى مواطن أو عربي أو مسلم أو إنسان أياً كان مذهبه وانتماؤه، إذا كان ذا ضمير حي، هذه المأساة المريعة، ولن يتنازل سوري حر عن المطالبة بالاقتصاص من القتلة المجرمين، بدءاً من الطواغيت الكبار، وانتهاءً بأصغر مجرم غمس يده في دماء الشهداء والمظلومين من أبناء مدينة أبي الفداء ذات الأمجاد العريقة، والتاريخ التليد.

د - وإذا كان التاريخ قد أبى نسيان ما فعله نيرون في روما في حالة هوس أو صرع أو جنون، ليتمتع بمنظر ألسنة اللهب وهي تلتهب قصورها وآثارها وحدائقها، بالرغم من أن أحداً من سكانها لم يصب بأذى، إذ أخرج الجميع منها قبل أن يدركه الحريق، إذا كان التاريخ ما يزال يردد مأساة روما وقد مر عليها حوالي عشرين قرناً، فإن مأساة حماة ونكبتها، وهدم معالمها، وقتل عشرات الألوف من أطفالها

وأبنائها، بل ومن قضاتها وعلمائها وفقهائها ورجالها الأفذاذ، لا يمكن نسيانها أو تجاهلها، أو طيها في التقادم، ومرور القرون. سيذكر التاريخ أن مدينة اسمها حماة، قدر المؤرخون والباحثون أنها من أقدم مدن الدنيا، وأنها ساهمت في بناء حضارة الإنسان، وأن لها من المفاخر ما لم يتأتَّ على مدار الزمن إلا لعدد قليل من أشهر المدن العربية والعالمية، وسوف يبقى الأبناء والأحفاد متحفزين للثأر الشرعي الذي عبر عنه المصطفى ﷺ عندما أمَّرَ الشابَّ أسامة بن زيد على جيش فيه كبار الصحابة من أمثال أبي بكر وعمر، قائلاً: من أجل كذا وكذا، ومن أجل الثأر لأبيه، إنه الثأر المشروع بمقياس شرائع السماء، وقوانين أهل الأرض من العالمين.

هـ - بعد أن دخل البغاة والآثمون على سيدنا ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقتلوه وهو صائم يقرأ القرآن الكريم، تفرقوا في الأمصار، وفي المدن التي جاؤوا منها، مثل الكوفة والبصرة والفسطاط والشام وغيرها، تنبه المسلمون في الدولة العربية الإسلامية إلى خطرهم على البلاد والعباد، وأمن المجتمع، فطاردوهم في كل مكان، وأوقعوا بهم العقوبات الصارمة، رغم اختفائهم وتواريهم، ولم يتركوا منهم أحداً يفلت من الجزاء الأوفى، وبالرغم من أن بعضهم قد امتد به العمر إلى أيام الحجاج في عهد عبد الملك بن مروان، وَرُدَّ إلى أرذل العمر، جيء به إلى الحجاج، فإذا به شيخ هرم طاعن في السن، ذو رأس أشعث أبيض كالليف الخشن، فجذبه الحجاج إليه قائلاً: أنت من دخل على عثمان وشارك

في قتله؟ ثم أوقع به ما يستحقه من عقاب.

أصدقكم القول أيها المتربعون على عرش سورية منذ ستٍّ وأربعين سنة، وما زلتم تطمعون في استمرار حكمكم عقوداً أخرى بدعم من الأعداء الذين يصرحون بذلك قائلين: لا نريد لهم أن يتبدلوا لأن البديل سيكون المتشددين -تعبير يطلق على ذوي الاتجاهات الإسلامية- وما زلتم تشنون عليهم، يا حكام الأقلية، حرباً إعلامية، لم تعد تنطلي على أحد، وتعطونها -إسرائيل- ما تريد من أمن واستقرار مقابل دعمكم في حكم ما يزال يحكم بالحديد والنار في ظل قانون الطوارئ والأحكام العرفية الذي مضى على إعلانه ست وأربعون سنة!!

يا من تمسكون سورية من ناصيتها، وتلقون حبالكم حول عنقها، وتطمئنون إلى حكم يستند إلى قانون الطوارئ، فأعطيتم لأنفسكم حق السجن والاعتقال والمطاردة والمصادرة، وبيع الأوطان، وتسليم الحدود والجولان، ونهبتم ثروات الوطن بالمليارات، وأودعتموها في البنوك الأجنبية، واشتريتم العقارات والأملاك في إسبانيا وفرنسا وسويسرا والولايات المتحدة الأمريكية، وجئتم بطالب جامعة، لتصوغوا له دستوراً على قدر سنه، وعلى مقاسه، لتنصبوه رئيساً لجمهورية وراثية، لأن مؤهله الوحيد أنه من سكان القرداحة، وأنه وريث أخطر سفاح وطاغية شهده النصف الثاني من القرن العشرين.

إنني لا أريد لوطني أن يبقى نهباً للأحقاد والصراعات المدمرة، مشهداً ربي على ذلك، ولا أن تحركه الثارات التي تفري أكباد المواطنين.

إن الحل بيد السلطة التي تملك المال والميزانيات والمؤسسات، وتسن القوانين، وتصدر المراسيم، ولديها أجهزة أمنية نمت كالفطر، فلم تدع لكثرتها، وسطوها على الثروات العامة، وبعض الخاصة و... إلخ، فهي تملك الأسباب في تهدئة الخواطر، وإطفاء نار الغيظ والحقد، وكسب ود المواطنين، حين تبادر بالسرعة المفيدة إلى محاكمة المجرمين والسفاحين، وهم معروفون بأسمائهم ورتبهم، وتوقع عليه القصاص العادل، وأن تنصف المظلومين بما لهم من حقوق ضائعة، وأموال منهوبة، وبيوت مصادرة، وتعويضات مجمدة، وبكلمة موجزة، أن ترد الحقوق لأصحابها، وأن تبادر السلطة بحزم وشجاعة وجرأة، على حل جميع الأمور المتعلقة، فالإنسان أفضل ما يكون إنصافاً وسمواً عندما يحاسب نفسه ويحاكمها، ويسائل من توارى خلفه برداء عائلي، أو غطاء طائفي، أو برقع حزبي.

إنني أعلن بصوت مسموع، وبكلام لا ينقصه البيان والوضوح، صادقاً ومخلصاً: إن سورية عندما تستأنف دورها الحضاري الكبير، ومسيرتها الظافرة، وبعودة اللحمة إلى أبنائها، ليعودوا بنياناً متراصاً، يشد بعضه بعضاً، أقول: سيرون علانية ورأي العين: أن أيدينا ممدودة لكل إصلاح حقيقي. إنني أؤكد على مد اليد دون مواربة أو مداراة لكل من يتجاوب مع هذا النداء الحار، وهذه الدعوة المخلصة إلى السوريين، كل السوريين، لا فرق بين سني وعلوي، ولا بين مسلمين ومسيحيين، فالكل سواسية كأسنان المشط، وكل مواطن تحفظ له كرامته، وأسباب رقيه ونهوضه وحياة فضلى كريمة، وعندها

نكرر جميعاً النشيد الذي كثيراً ما رددناه في أيام الطفولة، لننشده من جديد، ونترنم بمبانيه ومعانيه:

عليك مني السلام   يا أرضَ أجدادي

ففيك طاب المقام   وطاب إنشادي

ثالثاً: منظمات العفو الدولية والتعذيب

ضاق المجتمع الدولي ذرعاً بشقيه السياسي والإنساني بما يجري في سورية من مذابح متواصلة، وإبادة لألوف المواطنين على أيدي أشرار متسلطين، لا يرعون في الله، ولا في الإنسانية إلاً ولا ذمة، فتكلم عدد من الحكام العرب، منهم جعفر النميري رئيس جمهورية السودان، والملك خالد ملك المملكة العربية السعودية باستنكار معلن عن مأساة السوريين، وبخاصة أبناء مدينة حماة رابع المدن السورية في عدد السكان. كما تكلم عدد من النواب في مجلس الأمة الكويتي حول موضوع تمويل قوات الردع السورية العاملة في لبنان، فقد شكك نائبان من المجلس النيابي الكويتي بقيام هذه القوات بالدور المطلوب، وطالبا بعدم تقديم الأموال لها، فقال السيد محمد المرشد عضو مجلس الأمة الكويتي: أنا أعارض دفع هذه الأموال لقوات الردع في لبنان، لأن هذه الأموال تستخدم في قتل المسلمين والمواطنين اللبنانيين، وأنا أسجل معارضتي الكاملة لهذا الدعم، أما السيد خالد سلطان فقال: إن تسميتها قوات الردع خطأ، ويجب تسميتها قوات السلب والنهب، وهذه القوات أساءت للوضع في لبنان، وهي تقتل وتهدم، كما أشار السيد خالد سلطان أن هذه

القوات قتلت المسلمين، أما رئيس الوزراء بالنيابة وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد، فقد صرح بعد دعوته الأطراف اللبنانية إلى طاولة مستديرة في الكويت، بأن القوات السورية هي التي تقف حجر عثرة في طريق السلام في لبنان، ويجب أن لا ينطلي علينا الإعلام الخادع الذي يمارسونه(١).

غير أن الغرب الذي يغطي على ما يقترفه النظام السوري من جرائم في سورية ولبنان، مارس ضغوطاته على كل من يفضح ممارسات النظام السوري، وأسكت جميع الأصوات المنكرة للمذابح في سورية، حماية للنظام ريثما يكمل مهمته في تدمير سورية التي كثيراً ما عارضت الأحلاف الغربية والأمريكية، وأحبطتها في المنطقة، ليمحق كيانها، ويدمر إنسانها.

أ- غير أن منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان ظلت تجهر لحد ما، بصوتها، وتستنكر ما يحدث في سورية من انتهاكات لحقوق الإنسان هي أخطر ما شهده النصف الثاني من القرن العشرين في العالم كله.

تكلمت عشرات من المنظمات في أوروبا وأمريكا عن هول ما يجري، مؤكدة ذلك بالأدلة والأرقام وشهادات الشهود، كان من أبرزها وفي مقدمتها ومن أشهرها منظمة العفو الدولية -أمنيستي- في لندن، ومنظمة هيومن رايتس ووتش في أمريكا، ومنظمات أخرى في

---

(١) القبس ١٣-١-١٩٨٢، والنذير العدد ٣٤ ص٢٤ .

سويسرا وهولندا وبلجيكا وغيرها، وكيلا يطول بنا الحديث عن الفظائع التي يحتاج تسجيلها تفصيلاً إلى مجلدات، نقتصر على ما أوردته كبرى منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان -أمنيستي- وأشهرها، وما عرف عنها من دقة وموضوعية واطلاع.

لقد نشرت المنظمة تقريرها عام ١٩٨٨ بأربع لغات، إحداها اللغة العربية، ووزعته على المنظمات والمؤسسات المعنية في العالم، وأوردت فيه ٣٨ طريقة في التعذيب، نوردها ونسجلها كما جاءت نصاً وحرفاً، وهي:

- الضرب على جميع أقسام الجسم، باللكم والصفع والركل والرفس، واستعمال قبضة اليد والأقدام وحبال الجلد والأحزمة والعصي والأسواط والمطارق والكيبلات الفولاذية المضفورة، أو الكيبلات داخل الأنابيب البلاستيكية.

- الدولاب: تعليق الضحية بشدها إلى دولاب مربوط بالجدار أو السقف، وضربها بالعصي والهراوات والكيبلات أو الأسواط.

- الفلقة: الضرب على باطن القدمين.

- بساط الريح: شد وثاق الضحية إلى قطعة خشب، لها شكل جسم الإنسان، ثم يصار إلى ضربها أو توجيه صدمة كهربائية إلى كل أجزاء الجسم.

- الشبح: شد وثاق الذراعين خلف الظهر، وتعليق الضحية، من ذراعيها الموثقين أو من القدمين، وفي كلتا الحالتين تضرب الضحية

أو توجه لها الصدمات الكهربائية.

- العبد الأسود: شد وثاق الضحية إلى آلة متحركة، وعندها تطلق سيخاً معدنياً ساخناً يدخل في دبر الضحية.

- الكرسي الألماني: كرسي معدني، له أجزاء قابلة للحركة، يشد إليها وثاق الضحية من اليدين والقدمين، ثم يتجه مسند الكرسي الخلفي إلى الوراء، فيسبب توسعاً في العمود الفقري، وضغطاً مؤلماً على عنق الضحية وأطرافها، فيصعب في هذه الحالة التنفس حتى الاختناق تقريباً، مع فقدان الوعي، وأحياناً تتكسر الفقرات، ولتطوير هذا الكرسي بما أضافه المتوحشون المختصون في التعذيب بما يسمى بالكرسي السوري، إذ تثبت شفرات معدنية على الأرجل الأمامية للكرسي في موضع شد قدمي الضحية، مسببة نزفاً دموياً حاداً في رسغ القدم وكاحله عندما يوجه الضغط عليهما، وأحياناً يستخدم الكرسيان معاً، مع الضرب بالسوط أو العصي.

- استعمال وسائل محلية الصنع لحرق أجزاء من الجسم، كالصدر أو الظهر، أو الأعضاء التناسلية أو الأرداف أو الأقدام وتضم هذه الوسائل أدوات، مثل المراجل الكهربائية -أوعية مياه حارة- حيث يضغط جسم الضحية إلى داخلها، ومثل مواقد البارافين المغطاة بقطع معدنية، تكره الضحية على الجلوس عليها، وعلى الحديد المكهرب، وأدوات اللحام الكهربائية الأخرى.

- الغسالة: طبل مغزلي أجوف يشبه حوض ماكينة الغسيل المحلية، حيث تجبر الضحية على مد اليدين أو الرجلين إلى داخله،

وحتى كل الذراعين، مما ينتج عنه سحق الذراعين أو اليدين أو الأصابع.

- وضع قطعة من القطن أو الصوف مبللة بالنفط على مختلف مناطق الجسم، ثم إشعالها، وسكب النفط على قدم الضحية وإشعالها.

- ثقب ظهر الضحية أو صدرها بقضيب معدني مدبب حامٍ.

- إطفاء السجاير على الأجزاء الحساسة من الجسم، واستعمال ولاعات غازية لحرق لحية الضحية وشاربها أو شعر أي منطقة في الجسم.

- استعمال الكهرباء في أي جزء حساس من الجسم، بما في ذلك الأذنان والأنف واللسان والرقبة واليدان، والأعضاء التناسلية والشرج والقدمان.

- استعمال الأملاح والمواد القلوية -المحاليل الحامضية- مع جروح الضحية أو حروقها.

- تشريط وجه الضحية -شفتيها وأذنيها وأنفها- بسكين حادة موس الحلاقة.

- إجبار الضحية على الوقوف حافية القدمين إلى الجدار، ويداها الموثقتان فوق الرأس، وبذلك يتعرض أعلى القدم وإبهامها إلى السحق بكعب الحذاء والجزمة العسكرية بحركة قاضمة سريعة.

- النفخ الموجه للمناطق الحساسة في جسم الضحية -بما في

ذلك الرأس- لمدد زمنية طويلة، باستعمال قضيب رفيع وطويل ملتحم بكرة معدنية.

- تعليق الضحية من اليدين والقدمين إلى أحد أعمدة السرير من القدمين إلى -درابزين- والبدء بضربها- رجلاً أو امرأةً.

- الفروج: شد الضحية إلى مزلاج دوار من الخشب يشبه شريحة الدوست، وجعلها هدفاً للضرب بالعصي.

- تعليق الضحية لمدة طويلة من العنق بطريقة لا تؤدي إلى كسر الفقرات.

- تعليق الضحايا بالمراوح السقفية وضربهم وهي تدور بهم.

- إجبار الضحايا على الاستلقاء بكامل الملابس في بانيو مملوء بالماء البارد لمدة طويلة، وقد ينسكب الماء على الضحية في هذه الأثناء أيضاً.

- التعرض للدوش، أو صب الماء صباً متوالياً، وهو حار ساخن، ثم بارد مباشرة على الضحية.

- قرض الجلد أو لف الشعر بالكلابتين -البلايس- .

- قلع أظافر اليدين والقدمين.

- الاغتصاب الجنسي أو الاعتداء على الحرمات وهتك العفة.

- إجبار الضحية على الجلوس فوق أعناق القناني، أو دفع القناني أو العصي إلى داخل الشرج فالمستقيم.

- إجبار الضحية على الوقوف مدداً طويلة على ساق واحدة، أو الركض، والضحية تحمل أثقالاً كبيرة.

- العزل التام في زنزانة صغيرة مظلمة من غير اتصال مع أي إنسان لعدة أيام.

- إبقاء الأنوار الساطعة والضحايا في النوم مسبتون، أو ترك الأنوار الساطعة موقدة لمدة طويلة أو قصيرة ليلاً أو نهاراً، ومن الممكن استمرار ذلك الوضع أياماً عدة.

- استعمال مكبرات الصوت لنقل الجلبة والضوضاء، كما الموسيقى الصاخبة، وعويل المساجين الذين يتعرضون للضرب، وأناتهم وصراخهم.

- تعريض الضحية إلى أعمال تجلب لهم السخرية، بالموت الكاذب، وذلك بتغطيس رأس المرأة أو الرجل أسفل الماء حتى لحظة الاختناق تقريباً.

- المكسالة: إجبار الضحية على الاضطجاع على الظهر في مواجهة الشفرة، وهي آلة مركبة على ماكينة تتحرك نحو الضحية بحيث تقف الشفرة قبل أن تمس العنق مباشرة.

- تهديد الضحية بان أقرباءها أو أصدقاءها في خطر يحدق بهم الآن، كالتعذيب مثلاً، أو الاغتصاب الجنسي، أو الاعتداء على حرمتهم، أو الاختطاف، أو بتر الأطراف أو الموت شنقاً.

- تعذيب سجناء آخرين بحضور الضحية وأمامها.

- تعذيب أقران الضحية، أو اغتصابهم جنسياً بحضورها وأمامها.

- إهانة الضحية باستعمال لغة فاحشة، وشتمها، وسبها، أو إجبارها على التعري أمام الحرس من الجنس الآخر.

- حرمان الضحية من النوم أو الطعام أو الماء أو الهواء النقي، أو التواليت، أو الاستحمام، أو زيارة الأقرباء، أو المعالجة الطبية.

تضم الأنواع الأخرى من التعذيب التي ذكرها تقرير منظمة العفو الدولية: الانحناء على الأرض، والركبتان تستندان على حجرين صغيرين، لساعات طويلة، وكذلك التعليق بالسقف من اليدين، وهناك أيضاً تحويرات طفيفة، إلا أنها كثيرة، تطرأ على كل هذه الأنواع والوسائل في أثناء الاستعمال(١).

٢- ذكر تقرير الشرق الأوسط أسماء اثنين وعشرين سجناً ومركزاً في دمشق، وثمانية أخرى في حلب، عدا السجون والمعتقلات في المحافظات الأخرى، وجاء عن سجن تدمر: أنه سجن فريد من نوعه بين السجون السورية، من حيث كونه مؤسسة عقابية، ومثال حي على التخويف والرعب والتعذيب والقتل، فضلاً عن كونه مصدر إذلال نفسي ومعنوي وجسدي، وقد ذكر أحد نزلاء سجن تدمر أنه والمساجين الآخرين واجهوا أحداثاً وفظائع لا تصدق على مدى سبعة عشر عاماً اعتباراً من عام ١٩٨٠ .

---

(١) تقرير الشزق الأوسط، ٣١٣-٣١٧ .

وبحسب المعلومات الواردة إلى منظمة العفو الدولية من سجناء سابقين، فإنه يوجد في تدمر سبع باحات، تضم فيما بينها من ٤٠ إلى ٥٠ مهجعاً، و٣٩ زنزانة، وجميعها فوق الأرض باستثناء ١٦زنزانة تحت الأرض، وبحسب معظم شهادات السجناء الذين احتجزوا هناك في الثمانينيات والتسعينيات، فإن متوسط عدد النزلاء يتراوح ما بين ١٣٠ و١٥٠ معتقلاً في المهاجع الصغيرة ذات المساحة - ٤×٦- وما بين ٢٠٠ إلى ٢٥٠ في المهاجع الكبيرة ذات المساحة -٨×١٢-، ويشير أحد السجناء السابقين إلى أن عدداً يصل إلى ٢٠٠٠٠ سجين سياسي ربما مروا عبر سجن تدمر ما بين ١٩٨٠ وحتى ١٩٩٠ .

أ - لقد سجلت منظمة العفو الدولية شهادات عددٍ من مساجين تدمر[١]. فذكر أحدهم: وصلت الحافلة إلى سجن تدمر حيث كانت الشرطة العسكرية بانتظارنا، فأنزلونا من الحافلة، وهم يجلدوننا دونما شفقة أو رحمة، وبوحشية أنهكت قوانا، ثم اقتادونا إلى حيث سجلت أسماؤنا، وطوال الوقت لم يتوقف الجلد والضرب من جميع الاتجاهات، ثم اقتادونا إلى باحة تعرف بباحة التعذيب، ووضعونا الواحد تلو الآخر في دولاب، وتلقى كل واحدٍ منا ما بين ٢٠٠ إلى ٤٠٠ ضربة على قدميه، ثم دفعوا بنا نحو السجن، ونحن نمسك بملابس بعضنا بعضاً معصوبي الأعين ومطأطئي الرؤوس، ثم أدخلونا إلى الزنازين، والضرب لم يتوقف عنا، إلى أن أغلق باب الزنزانة، وكان الجميع في حالة يرثى لها، فأرجلهم مغطاة بالجروح النازفة

---

(١) وثائق سورية: ٦٥-٦٦ .

دماً، وقد توفي بعض السجناء خلال حفلة الاستقبال، وهذا هو أول العهد بدخول سجن تدمر الصحراوي، وما جرى بعد ذلك أشياء تعجز عن وصفها الألسنة والأقلام.

ب - ذكر سجين آخر فقال: بعد إجراءات التفتيش والمعاينة، سمعت صوتاً يقول: هذا جاهز سيدي، فامتدت أيد قاسية وجرجرتني ووضعتني في الباحة، ثم صرت في الدولاب، وأمرت بأن أضع يديَّ بين ساقيّ، ثم مُدِّدت قدماي وربطتا بحبل متين إلى قضيب حديدي، لمنعي من التحرك في أي اتجاه، وكان ذلك مؤلماً، ثم فكوا عصابة عيني، وبدأت عملية الجلد، وكان حارسان يجلدانني في ذات الوقت، أحدهما صعوداً والآخر نزولاً، وبعد صرخات الألم يبدأ عد الجلدات، واحد.. اثنين.. إلخ، ثم ينسى المرء العدد، ويفقد تركيزه، والكثيرون من المعذبين يصابون بالإغماء، وبعد الانتهاء من الجلد يفكون وثاقنا، ويخرجوننا من الدولاب، ثم يؤمر السجناء بالركض حول الباحة، فكنت أتصبب عرقاً، وقدماي تلسعاني، وأحس بآلام مبرحة في جميع أنحاء جسدي(١).

ليس بالإمكان تسجيل عشرات الشهادات بل المئات التي رصدتها، واستمعت إلى ذويها منظمة العفو الدولية، ونقلتها عن منظمات عديدة، وباحثين كثيرين مثل كتاب: التعذيب على يد قوات الأمن، لأن هذا البحث لا يتسع لذلك، فاكتفيت بإيراد هذا المثل في هذا السياق، والذي لا يقاس بالأساليب الـ٣٨ التي جاءت بها،

---

(١) المرجع السابق: ٦٧-٨٦ .

وسجلتها منظمة العفو الدولية، بعد سماعها من مئات الشهود من نزلاء سجن تدمر الصحراوي.

ج - لم يعد حافظ أسد يخشى أحداً، أو يحسب له حساباً، بعد أن سحق السوريين وطحنهم، بل وبعد أن جعل سورية وطناً مستباحاً، وبعد أن ظفر بتأييد دولي واسع، شمل معظم الدول العربية، والغربية، والولايات المتحدة، فأطلقت أمريكا يده في لبنان، وضمنوا له الملايين من خزائن العرب باسم قوات الردع، كما حظي بدعم إسرائيل والتعايش معها، كما مر معنا تفصيلاً في المجلد الثالث من هذه السلسلة، فامتد شهر العسل مع الصهاينة ما يزيد على أربعة عقود، باستثناء فترة قصيرة عام ١٩٧٣ مرت بنا دراسة ضافية عنها، احتل الصهاينة من جرائها جزءاً من الوطن السوري يقدر بتسع وثلاثين قرية، أضيفت إلى الجولان المحتل منذ حرب عام ١٩٦٧ .

لم يعد حافظ أسد يخشى أحداً من شعبه وجيرانه، فالدستور والقوانين والقضاء والجيش والأمن والحزب.. إلخ تحت إمرته وطوع بنانه، فإذا به يؤله نفسه، أو يؤلهه أتباعه وأفراد حاشيته من المنتفعين والمنافقين والمصفقين والهاتفين له، بعد أن أغرقهم بالعطاء والأموال التي نهبتها سلطاته من المواطنين، ودفعت بالشعب إلى حياة الفقر والبؤس والشقاء.

ثم أله السفاح نفسه، وصدقه من حوله فقد أعلنت السلطة تقديس وتأليه رئيسها، والقول بأبديته وخلوده، إذ يكرر ملايين المواطنين من جنود وموظفين وطلبة، صباح كل يوم ثلاث مرات، هتافاً أو شعاراً،

يقول: الرئيس حافظ الأسد، قائدنا إلى الأبد، وعندما مهد للوراثة، وعبد لها الطريق، وأضحت مؤكدة، أضيف على الشعار كلمة جديدة، ليصير الهتاف: قائدنا إلى أبد الأبد، الأمين حافظ الأسد.

﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾(١).

د - اتسعت دائرة الفساد في سورية، ولم تعد تشكل حرجاً للعصابات التي امتهنت النهب والسلب والرشا وفرض الأتاوات، ولم يعد أحد المتنفذين أو المسؤولين أو الموظفين الكبار خارج إطارها، بل إنها اتسعت صعوداً لتشمل الوزراء ومن فوقهم، وهبوطاً حتى أغرقت الموظفين الصغار، وشرطة السير وعناصر المخابرات، وموظفي الدوائر العامة للدولة، فصارت هذه الظاهرة المرضية -التي أغرقت المجتمع العسكري والأمني والمدني في مستنقعها من البلوى العامة- تحظى بحماية المتنفذين من كبار الفاسدين المفسدين، ولاسيما القائد الفذ رفعت!! ومن ضباط المخابرات. فعلى سبيل المثال، كانت الأجهزة الأمنية تنصح الحزب الشيوعي بترشيح عمر السباعي لشغل منصب وزير المواصلات -في الجبهة الوطنية التقدمية وللوزارة- بعد تورطه في فضيحة مالية كبرى!! إذ قبض ثمانية ملايين ليرة سورية من شركة شمس الألمانية التي كانت وزارته قد كلفتها بتجديد وتحديث الشبكة الهاتفية في سورية، فبسط شريكه رفعت أسد

---

(١) سورةالأنبياء، الآية: ٩٨ .

أجنحته عليه لحمايته، ورغم أن بعض مندوبي حزب البعث الحاكم طالبوا في أحد مؤتمرات الحزب بمحاسبته ومحاكمته، ظل عمر السباعي بعد تلك الفضيحة وبعد طرد رفعت من البلاد، مرشح المخابرات المفضل عن حزبه الشيوعي، إلى أن حل محله المليونير الشيوعي مراد القوتلي المعروف بعقد صفقات بناء مشبوهة، وبتجارة الأراضي غير القانونية مع ضباط المخابرات[١].

ومن الأمثلة الشائعة والمنتشرة في طول البلاد وعرضها، سنقتصر على ذكر بعض الأمثلة الفاضحة في الفساد، التي غدت موضوعاً لأحاديث الناس، بعد أن صارت الرشوة جزءاً تكوينياً من الوظيفة العامة، وفي أحيان كثيرة غايتها، وأن إنجاز أعمال المواطنين يتم في معظم الأحوال إن لم يكن في جميعها مقابل رشوة محددة في القطاعات الحكومية القريبة من الأنشطة الصناعية والتجارية والمالية والعقارية.. إلخ. فمن أمثلة ذلك: أن الحصول على تأشيرة خروج يكلف ٢٥ ل.س، وعلى جواز السفر أو الهوية الشخصية لمواطن يلاحقه الأمن ما بين ثلاثة وخمسة آلاف ليرة سورية، ويكلفان شخصاً عادياً ما بين ٣٠٠ إلى ٥٠٠ ل.س، كذلك فإن رشوة رخصة البناء هي حوالي خمسة آلاف ليرة إذا كان كل شيء قانونياً، وقد تصل إلى مليون ليرة سورية بالنسبة للمعاملات غير القانونية، أما بالنسبة لرخصة الحصول على إسمنت أو حديد أو خشب من مؤسسات الدولة، فهي مئتا ليرة سورية، لطن الإسمنت، وألفا ليرة سورية إذا كانت المعاملة

(١) حوار حول سورية: ٧٤ .

قانونية، وأضعاف ذلك إذا كانت غير قانونية. وثمة قصة تستحق أن تروى في هذا السياق، تدور حول مهرب حديد من لبنان. فقد كان يشتري الحديد ويحمله في سيارات للجيش السوري تنقله مقابل رشوة معينة إلى مدينة حمص، حيث يبيعه أو ينقله إلى دمشق، وفي ذات يوم أوقفت دورية للشرطة العسكرية سيارة تحمل ١٣ طناً من الحديد، وطلبت منه خمسة آلاف ليرة سورية مقابل أن تكتب محضر مخالفة تنص على أن الموجود في السيارة هو ثلاثة أطنان فقط، وهي كمية يسمح القانون بدفع غرامة عنها، والاحتفاظ بها، فدفع المهرب المبلغ، وسار إلى دمشق بعد أن أبلغه رجال الشرطة العسكرية ضرورة العودة إلى حمص صباح اليوم التالي للمثول أمام محقق عسكري، أعطوه اسمه كي يحكم عليه بدفع غرامة الحديد المهرب، وقبل دخوله إلى دمشق، أوقفته دورية للجمارك، فقالوا له: لا تستطيع دفع غرامة عن الأطنان الثلاثة، لأن القانون لا يسمح بدفع غرامة إلا عن طن واحد، وأخذوا منه عشرة آلاف ليرة، وكتبوا محضراً يقول: إنهم وجدوا بحوزته طناً واحداً من الحديد المهرب، ثم أعطاه رجال الجمارك اسم مأمور مستودع في حمص يعطيه ورقة رسمية بأنه سلمه أطنان الحديد الثلاثة المذكورة في محضر السكرية، وطلبوا منه العودة إلى دمشق، ليُحكم بدفع غرامة طن واحد فقط من الحديد.

واصل المهرِّب طريقه بالحديد المهرَّب إلى أحد مستودعاته في غوطة دمشق، ثم أنزله وسافر إلى حمص، حيث أعطاه أمين المستودع وثيقة رسمية تقول: إنه سلم المستودع الحكومي ثلاثة

أطنان عصر اليوم السابق، فحكمه القاضي بالبراءة من ضبط الشرطة العسكرية مقابل عشرة آلاف ليرة، دفعها، وثلاثة آلاف ليرة لأمين المستودع، فانطلق الرجل المهرب إلى المحكمة في دمشق التي حكمته بثلاثة آلاف ليرة عن طن الحديد الذي هرَّبه.

إن هذا المهرِّب ربح من أطنان الحديد من لبنان قرابة مئة وخمسين ألف ليرة، رغم ما دفعه من رشاوى في حمص ودمشق وما بينهما[1].

وفي ختام هذه الفقرة من النهب والسطو على أموال المواطنين حدث أمر خطير مع دول الخليج في خارج سورية، إذ حضر وزير الداخلية الكويتي إلى دمشق طالباً مقابلة حافظ أسد، وبعد اللقاء عرض الرجل على الرئيس ملفات ووثائق رسمية حول تهريبات كبرى للأسلحة، أوصلت ١٢ ألف قطعة سلاح مختلفة العيارات، فيها بنادق كلاشينكوف وقاذف صواريخ آر بي جي ثقيلة ومتوسطة، إلى السعودية والكويت والإمارات، وقد أعطى الوزير الكويتي أسماء ضباط سوريين متورطين في العملية، طالباً فتح تحقيق رسمي، مع استعداد الكويت للمشاركة فيه، وبعد أيام قليلة من زيارة الوزير الكويتي، حطت طائرة في مطار دمشق تحمل الأمير نايف وزير الداخلية السعودي، يرافقه وفد من ضباط وزارته، جاء يبلغ المسؤولين السوريين بما لديه من معلومات حول أسلحة تهرب من

---

(١) حوار حول سورية: ٢٢٦ -٢٢٧ .

لبنان إلى السعودية والكويت والإمارات عبر سورية، بواسطة ضباط أمن كبار فيها، وقد طلب الوزير بدوره مشاركة السعودية في التحقيق، واستفسر من الأسد عما إذا كانت سورية قد قررت المشاركة في إثارة الفتن الداخلية في بلدان الخليج، مع تزايد الهجمات الإيرانية على العراق، إذ لا يعقل أن لا يعرف جهاز الأمن السوري بالنشاط المريب جداً الذي يقوم به بعض كبار قادته، وخاصة منهم مسؤولي فروع المخابرات العسكرية في حمص وحماة وحلب ودير الزور الممسكة بخيوط العمل الأمني السوري في غرب العراق والجزيرة العربية كلها.

طلب الأسد من اللواء علي دوبا تزويده بما لديه من معلومات حول هذه القضية التي تهدد بالتحول إلى أزمة عربية كبيرة، تضعه في مواجهة السعودية الدولة التي تمده بالمال اللازم لاستمرار نظامه، فإذا بالملف يتضمن أسماء كبيرة منها على سبيل المثال: اسم شقيق العميد محمد ناصيف رئيس فرع الأمن الداخلي، وابن محمد دوبا شقيق علي دوبا، رئيس المخابرات العسكرية، وقريب لوزير مالية تلك الفترة قحطان السيوفي، وابن أحد إخوة عبد الحليم خدام، فضلاً عن العقيد في المخابرات العسكرية مصطفى التاجر رئيس فرع الأمن العسكري في مدينة حلب، والعقيد عبود قدح رئيس فرع دير الزور، والعقيد مصطفى الشعار رئيس مفرزة الأمن العسكري في طرابلس بلبنان، والعقيد يحيى زيدان مسؤول المخابرات العسكرية في حماة، وعدد كبير من المهربين ورجال الجمارك والوسطاء. وأخبر اللواء علي دوبا الأسد أن باسل الأسد ابنه البكر على علاقة بالقضية عن طريق رب أسرة حمصية يقيم علاقات غرامية مع إحدى بناته.. إلخ.

كانت الوقائع دامغة، وكان حجم الأسلحة المهربة إلى بلدان الخليج كبيراً إلى درجة مفزعة، فأمر بكف يدي العقيدين مصطفى التاجر ويحيى زيدان، وبتقديم بعض الأشخاص الثانويين إلى محاكمة خاصة، شكلها بقرار خاص، نص على أن تنعقد لمرة واحدة فقط، على أن تصدر حكمها سراً، كيلا تفوح رائحة الفضيحة، وتظهر دور مخابرات النظام السوري في تخريب العالم العربي، وكيف تتعامل مع أي طرف يدفع لها، مهما كان التهديد الذي سيترتب على تعاملها معه بالنسبة لأمن بلادها، أو العالم العربي، مع أن هذه المخابرات عينها سجنت عشرات الألوف من السوريين والعرب باسم حماية أمن سورية. فأصدرت هذه المحاكمة العتيدة!! أحكاماً جد مخففة على المتهمين، تتضمن نفي تهمة التهريب عنهم، أكثر مما تثبتها، إذ أبرزت المحكمة وثائق مزورة تثبت أن ضباط الأمن كانوا يهربون الحديد والخشب والإسمنت فقط، لتسهيل شؤون المواطنين، ثم وضع الموقوفون في فيلات بمدينة دمشق، يشرف عليها أقاربهم من قياديي الأمن، فتمتعوا بحرياتهم تامة، واقتصرت عقوبتهم على المبيت في هذه الفيلات، أما في النهار، فكانوا يتفرغون لأعمال شبيهة بالأعمال التي أوقفوا بسببها، وبعد سنة أصدر الأسد عفواً عنهم، أعادهم إلى أعمالهم الرسمية.

هل يقبل العقل أن الأسد نفسه كان بريئاً من هذه الأعمال التخريبية والإجرامية، إن لم يكن المخطط لها والمشرف عليها؟!!

ولو أردت أن أورد ما لدي من ضروب الفساد المنتنة لطال

البحث، وتشعب الحديث، وشعر القارئ وأدرك أن سورية صارت في ظل هذه السلطة منهوبة ومستباحة، وا أسفاه!! (فليقرأ من يود الاطلاع على تفاصيل السلب الذي تمارسه قيادات أمن الدولة، والمخابرات العسكرية والسياسية في كتاب: حوار حول سورية ما بين الصفحة ٢٢٤ وحتى ٢٣٤ وفي كتب كثيرة أخرى)(١).

لم تترك هذه العصابة في سورية شيئاً للسلب لدى المواطنين ولم تقدم عليه، كما زعم رفعت أسد في فضائيته يوم نشب خلاف بينهم حول ميناء الساحل، وسقط فيه ٦٠٠ شخص ما بين قتيل وجريح، واتهموه بالفساد والتهريب عن طريق ميناء رفعت البحري، فقال: وهل تركوا في سورية للنهب شيئاً؟! هذا.. والمواطنون يعانون من الحرمان، ويعيشون في همّ وكمد، لعجزهم عن تأمين ما يغطي المعيشة لأفراد أسرهم، ويضطرون إلى مزاولة أعمال مسائية، من بيع ربطات الخبز للمسافرين في الكراجات وعلى طريق السفر إلى لبنان، والعمل في سيارات التكسي، وبيع بعض الأدوات المنزلية، أو ألعاب الأطفال، لتأمين بعض الدخل للإنفاق على عائلاتهم المحرومة، لو كان راعيها مهندساً أو موظفاً كبيراً أو صغيراً لا يتعامل بالرشوة ولا يقبل المال الحرام.

هـ - تُرى؟ أين يقف حافظ أسد من عمليات الهدم والتحطيم للمجتمع، بكل مقوماته ومكوناته وحياته المدنية والاجتماعية؟ إنه بكل تأكيد وتوثيق هو الذي رعى هذا الفساد، وهو الذي شجع هذا

(١) المرجع السابق: ٢٢٦-٢٣٠ .

القدر الكبير منه في سورية، والذي لم يكن معروفاً قبله بحدود واحد من الألف مما هو شائع في عهد سلطته الطاغية، لقد كانت المنظمات المختصة تشهد لسورية بالنزاهة، وانعدام أو شبه انعدام الرشوة، وهي في مقدمة الدول في هذا الخصوص، وبعد تسلط الطاغية شهدت المؤسسة نفسها أن سورية في أوائل الدول التي يتفشى فيها الفساد.

إن الفساد في ظل الطاغية هو سياسة عليا، وهو منهج استراتيجي لطبقة الدولة العليا الحاكمة ومن يليها، وأحد أركان سلطتها وقوتها، بل واستمرارها، وإذا كان الأسد يغيب عنه ما يفسده هذا الموظف أو ذاك من رجال الدولة، فإنه على وجه اليقين يعرف ما يفعله إخوته رفعت وجميل والآخرون من إخوته وأفراد عائلته، الذين تحولوا إلى تجار ومهربي مخدرات، وهو يرى ويسمع ويعلم أن شقيقه رفعت كان يملك مزارع للحشيش في غوطة دمشق، ومصنعين للهروين في طرطوس وفي حلب، ورثهما عنه إخوته وأولادهم الذين يديرون عصابات مسلحة تعمل نهاراً جهاراً في كل مكان من شمالي لبنان، ووسط سورية وشمالها، فتقتل المواطنين، وتداهم بيوتهم، وتغتصب نساءهم، وتسلبهم نقودهم، وتسرق سياراتهم وموجوداتهم[1]. ومما يجدر ذكره من المضحكات المبكيات -وشر البلية ما يضحك- أن أبا سليم دعبول سكرتير حافظ أسد، والذي ينظم له لقاءاته ومقابلاته وجداول الزائرين له من الرسميين وغيرهم، لم يعرف عنه الفساد، ولم يشتهر به، ولم يرد اسمه ضمن قائمة المليونيرات والمليارديرات،

(١) حوار حول سورية: ٢٣٨-٢٣٩ .

إذا قيس بمن أصبحوا في عداد أغنياء العالم، (وليست قصة باسل بعد مقتله بخافية على أحد فيما يتعلق برصيده بالبنوك السويسرية) فقد أورد أحد الأصدقاء الحميمين والمقربين جداً من أبي سليم هو الدمشقي (غ) ولست في حل من ذكر اسمه كاملاً، ذكر صديق أبي سليم التاجر أنه كان يتهيأ للسفر إلى باريس، فطلب منه أبو سليم أن يفتح له حساباً في العاصمة الفرنسية بمئة ألف دولار، ففعل ذلك، ومرت الأيام، والتقى الصديقان بالعاصمة الفرنسية، وكان أبو سليم قد زار البنك واستلم إيصالاً بالرصيد، فسأل (غ) صديقه:

- كم بلغ الرصيد يا أبا سليم؟ كم بلغ رصيدك يا أبا سليم؟

فأجابه: ما عليك.

وبحسب ما بين صديقي العمر من إلفة ومودة، مد (غ) يده إلى جيب سترة أبي سليم وأخرج ورقة الرصيد، وإذا هو: ٢٥٠ مليون دولار، هذا لأحد رجال السلطة الذي لم يرد اسمه في عداد الأثرياء الكبار من أمثال رفعت أسد وباسل أسد، ومحمد حيدر والعشرات الذين بنوا قصوراً كالقلاع على قمم جبال العلويين، وفي مصايفها، وفي العاصمة، وفي سواحل بلاد الشام.

و - ربما يظن البعض أو يتوهم أن حالة الفلاحين أو العمال قد تحسنت وازدهرت، باعتبار السلطة تحكم باسم الفلاحين والعمال وتنتصر لهم، وتسعى لرفع مستواهم؟ غير أن الواقع يؤكد على أن الفلاح والعامل قد وقع عليهما من ضرٍ مثل الذي وقع على سائر

المواطنين، لقد تهمشت المراتب العاملة من فئة الفلاحين اجتماعياً واقتصادياً، وانتقلت أقسام كبيرة منها إلى مدن الصفيح، فأدركتها وغمرتها حياة الشقاء لتلحق بباقي المواطنين.

أما الطبقة العاملة، فقد تعرضت لما هو أقسى من ذلك، إذ حرمت حقها من امتلاك تعبيرات سياسية أو نقابية، أو مهنية خاصة بها، فلا يحق لها احتجاج أو إضراب، فعانت وما زالت تعاني الأمرين في مصانع ومعامل يفترض أنها تشارك في ملكيتها وأرباحها، أما العناصر التي برعت وارتقت وتقدمت في فنون اختصاصاتها، فهي التي قربت من السلطة واحتوتها بفعل ارتباطها بالسلطة السياسية، وبالأجهزة، ونصبتها كقيادة للعمل، تنطق باسمهم، وتدافع عن مصالحهم، فأول ما نطقت به أن العمال ليسوا بحاجة إلى أية حقوق، وأنهم مستعدون للاستغناء بصورة دائمة عن جزء من مكتسباتهم و أجورهم للسلطة، يقدمونه دون مقابل، إسهاماً في تمويلها ودعمها، وأما السلطة فقد فرضت من جهتها على العمال مبدأ النقابية السياسية، تمهيداً للتصدي بوسائل القمع والاستبداد لمن يرفعون أصواتهم بأية مطالب، ولاحقاً أصدر رئيس الجمهورية (الذي تسميه القيادات التي عينتها أجهزته: العامل الأول) المرسوم الجمهوري ذا الرقم (١٠) بمنع إقامة دعاوى عمالية على الدولة أمام القضاء، وهو ما ضيع مبالغ طائلة تقدر بعشرة مليارات من الليرات السورية على الطبقة العاملة، وكان القضاء قد أصدر أحكاماً قانونية نافذة بها، فعوض الأسد الطبقة العاملة عن خسارتها هذه بصينية نحاسية قدمها هدية إلى رئيس اتحاد

نقابات العمال خلال مؤتمرها الثالث، عرفاناً منه بدور هذه الطبقة في خدمة الثورة، كما أصدرت القيادات العمالية التي تدور في فلك السلطة، قرارات تمنع العمال من المطالبة بزيادة أجورهم، مهما كانت الأحوال، وتحظر عليهم رفع أية مطالب من أي نوع كان إلى السلطة، كما فرضت -على العمال- أعمالاً طوعية مختلفة تذكر بأعمال السخرة في القرون الوسطى[1].

يبين الحال الذي تردت إليه الطبقة العاملة، ومجتمع الفلاحين، أن أحد أعضاء المكتب التنفيذي لاتحاد نقابات العمال، ذكر في حوار مع جريدة الثورة الحكومية عام ١٩٧٩ أن عمال مصنع الإسمنت في عدرا، وعددهم ٣١٢ عاملاً، يتغيرون بنسبة ٩٥٪ سنوياً، وأن العامل المدرب والماهر أضحى نادراً في الصناعات السورية. كذلك نشرت جريدة الثورة بعد ذلك بأعوام (١٩٨٥) تحقيقاً عن الصناعات النسيجية قالت فيه: إن أحد عشر ألف عامل تركوا هذه الصناعة عام ١٩٨٤، وحل محلهم من يفتقرون إلى الخبرة العملية والمعرفة الكافيتين.

أما الفلاحون، فإنهم يعانون (في بلد كان يعيش فيه إلى الأمس القريب من الزراعة بدرجة أساسية، وأن ٥٤٪ من السوريين هم من أبناء الريف) من التحولات العاصفة التي اقتلعتهم من قراهم، وألقت بهم في مناطق بائسة حول المدن والبلدات الكبيرة والمتوسطة، وحولتهم إلى احتياطي واسع من عاطلين غير مؤهلين، أو إلى جيش للقمع، وكان هذا مصير معظمهم، فتراجع الإنتاج الزراعي، وكانت

(١) المرجع السابق: ١١٥ .

المحصلة، وفق تقرير سري لرئاسة مجلس الوزراء، أن ٣٩٪ من حاجتها: للحبوب و٦٩٪ من حاجتها: للخضار، بينما كانت قبل ذلك من البلاد المصدرة لهما.

فالريف يسير بسكانه وفلاحيه نحو تقلص متسارع، وتهميش متعاظم، حيث تنزوي شريحة واسعة من أبنائه في مدن الصفيح والورق المقوى، ويعيشون في الفقر والنسيان، بانتظار المنون والأجل المحتوم[1].

٤ - انتهى حافظ أسد من سحق الشعب السوري، وإخضاعه بالحديد والنار، وأسرف في إعدام المواطنين فرادى وجماعات، بالشبهة أو لصلة أحد الضحايا بقريب ملاحق، أو صديق كانت له به علاقة، فالتفت إلى عداء العرب في طول الوطن العربي وعرضه، بدءاً من دول الجوار، فشرع في مطاردة الفلسطينيين، لأن في هذا الأمر مرضاة لإسرائيل، وكسبها ودعمها، وقد مر معنا هذا الموقف من قبل بكثير من التوضيح، فسحقهم سحقاً في مخيماتهم، وفي لبنان بأضعاف ما لاقوه من العدو الصهيوني، ثم التفت إلى الأردن، فحشد الجيوش عليها، وهددها في أمنها وتطاول على قادتها بالاغتيال، وعلى ملكها، وعلى جده الشريف الحسين، بالتجريح والكلام الذي لا يليق بمسؤول، مهما بلغ الخلاف واشتدت الخصومة، ثم استباح لبنان بقرار ودعم الأمريكيين، وصمت أوربي، وتعتيم إعلامي، لا

---

(١) المرجع السابق: ١٦٠ .

حاجة لنا بالوقوف معه بعد ما ذكرته فصول أو فترات سابقة، ثم خاصم اليمن، وفتح مكتباً في دمشق لشيوعيي جنوبي اليمن الماركسيين المتطرفين والمناهضين لصنعاء، ليزيد النار اشتعالاً بين البلدين التوأمين، وخاصم الكويت، وفجر على أرضها الألغام، وحاول اغتيال أميرها عن طريق عناصره الأمنية التي احترفت الإجرام، وأصبح القتل لديها مهنة أو هواية، بل إدماناً كما فعلوا في تدمر وفي حماة وفي المدن السورية الصغيرة والكبيرة، الأمر الذي أثبته القضاء الكويتي، ونشرته صحف الكويت الشهيرة، وأوقد نار الصراع بين المغرب وشقيقتها الجزائر، بدعمه للبوليساريو، ووقوفه ضد المغرب، بدلاً من بذل جهود المصالحة بين جارين عربيين مسلمين شقيقين، أما العراق، فكان حقده عليه يفوق هذا كله، إذ تحالف مع إيران في حربها ذات الثماني سنوات، وعقد لها صفقات الأسلحة من إسبانيا وتشيكوسلوفاكيا، كان ممنوعاً بقرار أممي، بل وأرسل لطهران صواريخ مع خبراء سوريين لنصبها على الحدود، ودك بغداد بنيرانها، وأغلق أنبوب النفط الذي ينقل البترول عبر سورية، لتصديره إلى الخارج، فآذى سورية بحرمانها من دخلٍ مجزٍ، وآذى العراق التي اضطرت لتمديد أنابيب بديلة عن طريق السعودية وتركيا، فكلفت خزينته مليارات الدولارات، ليستمر تدفق البترول إلى الخارج والأسواق العالمية. . إلخ.

أ - وقد زامن هذا الهدم، وتخريب العلاقات البينية بين العرب، وتعطيل القمم العربية، وإشاعة جو من الكراهية بين الجماهير

والحكومات العربية، كما زامن ذلك تحسين العلاقة مع الإنكليز وأمريكا وإسرائيل، والحكومات اليسارية والثورية ، مثل عدن وليبيا والبوليساريو، والكتائب اللبنانية، في البداية، ثم ضربها وقصف مناطقها في النهاية.

لقد عزز علاقته بإسرائيل، وضمن لها أمناً دائماً، لم يسمح بتعكيره، ولو بقنبلة صوتية عبر عقود، وكان مصير من يقاوم العدو من السوريين والفلسطينيين: السجن والتعذيب، والزج في المعتقلات لفترات طويلة، كما قرأنا ذلك تفصيلاً من قبل، وتوثيقاً في عشرات الصفحات من المجلد الثالث من هذه الأوراق، الأمر الذي يغنينا عن تكراره.

كما عزز النظام الأسدي علاقاته ووثقها مع الولايات المتحدة الأمريكية، بكل ما يرضيها، ويكسبه ودها، فقد ذبح المقاومة الفلسطينية في لبنان، وهي في أوج قوتها دونما شفقة أو رحمة، فصدرت تصريحات أمريكية تؤيد ذلك، وتعبر عن ارتياحها ورضاها عن سياسة أسد كما مر معنا سابقاً.

ب – طرد الأسد أبا نضال من دمشق دون سابق إنذار، واتجهت المخابرات السورية إلى بيوت كوادره، وإلى مكاتب الحركة في الثالثة والنصف فجراً، فأخذتهم وأسرهم بثياب النوم إلى طائرات كانت تنتظرهم في مطار دمشق الدولي، وصورت أفرادها وهم يغادرون المطار، ثم أعطت نسخة من الفيلم إلى المخابرات المركزية الأمريكية، كما أمدوها بصور عن الوثائق التي يملكها في أرشيفه عن

هذه الجماعة الإرهابية، التي كان أسد قد تبناها وسخرها ضد عرفات وغيره لفترة طويلة، ثم شدد حملاته ضد قيادة منظمة التحرير، بدعوى أنها مستسلمة للعدو -رمتني بدائها وانسلت- وتريد التفريط بتضحيات الشهداء، وأخيراً ركزت السلطة الباغية أنظارها على العراق، فمدت خيوطها إلى دول مجلس التعاون واليمن ومصر، وعززت علاقاتها مع دول الخليج، وهي تخوف الجميع من العراق، وتحذرهم من عدوانه عليها، وتعدها بالعون إذا تعرضت لضغوطه، كما وثقت روابطها مع طهران، بعد الصدمة التي تلقاها الأسد عند وقف الحرب بين إيران والعراق دون معرفته(١).

وبهذا السياق أسجل ما سمعته من نائب الرئيس العراقي الأستاذ طه ياسين رمضان رحمه الله وغفر لنا وله، أنه قام بجولة في دول الخليج شملت الإمارات والبحرين وقطر، بعد أن وضعت الحرب أوزارها بين العراق وإيران، ذكروا له تحذير النظام السوري لهذه الحكومات من خطر حكومة بغداد عليهم.

٥ً - إذا اجتمع الذئاب والثعالب حول الفريسة، فإنهم يتزاحمون ويتدافعون، ويعض بعضهم بعضاً ليزيحه ولينفرد بالغنيمة، وكان رفعت قد اعتبر نفسه القيم على تجربة الحكم، والوريث الشرعي للسلطة في أثناء مرض أخيه حافظ أسد، فصار يطرح أفكاراً ومواقف جديدة، تغاير ما كان عليه يوم خطابه الذي طالب فيه المؤتمر القطري

---

(١) المرجع السابق: ٢١١ .

السابع بإبادة المعارضة، وسحق الإسلاميين، وأسس فيما أورده، لمذابح حماة وهدمها، وسحق الإسلاميين دون تردد أو رحمة.

لقد رأى أن السلطة قد وصلت إلى طريق مسدود، قادتها إليه التطورات العامة التي مرت بالعباد، وأن التصور الأسدي لم يعد يصلح أساساً للحكم، ولم يعد قادراً على تأمين قدر كافٍ من الالتفاف حول القيادة العليا لطبقة الدولة، ولذا يجب إعادة النظر فيه، أو تقديم تصور جديد يحل محله.

أ - كان رفعت يعتقد أن ثمة حقائق جديدة نشأت في سورية، بعد قمع الحركة الشعبية والإسلامية عام ١٩٨٢ تحتم تصالح التيارين الديني والبازاري، ومشاركتهما في العمل العام، والقيام بانفراجات داخلية محسوبة، تبدو في ظاهرها إطلاق الحريات، مع أنها في حقيقتها تغليف للطابع العنفي والطائفي للسلطة الجديدة، التي لن تحتاج إلى استخدام العنف بصورة يومية مكثفة، ومن هنا اقترح رفعت إحاطة السلطة بغلاف سياسي عازل، على أن تحافظ هي على قوة أجهزتها وتنميتها بعد أن تغلف قبضتها الفولاذية بقفاز حريري.

كان رفعت يسعى إذن إلى وضع شرائح عازلة من قوى دينية أو سياسية أو مصلحية بين السلطة والشعب، ويحولها إلى سلطة غير مرئية، تتدخل في اللحظة الأخيرة، وليس في اللحظة الأولى من الصراعات والخلافات الاجتماعية أو السياسية، فتكف ظاهرياً عن أن تكون سلطة هذه الطائفة أو تلك، وتغيب عن أعين الشعب وراء حجاب التحالف مع رجال الدين والتجار، وفي هذا السياق اقترح

رفعـت زيادة أعداد الـمستـقليـن من أعضـاء مجلـس الشعـب، وعدد الوزراء غير الحزبيـين في الحكومة، وتكوين هيئات مصلحـية مشتركة من ذوي الفعاليات الاقتصادية والدينية، على أن يصاحب ذلك إطلاق سراح المسـاجين السياسـيين بالتدريج، بدءاً بـمساجين التـيار الديني، وإنتهاءً بأهل اليسار، ويرى كذلك أن يكون ثمة قدر كبير من الانفراج الاقتصادي يحـول سورية إلى سويسرا، كما جاء في خطـبة ألقاها أمام أنصاره في فندق الشيراتون في دمشق أوائل آذار من عام ١٩٨٣[١].

ب - كذلك يـجب وضع حد للـمجابهـة مع مصر، والـعودة إلى المحور السعودي السوري المصري، شريطة أن لا يوجه ضد العراق، بل يجد نقاط لـقاء وتفاهم معه، مثلـما سيجد نقاط التـقاء وتفاهم مع منظمة الـتحرير الفلسطيـنية التي ستحـدد سياستهـا بكل حرية دون أي تدخل أو إكراه خارجي.

وفي هذا الإطـار من الواقعـية والبـراجماتيـة ستـعترف سـورية بأن أمـريكا هي الـقوة المـهيـمنة فـي الشرق الأوسـط، وأنها لا تـستطـيع الموازنة بين أمريكا والاتحاد السوفياتي بل ستعطيها اهتماماً خاصاً في حساباتهـا الدولية والإقليميـة، دون أن تقطع الحبال مع السـوفيات أو تضعف روابـطها معهـم، وبكلمة أخرى: لـن تلعب سورية في الـعهد الجديد -كـما يقول رفـعت- لعبة ابتـزاز هذه القوة العظـمى أو تلك، وتلك بهذه، بل ستعترف باستحالة أن تكون مركزاً للتوازن العالمي في

---

(١) المرجع السابق: ٢١٢-٢١٣ .

الشرق الأوسط، وستقر بأرجحية الدور والوزن والوجود الأمريكي في البلاد العربية، وتتصرف على هذا الأساس دون زيادة أو نقصان، ودون أوهام ومحاولات للقفز من فوق خيالها.

بيد أن خصوم رفعت أسد من قادة المؤسسة العسكرية رفضوا تصوره جملة وتفصيلاً، واتهموه بالعمالة للسعودية وأمريكا، وأنه يضع سورية عملياً تحت سيطرة العراق والفلسطينيين، كما يضعها تحت سلطة التيار الديني والتجار في الداخل، ويلقي بسورية على منزلق خطر، لا يعرف أحد إلى أين ينتهي، وما هي نتائجه على مصير الدولة والطائفة، وهكذا اتهم قادة الجيش والأمن رفعت بالعمالة للسعودية عربياً، وبالتحالف مع عصابات الإخوان المسلمين داخلياً، وبالرغبة في عقد اتفاقية استسلام مع العدو الصهيوني على منوال اتفاقية كامب ديفيد دولياً[١].

ج - عندما سقط حافظ أسد مريضاً، وغاب عن الوعي، اكتشف الضباط الكبار أن شقيقه رفعت المحيط بقواته بمدينة دمشق، والممسك بمحافظة اللاذقية، كان قد أعد نفسه لهذه المفاجآت، وأنه أنجز انقلابه في حياة أخيه، وكان دولة في دولة، كما اكتشفوا أنه أقام صلات سياسية خارجية، كعلاقاته مع منظمة التحرير الفلسطينية والعراق والسعودية ومصر والمغرب، كما أقام شبكة من المنظمات الداخلية، متغلغلة في الحزب والجبهة، ومستقلة عنهما في آن واحد،

---

(١) المرجع السابق: ١٤-١٦ .

مثل رابطة خريجي الدراسات العليا، وجمعية المرتضى، علماً بأن سرايا الدفاع لم تخضع في أي يوم لرئاسة أركان الجيش، أو لوزارة الدفاع، بل كان تشكيلاً مستقلاً في كيانه التنظيمي وموازنته وعمله، إضافة إلى أن رفعت كان قد نظم علاقات متينة، مع أوساط برجوازية سورية.

هكذا اكتشفت القيادة الأسدية للمؤسسة العسكرية أن رفعت كان قد أعد انقلابه بهدوء، وأنه يطالب بالاعتراف بدولته، بينما أخوه غائب عن الوعي في مرض لا أحد يعرف مصيره.

عندما اكتشف قادة المؤسسة العسكرية حقيقة ما جرى، قرروا تطمين رفعت والتظاهر بدعمه، فأخذوا يتوافدون عليه، معلنين بوضوح وصراحة أنهم سيخدمونه مثلما خدموا أخاه، لكن لحين انتظار وفاة شقيقه المؤكدة على كل حال قبل البدء بإعلان استلامه السلطة، فكان علي دوبا واللواء علي حيدر، واللواء إبراهيم صافي يزورون رفعت بالتناوب كيلا يتركوه بعيداً عن أنظارهم وتخطيطهم مباركين ومطمئنين.

كان رفعت قد شرع في تشكيل وزارته في هذه الأثناء، ويرتب علناً شؤونه الإدارية، فتم توزيع مئات الألوف من صوره تظهره وشقيقه، وهما يبتسمان.

كان رفعت يعلن عن استلامه السلطة بالتدريج، بينما كان قادة المؤسسة العسكرية يقيمون قيادة سرية في شتورا، وكانوا يمكرون برفعت، ويعزمون على ما اتفقوا عليه من عدم تمكين رفعت من

السلطة مهما كلف الأمر، وهكذا استخدموا الباطنية التي أتقنوها ضد البعث التاريخي، والأحزاب الأخرى، والضباط في الداخل، ودول الجوار، استخدموها ضد أنفسهم، وفي داخل مؤسساتهم، وفي صراعاتهم الداخلية.

بعد فترة من الاستعداد والتطمين، نقلوا قيادتهم بصمت وسرية، إلى الزبداني، حيث مقر الفرقة الثالثة المدرعة المنتشرة في لبنان، وفي شمالي دمشق بقيادة شفيق فياض قريب رفعت وحافظ، ثم نقلوها ثانية إلى الكسوة بالسرية والهدوء المعهودين حيث مقر الفرقة الأولى الأقرب إلى دمشق، والتي يقودها اللواء إبراهيم الصافي أشد الضباط عداوة لرفعت.

د - كان السوريون، ولاسيما سكان العاصمة، حائرين تجاه ما يجري من مظاهر مسلحة، وما يسمعونه من خلافات بين الجيش ورفعت تكاد تدفع بالبلاد إلى حرب أهلية، يقوم بها الجيش ضد سرايا الدفاع، ويباشرها العلويون ضد بعضهم بعضاً.

بالمقابل كان رفعت يتهم خصومه بالعمالة للسوفيات، ويقول: إن موضوع السعودية والأمريكان ليس سوى تهم يلصقونها به، ويقول: إنهم جميعاً قبضوا حصصاً كبيرة من المال السعودي، ويهدد بنشر أرقام المبالغ التي تلقاها كل واحد منهم عن طريقه شخصياً، ويتساءل في خطابه الذي ألقاه في فندق شيراتون في بضع مئات من أنصاره: فإذا كان من يتلقون المساعدات من السعودية عملاء، فلماذا قبلوا مالها طيلة السنوات الثلاث عشرة الماضية؟!! ثم قال: إنه سيحاسبهم

إن قيض له الوصول إلى الحكم ذات يوم.

شكل رفعت غرفة عمليات في السرايا للإشراف على انقلاب يوصله إلى السلطة على أنقاض شقيقه، وفي هذه الأثناء، من الأحداث الساخنة، دخل السوفيات على الخط، إذ زار الجنرال كبير الخبراء في الجيش الرئيس حافظ أسد في قصره، مؤكداً دعم السوفيات له في صراعه ضد أخيه، ثم ظهر حافظ أسد وبجانبه الجنرال السوفياتي، إذ رفع حافظ أسد قبضته في الهواء وأخذ يلوح بها فوق رأسه، علامة التصميم على العراك لكل من يناوئه أو يقف في طريقه.

في هذه المرحلة كانت قيادة الجيش قد نقلت مركزها إلى الأركان العامة المحروسة بألوف الجنود والوحدات الخاصة، في الوقت الذي كانت خطة رفعت الانقلابية قد اكتملت، ومؤداها أن يحضر رفعت احتفالات الثامن من آذار على مدرج جامعة دمشق، ويلقي فيه خطاباً يعلن إلغاء الأحكام العرفية، وإطلاق سراح السجناء السياسيين، وحل الحكومة، وتكليف الدكتور إياد الشطي بتشكيل حكومة جديدة، بعد أن يعلن تسلمه رئاسة الجمهورية بالوكالة بمرسوم من شقيقه.

من جهة أخرى، أمر اللواء علي دوبا الذي كانت مخابراته قد نجحت في تسريب عناصر، وتجهيزات تقنية متطورة إلى مركز قيادة السرايا المحيطة برفعت، وعملت على قطع الإرسال عن قاعة الاحتفالات بالجامعة، فأحجم رفعت عن إلقاء خطابه، ووجد رجالُ رفعت المنتشرون في شارع بيروت، ومعرض دمشق الدولي أنفسهم

مطوقين ببضعة آلاف من عناصر المخابرات والوحدات الخاصة، فلم يستطيعوا تحركاً ولا حراكاً، فانهارت خطة الانقلاب، وانهار معها أنصار رفعت الذين وجدوا أنفسهم عرضة لموجة اعتقالات وتحقيقات لا ترحم.

أصدر حافظ أسد مرسوماً بتعيين رفعت نائباً له لشؤون الأمن والقوات المسلحة، ثم اضطر تحت ضغط الضباط إلى إخراجه من سورية باتجاه موسكو في البداية، يصحبه شفيق فياض، واللواء علي حيدر، ثم باتجاه باريس منفرداً، بينما عاد الجنرالان المطرودان علي حيدر وشفيق فياض إلى سورية، ودخلاها دخول المنتصرين.

مكن إبعاد رفعت جنرالات الجيش من اتخاذ قرار بحل سرايا الدفاع، وإخضاع قواتها لقيادة الأركان للجيش، وتقليل عددها، وتسريح بضعة آلاف من عناصرها، وحل جمعية المرتضى، ورابطة خريجي الدراسات العليا، فتبدلت العلاقات ضمن السلطة تبدلاً جذرياً، فبدلاً من الصورة القديمة حيث الجيش والسرايا يشبهان جوادين يجران عربة تقودها المخابرات العسكرية التي يمسك بها الرئيس كي يوازن حركة الجوادين، فلا يطيحان بالعربة، أو يذهب كل منهما في اتجاه، نشأت صورة جديدة، لعربة يجرها حصانان هما: الجيش والأمن العسكري إلى حيث يريدان[1].

هـ - تساءل المراقبون والمعنيون عن نفوذ حافظ أسد، فقالوا:

---

(١) المرجع السابق: ١١٦-١٢٠ .

هل يمكن القول أن الأسد يقف وحيداً في مواجهة المؤسسة العسكرية بفرعيها -الجيش والأمن- فانتهى تقدير الأمر أن الأسد لم يعد قادراً على التصرف بحرية كما كان في السابق، وقد شكا لأكثر من واحد من زواره والقريبين منه، أنه ما عاد يعرف كل ما يجري في البلد؟ لأنهم لا يطلعونه على ما يحدث في جميع الحالات.

لكن الأسد استغل حاجتهم إليه فيما يتعلق برصيده العربي والدولي، فأخذ يبني مواقعه داخل المؤسسة العسكرية حيث وسع الحرس الجمهوري، إلى أن بلغ فرقة معززة قوامها ثلاثون ألف ضابط وعسكري، كما أمر بتأسيس فرقتين عسكريتين جديدتين عين لهما قائدين من الموالين له في الجيش، واستخدم رئيس وزرائه عبد الرؤوف الكسم في تشويه سمعة كبار الضباط، وتحدث عن فسادهم الواسع الذي لا يكاد يُصدق، فضاق الضباط به ذرعاً، وقرر فرع الحزب العسكري الاتصال بالرئيس، وإبلاغه رغبة الجيش الجماعية بإبعاد الكسم من رئاسة الوزارة، فأعفاه، وحاول تكليفه مرة أخرى، عندئذ اتصل اللواء إبراهيم الصافي بالكسم هاتفياً، ليقول له: إذا شكلت وزارة جديدة، فلا تخرج من بيتك إلا بعد أن تودع زوجتك وأولادك، فاعتذر عن تشكيل الوزارة ليعينه أسد رئيساً لمكتب الأمن القومي، فانطوت صفحة الكسم، ومن ورائها النفوذ المطلق لحافظ أسد، كما انطوت قبل ذلك صفحة رفعت أسد أخطر سفاح شهدته سورية، بل والعالم الثالث في النصف الثاني من القرن العشرين.

و - سورية التي أهدت البشرية أول أبجدية يتعلم بها الإنسان

القراءة والكتابة، سورية التي تقوم على أرضها أقدم المدن التي عرفتها البشرية، مثل دمشق وحلب وحماة وغيرها، سورية التي شهدت أقدم ميلاد حضاري في التاريخ البشري، سورية التي كانت بضائعها وصناعاتها اليدوية والخشبية والنسيجية تغزو أوربا، وتزاحم منتجاتها في روما وباريس والعواصم الغربية، سورية التي انتزعت استقلالها الكامل بُعيد الحرب العالمية الثانية، بتضحيات شعبها، وبطولة أبنائها، كأول دولة استقلت في العالم الثالث.

سورية هذه أضحت أسيرة لدى فئة مارقة، تسلطت على الوطن، وسامت أهله الخسف والهوان، وعاملت السوريين كمواطنين من الدرجة الثانية، واستباحت أموالهم ودماءهم وحرماتهم، وتحكمت بمصير الوطن وأهله، فانتهى أمر سورية ومصيرها إلى عدد لا يتجاوز أصابع اليدين، وهم حافظ أسد، ورفعت أسد، وعلي حيدر، وعلي دوبا، وعلي أصلان، وشفيق فياض، وإبراهيم الصافي وحواشيهم ومن يدور في فلكهم، فصاروا يتناطحون على من يكون الرأس، ومن يحكم الوطن، فيتصارعون عليه، وكأنهم، وكأنه ملعب لكرة القدم.

أما الشعب بملايينه، فلا شأن له بذلك، ولا يعلم شيئاً عن سوق النخاسة التي يباع فيه، إنه لا يستطيع حراكاً، ولا معارضة، ولا مشاركة، بل ولا تساؤلاً عما يحدث من صراع في وطنه، ويكتفي بالتساؤل همساً أو بصوت خافت:

- ماذا يجري في سورية على أرضها المباركة؟

وما مصيره ومستقبله؟

ز - ترى كيف يسجل المؤرخون أحداث هذه الحقبة التي آل فيها أمر سورية إلى مجموعة صغيرة، كل مؤهلاتها أنها من بلدة القرداحة، أو من عائلة الأسد، أو من عشيرته أو أبناء منطقته، كما أثبت الأستاذ توفيق دنيا الوطني العلوي السوري في بحثه القيم الذي مر ذكره، فهل هذا الحال صحيحاً أو سليماً أو منطقياً أو معقولاً؟

وهل يمكن لمثل هذه الأوضاع الشاذة أن تدوم أو تستمر؟

إنها بمنهج السماء وأعراف أهل الأرض، وبمنطق التاريخ وحقائق الأشياء الثابتة -بإذن الله- زائلة بكل المقاييس، وتمشي إلى المصير المحتوم، تشيعها لعنات السماء، ومقت الناس جميعاً بقدرة ومشيئة الله رب العالمين، ليورث الله سبحانه الأرض من يشاء من عباده الصالحين، وليذكرهم التاريخ كما ذكر القرآن قوم عاد وثمود، وقوم تبع والمؤتفكات، وليفضحهم كما فضح فرعون وهامان وقوم إبراهيم وقوم لوط من قبل، وكما لعن أبا لهب في آيات تتلى إلى يوم الدين، ويسألونك متى هو؟ قل عسى أن يكون قريباً، لنختم هذا المجلد الرابع بطي صفحة الطغاة والسفاحين، وتزول دولة البغاة والظالمين، التي امتدت عقوداً كان من أقساها: البرهة التي امتدت من ١٩٧٧ وحتى ١٩٨٣ .

والحمد لله رب العالمين

* * *

ملحق رقم (١)

النظام السوري والتخريب في سورية

بقلم اللواء: أ.ح. الدكتور: غ. ح

هل من المستغرب أن يقوم حافظ أسد المتآمر على الأمة العربية من محيطها إلى خليجها بإصدار بيان العار في الشهر الماضي مع حليفيه الحاقدين والمتآمرين على كل ما يمت إلى العروبة والإسلام بصلة؟

هل من المستغرب أن يقوم حافظ أسد بالدور المرسوم له في عملية الغزو الصهيوني البربري الجديد للبنان منذ ٦ حزيران مع تصريحات شارون المتتالية إلى التواطؤ المفضوح بين الكيان الصهيوني والزمرة الحاكمة في دمشق؟

أليس هو بائع الجولان عام ١٩٦٧ والشريك في مسرحية حرب التحريك عام ١٩٧٣؟

أليس هو المسؤول عن المجازر المتعددة في سورية العربية المناضلة ابتداء بتدمير عدد من المدن العربية وصولاً إلى مدينة أبي الفداء حماة المجاهدة عندما استخدم في شهر شباط من العام ١٩٨٢ الطائرات والدبابات والمدفعية والصواريخ لهدم أحياء كاملة على

سكانها من الشيوخ والنساء والأطفال. هذه المجزرة التي أودت بحياة ثلاثين ألف شهيد.

لماذا اجتاح حافظ أسد بقواته لبنان في حزيران ١٩٧٦ بضوء أخضر أمريكي إسرائيلي وقام بدوره المفضوح والمكشوف في التآمر على المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وحاول تجريدها من سلاحها وقصف المخيمات ومحاصرة بيروت ثلاثة أشهر ودعم المليشيات الانعزالية بالرجال والعتاد؟

أو ليست معركة تل الزعتر أكبر دليل خاصة بعد أن كشف الستار مؤخراً عن تورطه مع الخبراء الصهاينة والمليشيات اليمينية في هذه المعركة؟

ولماذا وقفت قواته موقف المتفرج خلال الغزو الصهيوني للجنوب اللبناني عام ١٩٧٨ وموقف المتخاذل المتواطئ خلال الغزو الإسرائيلي الهمجي للبنان في صيف عام ١٩٨٢، هذا الموقف المدان الذي أدى إلى اجتياح الجنوب ومناطق أخرى وصولاً إلى العاصمة بيروت، والذي مهد الطريق أمام العصابات الصهيونية وعملائها من المليشيات الانعزالية لارتكاب مجازر صبرا وشاتيلا على مشهد ومسمع من نيرون دمشق وبطل الخنوع والتردي وهو ينسحب أمام الصهاينة ويمنع وصول المتطوعين والأسلحة والعتاد إلى المقاومة الفلسطينية؟

نعم لقد تاجر بالمقاومة الفلسطينية ومارس عليها أنواع الهيمنة وشكك بقيادتها وشجع الانقسام والاقتتال بين مختلف الفئات

اللبنانية، وساعد بشكل أو بآخر على الاجتياح الصهيوني النازي للبنان والعاصمة بيروت وصولاً إلى مذابح صبرا وشاتيلا التي هزت ضمير ووجدان الرأي العام العالمي.

إن الوطنية لا تتجزأ وفاقد الشيء لا يعطيه، إن من ذبح شعبه لا يستغرب منه أن يتآمر على ذبح أشقائه، فلا عجب إن تحالف مع خميني وزوده بالأسلحة والخبرة وعقد معه المعاهدات وسرب له أسرار قمة فاس وطعن عراق العروبة من الخلف ابتداء بمؤامراته المتكررة الفاشلة و مروراً بإغلاق الحدود وقطع مرور النفط إلى البحر المتوسط، وصولاً إلى تحالفه المادي والمعنوي مع نظام خميني العنصري العدواني المتآمر على الخليج العربي بشكل خاص وعلى الأمة العربية بشكل عام، فهذه هي الطريقة الأسدية في رد التحية لجيش العراق الباسل الذي منع سقوط دمشق عام ١٩٧٣ والذي يقاتل بمفرده من سنتين ونصف دفاعاً عن شرف وكرامة الأمة العربية ضد الغزو التتري الجديد.

وباستعراض سريع لتاريخ هذا النظام ورئيسه نلاحظ أن حافظ أسد نشأ في أسرة عرفت بعمالتها للمستعمر الفرنسي، وكان والده سليمان أسد أحد الذين وقعوا وثيقة العار التي قدمت إلى المستعمر الفرنسي للاعتراض على استقلال سورية ووحدتها، كما نشأ في مطلع شبابه متعاطفاً مع الحزب القومي السوري المعروف بنزعته الفاشية والإقليمية وقد تسلل في غفلة من الزمن مع عدد من زمرته إلى صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي للتآمر عليه من الداخل.

وقد ظهر ذلك منذ الأشهر الأولى لثورة ٨ آذار ١٩٦٣ من خلال ما سمي باللجنة العسكرية، ومن خلال التنظيم الخاص بهم، ومن ثم خلال مشاركته بنكسة ٢٣ شباط ١٩٦٦ وصولاً إلى انفراده بالسلطة اعتباراً من ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٠ وحتى اليوم ١٩٨٣ .

إن النظام الذي كان فيه حافظ أسد، وزير الدفاع، وقائداً للجيش، وآمراً لسلاح الطيران، وعضواً في أعلى قيادة سياسية له، يتحمل مسؤولية هزيمة العرب سنة ١٩٦٧، ويتحمل حافظ أسد أكبر مسؤولية عن تلك الكارثة حيث أنه حرم الجيش العربي السوري من شرف القتال، وسلم الأرض إلى الصهيونية دون قتال، حين أمر الجيش بالانسحاب الكيفي، وأعلن عن سقوط القنيطرة قبل وصول العدو إليها.

أما مسؤوليته عن حرب ١٩٧٣، فقد كانت أكبر وأشد خطراً، فبينما اعتقد ضباط الجيش ومقاتلوه، أن الفرصة قد حانت، ليستعيد الجيش كرامته وتحرر سورية أرضها، وتسهم في تحرير فلسطين، تصرف حافظ أسد بما يناقض رغبات الجيش، وتطلعات الشعب، فعندما وصل الجيش العراقي الباسل إلى أرض المعركة، وأسهم برد الاندفاع الصهيوني باتجاه دمشق، وأخذ الجيشان يستعدان للقيام بهجوم معاكس، أصدر أوامره بوقف القتال، فكانت النتائج العملية لتلك الحرب، أن احتلت الصهيونية أراضي جديدة من بلادنا، واستمر في خطه التآمري وأبرم اتفاقية فك الاشتباك مع العدو الصهيوني، وتمركزت قوة المراقبين الدوليين داخل أراضينا، وقبل

حافظ أسد رسمياً بقرار مجلس الأمن الدولي رقم (٣٣٨) والذي يعترف بالكيان الصهيوني ويطالب باستسلام عربي له عن طريق التفاوض.

ولم يكن تصرفه على الساحة العربية أو الدولية، مختلفاً عن تصرفه الشائن ضد شعبنا في سورية، فقد استخف حافظ أسد بالمصلحة الوطنية السورية، وبتطلعاتها العربية والإسلامية، فجعل من الوحدة العربية لعبة يعبث بها، فيدخل فيها أو يخرج منها، ويتآمر عليها، دون أي شعور بالمسؤولية تجاهها، يقيمها يوماً مع هذا العربي أو ذاك ليخربها، ويتناساها يوماً آخر مستهدفاً بذلك: تمييع شعار الوحدة العربية، وزرع الشكوك حول إمكان تحقيقها، وحتى عندما كانت المصلحة العربية العليا، تقتضي تضامناً عربياً، يحقق الحق الأدنى من تماسك الأمة وصمودها، لم يتردد حافظ أسد في تخريب هذا التضامن والتآمر عليه، كما حدث في حشوده على حدود الأردن الشقيق، وفي تمزيقه للصف العربي، ومقاطعته لمؤتمرات القمة العربية وسعيه لإبقاء الدول العربية عاجزة عن رسم أي سياسة جادة، لمواجهة الكيان الصهيوني.

ونظراً لما يشكله القطر العراقي، من مركز قوة في أي مواجهة عربية، فقد خص حافظ أسد العراق، أكبر قدر من التآمر والغدر، فتحالف مع شاه إيران، ومع الصهيونية والامبريالية، لتمزيق العراق وشغله داخلياً.

إن مجمل سياسات نظام حافظ أسد، المتمثلة داخلياً: بإضعاف

سورية وإجهادها، وتعميم القتل والدمار فيها، وتهديده بتمزيق وحدة شعبها وترابها ومحاربته لعروبتها، واعتدائه على الدين الإسلامي فيها، وتشويه المناهج الدراسية، وبخاصة مناهج التربية الإسلامية والمتمثلة فلسطينياً وعربياً: بتمزيق لبنان إلى طوائف متقاتلة، كما في اتفاقية الخط الأحمر الشهيرة، وتآمره على الوحدة العربية والتضامن العربي الفعال، واستخفافه بالروابط التاريخية العميقة بين الإسلام والعروبة.

إن مجمل سياسات حافظ أسد هذه، إنما تخدم واقعياً خطط الصهيونية في منطقتنا، وتجعل منها أداة منفذة لها، وخنجراً مسموماً تغرزه في الجسم السوري، كما تغرزه في جسم العروبة والإسلام.

ولما حرم هذا النظام شعبنا، من كل حقوق المواطنة، وفرض على البلاد هذه الأجواء السامة المخيفة، وجعل من التمييز الطائفي سياسة ثابتة له، فقد أصبح شعبنا مضطراً للدفاع عن بقائه، وحقوقه وحرياته، بكل الوسائل، وعلى رأسها الكفاح المسلح.

إن حمل شعبنا للسلاح -مع أنه حق تقرره له كل شرائع السماء والأرض، وواجب تفرضه عليه دواعي الدين والوطنية والنخوة والشرف- كان رداً طبيعياً على ممارسة القهر والظلم والتمييز الطائفي السياسي والقمع الدكتاتوري العسكري، والإرهاب الفكري، والتضليل الإعلامي ومصادرة الحريات، وهدر حقوق الإنسان وفقدان العدالة والقانون، وتعشيش الفساد، وتفشي الإثراء غير المشروع.

إن الدور الخياني والإجرامي الخطير، الذي يلعبه هذا النظام، كافٍ لإسقاطه وأسباب سقوطه كامنة في بنيته منذ قيامه قبل ١٧ سنة

وخاصة في المواقف التالية:

- نكسة حزيران وبيع الجولان في حزيران ١٩٦٧ .

- المسرحية التي لعبها في حرب التحريك عام ١٩٧٣ .

- غزو لبنان في حزيران عام ١٩٧٦ .

- التآمر المستمر والهيمنة التي يمارسها على المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية.

- الموقف المتخاذل الجبان أمام الغزو الصهيوني للبنان في عام ١٩٧٨ وعام ١٩٨٢ .

- المجازر المتكررة والإرهاب الفاشي الذي يمارسه على شعبنا العربي السوري والذي تصاعد أكثر فأكثر منذ عام ١٩٧٩ وخاصة مأساة حماة في شهر شباط من العام الماضي.

- تحالفه مع نظام خميني منذ بداية العدوان على العراق في أيلول ١٩٨٠ وحتى الآن وخاصة تزويده بالخبرة والسلاح في الوقت الذي يغلق الحدود مع العراق ويمنع مرور النفط العراقي إلى البحر المتوسط.

- تحالفه المكشوف والواضح مع الكيان الصهيوني والذي أصبح معروفاً لدى كل عربي يتمتع بالحد الأدنى من النظرة العلمية والموضوعية والتجرد.

بعد هذا العرض السريع سأحاول أن أعقب بإيجاز على ورقة

العمل الموسومة: حافظ أسد: المحافظة على السلطة والتخريب المدروس:

إن هذه الورقة اعتمدت عدداً من المصادر الأجنبية وخاصة منها الصحف والمجلات التي قد تخطئ وقد تصيب، وأرى من المفيد مناقشة بعض ما ورد فيها من معلومات ومحاولة تصحيحها:

١- ورد في الصفحة الثامنة أن الطائفة النصيرية (العلوية) هي إحدى تفرعات الطائفة الشيعية وهذا خطأ إذ أن المذهب النصيري أو العلوي كما هو معروف مذهب مستقل عن الطوائف الإسلامية الأخرى.

٢- ورد في نفس الصفحة أن عدد سكان سورية هم (١١) مليون نسمة نسبة السنة فيهم (٥٧٪) والنصيرية (١٢٪) والحقيقة أن سكان سورية وفق الإحصاءات الرسمية والزيادات السنوية البالغة (٢ر٣) لا يتجاوز (١٠) ملايين (٨٠٪) منهم من المسلمين السنة و(٨٪) منهم من النصيرية.

٣- من المفيد عند الحديث عن مذبحة حماة في شباط ١٩٨٢ الإشارة إلى أن عدد الشهداء في هذه المجزرة لا يقل عن ثلاثين ألف شهيد.

٤- من الأفضل تصحيح الوارد حول حصار بيروت ليكون في الشهر السابع وليس في الشهر الثالث خاصة إذا تذكرنا أن العدوان على جنوب لبنان قد بدأ يوم السادس من حزيران ١٩٨٢ .

٥- من المفيد التذكير بأن المعارضة السورية ومن ضمنها (الإخوان المسلمون) ليست ضد الطائفة العلوية كطائفة بل ضد نظام حافظ أسد العميل والطائفي.

٦- الاتفاقية التي وقعها النظام في طهران تخدم أولاً أعداء الأمة العربية وخاصة الكيان الصهيوني لا سيما بعد أن اتبعت ببيان العار الثلاثي الذي وقع في دمشق في أواخر شهر كانون الثاني الماضي.

٧- إن ما ورد حول سخط النظام السوري على المعدات السوفيتية هو في غير محله، بدليل أن الجيش العراقي قد حقق هذه الانتصارات الكبيرة بنفس السلاح مما يدل على أن العبرة باليد التي تحمل السلاح، والقيادة التي توجه المعركة، والإيمان بالقضية التي تقاتل من أجلها.

٩/ ٤/ ١٩٨٣



ملحق رقم (٢)

النظام السوري والتخريب المدروس في المنطقة

سورية الآن في قبضة أقلية طائفية لا تزيد نسبتها على ١٠٪ من سكان سورية وقد استولت على السلطة نتيجة مخطط سري بدأ تنفيذه عن طريق الانقلابات العسكرية والتسرب إلى الأحزاب السياسية منذ أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات مستغلة التسامح وعدم التفرقة الدينية، وهو النهج الذي سارت عليه الحكومات السورية بعد الاستقلال فإذا بهذه الطائفة توجه أبناءها للانخراط في الجيش حتى صارت المراكز العسكرية الحساسة بيدها. وبدعم سري وبرعاية مخابرات بعض الدول الكبرى تمكنت عبر عدد من الانقلابات العسكرية من السيطرة على مقاليد الحكم في البلاد.

بدأت جرائمها بخيانة الوطن حيث سلمت الجولان للعدو الصهيوني بدون قتال عام ١٩٦٧ حين كان حافظ أسد وزيراً للدفاع، وقد كوفئ على عمله هذا ليكون رئيساً للجمهورية وصارت البلاد في قبضته فارتكب سلسلة من الجرائم تجاوز فيها كافة القوانين النافذة في البلاد وانتهك مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمعاهدات

والمواثيق الدولية التي أكدت المبادئ الأساسية لحق الإنسان في الحياة والحرية وحمايته من التعذيب الجسدي والتوقيف التعسفي، فلم يعد في سورية قضاء يلجأ إليه المواطنون لحمايتهم من اعتداء أفراد العصابة الحاكمة على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم.

ولم يعد هناك دستور يحترم، ولا قانون يراعى، ولا عرف سائد ولا أخلاق تصان وإنما عصابة مستبدة تحكم البلاد وفق أغراض دنيئة أشبه بعصابات المافيا، حيث يحتضن النظام السوري زعماء الإرهاب من أمثال كارلوس، وأبو نضال، وعبد الله أوجلان، وباشاكوان، وآكوبيان، ومهراج أونال.

لقد أقدم نظام حافظ أسد الطائفي على مصادرة الحريات واغتيال العلماء والمفكرين من عسكريين ومدنيين، واعتقال عشرات الألوف من المواطنين بدون اتهام أو إحالة على القضاء ومنع أهلهم من زيارتهم في السجن ومن معرفة أماكن اعتقالهم، واغتال منهم الآلاف وهم داخل المعتقلات كما حدث في مجزرة سجن تدمر، حيث تم إطلاق النار على أكثر من ألف معتقل من الرهائن خلال نصف ساعة، وجرى دفنهم بمقبرة جماعية وبعضهم ما زال جريحاً على قيد الحياة. وارتكب المجازر الجماعية في المدن والقرى كمجازر حلب وجسر الشغور وسرمدا وجبل الزاوية وحمص واللاذقية وغيرها. وكانت أفظع هذه المجازر مجازر مدينة حماة وعلى الأخص المجزرة الأخيرة في شهر شباط من عام ١٩٨٢ حيث قتل /٣٥/ ألف مواطن ودمر أكثر مساجدها /٨٤/ مسجداً وكنيستين وهدم شطراً من أحيائها

وأسواقها التاريخية ومتاحفها وقضى على جميع مظاهر الحضارة فيها.

لم تقتصر جرائم النظام الطائفي الحاكم في سورية على الشعب داخل سورية وإنما تجاوز الحدود ليشمل جميع الدول المجاورة ومعظم دول الشرق الأوسط لتأجيج الصراعات في المنطقة لخدمة أهداف بعض الدول الكبرى.

فقد حمل معه من أول يوم دخل لبنان عام ١٩٧٦ الدمار والفوضى والفتنة بين فئاته وطوائفه وجعل من حياة اللبنانيين مأساة متصلة دخلت كل مدينة وكل قرية وكل بيت. أما الأردن فقد حشد نظام حافظ أسد الطائفي جيشه على حدوده عدة مرات مهدداً باجتياحه واحتلاله، وأرسل مرتزقته عام ١٩٨١ لاغتيال رئيس وزرائه واغتيال عدد من الشخصيات السياسية فيه وزرع المتفجرات في عاصمته وعلى حدوده..

استمر النظام في سورية بتسعير الحرب العراقية الإيرانية بإرسال السلاح والخبراء لإيران، وكلما أوشك الوسطاء على حل القضية نفخ في نارها من جديد، مشجعاً إيران على رفض كل وساطة لوقف الحرب، وإحباط جميع الجهود والوساطات التي قامت بها المنظمات العربية والإسلامية والدولية لوقف هذه الحرب، وقام بإغلاق الحدود بين سورية، والعراق، ومنع مرور النفط العراقي عبر الأراضي السورية.

كما حاول تفجير جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت، وأقدم

عملاؤه على نسف مطعم يا مال الشام في دبي واغتيال بعض الشخصيات السورية المعارضة في عاصمة الإمارات العربية المتحدة، وحرض اليمن الجنوبية ضد اليمن الشمالية وفتح مكتباً في دمشق لعصابة تقوم بالتخريب داخل اليمن الشمالية، وقد امتدت شبكته التخريبية من المغرب العربي إلى باكستان. وحتى في داخل أوربا الغربية لم تخل من تخريبه، فقد اغتال السيدة بنان علي الطنطاوي في ألمانيا الغربية، وفجر مجلة الوطن العربي في باريس، واغتال عدداً من المثقفين والصحفيين والمفكرين السوريين في لندن، ومدريد وروما، وباقي المدن الأوروبية، كما فعل ذلك من قبل في بيروت.

أما تركيا فقد كان لها النصيب الأكبر من مؤامرات وتخريب النظام الطائفي الذي يحكم سورية. إذ دأبت السلطات السورية على ممارسة التخريب على الأرض التركية وتحريض الأقليات العرقية والطائفية ضد الدولة التركية بكل الوسائل والأساليب.

أولاً: الأرمن

يوجد فئة من الأرمن حاقدة على تركيا وتعمل على تقويض المجتمع التركي واغتيال الشخصيات التركية المرموقة، متعاونة مع كل حاقد على تركيا لتنفيذ هذه السياسة الإجرامية.

وقد وجدت في النظام السوري صدى كبيراً وتجاوباً عظيماً لأحقادها وتنفيذ مخططاتها عندما أتاح النظام السوري للأرمن كل وسيلة للتخريب في تركيا ومن ذلك:

١- أقام النظام السوري معسكراً لتدريب الشباب الأرمني على التخريب لحساب الجمعيات السرية الأرمنية الإرهابية التي تعمل ضد تركيا هو معسكر عمورية في ضواحي دمشق، وفي كل عام يتخرج من هذا المعسكر أعداد كبيرة مختصة في أعمال القتل والتخريب، ويشارك بهذا التدريب في هذه المعسكرات خبراء من الاتحاد السوفيتي. وهناك ثلاثة معسكرات أخرى في كل من كسب ورأس البسيط والقامشلي. ورغم تحذير الحكومة التركية للنظام السوري من مغبة أعماله هذه إلا أن النظام الطائفي الحاقد مستمر في أعماله الإجرامية.

٢- في ٢٣-١٠-١٩٨٣ اجتمع في جنيف رئيس المخابرات العسكرية للنظام السوري (علي دوبا) بقيادة منظمة الأصالا الأرمنية الإرهابية للاتفاق على تنفيذ العمليات الإرهابية والإجرامية التي تمارسها العصابات الأرمنية ضد تركيا.

٣- يستخدم النظام السوري أعداداً كبيرة من أفراد عصابة الأصالا الأرمنية لحراسة زعماء النظام لأنهم غير مكشوفين من قبل المعارضة السورية.

٤- لقد تم التنسيق بين النظام السوري ونظام خميني في إيران بشأن الأرمن حيث اتخذ معسكراً قرب طهران لتدريبهم في إيران واتخذ لهم مكتباً في طهران للتنسيق مع المخابرات الإيرانية.

٥- لقد خصص النظام السوري أبنية خاصة في كل من حلب

ودمشق لمزاولة نشاطهم ورسم خططهم التخريبية، مثل مكتب كرينك يعقوبيان في منطقة الحلبوني وشققه (دوائره) التي يملكها في دمشق والتي يبلغ عددها ٢٠ شقة (دائرة) كما أن له مكتباً وورشة في حلب ويستخدمها الأرمن جميعاً قواعد لهم.

٦- يقوم الأرمن بمساعدة وتشجيع النظام السوري بالتنسيق مع الحركات اليسارية والتخريبية التي تعمل ضد تركيا كالشيوعيين، وبعض الأكراد، وبعض العلويين.

٧- هيأت السلطات السورية جميع الأسباب لمجموعة أرمنية إرهابية مؤلفة من ستة أفراد في الهجوم على مطار أنقرة في شهر آب ١٩٨٢ عندما دربتهم في معسكراتها، وزودتهم بالسلاح ومكنتهم من التسلل إلى الأراضي التركية، وكان لها ضلع في مجزرة مطار أورلي بباريس، وكذلك في حادثة السوق المغلق في استانبول.

٨- تنفيذ عمليات مشتركة في الخارج بين أصالا الأرمنية ومنظمة الفرسان الحمر السورية التابعة لرفعت أسد، حيث يسكنون بيوتاً مشتركة في أوربا تستأجرها لهم السفارات السورية، وقد اتضح ذلك في تورط النظام السوري في مقتل الملحق العسكري التركي في بوغاز (بلغاريا) عن طريق أحد عملائه وشريك رفعت أسد في تجارة السلاح.

٩- استخدم الأرمن شبكات تهريب الأسلحة والمخدرات حيث يدير هذه الشبكات رفعت أسد بعد أن استولى على مزارع الحشيش

في البقاع اللبناني، ويدير شركة تهريب دولية لتوريد السلاح إلى عصابات المافيا والمنظمات الإرهابية في الشرق الأوسط وآسيا وأوربا.

كما أن المهرب الأرمني هنري إصلانيان الذي اعتقل في ميلانو في العام الماضي ومات مؤخراً في السجن هو أحد شركاء رفعت أسد.

١٠- السماح للأرمن بدخول الكليات العسكرية واستلامهم مراكز مهمة في الجيش السوري مثل العقيد آكوبيان في قيادة الدفاع الجوي (سلاح الصواريخ) والذي له صلات وثيقة مع لندن واعترف أمام المحكمة هناك أنه ضابط في الجيش السوري.

١١- السماح للأرمن بتنظيم حملة دعائية في سوريا في شهر نيسان من كل عام احتجاجاً على المذبحة الأرمنية التي يدعون أنها جرت لهم في تركيا عام ١٩١٥م حيث يستخدمون في هذه الحملة الدعائية شعارات وملصقات جدارية معادية للأتراك.

١٢- دفاع وسائل الإعلام السورية من إذاعة وتلفزيون عن الإرهاب الأرمني وتوظيف العناصر الأرمنية في وسائل الإعلام مثل المذيع مهران يوسف، والمذيعة ومعدة البرامج منى الكردي، والمذيعة والمحررة آيما سروميان، والمحرر السياسي جورج قيصر.

ثانياً: العلويون

١- اسمهم الحقيقي (النصيريون) نسبة إلى مؤسس مذهبهم محمد

بن نصير النميري يقطنون شمال غرب سورية في سلسلة جبال البهراء والتي عرفت باسمهم (جبال النصيريين)، وجنوب تركيا في لواء الإسكندرون ومنطقة كليكيا. وفي عام ١٩٢٠ حين احتل الفرنسيون سورية بدلوا اسمهم من النصيريين (إلى العلويين).

لقد ظهرت الطائفة النصيرية في بلاد فارس في القرن الثالث الهجري الذي شهد حركات باطنية عديدة مارست نشاطاً سياسياً كانت له آثاره على مسرح الدولة العباسية وفي أواخر عهد الدولة العباسية رحلوا إلى خوسان واستقروا في شمال سورية.

٢- يبلغ عدد العلويين في العالم أربعة ملايين، منهم مليون في سورية، وثلاثة ملايين في تركيا.

- إن هذه الطائفة اغتربت دينياً وعقائدياً عن المحيط الإسلامي مما جعلها تحيا في عزلة اجتماعية تكاد تكون تامة ومطلقة عبر مراحل التاريخ الإسلامي، وفي مختلف أدواره. وقد أدى بها ذلك إلى أن تتشكل في صورة مجتمع مغلق على نفسه وإلى انتشار الخرافات والشعوذة في صفوف منتحليها.

٣- وتميزت الحياة السياسية للطائفة النصيرية بالتمرد على كل ما يمت للوطن بصلة ورابطة. فقد حبست نفسها في دائرة مغلقة من العلاقات والتعاون مع كل غريب ومد يد النصرة لكل أجنبي، غير أن فريقاً من أبنائها يؤثرون الانتماء إلى وطنهم على الانتماء الطائفي.

٤- تغلغل العلويون في المؤسستين العسكرية والسياسية في

سورية وانقضوا على الأكثرية بانقلاب عسكري.

أدركت هذه الطائفة في إطار طبيعتها المغلقة ونسبتها العددية وإمكاناتها المحدودة، صعوبة قيامها بدور مستقل يعبر عن أهدافها وطموحاتها الباطنية ولم يبق أمامها إلا أن تلجأ إلى استخدام أساليب وأغطية معينة تعينها على تحقيق قدر من التغلغل وعلى نحو متدرج في مؤسسات الدولة المختلفة، والتنظيمات السياسية وخاصة في المؤسسة العسكرية.

٥- وفي أثناء الانتداب الفرنسي على سورية فضل الفرنسيون تجنيد أبناء الطائفة العلوية، إذ تبنت سياسة التجنيد الفرنسية تقليداً قائماً على تجنيد أبناء الأقليات من المتطوعين كما استخدمهم الفرنسيون كمخبرين، وقوات ملحقة إضافية في قمع الانتفاضة الوطنية. وبعد استقلال سورية نهجت الحكومات السورية المتعاقبة سياسة ثابتة هي عدم التفرقة بين الأكثرية من سكان سورية وبين الأقليات واستغلت الطائفة العلوية هذه الفرصة فزجت بأكثر أبنائها إلى الكليات العسكرية وإلى التطوع في الجيش. كما انضموا إلى الأحزاب السياسية المختلفة على أمل تحقيق أهدافهم عند توفر الظروف المواتية لذلك.

٦- وكان لسيطرة الجيش على الحياة السياسية بعد عام ١٩٤٩ بسبب الانقلابات العسكرية المتتالية أثرها في تقليص عدد الضباط الوطنيين في الجيش وخاصة على صعيد كبار الرتب نتيجة لاشتراكهم في هذه الانقلابات، ما أفسح المجال أمام أبناء الطائفة العلوية

للتغلغل بأعداد كبيرة في الجيش والوصول إلى رتب عسكرية كبيرة ساعدتهم على تشكيل تكتلات ضمن المواقع التي احتلوها، وللظروف التي أعقبت ٨ آذار ١٩٦٣ تمكنت الطائفة من السيطرة على المراكز الحساسة في الجيش السوري، الأمر الذي أدى إلى تسلل الكثير منهم إلى داخل التنظيم العسكري لبعض الأحزاب السياسية ومن خلال الاتصالات الجانبية وإقامة التكتلات الطائفية داخل تنظيم الحزب، وخلال أشهر قليلة من انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ استطاعوا إبعاد خصومهم العسكريين البارزين من المراكز الحساسة للجيش، وفي ٢٣ شباط ١٩٦٦ قام أحد ضباط العلويين وهو صلاح جديد بانقلاب لإحكام قبضة الطائفة على الجيش ولم يأت عام ١٩٧٠ حتى صارت سيطرتهم تامة على الجيش، والحكومة والحزب الحاكم، وأجهزة الأمن.

٧- لقد وضعت الحكومة السورية العلوية مخططاً رهيباً للسيطرة على الحكم في تركيا تدريجياً بواسطة الطائفة العلوية في تركيا والتي يبلغ عددها ثلاثة ملايين.

وربما يقول القائل: إن سيطرة العلويين على الحكم في تركيا أمر عسير أو بعيد المنال. إن نفس الكلام كان يقال في سورية حين كان أصحاب الفكر الناضج ينبهون على مخططات العلويين للسيطرة على سورية، فكان الكثيرون يقولون هذا خيال. ولكن الخيال قد تحقق وسيطرت الأقلية العلوية التي نسبتها أقل من ١٠٪ من تعداد الشعب السوري على الحكم في سورية، علماً أنه لم يكن هناك دولة علوية

تدعم العلويين السوريين بينما يوجد الآن في سورية دولة علوية تدعم العلويين الأتراك للسيطرة على حكم تركيا وتمدهم بالخبرة والتخطيط والتدريب والدعم بالمال والسلاح وتأمين تأييد دولة عظمى لهم كالاتحاد السوفيتي.

٨- وقد قام بتشكيل لجنة عليا مؤلفة من جميل الأسد شقيق حافظ الأسد وعدنان مخلوف شقيق زوجته والدكتور وهيب الغانم والعقيد رياض خيربك للعمل من أجل إنشاء دولة علوية تضم جنوب تركيا والساحل السوري وشمال لبنان، وقد عملت على تشجيع هجرة العلويين الأتراك إلى سوريا، وفتحت فرعاً خاصاً في المخابرات العامة السورية لرعاية شؤون العلويين القادمين من جنوب تركيا وفتحت مراكز خاصة لاستقبالهم على الحدود السورية التركية، وفي مقهى البرازيل في حلب، وكذلك استقدام الطلاب العلويين من تركيا وتوطينهم فترة في جبال العلويين ثم تسجيلهم في الجامعات السورية عن طريق القيادة القومية لحزب البعث السوري وإعطاؤهم منحاً دراسية شهرية (٥٠٠ ل.س) ما يعادل (٣٠،٠٠٠ ل.ت) وتأمين سكن مجاني لهم، ويزيد عددهم على ألف طالب في مختلف الفروع، ويعمل بعضهم في القسم التركي في الإذاعة السورية والتي تهدف مع برامج أخرى موجهة إلى العلويين من الراديو والتلفزيون إلى بث وتثبيت الولاء العلوي في نفوسهم مما أدى إلى أن كثيراً من العلويين في جنوب تركيا يعلقون صور حافظ أسد في بيوتهم.

إن المخطط العلوي في تركيا يتجسد فيما يلي:

١- تدريب العلويين الأتراك في سوريا على أعمال العنف والتخريب والتفجير، وتكليفهم بمهمات إرهابية خارج سورية لحساب النظام السوري، ويوجد في منطقة رأس البسيط على الساحل السوري معسكر خاص لتدريبهم.

٢- مشاركة عدد كبير من العلويين الأتراك في الميليشيات العلوية المسلحة في سورية (كسرايا الدفاع -وسرايا الصراع- ومنظمة الفرسان الحمر- وفتيان علي)، مثل يالجن دوغان الذي اعترف بمشاركته في مجازر حماة ١٩٨٢؟

٣- تزويد الحكومة السورية للعلويين الأتراك بجوازات سفر سورية وتذاكر هوية سورية رسمية تمكنهم من التحرك في السعودية ودول الخليج العربي والقيام بنشاط أمني واقتصادي.

٤- لقد بنت سورية داخل تركيا شبكة للاستخبارات السورية بواسطة العلويين الأتراك أقامت عدداً من الأوكار للاستخبارات تحت ستائر مختلفة كشركة باتا التركية للسياحة (شركة باصات).

٥- تهريب السلاح من سوريا إلى تركيا وتخزينه لدى العلويين الأتراك لاستعماله حين يأتي موعد حاجتهم إليه في تنفيذ مخططاتهم.

٦- إن الحديث المتداول بين العلويين الأتراك هو أنهم يستعدون لأن يلعبوا ذات الدور الذي لعبوه في سورية للسيطرة على مقاليد الحكم في تركيا.

٧- يستخدم النظام السوري العلويين الأتراك للتجسس والتخريب

خارج سورية ولا سيما في الخليج العربي، فقد وزع عدداً كبيراً منهم على السفارات السورية في مختلف بلاد العالم بعد أن زودهم بجوازات سفر دبلوماسية لتنفيذ خططه الإرهابية.

ثالثاً: اليساريون ولا سيما الأكراد

يقوم النظام السوري بدعم شبكات التخريب اليسارية داخل تركيا ولا سيما الكردية منها، وإن جميع الحركات اليسارية التركية والانفصالية الكردية اتخذت من سوريا مركزاً لقياداتها، من أمثال جلال الطالباني وعبد الله أوجلان وزوجته ومصطفى أوغلو. وتتلقى من النظام السوري دعماً غير محدود، وذلك بتدريب أفرادها في معسكرات داخل سورية وتزويدهم بكافة أنواع الأسلحة اللازمة، ومن هذه المنظمات الأبوجولر p.k.k الحزب الديمقراطي الكردي، الجيش الشعبي الكردي ومنظمة akko-dev-deu-soi وشعبة الأجل جلر التي يرأسها الأرمني مهراج أونال.

١- حين طارد الجيش التركي الأكراد على الحدود العراقية التركية أعلن سهيل السهلي عضو القيادة القومية باسم النظام السوري استنكار الحكومة السورية لهذه المطاردة ودافع عن الأكراد الانفصاليين وتبع ذلك حملة إعلامية عنيفة ضد تركيا.

٢- كلف النظام السوري زعيم الأكراد الانفصاليين في العراق (جلال الطالباني) المقيم في دمشق بأن تقوم منظمته السرية بتفجير خط البترول العراقي المار في تركيا، بعد تدريبهم وتزويدهم بكافة أنواع الأسلحة اللازمة.

٣- زودت السلطات السورية عن طريق الحقيبة الدبلوماسية القنصل السوري في استانبول (سعد الدين اللبابيدي) بحمل أسلحة، ومتفجرات مختلفة كان يريد تسليمها إلى الإرهابيين اليساريين في تركيا، وقد كشفت السلطات التركية ذلك.

٤- في ٢٢/١١/١٩٨٣ صرح ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في أنقرة بأن سورية أدخلت فرقاً إرهابية إلى تركيا لتقوم بأعمال التخريب والتفجير.

٥- ضبطت قوات الأمن التركية كمية من الأسلحة والمتفجرات في طائرة الخطوط الجوية السورية القادمة من دمشق إلى استنبول حين نزولها في مطار استانبول وذلك ضمن الحقيبة الدبلوماسية التي كانت عازمة على تسليمها إلى الإرهابيين بقصد التخريب داخل تركيا.

رابعاً: القواعد السوفياتية في سورية

لقد أتاح النظام العلوي الحاكم في سورية للاتحاد السوفياتي إقامة قواعد حربية فوق الأرض السورية. فقد قام السوفيات بنصب قواعد صاروخية شمال سورية يصل مداها إلى جنوبي أنقرة عاصمة تركيا. وهذه القواعد تحت سيطرة وإشراف العسكريين السوفييت سيطرة كاملة.

كما أن عدد الخبراء العسكريين السوفيت المتواجدين في سورية ارتفع إلى سبعة آلاف خبير، كما يوجد للسوفيات قاعدة حربية بحرية على الساحل السوري وبذلك يكون النظام الطائفي في سورية جعل

من الأراضي السـورة بؤرة خطرة على السـلام في المنطقة بـشكل عام وعلى الـدول المجـاورة لسورية ومـن بينهـا تركيـا بشكل خـاص التي تحيط بها القواعـد السوفياتية من الشمال في الأراضي الـسوفياتية ومن الجنوب في سورية.

خامساً: العلاقات بين النظام السوري وقبرص اليونانية

لقد أقـام النظام الطـائفي في سورية عـلاقات خاصـة ومتمـيزة مع قبرص اليـونانية كالعـلاقت الاقتصادية، والسـياحية، والأمنيـة وخاصة تبـادل المـعلومـات في حـقل الاستـخبارات وفي الـوقت نفـسه مـنع المـواطنين السـوريين من الـتعامـل الاقتصـادي والسيـاحي مع قـبرص التركيـة ومنع المواطنين السوريين مـن السفر إلى قبرص التـركية سواء من أجل السياحة أو من أجل الزيارة والعمل التجاري.

وإن هذه المـساعدات تقـدمها سوريـة إلى قبرص اليـونانية مـقابل مساعـدة اليونان وقبرص اليـونانية للنظام الـسوري في تنفيذ مـخططاته داخل تركـيا، تمهـيداً للقـضاء على قبـرص التركيـة من جهـة. والبدء بسياسة جديدة ومتفق عليها حيال اسكندرون ومناطق مماثلة في داخل تركيا.

كما أن الصحـف السورية تهاجم وجود الجيش التـركي في قبرص كالصحفي غـازي جريدة الذي يعمل في جريدة الثـورة السورية، حتى أن السفارة التـركية في دمشق قد احتجـت على كتاباته المعاديـة لتركيا عام ١٩٧٩ أثناء زيارة رئيس القسم اليوناني إلى دمشق.

كما أن الحكومة السورية عارضت في الاعتراف بجمهورية شمال قبرص التركية في مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي عقد مؤخراً في (دكا عاصمة بنغلادش) وقد تعهد مدير الخارجية السورية خلال زيارته الأخيرة إلى اليونان بمواصلة الدعم العسكري والمادي والدبلوماسي للقبارصة اليونانيين وأن النظام السوري سوف يبذل قصارى جهده من أجل عدم اعتراف الدول العربية والإسلامية بجمهورية قبرص الشمالية.

سادساً: التعاون التخريبي داخل تركيا بين النظامين السوري والإيراني

١- إن حلم الإمبراطورية الفارسية كان ولا يزال يملأ رؤوس الساسة الإيرانيين. فمنذ بداية القرن السادس عشر واعتداءات الإيرانيين على جيرانها لم تتوقف، فهي تحلم باحتلال أفغانستان (خراسان سابقاً) والعراق وجنوب شرقي تركيا ومنطقة الخليج العربي وضم هذه المناطق إلى إيران وتحقيق حلمهم بإعادة إنشاء الإمبراطورية الفارسية.

٢- لقد استغلت الدولة الصفوية الإيرانية حروب الدولة العثمانية مع النمسا وقامت بالانقضاض على أراضيها، فقد جهز الشاه إسماعيل الصفوي حملات عسكرية احتلت العراق عام ١٥٠٨ فقام السلطان (سليم الأول) بطرد الفرس بعد أن انتصر عليهم في معركة (جالديران) عام ١٥١٤ .

غير أن الصفويين أعادوا اعتداءهم مرة أخرى واحتلوا بغداد عام ١٥٢٩ فقام السلطان (سليمان القانوني) وأجلى الصفويين عن العراق عام ١٥٤٩ .

ثم قام الإيرانيين باعتداء آخر اضطرت الدولة العثمانية إلى دخول حرب أخرى مع إيران انتهت بمعاهدة ١٥٥٥ . غير أن الصفويين كلما شعروا بالقوة نقضوا المعاهدة وقاموا باعتداء جديد، وقد نقضوا خمس عشرة معاهدة عقدوها مع الدولة العثمانية، ففي عام ١٦٢٣ احتل شاه إيران (صفي بهادر) بغداد منتهزاً فرصة اضطراب الأحوال في الدولة العثمانية بسبب ثورة (بكر صوباشي) إلا أن السلطان (مراد الرابع) قضى على الجيش الصفوي وطرده من العراق بعد أن عقد معاهدة جديدة أطلق عليها معاهدة (زهاب) في ١٦٣٩/٥/٨ .

وفي عام ١٧٣٢ هاجم (نادر شاه) الصفوي أراضي الدولة العثمانية بجيش قوامه مئة ألف شخص إلا أن العثمانيين تمكنوا من صد الهجوم وإيقاع الهزيمة بالجيش الصفوي مما اضطره لعقد معاهدة ١٧٣٣/١١/١٩ .

ولكن الصفويين على عادتهم نقضوا المعاهدة المذكورة وقاموا باعتداء جديد وانتهى الاعتداء بهزيمتهم مرة أخرى مما اضطرهم ذلك لعقد معاهدة (أرضروم) الأولى في ١٨٢٣/٧/٢٨، ثم (أرضروم) الثانية في ١٨٤٧/٥/١١ بعد أن لعبت الدولتان الوسيطتان (بريطانيا وروسيا القيصرية) دوراً كبيراً في عقد تلك المعاهدة.

أما في الوقت الحاضر وعبر التحالف بين نظامي أسد وخميني وتنسيق أعمال الإرهاب الدولي بينهما فقد أقامت إيران معسكراً على أراضيها قرب مدينة طهران لتدريب الأرمن على أعمال الإرهاب والعنف على غرار المعسكر الذي أقامه لهم حافظ أسد في ضواحي دمشق. كما يقوم النظام الإيراني بتسهيل تسللهم إلى الأراضي التركية عبر الحدود الإيرانية التركية وفق مخطط متكامل وتنسيق تام بين النظامين المتآمرين، وقد اتخذت منظمة (الاصالا) الأرمنية مكتباً لها في طهران للتنسيق في عملها مع المخابرات الإيرانية.

إن التعاون بين سورية وإيران ضد تركيا يستهدف:

١- نسف خطوط أنابيب البترول العراقي ضمن الأراضي التركية.

٢- تنسيق العمل بين مخابرات النظامين السوري والإيراني من جهة وبين المخربين الأرمن والأكراد داخل الأراضي التركية من جهة ثانية.

إن التعاون بين نظام أسد وخميني وكلاهما من أصحاب المذاهب الباطنية يستهدف إنشاء دولة باطنية تمتد من بحر الخزر إلى البحر الأبيض المتوسط، وإن هذين النظامين أشد خطراً من الدولة الصفوية التي استطاعت رغم صغرها أن تضرب الإمبراطورية العثمانية من الظهر حين كانت تحاصر (فينا) وأجبرتها على سحب جيوشها من أوربا مرتين في عام ١٥٢٦ و ١٦٧٦م.

* * *

ملحق رقم (٣)

حماة في ذكرى مأساتها

من الزمن السحيق، ومنذ بدء التاريخ كانت مدينة، سبقت ولادتها مع شقيقتيها أريحا ودمشق جميع البلدان، في أي مكان من ربوع المدينة وفي أي بقعة من بقاعها تقف عليه أو تغوص فيه تصادفك آثار حضارة عريقة، حثية أو آرامية أو آشورية أو ما شئت مما تحدث عنه تاريخ الحضارات في العصور الغابرة، اختارت العناية لها واحة ساحرة، تعبق فيها الأزهار، وتطيب بها الأثمار، إنها جنة من جنان الأندلس الرطب كما وصفها شاعر الطبيعة وبلبلها صفيّ الدين الحلي.

كأن القدر اختار لها أن تكون للعروبة موئلاً وللإسلام ملاذاً، فها هي ذي كتائب الفتح العربي الإسلامي بقيادة خالد وعامر تحمل راية التوحيد والهدى، وتبشر بالخلاص والتحرير من القياصرة المتألهين، فتصادف حرباً في جنوب الشام وشمالها، وفي معظم أرجائها، بيد أن حماة فتحت للوافدين قلبها، وأبوابها، ومنذئذٍ وهي فداء للعرب المؤمنين الأوفياء، عصية على الغزاة والغادرين والأدعياء، فالحروب الصليبية التي استمرت مائتي عام تعجز عن دخول مدينة الجهاد

والفداء بالرغم من احتلالها ما يحيط بها من المواقع والبلدان، وعندما جد الجد، وانبرى أبناء زنكي وأحفاد أيوب لملاقاة الصليبيين في أكبر الملاحم في تاريخ العروبة والإسلام، وجدوا في مدينة حماة المبتغى، فاتخذوها عاصمة لهم، وعريناً لقادتهم وفرسانهم، وانطلقوا منها يقتحمون الحصون ويدكون القلاع، ويمزقون جحافل العدو، وطاب لهم فيها المقام، فاستمر بها سلطانهم، بعد زوال دولتهم قرناً ونيفاً من الزمان، وعندما احتل الفرنسيون سورية واجهوا رفضاً عنيداً من أبنائها، ومقاومة أسطورية من شعبها على مدى خمسة وعشرين عاماً، حتى اشتعلت الشرارة، وانطلقت أولى رصاصات التحرير من مدينة أبي الفداء، لتعم القطر وأرجاء الوطن، فأثمرت نصراً مؤزراً واستقلالاً ناجزاً وحرية ممهورة بالدم الزكي والتضحية الغالية، فاستحقت تقدير القادة الكبار وأقطاب الرعيل الأول الذين قادوا الوطن إلى الاستقلال، فهذا أحد القادة الوطنيين فقيد سورية فارس الخوري يزور المدينة فيحييها بنفحة شعرية تقديراً لجهادها وصمودها:

حماة بها عز العروبة والندى   لها في مضامير الجهاد مفاخر

بها من أطاع الشعب نال كرامة   وفيها على العاصي تدور الدوائر

ويمر بها عميد الأدب العربي طه حسين في طريقه إلى معرة النعمان، ليشارك في إحياء ذكرى أبي العلاء، فيقف على عتبة فندق أبي الفداء، ويقف مرافقوه وهم ينظرون بدهشة إليه، فيأخذ نفساً عميقاً ويملأ رئتيه من هوائها الندي ويقول: إني أشم رائحة العروبة في هذه المدينة.

ثم تحل الكارثة، وتقع سورية فريسة الكيد الشعوبي والحقد الأسود الدفين بعد أن تسلل ذووه وحاملوه ووارثوه إلى العرين بثياب خداعة مستعارة، وتدنو ساعة الانتقام من سورية المجد والبطولة، من دمشق قلب العروبة النابض، ومن كل مدينة وبلدة وقرية، ويقع اختيار الحاقدين على حماة ليجعلوا منها عبرة لطغيانهم وتمتد الأيدي الأثيمة إلى عاصمة الأيوبيين وقلعة المقاومة ضد الفرنسيين، فيحشدوا لها وحدات الجيش وصنوف الأسلحة وراجمات الصواريخ وطائرات الهيلوكبتر وأرتال الدبابات والمصفحات والمدافع الثقيلة والوحدات الخاصة وسرايا الدفاع، ويسحب البغاة قطعات الجيش من الجبهة التي استتب فيها الأمن بين العدو ونظام حافظ أسد منذ ربع قرن، ومن شمالي لبنان، ويطوقون المدينة بثلاثة أطواق كي لا يفر طير من سمائها أو ينجو أحد من أبنائها، وتحين ساعة الانتقام، فالقرار أن تكون حماة عبرة لغيرها، حتى لا يفتح مواطن فمه بكلمة، كما كانت هيروشيما عبرة في التدمير الذري لغيرها، وتم للشعوبيين الجدد أن يثأروا للمغول والتتار والصليبيين والفرنسيين والصهاينة الذين عرفوا أبناء المدينة في جهادهم على بطاح فلسطين، أجل بالنيابة عن هؤلاء جميعاً مارس حافظ أسد وعصاباته هواية القتل وسفك الدماء والهدم والاعتداء، وتفنن المجرمون في الذبح والقتل والهدم والإبادة. فالطفل يقذف من الطوابق العليا، وأطباء العيون تفقأ عيونهم كما حدث لنقيب أطباء العيون الدكتور عمر الشيشكلي وللطبيب حكمت الخاني، ويحفر خندق في ضاحية المدينة، في قرية سريحين، ليدفن فيها زهاء سبعة آلاف مواطن، اقتادهم الأوباش من صلاة الجمعة في

مساجد المدينة، وكان لجوء الشيوخ والنساء إلى الأقبية فراراً من الموت تحت الأنقاض قد سهل على السفاحين عمليات القتل بالجملة كما جرى في حي الباشورة وحي الحاضر وسوق جلباب وأحياء المدينة الأخرى. بهذه الأساليب المختصرة جداً كان حصاد المجزرة التي استمرت من بداية شباط إلى نهايته عام ١٩٨٢ أكثر من ثلاثين ألف ضحية فقط وتهجير قرابة مائة وخمسين ألفاً هاموا على وجوههم فراراً من القتل، لا فرق بين مسلم ومسيحي فالكل في الإعدام والقتل سواء، كما هدموا أكثر من ثمانين جامعاً ومسجداً وأربع كنائس، فجميع دور العبادة في الهدم سواء، وحتى يبلغ الثأر مداه ومنتهاه، تركت الجثث تفرش الشوارع والأرصفة على مدى خمسة عشر يوماً ليراها المارون بسياراتهم بعد فتح الطريق من حلب إلى دمشق، تأكلها وتتحلق حولها الكلاب..

من أصحاب هذه الجثث؟

هل هم شيوخ المدينة وفقهاؤها وعلماؤها وشعراؤها ومفتيها المعروف بكماله وتهذيبه الشيخ بشير المراد؟

ندع الجواب، فالحديث مؤلم وذو شجون!!!

لقد انهدم شطر المدينة، وزالت من خارطتها أحياء كاملة مثل حي الكيلاني، وباب الحيرين والسخانة والشمالية والزنبقي والعصيدة، ومعظم حي البارودية وقسم من حي المناخ والشرقية والحميدية، ونبش الحاقدون قبور القادة الأيوبيين بعد أن ظلوا قروناً فيها ساكنين، فالحقد قديم على جنود وأحفاد صلاح الدين، كما بقر المتوحشون

بطون الجرحى في المستشفى الأهلي وغيرها، ومضغوا أكبادهم كالوحوش المفترسة إمعاناً في التشفي والانتقام، وحتى يبلغ الكيد غايته، والمأساة منتهاها، زحف أزلام الطاغية وجيرانه وبطانته وعصاباته إلى البلد الجريح الذبيح سعداء محبورين، ليحتفلوا بهدم المدينة وبذبح سكانها والثأر من قلعة البطولة ومدينة أبي الفداء، أجل ليحتفلوا بالعيد الأكبر، ويقيموا الدبكات والرقصات على الجثث وفوق الجراح، ودونما خجل أو حياء كان تلفزيون النظام ينقل صور التأييد والابتهاج! باسم من؟ باسم أبناء مدينة حماة! فأي جريمة أكبر من هذا الإجرام؟ وأي هول أعظم من هذا الهول؟!

هِيْهِ مدينة الفداء والنداء، ما كان لهم أن يمروا لو ظل أبناؤك يمتشقون الحسام! ما كانوا يتجرأون على هدم طرابلس وقتل كل من يرفع رأسه في لبنان، ما كانوا ليجرؤوا على تنفيذ المؤامرة الكبرى، وجر العرب إلى مدريد وواشنطن ليشهدوا زوراً أن الصهاينة يملكون الشطر الأكبر من أرض الإسراء والمعراج!!!

هِيْهِ مدينة البطولات والمروءات، أرادك السفلة كبش الحقد والعداء، وشاء لك القدر أن تكوني أرض الفداء والشهداء.

عهداً لك يا مدينة التضحية والشهادة من أبنائك الأوفياء ومن أبناء أمتك الأصفياء، ومن المؤمنين والمجاهدين الأتقياء، أنهم على العهد باقون، وأن ذكراك ستبقى في الضمائر والقلوب حية لا يطويها تقادم أو نسيان، وبعون الله سيرجع الوطن إلى أهله، ونسمع ترانيم المجد والنصر تصدح النواعير بأنغامها، ونصغي إلى وسوسة الجداول

والسواقي المنسابة في البساتين التي تحيط بالمدينة وتحنو عليها، ونشرب ماء النهر الذي شهد انتصارات المجاهدين من أبناء الوطن على فلول الفرنسيين، وننشد بالصوت المدوي قصيدة شاعر العاصي:

بلغت ثأرك لا بغي ولا ذام يا دار ثغرك منذ اليوم بسام

وأنتم أيها الثكالى والأيامى، أيها الأيتام والأرامل، أيتها الأمهات اللواتي لا يعلمن عن مصير أبنائهن شيئاً، أيتها السيدة الصابرة التي لم تعد تدري، هل فقدت زوجها في صحراء تدمر أم لا يزال قابعاً في الزنزانات وظلام السجون؟ يا من شاهدوا المأساة ولا يزالون في عداد الأحياء، تيقنوا أن القادر يمهل ولا يهمل، وأنه يقصم ظهور الطغاة والجبارين ويجعلهم سلفاً ومثلاً للآخرين.

عشرات الألوف من الثكالى والأرامل واليتامى يناجون ربهم، ويتضرعون إليه في ساعات السحر وفي جوف الليل البهيم أن ينتقم من الظالمين، وأن يخزي الطاغية وكل من أعانه في ظلمه ليذيقه مثل الذي أحدثه في حماة وفي سائر المدن السورية من ظلم تقشعر من هوله الأبدان.

صبراً أيها الآباء وأيتها الأمهات اللواتي حرمهن الأثيم الطاغية أبناءهم وأفلاذ أكبادهن، صبراً أيها الأيتام الذين اغتال البغاة حنان والديهم، صبراً أيها المعتقلون في غياهب السجون وراء القضبان صبراً أيها الشعب المؤمن الصامد في سورية، فلقد أزفت ساعة الخلاص، ودنت لحظة القصاص العادل، فالله لا يخلف وعده ولا وعيده، ولن يفلت البغاة والطغاة من غضبه ولا عقابه، وصدق الله العظيم: وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إنَّ أخذهُ أليمٌ شديد.

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم

٢ - تقرير منظمة رقيب الشرق الأوسط عن انتهاكات حقوق الإنسان في سورية الصادر عام ١٩٩٠ في طبعته الأولى عن دار السلام عام ٢٠٠٥ .

٣ - وثائق سورية، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ عن مركز الشام للدراسات والمعلومات.

٤ - سورية: لا خبز ولا حرية، لمؤلفه آلن جورج، تعريب حصيف عبد الغني ٢٠٠٦ عن دار الشرق -بيروت، والكاتب خريج أكسفورد ١٩٧٠ ونال الماجستر من جامعة درهام في موضوع: جغرافية الشرق الأوسط، وله عشرات البحوث الشهيرة والرصينة.

٥ - التطور السياسي والاقتصادي في سورية من نيسان ١٩٤٦ وحتى نيسان ١٩٩٠ للدكتور غسان حداد.

٦ - أوراق شامية من تاريخ سورية المعاصر ١٩٤٦ - ١٩٦٦ للدكتور غسان حداد.

٧ - حوار حول سورية لمؤلفه محمود صادق، الطبعة الأولى ١٩٩٣ الصادرة عن دار عكاظ في لندن.

٨ - الصراع على سورية -الأسد- للكاتب البريطاني الشهير باتريك سيل.

٩ - الصراع على السلطة في سورية من عام ١٩٦١ وحتى العام ١٩٩٥ للدكتور نيقولاوس فان دام، الطبعة الثانية الصادرة عن مكتب مدبولي في القاهرة.

١٠ - النصيرية، دراسة تحليلية لتقي الدين شرف الدين ١٩٨٣ الصادر في بيروت.

١١ - سقوط الجولان للضابط مصطفى خليل بريز، الصادر عن دار اليقين في عمان ١٣٨٩ الموافق ١٩٦٩ .

١٢ - التغلغل الإسرائيلي في العراق للسيد محمد الحوراني الصادر في طبعته الأولى ٢٠٠٦ عن مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة.

١٣ - العلويون ودولتهم المستقلة للضابط العلوي المخضرم محمد هواش الصادر عن الشركة الجديدة للمطابع المتحدة في طبعته الأولى في الدار البيضاء - المملكة المغربية، والناشر د. غسان هواش.

١٤ - وثائق أردنية، نشر وزارة الإعلام الأردنية، دائرة المطبوعات بتاريخ ٢٥-٢-١٩٨١

١٥ - سورية في قرن للدكتور منير الغضبان، جزءان، الطبعة الأولى.

١٦- مجلة النذير.

* * *

المحتوى

✷ ✷ ✷



MADBOULI BOOKSHOP

مكتبة مدبولي

6 Talat Harb SQ. T el. : 25756421

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٢٥٧٥٦٤٢١